



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلماء



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

آية الله العظمى تكاثر النيران

# تكملة الأعمال

شرح مختصر في شرح البحار

بمناهج كبرى من الفوائد  
إعداد: محمد بن محمد العبداني

للجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٢٠	نفحات الولاية المجلد ٢
٢٠	اشارة
٢٠	الخطبة [١] الحادي والعشرون
٢٠	اشارة
٢١	شرح الخطبة
٢١	تخففوا تلحقوا!
٢٢	عاقبة المثقلين!
٢٣	الخطبة الثانية و العشرون
٢٣	اشارة
٢٣	القسم الأول: أضواء على الخطبة
٢٣	اشارة
٢٤	وقعه الجمل
٢٤	حزب الله وحزب الشيطان
٢٥	القسم الثاني
٢٥	اشارة
٢٥	المعدّرون المفتضحون!
٢٧	القسم الثالث: تهديد على عليه السلام
٢٧	اشارة
٢٨	الرجال الأشداء
٢٩	الخطبة [٢٧] الثالثة والعشرون
٢٩	اشارة
٢٩	القسم الأول

٢٩	.....	اشارة
٢٩	.....	نظرة إلى الخطبة
٣٠	.....	الرضا والتسليم أمام إرادة الله
٣٢	.....	الرضى والتسليم إلى جانب السعى والعمل
٣٣	.....	القسم الثاني: سبيل بلوغ مقامات الصالحين
٣٣	.....	اشارة
٣٤	.....	فصل في أن الاخلاص أساس العمل
٣٤	.....	القسم الثالث: السند الشعبي
٣٤	.....	اشارة
٣٥	.....	فصل في حسن الثناء (لسان الصدق)
٣٦	.....	القسم الرابع: الإعتضاد بالعشيرة
٣٦	.....	اشارة
٣٧	.....	فصل في بركات التعاضد بالقراءة
٣٨	.....	الخطبة الرابعة والعشرون
٣٨	.....	اشارة
٣٨	.....	نظرة إلى الخطبة
٣٨	.....	المساومة والمصناعة
٤٠	.....	فصل في الضعف والمساومة
٤٠	.....	الخطبة [٦٩] الخامسة و العشرون
٤٠	.....	اشارة
٤١	.....	القسم الأول
٤١	.....	اشارة
٤١	.....	نظرة إلى الخطبة
٤١	.....	النفاق والعصيان ودور الإمام

- ٤٢ ..... تأملان
- ٤٢ ..... ١- الكوفة على وجهين
- ٤٣ ..... ٢- أهل الكوفة والإمام عليه السلام
- ٤٤ ..... القسم الثاني: سرّ الانهيار
- ٤٤ ..... اشارة
- ٤٥ ..... تأملات
- ٤٥ ..... ١- بسر بن أرطاة القائد السفاح لمعاوية
- ٤٧ ..... ٢- مقومات النصر وهزيمة الأمم
- ٤٨ ..... القسم الثالث: السّم والملل
- ٤٨ ..... اشارة
- ٥٠ ..... بنو فراس بن غنم
- ٥٠ ..... الخطبة السادسة والعشرون
- ٥٠ ..... اشارة
- ٥٠ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٥١ ..... القسم الأول: العرب في الجاهلية
- ٥١ ..... اشارة
- ٥٣ ..... تأملات
- ٥٣ ..... ١- آفاق العصر الجاهلي
- ٥٤ ..... ٢- شر دار أم خيرها
- ٥٤ ..... القسم الثاني: الصبر المرير
- ٥٤ ..... اشارة
- ٥٥ ..... تأملات
- ٥٥ ..... ١- الأحداث المريرة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله
- ٥٦ ..... ٢- هل بايع الإمام عليه السلام الخليفة الأول؟

- ٥٦ ..... القسم الثالث: المساومة السياسية المفصوحة
- ٥٦ ..... اشارة
- ٥٨ ..... تأملات
- ٥٨ ..... ١- السياسات الدينوية لا تعترف بالأصول الأخلاقية
- ٥٨ ..... ٢- باعة الدين بالدنيا!
- ٥٩ ..... ٣- علاقة النصر بالثبات
- ٦٠ ..... الخطبة السابعة والعشرون
- ٦٠ ..... اشارة
- ٦٠ ..... سند الخطبة وزمانها ومكانها
- ٦٠ ..... اشارة
- ٦١ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٦١ ..... القسم الأول: الجهاد باب من أبواب الجنة
- ٦٢ ..... اشارة
- ٦٤ ..... تأملان
- ٦٤ ..... ١- الجهاد سر رفعة الشعوب وعزتها
- ٦٥ ..... ٢- هل الجهاد الإسلامي دفاعي فقط؟!
- ٦٦ ..... القسم الثاني: الموت كمداً
- ٦٦ ..... اشارة
- ٦٨ ..... تأملات
- ٦٨ ..... ١- معادلات الهزيمة والانتصار
- ٦٨ ..... ٢- حماية الأقليات الدينية
- ٦٨ ..... ٣- الغيرة الدينية
- ٦٩ ..... القسم الثالث: الاجتماع على الباطل والفرقة عن الحق
- ٦٩ ..... اشارة



- ٧٠ ..... تأمل: علة هذا الدم
- ٧١ ..... القسم الرابع: إدماء القلب
- ٧١ ..... اشارة
- ٧٢ ..... تأملات
- ٧٢ ..... ١- الاتباع الطلحاء والقادة الأكفاء
- ٧٣ ..... ٢- الإجابة على سؤال
- ٧٤ ..... ٣- سؤال آخر
- ٧٤ ..... ٤- الخاتمة المريرة للواقعة
- ٧٥ ..... الخطبة [١٧٩] الثامنة والعشرون
- ٧٥ ..... اشارة
- ٧٥ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٧٥ ..... القسم الأول: الدنيا والآخرة عند الإمام على عليه السلام
- ٧٥ ..... اشارة
- ٧٧ ..... تأملات
- ٧٧ ..... ١- الدنيا والآخرة في الأحاديث
- ٧٨ ..... ٢- الخسارة العظمى
- ٧٩ ..... القسم الثاني: الرحيل الوشيك
- ٧٩ ..... اشارة
- ٨١ ..... تأملان
- ٨١ ..... ١- خير الزاد
- ٨٢ ..... ٢- اتباع الهوى وطول الأمل من أعدى أعداء الإنسان
- ٨٢ ..... اشارة
- ٨٣ ..... تكملة
- ٨٤ ..... الخطبة [٢١٤] التاسعة والعشرون

٨٤	اشارة
٨٤	نظرة إلى الخطبة
٨٤	القسم الأول: عوامل ضعف أهل الكوفة
٨٦	القسم الثاني
٨٦	اشارة
٨٧	تأملان
٨٧	١- الحق يؤخذ ولا يُعطى
٨٨	٢- الدفاع عن الوطن
٨٩	القسم الثالث: اليأس من القوم
٨٩	اشارة
٩٠	أسباب الهزيمة والفشل
٩١	الخطبة [٢٣٤] الثلاثون
٩١	اشارة
٩١	نظرة إلى الخطبة
٩٢	عوامل قتل عثمان
٩٤	الخطبة [٢٣٧] الحادية والثلاثون
٩٤	اشارة
٩٤	السعي لانقاذ الخاطئين
٩٤	تأملات
٩٤	١- رد فعل الزبير تجاه رسالة الإمام عليه السلام
٩٤	٢- قطوف من سيرة طلحة والزبير
٩٨	٣- شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩٨	الخطبة [٢٥١] الثانية و الثلاثون
٩٨	اشارة

- ٩٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٩٩ ..... القسم الأول: الدهر وضياع القيم
- ٩٩ ..... اشارة
- ١٠٠ ..... تأملان
- ١٠٠ ..... ١- ما مفهوم فساد الزمان؟
- ١٠١ ..... ٢- التنكر للقيم
- ١٠٢ ..... القسم الثاني: الناس أربعة أصناف
- ١٠٢ ..... اشارة
- ١٠٤ ..... الأصناف الأربعة في كل مجتمع.
- ١٠٥ ..... القسم الثالث: الصنف الخامس: أولياء الله
- ١٠٧ ..... القسم الرابع: الاتعاظ بالماضين
- ١٠٨ ..... الخطبة [٢٩٥] الثلاثة و الثلاثون
- ١٠٨ ..... اشارة
- ١٠٩ ..... نظرة إلى الخطبة.
- ١٠٩ ..... القسم الأول: دحر الباطل
- ١٠٩ ..... اشارة
- ١١١ ..... تأملات
- ١١١ ..... اشارة
- ١١١ ..... ١- من أخبار يوم ذى قار
- ١١٢ ..... ٢- جاهلية العرب
- ١١٢ ..... ٣- حديث خاصف النعل
- ١١٣ ..... القسم الثاني: مالى ولقريش؟
- ١١٣ ..... اشارة
- ١١٥ ..... الحسد مصدر الاضطراب الاجتماعى

- ١١٥ ..... الخطبة [٣٢٦] الرابعة والثلاثون
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٥ ..... مناسبة الخطبة
- ١١٦ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١١٦ ..... القسم الأول: لم الخشية من الشهادة؟
- ١١٦ ..... اشارة
- ١١٧ ..... جدوى الذم واللوم
- ١١٨ ..... القسم الثاني: يقظة العدو وسيات النصير
- ١١٨ ..... اشارة
- ١١٩ ..... عوامل اخرى للضعف والهزيمة
- ١٢٠ ..... القسم الثالث: الانفراد فى مجابهة العدو
- ١٢٠ ..... اشارة
- ١٢٢ ..... العزم النهائى للزعيم الشجاع
- ١٢٣ ..... القسم الرابع: حقى عليكم وحقكم على
- ١٢٣ ..... اشارة
- ١٢٥ ..... تأملان
- ١٢٥ ..... ١- الحقوق المتبادلة للإمام والامة
- ١٢٧ ..... ٢- تعارض الحق والمصلحة!
- ١٢٧ ..... الخطبة [٣٦٥] الخامسة و الثلاثون
- ١٢٧ ..... اشارة
- ١٢٧ ..... نظرة إلى الخطبة: نتيجة العصيان
- ١٣٠ ..... تأملان
- ١٣٠ ..... ١- قصة التحكيم
- ١٣١ ..... ٢- الاستفادة من آراء الآخرين

- الخطبة [٣٧٩] السادسة و الثلاثون ..... ١٣١
- اشارة ..... ١٣١
- نظرة إلى الخطبة ..... ١٣١
- إتمام الحجّة على الخوارج ..... ١٣٢
- قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج ..... ١٣٣
- الخطبة [٣٨٩] السابعة والثلاثون ..... ١٣٤
- اشارة ..... ١٣٤
- نظرة إلى الخطبة ..... ١٣٤
- القسم الأول: الصمود أمام العواصف ..... ١٣٤
- القسم الثاني: القوى عندى ضعيف ..... ١٣٤
- اشارة ..... ١٣٤
- نصرة المظلوم ومجاهاة الظالم ..... ١٣٧
- القسم الثالث: أول من أسلم ..... ١٣٨
- اشارة ..... ١٣٨
- عهد رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام ..... ١٣٩
- الخطبة: الثامنة و الثلاثون ..... ١٤٠
- اشارة ..... ١٤٠
- نظرة إلى الخطبة ..... ١٤٠
- النجاة من الشبهة ..... ١٤٠
- تأثير الشبهة فى تحريف الحقائق ..... ١٤٢
- عبيثة الخوف من الموت ..... ١٤٢
- الخطبة [٤١٢]: التاسعة والثلاثون ..... ١٤٣
- اشارة ..... ١٤٣
- نظرة إلى الخطبة ..... ١٤٣

- ١٤٣ ..... أمر النعمان بن بشير مع عليّ ومالك بن كعب الأرحبيّ
- ١٤٤ ..... القسم الأول: سكوت الإمام عليه السلام
- ١٤٥ ..... القسم الثاني: الضعف أمام العدو
- ١٤٥ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... عاقبة الضعف أمام العدو
- ١٤٦ ..... سؤال
- ١٤٧ ..... الخطبة الاربعون
- ١٤٧ ..... اشارة
- ١٤٧ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٥٠ ..... تأملان
- ١٥٠ ..... ١- بلاء التحريف
- ١٥١ ..... ٢- ضرورة تشكيل الحكومة
- ١٥١ ..... اشارة
- ١٥٢ ..... خطأ ابن أبي الحديد
- ١٥٣ ..... الخطبة [٤٣٤] الحادية و الاربعون
- ١٥٣ ..... اشارة
- ١٥٣ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٥٥ ..... السياسة الإلهية والشيطانية
- ١٥٧ ..... الخطبة [٤٥٥] الثانية و الاربعون
- ١٥٧ ..... اشارة
- ١٥٧ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٥٧ ..... القسم الأول
- ١٥٨ ..... القسم الثاني
- ١٥٨ ..... اشارة

- ١٥٩ ..... الموت يعنى إغلاق صحيفة الأعمال
- ١٦٠ ..... الخطبة [٤٦٩] الثالثة الاربعون
- ١٦٠ ..... اشارة
- ١٦٠ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٦١ ..... القسم الأول: رجل الحرب والسلام
- ١٦١ ..... اشارة
- ١٦٢ ..... الهدف من الدعوة إلى الصلح والبيعة
- ١٦٣ ..... القسم الثانى
- ١٦٣ ..... اشارة
- ١٦٤ ..... أعمال عثمان وأسباب قتله.
- ١٦٥ ..... الخطبة [٤٨٣] الرابعة والاربعون
- ١٦٥ ..... اشارة
- ١٦٥ ..... قصة الخريت بن راشد الناجى وخروجه على على عليه السلام
- ١٦٦ ..... فرار العبيد
- ١٦٧ ..... تأملان
- ١٦٧ ..... اشارة
- ١٦٧ ..... ١- من بين الأسئلة التى تطرح بشأن هذه الخطبة
- ١٦٧ ..... ٢- فلسفة الحزم
- ١٦٨ ..... الخطبة [٤٨٩] الخامسة و الأربعون
- ١٦٨ ..... اشارة
- ١٦٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٦٨ ..... القسم الأول: الرحمة اللامتناهية
- ١٦٩ ..... القسم الثانى: الدنيا دار المنى
- ١٦٩ ..... اشارة

- ١٧٠ ..... الكفاف والعفاف
- ١٧١ ..... الخطبة [٥١٢] السادسة و الاربعون
- ١٧١ ..... اشارة
- ١٧١ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧١ ..... الاستعاذة بالله من وعشاء السفر
- ١٧٢ ..... فلسفة الدعاء
- ١٧٣ ..... الخطبة [٥٢٩] السابعة و الاربعون
- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٤ ..... نبوءة عن مستقبل الكوفة
- ١٧٥ ..... رأبان فى الكوفة
- ١٧٥ ..... الخطبة [٥٣٦] الثامنة و الاربعون
- ١٧٥ ..... اشارة
- ١٧٦ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٦ ..... القسم الأول: استحقاق الله للحمد والثناء
- ١٧٧ ..... القسم الثانى: تعبئة القوى لمواجهة العدو
- ١٧٧ ..... اشارة
- ١٧٧ ..... أخبار على عليه السلام فى جيشه وهو فى طريقه إلى صفين
- ١٧٩ ..... نزول على بكرلاء
- ١٧٩ ..... الخطبة [٥٥٤] التاسعة و الاربعون
- ١٧٩ ..... اشارة
- ١٧٩ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٨٠ ..... المنزه عن الظن والخيال
- ١٨٢ ..... وجوده ظاهر وكنه ذاته خفى



١٨٣	الخطبة [٥٦٥] الخمسون
١٨٣	اشارة
١٨٣	نظرة إلى الخطبة
١٨٤	تأملات
١٨٤	١- أساس الفتن
١٨٥	٢- السياسات الشيطانية
١٨٥	الخطبة [٥٧٣] الحادية و الخمسون
١٨٥	اشارة
١٨٦	نظرة إلى الخطبة
١٨٦	أقبروا هذه الفتنة الخبيثة
١٨٨	تأملات
١٨٨	١- ضرورة العيش في ظل العزة والكرامة
١٨٩	٢- غسل أدمغة المغفلين
١٨٩	٣- المروءة والشهامة
١٩٠	الخطبة [٥٨٩] الثانية و الخمسون
١٩٠	اشارة
١٩٠	نظرة إلى الخطبة
١٩٠	القسم الأول: الدنيا الغرور
١٩٢	القسم الثاني: السعى القليل وإن كثر
١٩٣	القسم الثالث: عظمة وسعة النعم الإلهية
١٩٤	الخطبة [٦١٣] الثالثة و الخمسون
١٩٤	اشارة
١٩٤	تمام الاضحية
١٩٥	علية سلامة الاضحية من النقص والعيب

- ١٩٥ ..... الخطبة [٦١٩] الرابعة و الخمسون
- ١٩٥ ..... اشارة
- ١٩٥ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٩٦ ..... ليس هنالك سوى القتال
- ١٩٧ ..... تأملان
- ١٩٧ ..... ١- البيعة الفريدة للإمام عليه السلام
- ١٩٧ ..... ٢- الحرب والسلام، والكفر والإيمان
- ١٩٨ ..... الخطبة [٦٢٨] الخامسة والخمسون
- ١٩٨ ..... اشارة
- ١٩٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٩٨ ..... تماسك الإمام عليه السلام حيال القتال
- ١٩٩ ..... الخطبة [٦٣٢] السادسة والخمسون
- ٢٠٠ ..... اشارة
- ٢٠٠ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٠٠ ..... الوقوف المشرف إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٢٠٢ ..... تأملان
- ٢٠٢ ..... ١- ثاني فتن البصرة
- ٢٠٤ ..... ٢- خصائص المسلمين الاوائل
- ٢٠٤ ..... الخطبة [٦٤٢] السابعة والخمسون
- ٢٠٤ ..... اشارة
- ٢٠٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٠٥ ..... إحدروا العدو
- ٢٠٨ ..... تأملات
- ٢٠٨ ..... ١- علة عدم ذكر الإمام عليه السلام للشخص المقصود بالخطبة

- ٢٠٨ ..... ٢- لماذا حكم الإمام عليه السلام بهدر دم معاوية؟
- ٢٠٩ ..... ٣- تأريخ سب الإمام على عليه السلام
- ٢١٠ ..... ٤- التقية وسيلة دفاعية
- ٢١٠ ..... الخطبة [٦٥٨] الثامنة و الخمسون
- ٢١٠ ..... اشارة
- ٢١١ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢١١ ..... فضاعة مظلومية الإمام عليه السلام
- ٢١٢ ..... الخطبة [٦٦١] التاسعة والخمسون
- ٢١٢ ..... اشارة
- ٢١٢ ..... هل من سبيل لعلم الغيب
- ٢١٣ ..... الخطبة [٦٦٣] الستون
- ٢١٣ ..... اشارة
- ٢١٣ ..... مصير الخوارج
- ٢١٣ ..... تأملات
- ٢١٤ ..... ١- الخوارج ظاهرة لافرقه
- ٢١٥ ..... ٢- الخوارج لصوصا سلابين
- ٢٤٤ ..... تعريف مركز

## نقحات الولاية المجلد ٢

## إشارة

عنوان و نام پدیدآور : نقحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه / ناصر مكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من الفضلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم : مدرسه الامام على ابن ابى طالب (ع)، ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤.

مشخصات ظاهرى : ج.

شابك : ٣٠٠٠٠ ريال : دوره ٩٥٨-٨١٣-٩٦٤ : ج. ١-٩٥٧-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٢-٩٠٨-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٣-٩١٧-٨١٣-٩٦٤

: ج. ٤-٩١٨-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٥-٩٤١-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٦-٩٧٨-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٧-٩٧٨-٨١٣-٩٦٤

: ج. ٨-٩٧٨-٨١٣-٩٦٤ : ج. ٩-١٢٢-٨١٣-٩٦٤ : ج. ١٠-١٢٢-٨١٣-٩٦٤ : ج. ١١-١٢٢-٨١٣-٩٦٤

: ج. ١٢-١٢٤-٨١٣-٩٦٤ : ج. ١٣-١٢٤-٨١٣-٩٦٤

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج ١-٥ (چاپ دوم: ١٣٨٤).

يادداشت : ج. ٦-١٠ (چاپ اول: ١٤٣٢ ق. = ١٣٩٠).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : . ج. ٦. من خطبة ١٥١ الى ١٨٠. ج. ٧. من خطبة ١٨١ الى ٢٠٠. ج. ٨. من خطبة ٢٠١ الى ٢٤١. ج. ٩. من رسالة ١

الى ٣١. ج. ١٠. من رسالة ٣٢ الى ٥٣

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق -- خطبهها

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- كلمات قصار

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- نامهها

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- نهج البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده : حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. نهج البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسه الامام على بن ابى طالب (ع)

رده بندى كنگره : BP٣٨/٠٢ م/ ١٣٨٤٧

رده بندى ديويى : ٢٩٧/٩٥١٥

شماره كتابشناسى ملى : م ٨٤-٤٠٣٤٧

## الخطبة [١] الحادى والعشرون

## إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

«وهى كلمة جامعة للعظمة والحكمة»

«فإن الغاية أمانكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم».

قال السيد الشريف الرضى: أقول: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصوفاً وما أبعد غورها من كلمة! وأنقع نطقها من حكمة! وقد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها وشرف جوهرها.

## شرح الخطبة

### تخففوا تلحقوا!

ورد هذا الكلام ضمن سياق الخطبة ١٦٧، حيث تضمنت تلك الخطبة مثل هذه العبارات مع بعض الفوارق الطفيفة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦

والذى يفهم من كلام المرحوم السيد الشريف الرضى أن الإمام عليه السلام قد ألقى هذه الخطبة أوائل ما آلت إليه الخلافة، بينما يفهم من كتاب «مطالب السؤل» [٢] أن هذه الخطبة هي إمتداد للخطبة السابقة وتعرض لذات المطالب.

وهناك احتمال آخر فى أن الخطب الثلاث قد صدرت معاً عن أمير المؤمنين عليه السلام فى موضع واحد، ثم صُنفت ثلاثة أقسام. على كل حال فإن هذا القسم من الخطبة - والذى لا يتجاوز بضعة عبارات - وعلى حد تعبير السيد الرضى لو وزن بعد كلام الله وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لمال به راجحاً! والحق أن الأمر كذلك حقاً ما هذه الفصاحة والبلاغة فى كلمات قصار تتعرض لمثل هذه الحقائق السامية!

فالإمام يتبّه أبناء الأُمّة بادئ الأمر إلى مفهوم المعاد ومحكمة العدل الإلهى ليلفت إنتباههم من خلال ذلك إلى عظم المسؤوليات والوظائف التى ينبغى لهم أن ينهضوا بها فى خلافته، ويحذرهم من كافة ألوان النفاق والتشتت والفرقة والنكوص عن إداء الواجبات. وأخيراً يذكرهم بالعاقبة التى تنتظرهم بعد العرض على الله يوم القيامة، فأما الجنّة وأما النار «فإن الغاية أمانكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم».

والتعبير ب «الغاية» (عاقبة الأمر) بشأن القيامة والجنّة والنار لأنّ الحياة فى الدنيا إنّما هى مقدمة للحياة الأبدية فى العالم الآخر.

فقوله عليه السلام: «فإن الغاية أمانكم» يعنى عدم وجود الشك والريب فى أن مآل الامور هناك وليس لأحد الفرار عن ذلك المآب. وأما التعبير ب «الساعة» فقد صرّح بعض شارحي نهج البلاغة بأنّه إشارة إلى القيامة الصغرى؛ أى الموت. فقوله عليه السلام: «وراءكم» يفيد أنّ عوامل الموت إنّما تكمن وراء الإنسان، فهى تسوق الإنسان من الطفولة إلى الشباب ومن الشباب إلى الكهولة والشيخوخة وأخيراً من الشيخوخة إلى انقطاع الحياة. فى حين صرّح البعض الآخر بأنّ المراد ب «الساعة» هو ساعات

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٧

الليل والنهار وكأنّها الأمر الصارم الذى كمن خلف الإنسان ويسوقه إلى حتفه. وليس هناك من فوارق تذكر بين هذين التفسيرين حيث مؤداهما واحد. وبالاستناد إلى أن كلمة «تحذوكم» المشتقة من مادة «حدو» بمعنى «السوق والدفع نحو الشىء».

فإنّ الذى يتبادر إلى الذهن هو أن تقلب الليل والنهار والشهر والسنة رغم تقربها إلى الإنسان من وصول أجله وانقطاع حياته، غير أنّها تشكل عوامل غفلته بفعل اختلاطها بزخارف الدنيا وزبرجها. فالواقع هو أنّ هذه العبارة التى تصدرت الكلام رغم قصرها قد أشارت إلى القيامة الكبرى إلى جانب إشارتها إلى القيامة الصغرى؛ الأمر الذى يعدّ المستمع للاصغاء إلى المرحلة اللاحقة.

فأورد عليه السلام هذه الجملة المقتضبة العميقة المعنى: «تخففوا تلحقوا» عادة إذا ما انطلقت قافلة من الناس إلى مكان وواجهت هذه القافلة بعض المنعطفات التى لا يمكن اجتيازها بسهولة فإنّ أولئك الأفراد المثقلين بالأحمال غالباً ما يتخلفون عن القافلة التى لا يسعها

الوقوف من أجل فرد أو بضعة أفراد فلا يكون أمامها سوى تجاوز ذلك الفرد ومواصلة السير والحركة. أما ذلك الفرد الذي تخلف عن القافلة فإنه سيكون لقمة سائغة لقطاع الطرق واللصوص وذئاب الصحراء، بينما يشقّ المخفون طريقهم بسرعة تجعلهم يصلون إلى هدفهم أسرع من الجميع.

وهذا هو حال بني آدم في هذه الدنيا، فهم مسافرون وقد شدّوا الرحال إلى الحياة الأبدية التي تعقب الموت. فمن ثقل حمله من متاع الدنيا وحطامها كان لقمة سائغة للشيطان، أما أهل الورع والزهد والتقوى فإنهم سيحثون الخطى سريعاً لينالوا سعادة الآخرة والفوز بالخلود.

وقد أكد الإمام عليه السلام هذا المعنى - في الخطبة ٢٠٤ - حين نادى أصحابه: «تجهّزوا - رحمكم الله - فقد نودى فيكم بالرحيل وأقلوا العرجة على الدنيا... فإنّ أمامكم عقبه كؤودا ومنازل مخوفة مهولة».

وقد شبه بعض شراح النهج الإنسان بالمسافر الذي يجوب البحر وهو يواجه أمواجه العاتية حيث سيكون الغرق مصيره الحتمي إذا لم يخف مؤونة سفينته.

وقد شبهوا قلب الإنسان بهذه السفينة، التي ستواجه الغرق لا محالة إذا ما أثقل ذلك القلب بحبّ الدنيا والانغماس في الشهوات. [٣]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨

وأخيراً يختتم الإمام على عليه السلام خطبته بقوله: «فانما ينتظر بأولكم آخركم». وتدل هذه العبارة بوضوح على أنّ عالم البشرية بحكم القافلة الواحدة التي تشتمل على المقدمة - التي سبقت بالحركة - والوسط والمؤخرة؛ وهي تواصل مسيرتها لتلتحق مؤخرتها بمقدمتها، وبعبارة أخرى فإنّ قانون الموت لا يعرف الحصر والاستثناء وهو المحطة التي سيتوقف عندها الجميع. وبناءً على ما تقدّم فإنّ عاقبة الأولين نذير مبين للآخرين.

### عاقبة المثقلين!

إنّ أهم عامل يقف وراء خسران طائفة من الناس والذي تضمنته كلمات الإمام عليه السلام في خطبته إنّما يكمن في إثقال كاهلها بالتكالب على متاع الدنيا الزائد عن حاجتها في حياتها الدنيوية المتواضعة.

ولك أن تفرض أنّ فرداً ينطلق للسفر ليوم واحد وقد حمل مقداراً من الخبز والماء والفاكهة لما يكفيه لذلك اليوم، بينما حمل الآخر عدة حقائب وقد ملاًها بمختلف الأطعمة والأشربة والفاكهة وانطلق إلى سفره. فمن البداهة أن ينطلق الأول بكل هدوء وخفة وخطى واثقة وحثيئة دون أن يشعر بالكلل والتعب، في حين سينقطع نفس الثاني ولا يسعه مواصلة السير والحركة. وهذا هو المصير الذي ينتظر أولئك الأفراد الذين جعلوا همهم في الدنيا ومتاعها الزائل وجعلوا يفكّرون ليل نهار في كيفية حفظ هذه الأموال، حتى أنستهم ذكر الله، ولم يكتفوا بذلك ففقدوا حتى السكينة والطمأنينة في حياتهم الدنيا.

هذا وقد تطرق بعض شراح نهج البلاغة إلى قصة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضى الله عنه كشاهد حي ونموذج لقول الإمام على عليه السلام «تخففوا تلحقوا» وذلك حين نصب والياً على منطقة المدائن فركب دابته وانطلق بمفرده إليها.

فاتصل بالمدائن خبر قدومه، فاستقبله أصناف الناس على طبقاتهم، فلما رأوه قالوا: أيها الشيخ أين خلفت أميرنا؟ قال: ومن أميركم؟ قالوا: الأمير سلمان الفارسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: لا أعرف الأمير، وأنا سلمان.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩

فترجلوا له وقادوا اليه المراكب والجنائب. فقال: إنّ حمارى هذا خير لى وأوفق. فلما دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الامارة قال: ولست بأمير. فنزل على حانوت في السوق وقال إدعوا إليّ صاحب الحانوت فاستأجر منه. وكان معه وطاء يجلس عليه ومطهرة يتطهر بها

للصلاة وعكازة يعتمد عليها في المشى. فأتفق أن سيلا وقع في البلد فارتفع صياح الناس بالويل والعيويل يقولون: وا أهلاه وا ولداه و وا ماله، فقام سلمان ووضع وطائه في عاتقه وأخذ مطهرته وعكازته بيده وارتفع على صعيد وقال: هكذا ينجو المخففون يوم القيامة. [٤] والطريف في الأمر ما ذكره السيد الرضى رضى الله عنه من أن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً. ولاسيما قوله عليه السلام: تخففوا تلحقوا.

فما أبعد غورها وأعظمها من حكمه وموعظه رغم قصرها؛ الأمر الذى دفع بالسيد الرضى رضى الله عنه إلى الإسهاب فى الخوض فى تفاصيلها فى كتابه «الخصائص».

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١

## الخطبة الثانية والعشرون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام [٥]  
حين بلغه خبر الناكثين بيعته.  
وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددهم بالحرب.

### القسم الأول: أضواء على الخطبة

### إشارة

«الآ- وإن الشيطان قد ذم حربه واستجلب جلبه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه، والله! ما أنكروا على منكر، ولا جعلوا بينى وبينهم نصفاً».

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢

وردت هذه الخطبة- كما يفهم من عنوانها- بشأن طلحة والزبير بعد نقضهما البيعة وما تلاها من أحداث مريرة تمثلت إحداها بمعركة الجمل، كما تشير إلى قضية المطالبة بدم عثمان التى تمسك بها أصحاب الجمل التى استغلت فيما بعد من قبل أهل الشام. وأخيراً تتضمن مذمتهم وتقريعهم من جانب الإمام عليه السلام والرد الحاسم على تهديداتهم وتخريصاتهم. وتبدو مضامين هذه الخطبة أكثر شبيهاً بخطبه ١٠، ٢٦ و ١٧٢؛ الأمر الذى جعل من المحتمل أن تكون كل خطبة من هذه الخطب جزءاً من خطبة واحدة وقد قام السيد الرضى رضى الله عنه بتجزأتها على ضوء ما يناسب المقام.

الطريف فى الأمر أن بعض الروايات صرحت بأن عمرو بن العاص قال يوماً لعائشة:

«لوددت أنك قتلت يوم الجمل!». فردت عائشة متعجبة: «ولم؟ لا أباً لك!». فأجابها بن العاص: «كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على على» [٦].

يرى بعض شراح نهج البلاغة أن هذه من الخطب المتعلقة بمعركة صفين، وقد عنت عباراتها معاوية [٧]، إلا أن الذى يستفاد من عنوان الخطبة الذى اعتمده السيد الرضى رضى الله عنه وكلام ابن أبى الحديد [٨] وسائر الشراح أن هذه الخطبة إنما تناول ناكثى البيعة من أصحاب الجمل، وإن كانت مضامينها تتناسب وحال الطائفتين؛ الجمل وصفين.

## الشرح والتفسير

## وقعة الجمل

أشرنا سابقاً إلى أن الخطبة وردت بخصوص أولئك الذين أججوا نيران فتنة الجمل؛ أي طلحة والزبير ورهطهما. فقد كان كل من طلحة والزبير يطمع في الحكومة ولما صرفها الإمام عليه السلام عنهما ولم يكن مستعداً لتقليدهما أيّه مسؤوليه في حكومته، ثارت ثائرتهم وقادهما

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣

هوى أنفسهما لنقض البيعة، وأخذاً يجيشان الجيوش بما فيها عائشة- زوج النبي صلى الله عليه وآله- ويهيا لقتال على عليه السلام بذريعة الطلب بدم عثمان ٩]، وقد إختاروا البصرة- التي كانت ممهدة آنذاك لمثل هذه الفتنة- مركزاً لمؤامراتهم الدينية على الإمام عليه السلام.

فالإمام عليه السلام يتطرق في بداية الخطبة إلى هذه المؤامرة فقال: «ألا وإنّ الشيطان قد ذمر [١٠] حزبه واستجلب جلبيه [١١] ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه».

فهو يشير عليه السلام إلى الانحرافات والاضطرابات التي أعقبت قتل عثمان ومبايعة الأمة لعلى عليه السلام بالخلافة. والمراد بحزب الشيطان- في الخطبة- أولئك الذين تسلطوا على بيت مال المسلمين أبان حكومة عثمان وتولوا بعض المناصب الخطيرة، كما كانوا يتطلعون للسيطرة على الخلافة، فالإمام عليه السلام يحذر الأمة من هؤلاء الشياطين الذين يتربصون بها الدوائر وإنهم يحيكون المؤامرات من أجل الاستحواذ ثانية على بيت المال وممارسة الظلم والجور بحق المسلمين والحيلولة دون قيام الإمام عليه السلام بوظيفته في إصلاح المجتمع الإسلامي وإجتثاث جذور الفساد والانحراف التي برزت واستفحلت في خلافة عثمان.

وأخيراً يصرح الإمام عليه السلام بعدم وجود أي دليل أو منطق يسوغ لهؤلاء الوقوف بوجه الإمام وقتاله «والله ما أنكروا على منكر ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً».

فهو يشير عليه السلام إلى طلحة والزبير والطائفة التي نكثت البيعة، كما يتطرق عليه السلام إلى حججهم الواهية المتمثلة بقتل عثمان. ثم يورد عليه السلام أقسى العبارات بحقهما.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤

نعم لقد تنكرت كافة المصادر الإسلامية والكتب التاريخية لنسب قتل عثمان إلى الإمام على عليه السلام، بينما تصرّح بأن الإمام سعى أكثر من غيره لإخماد نار الفتنة، فهو القائل عليه السلام «والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً» فلم يتبع الناكثون في هذه الأحكام المتسرّعة، العدل والانصاف بقدر ما تشبثوا بالكذب والتهمه والظن. ولا يبدو من الغرابة اللجوء إلى مثل هذه الأساليب بالنسبة لأولئك الذين يسعون إلى ضمان مصالحهم وتحقيق أهدافهم. وما أكثر ما نشاهده في عصرنا الراهن من الساسة الظلمة الذين لا يتحفظون عن أشنع الأساليب الدينية من أجل ضمان مصالحهم اللامشروعة.

## حزب الله وحزب الشيطان

لقد تضمّنت خطبة الإمام عليه السلام إشارة لطيفة إلى ما أورده القرآن الكريم في آخر سورة المجادلة، حيث صنفت الآية القرآنية المباركة الناس إلى حزبين هما: «حزب الله» و «حزب الشيطان»، كما أشارت إلى الميزة الرئيسية التي يتّصف بها حزب الله وهي صفة الحب في الله والبغض في الله «لا- تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ



اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [١٢].

وفى مقابل ذلك هناك حزب يهتم بحفظ مصالحه ويعتمد أسلوب النفاق والخداع ولا يتورع عن موالاة أعداء الله وإظهار المودة لهم إلى جانب بث بذور الظلم والفساد بين صفوف العباد، فيصفهم القرآن قائلاً: «إِشْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلِيكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [١٣].

والحزبان المذكوران لا يختصان بزمان نزول القرآن وعصر صدر الإسلام، بل تتعدد صورهما وأشكالهما في كافة العصور والدهور. ولو ألقينا نظرة عابرة على عالمنا المعاصر

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥

لشاهدنا بوضوح هذين التيارين وقد كمن أحدهما مقابل الآخر، فعادة ما يستند حزب الشيطان إلى منطق القوة الغاشم والغطرسة والأموال والثروة والتآمر وممارسة الظلم والجور وبث بذور النفاق والفرقة وإشاعة الفساد والانحراف، بينما يستند حزب الله إلى القيم والمثل والمبادئ الحقّة ولا يتوانى في التصدي لزعماء الحزب المذكور. يتربص حزب الشيطان عادة لاستغلال الفرص المناسبة ومنها الثورات والانقلابات التي تتيح بحكومته وتأتى باخرى.

وأفضل شاهد على ذلك ما شهدته حكومة الإمام على عليه السلام أوائل تشكيلها. فقد اتفقت كلمة ما تبقى من فلول الجاهلية الذين برزوا للوجود في خلافة عثمان على مواجهة ربيب الإسلام وتلميذ النبي صلى الله عليه وآله الإمام على عليه السلام، فأشعلوا نيران الفتن التي كان من المقدر للإمام إخمادها والتغلب عليها، فعاثوا في الأرض فساداً بما لم يدع للإمام من سبيل سوى الوقوف بوجههم ومقاتلتهم.

فالإمام عليه السلام يحذر الأمة ومنذ اليوم الأول لحكومته من مكاييد حزب الشيطان وعدم الانخداع بأساليبه والأعيبه القدره. وأخيراً يفهم من عباراته عليه السلام أن للظلم والجور وطن وأنه يستند إلى أسس ودعائم! نعم وطن الجور والظلم هو الموضع الذي يتجحف فيه عسكر الشيطان، كما أن المبادئ التي ينتهجها حزب الشيطان لهي الأسس والدعائم التي يتركز عليها الظلم والجور.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧

## القسم الثاني

### إشارة

«وَأِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَدَمّاً هُمْ سَفَكُوهُ! فَلَنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لِنَصِيْبِهِمْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَإِنَّ أَكْبَرَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أَمَا قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أَمِيَّتْ. يَا حَيِّبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامٌ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلِمِهِ فِيهِمْ».

الشرح والتفسير

### المعذرون المفتضحون!

يشرح الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة ما أورده في بدايتها، ثم يعرض الأدلة القاطعة التي تدين ناكثي البيعة ومؤججي نار الحرب ويفضحهم أمام المسلمين. فقد أشار عليه السلام إلى الذريعة الأصلية التي تمسك بها طلحة والزبير وأعوانهما؛ أي المطالبة بدم عثمان، فقال عليه السلام:

«وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه»- روى المؤرخ المعروف الطبرى فى تاريخه عن أحد أصحاب عثمان أن علياً عليه السلام كان فى ماله بخير لما حصر عثمان، فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة، وكان لطلحة فى حصار عثمان أثر، فلما قدم على عليه السلام أتاه عثمان، وقال له: أما بعد؛ فإن لى حق الإسلام وحق الأبا والقراة والصهر، ولو لم يكن من ذلك شىء وكنا فى جاهلية، لكان عاراً على بنى عبد مناف أن يبتز بنو تيم أمرهم- يعنى طلحة- فقال له على عليه السلام: أنا اكفيك، فاذهب أنت. ثم خرج إلى المسجد فرأى اسامه بن زيد، فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهى مملوءة من الناس، فقال له: يا طلحة، ما هذا الأمر الذى صنعت

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨

بعثمان؟ فقال: يا أبا الحسن، أبعده أن مس الخرام الطبين! فانصرف على عليه السلام حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوه، فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب، وفرق مافيه على الناس؛ فانصرف الناس من عند طلحة حتى بقى وحده، وسر عثمان بذلك؛ وجاء طلحة فدخل على عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إتنى أردت أمراً فحال الله بينى وبينه، وقد جئتك تائباً- فقال: والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً؛ الله حسيبك يا طلحة. [١٤] ثم ذكر الطبرى فى موضع آخر من تاريخه أن عثمان حين قتل، خرج من عنده «سودان بن حمران» وهو يقول «أين طلحة؟ فقد قتلنا عثمان» [١٥].

فالذى يستفاد من هذه الشواهد وسائر القرائن التاريخية أن طلحة كان من المخططين الرئيسيين لقتل عثمان. أما جملة عائشة بشأن عثمان فهى معروفة مشهورة للجميع فقد كانت تنادى صراحة «اقتلوا نعتلاً! قتل الله نعتلاً» وكانت تقصد بنعتل عثمان. ابن أبى الحديد يصرح فى شرحه لاحدى خطب نهج البلاغة بشأن موقعه الجمل فيقول:

يعترف جميع المؤرخين المسلمين بأن عائشة كانت من أعدى أعداء عثمان وهى التى أخرجت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تقول «هذا قميصه لم يبل وقد أبلى عثمان سنته»، وقيل أن أول من دعا عثمان نعتلاً عائشة، وكانت تقول: «اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً» [١٦]. فالعجيب ورغم ذلك قد خرج هؤلاء للمطالبة بدم عثمان! ويبدو أن هذه المسائل ليست عجيبة فى عالم السياسة (السياسة التى تفتقر إلى الإيمان والتقوى والورع) فى أن يتآمر بعض الأفراد ثم يهبون للوقوف بوجه هذه المؤامرات من باب الدفاع! ثم قال الإمام عليه السلام: «فلئن كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه ولئن كانوا ولوه دونى فما التبعة إلا عندهم». فالمراد أن الجميع يعلم بأن هؤلاء شركاء فى قتل عثمان، ولو افترض بانى شريك أيضاً فى هذا الدم (والحال انى لست غير شريك فحسب، بل بذلت قصارى جهدى لاطفاء نيران هذه الفتنة) فإن التهمة ثابتة بحقهم، فان كانوا هم النواة الأصلية فى هذا العمل فان عليهم أن يتحملوا مسؤوليته عملهم! وإذا كان الأمر كذلك فما أوقفهم فى قيامهم ومطالبتهم إبانى بدم عثمان.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه قائلاً: «وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم». حيث يميظ اللثام عن الدافع الرئيسى وهو أن هؤلاء كانوا يرغبون باستمرار الأوضاع التى كانت سائدة على عهد عثمان، فتجعل لهم بعض الامتيازات فى بيت المال، غير أن ذلك العهد ولى واندرس وليس هنالك من سبيل إلى عودته إلى مسرح الأحداث ثانية: «يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت». كما وردت عدة تفاسير لقوله عليه السلام: «اما قد فطمت» منها أن يكون المراد تلك السنن الجاهلية والبدع والعصية التى كانت سائدة قبل الإسلام، حيث يتشبهون بكل الوسائل الأخلاقية من أجل الحكومة، فأمر المؤمنين يصف ذلك العهد بالام التى فطمت فلم تعد هنالك من وسيلة لتحقيق المطامع» [١٧].

ويبدو أن هذا التفسير يناسب العبارة الثانية «ويحيون بدعة قد اميتت» لا العبارة الاولى، كما أن جمع العبارتين بمعنى واحد يخالف ظاهر اللفظ. فى حين ذهب البعض إلى أن المراد أنهم بمطالبتهم بدم عثمان إنما يريدون احياء أيام حكومته، رغم أن هؤلاء المطالبون بدمه هم من بين الأفراد الذين ثاروا عليه وسبوا قتله ومن هنا أرادوا أن يرتضعوا اما قد فطمت.

وبالطبع فانه يمكن الجمع بين كل هذه المعاني، وإن بدأ المعنى الأول أنسب. فالنتيجة التي ستمخض عنها حركة هؤلاء الافراء سوف لن تكون سوى الفشل الذريع؛ الأمر الذي عبر عنه الإمام عليه السلام بالقول «يا خيبة الداعي! وإلام أُجيب» [١٨]. والواقع انهذه العبارة تكهن بالنتيجة التي ستؤول اليها معركة الجمل. فالإمام عليه السلام يعلن أن عاقبتهم ستكون الفشل والهزيمة؛ عاقبة الغدرة الذين خططوا لقتل عثمان ثم انبروا للمطالبة بدمه ففرقوا صفوف المسلمين فضلوا طائفة من الناس وخسروا الدنيا والآخرة. ثم قال الإمام عليه السلام: «وإني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم» ولعل مراده بحجة الله، ما ورد في الآية القرآنية بشأن البغاء «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠

حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» [١٩]. أما قوله عليه السلام: «علمه فيهم» فقد تكون إشارة للحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن على عليه السلام «قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين». فلما سألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الفرق الثلاث قال: الناكثين أهل الجمل، والقاسطين أهل الشام والمارقين أصحاب النهروان» [٢٠]. ولما كان الإمام عليه السلام راضى برضا الله وعالم بما ستؤول إليه الأحداث من يأس العدو وهزيمته فان روحه مفعمة بالرضى والهدوء والسكينة.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١

### القسم الثالث: تهديد على عليه السلام

#### إشارة

«فَإِنْ أَيْوَأَ أَعْطَيْتَهُمْ حِدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ! وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرَزَ لِلطُّعَانِ! وَأَنْ أَضَيَّرَ لِلْجِلَادِ هَبْلَتَهُمُ الْهَبُولُ! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي».

الشرح والتفسير

لقد تقدم الإمام عليه السلام بتحذير تلك العناصر من مغبة مواصلة الغواية وضرورة الوقوف على جسامه الأخطاء وهجر سبيل الشيطان والوفاء ببيعتهم للإمام عليه السلام والكف عن إثارة الفتن وتأجيج نار الحرب. وهنا- في القسم الأخير من الخطبة- يحذرهم من أن عدم الارعواء ومنح الأذان الصاغية للنصح سوف يضطره للتكلم معهم بلغة السيف، السيف الذي كفى به شافياً في الرد على عبدة الأهواء والشهوات من أصحاب المنطق الغاشم.

فقد قال عليه السلام: «فان أبوا أعطيتهم حد السيف» العلاج الأفضل للباطل «وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق». فما يقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل القرآن الكريم بيد والسيف بأخرى إنما يكشف عن حقيقة واقعية مسلمة في الحكومات الإلهية. فالجهود التي بذلها الأنبياء من أجل إصلاح المجتمعات واجتثاث جذور الفساد والانحراف إنما تركزت بالأساليب المنطقية والعقلية واسداء النصائح والمواعظ بغية إنباه الخاطئين إلى أخطائهم، ولكن من المسلم به أن هناك طائفة قد جعلت عقلها وضميرها آله طبعه بيد أهوائها وشهواتها، فهي لا تعرف سوى لغة السيف والقوة؛ الأمر الذي يضطر زعماء الأمة

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢

الربانيين إلى شهر السيف بوجه هذه الطائفة الطائشة والاطاحة برؤوسها العفنة، وهذا هو آخر الدواء حيال تلك الأمراض المستعصية إذا ما عجزت غيره من الأدوية عن شفاء تلك الأمراض «إن آخر الدواء الكلى» [٢١] والواقع هو أن قوله عليه السلام: «شافياً من الباطل»

وقوله:

«ناصراً للحق» من قبيل اللزوم والملزوم؛ وذلك لأن علاج الباطل يؤدي إلى نصرته الحق ونصرته الحق تؤدي إلى اضمحلال الباطل. ثم يعرب الإمام عليه السلام عن فائق دهشته إلى أن هؤلاء قد أعلنوا عليه الحرب ودعوه إلى الطعان والصمود أمام سيوفهم وهو الذي تشهد له ساحات الوغى وميادين القتال في المواقع التي تنكص فيها الأبطال «ومن العجب بعثهم إلى أن أبرز للطعان ٢٢] وأن أصبر للجلاد» [٢٣].

فالعبرة تكشف بجلاء أن ناكثي البيعة هم الذين بادروا إلى نشوب المعركة، حيث هدوا الإمام عليه السلام بكل وقاحة بإعداد نفسه لمواجهة سيوفهم وحرابهم، وهذا ما نوه إليه ابن أبي الحديد عن المؤرخ المعروف أبو مخنف قوله: رجع رسل على عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب. [٢٤]

على كل حال فإن هذا التهديد يكشف عن مدى تعامى مؤججي فتنة الجمل عن رؤية الحقائق والوقائع، وقد أعمى حب المناصب والمقامات بصيرتهم وبصائرهم حتى لم يعودوا يروا الحقيقة المطلقة التي تهتف بانديتهم ليل نهار، ألا وهي شجاعة وبسالة على عليه السلام التي رأوها مراراً وكراراً في الغزوات الإسلامية على عهد النبي صلى الله عليه وآله. ثم عاود الإمام عليه السلام مواصلة حديثه في الاستغراب من ذلك التهديد الفارغ ليقدم الدليل القاطع على رفضه لما أوردوه فقال عليه السلام:

«هبلتهم الهبول! لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أُرهب بالضرب! وإنى لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني»، قوله عليه السلام «هبلتهم الهبول» [٢٥]- بالاستناد إلى مفهوم الهبل بمعنى الثكل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣

بالولد- يريد به أنكم لا- تستحقون الحياة والبقاء وليس لكم سوى الموت، ثكلتكم أمهاتكم على هذه الأخطاء الشنيعة والانحراف الفكري الذي أوصلكم إلى هذه الحالة. وقد ورد شبيه هذه العبارة الذي يعطى ذات المعنى وهو قولهم «ثكلتهم الثواكل» والتي استعملها الإمام عليه السلام لهذا الغرض في سائر خطبه من نهج البلاغة.

على العموم فإن الإمام عليه السلام قد أشار في هذه العبارات إلى سابقته العريقة وتاريخه المشرق ليشير كناية، إنما يعرفني حتى مشركي العرب ولم يجراً أحد على تهديدي بالحرب والمبارزة طيلة حياتي، وقد عشت معي وزعتم أنكم من المسلمين. المسألة الأخرى التي أشار إليها الإمام عليه السلام هي أن من يخشى الحرب يخشى القتل والشهادة، ومن يخشى القتل والشهادة فليس له من إيمان ويقين بالله سبحانه وأن طريقه مليء بالشكوك والشبهات؛ لأن من آمن وأيقن بسلامة طريقه ووثق بما عند الله فإنه يعلم أن قتال أعداء الحق وخصوم الدعوة لا يكتفه أي فشل أو هزيمة ولن ينطوي سوى على إحدى نتيجتين إما النصر وإما الشهادة؛ الأمر الذي صرحت به الآية الشريفة ٥٢ من سورة التوبة: «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ» وأما قوله عليه السلام: «فاني لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من ديني» فقد اعتبره بعض شراح نهج البلاغة أنه يعطى مفهوماً واحداً ويؤكد بعضه البعض، إلا أن الصحيح هو أن العبارتين من قبيل بيان العام بعد الخاص، وهي تشتمل على مفهومين. فالعبارة الأولى تشير إلى مقام اليقين لدى الإمام عليه السلام والذي ورد التعبير به عن الإمام عليه السلام قائلاً: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» [٢٦].

والعبارة الثانية تشير إلى الوظائف الدينية التي كشفت له عن كافة معالم الطريق دون الشعور بأدنى شك أو ريب، ولا سيما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال له: «يا علي ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» (أصحاب الجمل وصفين والنهروان).

## الرجال الأشداء

هنالك عدد من الأفراد أو الفئات التي تطالعا في سوح الوغى طيلة الصراع المرير بين

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤

الحق والباطل وهم يتمتعون بالتفوق الكبير على خصومهم. على سبيل المثال فقد انتصر جند الإسلام على الجيوش الساسانية الجرارة- التي كانت تفوقهم بعشرة أضعاف من حيث العدد والعدة ومن حيث التجهيزات والوسائل الحربية التي لا يمكن مقارنتها بنظيرها لدى المسلمين- بل تميزت العسكرية الإسلامية من حيث التعبئة والقتال على قيام مجموعات المستضعفين الحافة العزل من السلاح لإلزام نور الإسلام والإيمان والمفاهيم القرآنية والتعاليم الإسلامية باقتحام الميدان وتحطيم اسطورة توازن القوى، لتحقيق الانتصارات تلو الانتصارات على أكبر الجيوش وأقواها. ولا غرو فانما ينبع ذلك من «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ» فقد كانوا يرون أنفسهم منتصرين مهما كانت نتيجة الحرب، سواء انتهت المعركة بهزيمة الأعداء أو نيل الشهادة، فكلا النتيجتان سعادة كبرى.

وقد لمسنا هذا المعنى بوضوح في الحرب المفروضة التي شنها النظام الصدامي ضد الجمهورية الإسلامية الفتية، حيث وقفت كافة قوى العالم من الشرق والغرب خلفه لتقدم له كافة ألوان الدعم والاسناد، غير أن شبابنا المؤمن من قوات التعبئة والحرس الثوري والجيوش الذين تربوا في أحضان القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام قد أركعوا هذا العدو الشرس وجرعوه مرارة الهزيمة. نعم هذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في هذه الخطبة ليعلن للأعداء من عبدة الأهواء، لست أنا الذي يهدد بالحرب! لست أخشى الضرب في سبيل الله، فقلبي قد غمر بنور الإيمان واليقين، بل أنا ربيب الإسلام والمدرسة النبوية التي ترى النصر حليفها بغض النظر عن النتيجة، وما عساها تكون سوى هزيمة العدو أو الفوز بالشهادة. وهذه هي الروحية التي ينبغي أن يستشعرها المسلمون تجاه أعدائهم ولا يولون أدنى أهمية لهذا التفوق المادي الكاذب الذي قد يكون مؤثراً إلا أنه لن يحسم المعركة لصالح الباطل أبداً.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥

## الخطبة [٢٧] الثالثة والعشرون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام  
وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة

### القسم الأول

### إشارة

«أَمَّا بَعِيدٌ: فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا، مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً! فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَعْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَحْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُعْرِى بِهَا لِنَامِ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزِهِ مِنْ قِدَاحِهِ تَوْجِبُ لَهُ الْمَغْنَمُ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ.

وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ:

إِمَّا دَاعَى اللَّهُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رَزَقَ اللَّهُ فإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَيْنِينَ حَوْتُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَوْتُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦

### نظرة إلى الخطبة

استهل الإمام عليه السلام خطبته بتقسيم رزق الإنسان وما قسم له على ضوء التقدير والتدبير الإلهي، ثم أوصى عليه السلام بأن من رأى

لأخيه نعمة فلا ينبغي أن يكن له البغض أو الحسد (كما لا ينبغي أن يغتر إن جنى ثروة فيضحى بدينه وإيمانه من أجلها) آنذاك دعا عليه السلام الناس إلى الإخلاص والورع والتقوى وصفاء النية وصلاح العمل بعيداً عن الرياء والعجب والفخر. أما في القسم الأخير من الخطبة فقد أشار عليه السلام إلى بعض المسائل الاجتماعية الحساسة من قبيل تقوية أواصر القرابة وضرورة التعاضد والتعاون بين أفراد القبيلة والائمة الإسلامية الواحدة بغية التغلب على المصاعب والمشاكل، مؤكداً على عدم فقدان الانتماء إلى العشيرة من خلال اعتماد البخل والإمساك؛ فإنَّ ضرر هذا فقدان عليه سيكون أعظم وأشدَّ مما هو عليه بالنسبة للعشيرة، فإنه إنَّما يمسك يده بينما بالمقابل تمسك عنه أيدي كثيرة.

الشرح والتفسير

### الرضا والتسليم أمام إرادة الله

أشار الإمام عليه السلام- في هذه الخطبة- إلى مسألة مهمّة ذات أثر عظيم في تهذيب النفوس والحد من جموح الفرد والمجتمع. وهي ممّا لا شك فيه أنّ الحياة الاجتماعية البشرية تعد الأساس لبركات وثمرات عظيمة، بحيث يمكن أن نقول إنّ القسم الأعظم من النجاحات والمكتسبات الباهرة في كافة المجالات والميادين العلمية والصناعية والاجتماعية إنّما حققتها البشرية في ظل هذه الحياة الاجتماعية. وإلى جانب تلك الثمار والمعطيات والبركات كانت هنالك المشاكل الخطيرة التي تهدد بالفناء جميع الآثار الايجابية لهذه الحركة مالم تجد الحلول الشافية.

ومن ذلك، وجود الفوارق بين بنى البشر من حيث الاستعداد والقابليات الجسميّة والروحية على المستوى الفردي والاجتماعي؛ الأمر الذي أدّى إلى التفاوت الفاحش في الإمكانيات المادية والمالية. ومن هنا بدت ردود الفعل السلبية للأفراد الذين تخلفوا عن هذه المسيرة، أو سعوا بتخبط للخلط بين الحلال والحرام ليزجوا بأنفسهم في هذا السباق غير المتكافئ والمجهول النهاية في مصاف من تقدّم عليهم من حيث الجوانب الماديّة ولم يكن أمامهم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧

سوى سبيلين، إمّا الشعور بالإحباط واليأس والانسحاب من ميدان العمل والنشاط والتفوق على الذات، أو اشتعال نيران الحسد والبغض في قلوبهم تجاه أولئك والهم بالانتقام منهم. من جانب آخر فإنَّ البعض الذي يتمتع بالإمكانيات قد يصاب بالغرور والكبر والعجب والفخر فيندفع نحو الطغيان والفساد والانحراف.

الآيات القرآنية والروايات الإسلامية بدورها ودرءاً لهذه المفاصد والحوالوة دون ظهورها قد لفتت أنظار الجميع إلى حقيقة مفادها أنّ هذه الفوارق والزيادة والنقصان ليست مسألة عبثية بقدر ما هي واقع يستند إلى الحكمة الإلهية التي تنظم شؤون العباد على أساس ما يصلحهم ويقوم حياتهم. ولعل الأسرار التي يخترنها هذا التصنيف خافية علينا نحن العباد في أغلب الامور، إلّا أنّ مجرد علمنا بأنَّ الله حكيم ورحمن ورحيم هو الذي ينظم الامور وتشعر قلوبنا الرضى والتسليم لهذا التنظيم والتخطيط؛ فإنَّ القضية ستتغير وتخرج من شكلها الظاهري، آنذاك ستسود السكينة والطمأنينة قلوبنا وأرواحنا وستزول كافة تلك العواقب السلبية التي بدت لنا لأول وهلة. ومن هنا تواتر التأكيد على الرضى والتسليم ولاسيما بالنسبة للرزق في الآيات والروايات.

نعود الآن بعد هذه المقدمة المختصرة إلى تفسير الخطبة، فقد تطرق الإمام عليه السلام في بداية خطبته عن تهذيب النفوس ووضع حدّ للمفاصد الاجتماعية، فقد قال عليه السلام: «أما بعد: فان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها، من زيادة أو نقصان» فالتشبيه بقطرات المطر تشبيه غاية في الروعة؛ لأنّ قطرات المطر تنزل بصورة مختلفة على الأرض وفقاً للإرادة الإلهية والحكمة الربانية، والأرزاق الإلهية تسقط على هذه الشاكلة من السماء إلى البشرية على الأرض بفضل الله ورحمته. فقد ينزل المطر بغزارة على بعض المناطق حتى تسيل أنهاراً عظيمة بينما قد تشهد مناطق اخرى زخات خفيفة من المطر طيلة السنة. ثمَّ يخلص

الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة التي ينبغي أن يستحضرها الناس: «فاذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة [٢٨] في أهل أو مال أو نفس، فلا تكونن له فتنه».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨

لعل غفيرة تشير إلى أن الأموال والثروات لمن دوافع الغفلة وستر عيوب الإنسان حتى عن نفسه، وإن وردت غفيرة هنا بمعنى المال الكثير.

ما يجدر ذكره أن الفتنه هنا لا تعنى الامتحان، وإن وردت عادة بهذا المعنى في الأعم الأغلب، بل المراد بها ما يدعو إلى الفساد والخداع وردود الأفعال السلبية من قبيل الحسد والعداوة والبغضاء التي يمارسها الفقراء المعدومون حيال أصحاب الأموال والثراء. ثم قال عليه السلام:

«فان المرء المسلم مالم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لثام الناس، كان كالفالج [٢٩] الياسر [٣٠] الذي ينتظر أول فورة من قداحه [٣١] توجب له المغنم، ويرفع بها عنه المغرم». كما أن المسلمين البعيدين عن الخيانة إنما ينتظرون من الحق سبحانه أمرين: أما حلول الأجل الإلهي (وقد أفنى عمره بطيب السمعة وحسن العاقبة) فما عند الله خير له وأبقى.

وأما أن يوسع الله عليه رزقه في هذه الدنيا ويمن عليه بالصاحبة والأهل والولد في سلامه من دينه وصون لعزته وكرامته «وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنين: إما داعي الله فما عند الله خير له، وإما رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال، ومعه دينه وحسبه». ولكن لا بد من الإذعان إلى الفارق الكبير بينهما فأحدهما من قبيل زرع الدنيا كالمال والولد، والآخر من زرع الآخرة وهو العمل الصالح «وإن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة». وقد يجمع الله سبحانه نعم الدنيا والآخرة لبعض الأفراد «وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام».

والواقع هو أن الإمام عليه السلام قد كشف بهذه العبارات عن حقيقة مهممة ومصيرية في حياة الإنسان تكمن في ضرورة عدم تلوثه بالذنوب والمعاصي والإرجاس التي لا تجر عليهم سوى الخزي والعار والسقوط من أعين الناس والحد من شخصيته لديهم.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩

وبناءً على ما تقدم فإن هناك أحد مصيرين رفيعين بانتظار الفرد الذي يعيش النقاء والعفة في حياته، أن يقضى حياته معزلاً مكرماً ليحث السير نحو رحمة الله ومغفرته وأجره وثوابه. أو أن يفيض الله عليه من نعم الدنيا في هذه الحياة الدنيا ويجمع له خير الدارين.

القضية المهمة التي حظيت باهتمام شراح نهج البلاغة هي أن الإمام على عليه السلام شبه المؤمن الذي يتمتع بالغلبة والسعادة والفوز بلطف الله ورحمته المقامر الماهر الذي يفوز بالتضارب بالقداح، وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: كيف يشبه الإمام عليه السلام المؤمنين

الذين يعيشون الرضى والتسليم تجاه رزق الله وقسمه بهذا الفرد المقامر الأثيم المقارف لهذه الكبيرة من الكبائر؟

يتضح من التأمل في عبارات الإمام عليه السلام من قبيل «فوزة» و «قداح» و «مغنم» و «مغرم» أن الياسر ليس المراد به القمار، بل أراد به نوعاً خاصاً من الاقتراع كانت تمارسه العرب، حيث كانوا يأتون بعشرة سهام لكل واحد منها اسم، ويشترون جملاً فيذبحوه ويقسموه عشرة أقسام، ثم يجعلون السهام مع بعضها ليقوم من يثقون به باستخراجها واحداً واحداً، ثم يكون الفائز على أساس ترتيب السهام حسب أسمائها الأول والثاني إلى السابع والسهم الأول فيها يسمى «مُعَلَى» - والسهام الأخرى إذا خرجت باسم أحدهم فهو الذي يدفع

قيمة الجمل، أما الفائزون فيعطون سهامهم للفقراء دون أن يأكلوا منها شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك العمل. [٣٢]

طبعاً لا يجوز هذا العمل شرعياً، إلماً أنه لا يشتمل على معائب وفواجع القمار. فالإمام عليه السلام أراد أن المؤمنين من أهل الرضى والتسليم يشبهون الأفراد الذين يفوزون بسهم المُعَلَى في ذلك الاقتراع، ووجه الشبه أنه يفوز بأكثر نصيب دون أدنى عناء. والتعبير بالقداح وأول فوزة والغنيمة والنجاه من الخسارة كلها تناسب هذا المعنى؛ وهذا ليس متعارفاً في القمار حيث لا يترك المقامر المقامرة لمجرد غلبه في الوهله الاولى، بل يواصل قماره حتى لا تعرف النتيجة التي سيؤول إليها. وبالطبع فإننا لا ننكر أن المفردة مفهوم واسع

يشمل الاقتراع وألعاب الحظ، ولكن لا بد من الالتفات إلى أن القمار بمعناه الحقيقي يختلف تماماً عن ذلك النوع من الاقتراع، ولا سيما أن القرآن قد عبر بـ «الألزام» لا الميسر وإن ورد الذم عليهما معاً «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...» [٣٣]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠

### الرضى والتسليم إلى جانب السعى والعمل

لعل هنالك من يقول بأن روح الرضى والتسليم لأمر الله في الرزق وفي المنافع المادية بصورة عامة إنما تهدأ النفس البشرية وتحد من جماحها وتحول دون الإنسان والارتقاء في ميادين الحرص والطمع وجباية الأموال واللهث وراء الثروة والانغماس في المحرمات كما تصدّه عن استشعار معنى الحسد والبغض، إلّا أنّ مثل هذا الشعور قد يقتل عند الإنسان روح السعى والمثابرة بحيث يتشبّه كل فرد بذريعة من الذرائع من قبيل أن الأرزاق مقسّمة وكلّ قد سمى الله له رزقه ونصيبه فيخلد إلى السكون والدعة والكف عن العمل، فما جدوى ذلك والأرزاق قد قسمت؛ الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى تخلف الأمة في المجال الاقتصادي والتطور المادي واجتثاث جذور الفقر والحرمان.

إلّا أنّ هذا الإشكال قد يزول إذا ما ألتفت إلى أمرين: الأول هو أنّ هذه التعاليم الإسلامية والوصايا الأخلاقية إنما توخّت الحد من تهافت الإنسان على الماديات وتناسيه لكل ما سواها، بعبارة أخرى فإنّ الإنسان يمتلك الدوافع التي تسوقه نحو الماديات والنهوض بحياته الاقتصادية، ولو لم تكن هنالك من كوابح لهذه الدوافع فإنه سينطلق بسرعة هوجاء نحو الحرص والتسابق في جنى الأموال والثروة بحيث يحطم كافة الحدود والقيود الأخلاقية والقيم المعنوية. وبعد هذا هو المعنى الذي أشار له الإمام علي بن الحسين عليهما السلام حين قال: «معاشر أصحابي! أوصيكم بالآخرة ولست أوصيكم بالدنيا! فإنكم بها مستوصون وعليها حريصون وبها متمسكون» [٣٤]. والأمر الثاني يكمن ضرورة جمع كافة الآيات والروايات الواردة بهذا الشأن من أجل التوصل إلى النتيجة النهائية بخصوص التعاليم الإسلامية؛ لأنّ القضايا الإسلامية المحورية لا تبدو واضحة المعالم من خلال آية واحدة أو حديث واحد. ففي مجال تحصيل الرزق والقناعة به وضرورة السعى والحركة هنالك الآيات والروايات التي أشارت من جهة إلى مسألة الرضى والتسليم تجاه التقديرات الإلهية، وهنالك من جهة أخرى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١

الآيات والروايات التي وردت في الحث على السعى والعمل، بحيث يفهم من مجموع الطائفتين من الآيات والروايات أنّ الضعف والوهن في هذا المجال ليس صحيحاً كما أنّ الحركة الحريصة والممزوجة بالذنب والمعصية التي تفرزها طبيعته تجاهل التقدير الإلهي والتوكّل على الله هي الأخرى ليست صحيحة أيضاً. وعبارة أخرى، صحيح أنّ الرزق قد قسم من جانب الله، غير أنّ ذلك مشروط بشرط السعى والجهد المقرون بالخلق والتقوى والورع.

ونختتم البحث بما ورد في الحديث النبوي الشريف بشأن مقام الرضى والتسليم في أنّ طائفة من المسلمين تطير من قبورها يوم القيامة إلى الجنة لتتعم بنعيمها دون أن تشهد الحساب فتسألهم الملائكة عن الحساب والجواز على الصراط، فتجيب أنها لم تر الحساب والصراط. وتسألهم عن جهنم، فجيئوا بعدم رؤيتها. فيسألون من أيّة امتم أنتم؟ فتقول من أمّة محمد صلى الله عليه وآله فتقسم عليهم الملائكة عن أعمالهم التي أدت بهم إلى هذه الكرامة، فيقولون: «كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير ممّا قسم لنا» فتقول لهم الملائكة: «حقّ لكم هذا» [٣٥].

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣



## القسم الثاني: سبيل بلوغ مقامات الصالحين

## إشارة

«فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشيةً ليست بتعذير! واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من يعمل لغير الله يكلمه الله لمن عمل له. نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء».

الشرح والتفسير

يواصل الإمام عليه السلام خطبته بعدد من الوصايا الأخلاقية فيقول عليه السلام: «فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه» ولعل العبارة إشارة إلى الآية الشريفة: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» [٣٦] أو إلى الآية: «ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير» [٣٧]. ثم حث عليه السلام على خشيته وتقواه بحيث لا تكون هناك من حاجة للتماس الأعذار الواهية «واخشوه خشيةً ليست بتعذير» [٣٨]، لأنه العالم بباطن كل فرد وأسراره وأعداره الصحيحة من السقيمة. جدير بالذكر أن العبارة السابقة تحدثت عن الحذر من الله، ثم أردفت بالحديث عن الخشية، وقد صرح اللغويين أن الخشية تتضمن الخوف المقرون بدرك العظمة، ومن هنا صرح القرآن الكريم «إنما يخشى الله من عباده العلماء» [٣٩]، أما الحذر فيقال حين يحتاط الإنسان من خطر قطعي أو محتمل. ثم أشار عليه السلام في وصيته الثالثة إلى الإخلاص في التية وتنقية الأعمال من الرياء والسمعة لأن من عمل لله

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤

وشرك معه آخر وكله الله إلى ذلك الآخر وقال له خذ أجرك منه فأتك لم تعمل لي «واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكلمه الله لمن عمل له».

نعم خشية الله وخشية مقارفة الذنوب والمعاصي لا تكفي لوحدها، بل لابد من الإتيان بالأعمال الصالحة البعيدة عن كافة أشكال الرياء والسمعة، والرياء يعني مراءاة الآخرين ولفت أنظارهم لما يقوم به الإنسان من أعمال، والسمعة أن يقوم بالعمل لله، إلا أنه يسعى لإسماعه الآخرين، بحيث يجلب انتباههم إليه، وإلا يفعل ذلك يسر لسماح الآخرين فيثنون عليه ويطرونه.

والمعروف بين العلماء أن السمعة لا تبطل العمل، إلا أنها مذمومة خلقاً ومدعاة لانحطاط الإنسان الروحي والمعنوي، ولعلها تؤدي إلى زوال الأجر والثواب. وقد استدلل الإمام عليه السلام في تحذيره من السمعة والرياء بأن الله سبحانه لا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه فإن شرك العبد معه أحد آخر وكله الله إليه ليأخذ منه أجره، وبالطبع فإنه لا يملك القدرة على إعطائه الأجر والثواب. والعبارة هي مضمون حديث قدسي معروف نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الحق سبحانه قال: «أنا خير شريك ومن أشرك معي شريكاً في عمله، فهو لشريكي دوني، لأنني لا أقبل إلا ما خلص لي» [٤٠].

ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه قائلاً: «نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء». حيث يهدف الإمام عليه السلام إلى تعريف الأمة بالقيم الإلهية الحقة من قبيل الشهادة ومرافقة الأنبياء وهي الأمور التي لا تنال بسهولة كما لا تمنح للإنسان بالمجان «ومن يطع الله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا [٤١].

فالمراحل الثلاث - الشهادة والسعادة ورفقة الأنبياء - التي وردت في كلام الإمام عليه السلام يمكن أن تكون من قبيل العلة والمعلول، فالشهادة سبب السعادة، والسعادة سبب مرافقة الأنبياء.

كما يمكن أن يكون الكلام إشارة لطيفة إلى حوادث المستقبل وشهادة الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥

## فصل في أن الاخلاص أساس العمل

لشرك والوثنية شعب، من أهمها الرياء والسمعة. والرياء من مادة الرؤية بمعنى التظاهر وإلفات نظر الآخرين إليه من خلال التظاهر بالعبادة والأعمال الحسنة. وهذا الفرد في الواقع مشرك، لأنه يرى عزته وكرامته بيد الآخرين لا بيد الله، ولذلك يقوم بأعماله بدافع من لفت انتباه الآخرين إليه.

أمّا بشأن السمعة فهناك تفسيران: أحدهما أن السمعة هو أن يقوم الفرد بالعمل قريباً إلى الله، فتخالطه الأفكار باطلاً-ع الآخرين وإسماعهم بعمله ليحظى بمدحهم وثنائهم. وهو الأمر الذي لا يوجب بطلان العمل حسبما صرح بذلك الفقهاء، لأنه قد حصل بعد الإتيان بالعمل، إلا أنها تقلل من ثواب العمل أو تقضى عليه، والآخر أن تكون خالطته فكرة إسماع الآخرين منذ بداية العمل ليشنوا عليه ويكيلوا له المدح والثناء. وليس هنالك من فارق بين السمعة بهذا المعنى والرياء، سوى أن المرأى يقوم بالعمل ليراه الآخرون بينما يقوم الآخر بالعمل ليسمعه الآخرون، وعليه فالعملان ليسا بخالصين.

على كل حال فإن الرياء والسمعة من أكبر آفات الأعمال العبادية. ولما كان نفوذ الرياء والسمعة إلى الأعمال الإنسانية غاية في التعقيد والدقة فقد تواتر التحذير منه كراماً في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية. وأعظم مفسدة لهذا العمل هو أنه يقضى على روح التوحيد ويقذف بصاحبه في وادي الشرك والازدواجية في العبادة، لأن توحيد الأفعال يعلمنا الإيمان والإذعان بأن كل شيء بيد الله وأن الأجر والثواب والعزة والكرامة والرزق و... تابعة لإرادة الله مأمرة بأوامره، إلا أن المرأى إنما يلتمسون هذه الامور من الآخرين، وهذا شرك علني.

وقد ورد في الروايات يقال يوم القيامة للمرائي: «يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم» [٤٢]. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الرياء والسمعة مصدر كافة الاختلالات الاجتماعية، فالمرأى إنما يهتم بظاهر العمل دون الإكتراث إلى باطنه، فالظاهر جميل والباطن فاسد.

نقمة الولاية، ج ٢، ص: ٣٦

المؤسّسات والدوائر تتمتع بظاهر أنيق بينما تستبطن الخواء والفساد من الداخل، الأفكار سطحية ساذجة خالية من أي عمق وجذور فالهدف في المجتمعات المرائية إنما يولى للكمية لا للكيفية. ومن البديهي أن مثل هذه المجتمعات إنما تحث الخطي نحو الانحطاط والاضمحلال والانهيار. وبالطبع على العكس من ذلك فهناك اليوم البلدان التي أولت أهمية قصوى للقطاعات الصناعية والزراعية والاقتصادية وحث الخطي من أجل خدمة المجتمع ورفاهه فقد سارت نحو الرقي والتطور والازدهار.

نكتفي بهذا المقدار بشأن الرياء والسمعة ونترك الخوض في التفاصيل أكثر إلى الأبحاث القادمة بما يتناسب والموضوع.

ج ج

نقمة الولاية، ج ٢، ص: ٣٧

## القسم الثالث: السند الشعبي

### إشارة

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ عَثْرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّتَاتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَأَلْمَهُمْ لِسَعْتِهِ وَأَعْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلِهِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرْتُهُ غَيْرُهُ».

الشرح والتفسير

لما فرغ الإمام عليه السلام من وصاياهم للفقراء والمعدمين بطاعة الله وخشيته وإلا يصددهم عن ذلك الانحراف الأخلاقي بسبب سوء

الأوضاع وصعوبة العيش التي يعانون منها، وأصل خطبته ليخاطب هنا الأغنياء والمرفهين بما يحفظ التوازن في المجتمع. فقد حثم بادئ ذي بدء إلى مد يد العون والمساعدة إلى بطانتهم وأقربائهم وعشيرتهم، ويلفت نظرهم إلى غض الطرف عن الأموال والثروة التي ليس من شأنها أن تجعل الإنسان غنياً عن قرابته «أيها الناس إنه لا يستغنى الرجل - وإن كان ذا مال - عن عترته [٤٣]، ودفاعهم عنه بأيديهم وألستهم». فالواقع أنهم أعظم سند يوفر له الحماية والدعم ويزيل عنه المشاكل والمخاطر، وإذا ما تعرض لبعض الظروف الصعبة والحوادث الخطيرة، كانت عترته أشفق من الآخرين به وأحرصهم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨

عليه «وهم أعظم الناس حيطة» [٤٤] من ورائه وألمهم [٤٥] لشعته [٤٦] وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به». نعم فالحياة مليئة بالمخاطر والمطبات والعواصف الهوجاء والأحداث المريرة التي لا يسع الإنسان التغلب عليها بمفرده، ومن هنا فإن العقل والحكمة تتطلب من الإنسان التفكير في مثل هذه الأحداث. وما أروع أن تكون لهذا الإنسان قرابة تهب لدعمه وحمايته في مثل هذه الظروف. ولكن، هل يمكن الحصول على دعم القرابة ومساندتها دون الإحسان إليها وتفقد أمورها وإحاطتها بالحب والرعاية وإغاثتها مالياً ومعنوياً؟ قطعاً، لا. فما أحرى كل إنسان أن يوطد أواصر موادته لقرابته من خلال بعض البذل المادي حتى لا يبقى وحده حين تعصف به الأحداث والمصائب. طبعاً الإحسان إلى الآخرين مما ورد الندب إليه ولا تخفى آثاره «الإنسان عبيد الإحسان» إلا أن الأولوية في هذا الأمر للقرابة «الأقربون أولى بالمعروف» حيث تمهد الأجواء أمام تعميق أواصر الاخاء والمحبة. وبغض النظر عما سبق فإن هذا الأمر لو طبق في المجتمع كما ينبغي فقد لا تبقى هنالك من آثار للفقر والحرمان في المجتمع، كيف لا وفي كل قبيلة عدد من الأفراد المتمكنين الذين لو مدوا يد العون إلى سائر أفراد قبيلتهم لما ظل هنالك من يعاني من الحرمان. وقد أوصى الإمام عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام بهذا الأمر مبيناً فوائد إكرام العشيرة ومعالجة مشاكلهم إذ قال عليه السلام: «وأكرم عشيرتك! فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير ويدك التي بها تصول» [٤٧]. ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى دليل الآخر في إطار حثه الأفراد المتمكنين على مساعدة قرابتهم فيقول: «ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يرثه غيره».. وقد ورد في هذا المعنى من النثر والنظم الكثير الواسع، فمن ذلك قول عمر لابنه هرم: ما الذي أعطى أبوك زهيراً؟ قالت: أعطاه مالاً يفنى، وثياباً تبلى. قال: لكن ما أعطاكم زهير لا يبلى الدهر، ولا يفنيه الزمان.

إذا أتت اعطيت الغنى ثم لم تجد بفضل الغنى ألفت مالك حامد

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩

وقل غناء عنك مال جمعته إذا كان ميراثاً وواراك لاحد  
نعم لا يحمل الإنسان شيئاً من الأموال معه في قبره، إلا أنه يحمل العمل الصالح والذكر الحسن لدى الناس، فلا يكذب يذكر اسمه حتى يترحم عليه الناس ويسألون الله له المغفرة والعفو والرحمة.  
هذا هو رأس المال المعنوي والمادي الخالد الذي يمكن نيله من خلال الإنفاق في سبيل الله وبذل الإحسان إلى عباد الرحمن. وزبدة الكلام فإن الأغنياء قد دعوا إلى مد يد العون إلى فقراء المجتمع ومساعدتهم من خلال دافعين؛ الأول بغيه الحصول على الأعوان والأنصار وتوظيفهم لصالحهم حين بروز النوائب والشدائد التي تواجههم في حياتهم، والثاني بهدف الحصول على السمعة الحسنه والذكر الطيب بعد الموت بما يجعل الآخرين يترحمون عليهم ويسألون الله لهم العفو والمغفرة. وما أعظم هذه التجارة بهذا المتاع الدنيوي الزائل من أجل الحصول على السنين المذكورين.

فصل في حسن الثناء (لسان الصدق)

لقد ذكر الإمام عليه السلام في هذه الخطبة أن لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره. ولسان الصدق هو أن يذكر الإنسان بالخير، ويثنى عليه به، قال سبحانه:

«وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» [٤٨] وهو دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام. كما أشار الباري سبحانه في إطار ثنائه على طائفة من الأنبياء «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» [٤٩]. واللسان في الآية بمعنى ذكر الإنسان بالخير. ومما لا شك فيه أن هذه القضية ليست من قبيل القضايا الروتينية الجوفاء، بل تنطوي على عدّة معطيات على مستوى الفرد والمجتمع، فهي:

أولاً: أنها لمن دواعي الفخر والاعتزاز الخالد، بينما نرى أن الأموال والثروات المادية إنما توزع في لحظة وقد لا يبقى لها من أثر.

ثانياً: إن حسن الثناء والذكر الحسن إنما يسوق الآخريين للدعاء لهؤلاء الأفراد وطلب

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠

الرحمة والمغفرة لهم من الله؛ الأمر الذي لا تخفى آثاره المعنوية.

ثالثاً: إن هذا الأمر له تأثيره البالغ في نفوس أبناء المجتمع في الاقتداء باولئك الأفراد وإحياء القيم العليا في المجتمع والقضاء على ما يخالفها، فقد جاء في الرواية المعروفة «من سنّ سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها» [٥٠].

وأخيراً أن ذلك من مدعاة العزة والرفعة والكرامة لدى نسل اولئك الأفراد المحسنين، فما أكثر من نعرف من الأفراد الذين نكن لهم الحب والاحترام لانحدارهم من اولئك الأفراد. هذه طائفة من الآثار المعنوية الفردية والاجتماعية للسان الصدق وطيب الاحدوثة.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١

## القسم الرابع: الاعتضاد بالعشيرة

### إشارة

ومنها:

«أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَىٰ بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَمْسَاكُهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ؛ وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَشْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ».

الشرح والتفسير

بعد أن قرظ الإمام عليه السلام الثناء والذكر الجميل وفضله على المال، أمر بمواساة الأهل وصلته الرحم وإن قلّ ما يواسى به، حيث أكد هذا الأمر بثلاث عبارات فقال عليه السلام: «ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاص» [٥١] أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه». يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة لأحد معنيين؛ الأول إلى البعد المعنوي لهذا العمل في أن حرمان القرابة ممّا يتمتع به الإنسان من إمكانات وثروات من شأنه أن يسلب بركة مال الإنسان وحياته ويحول دون نمائه وزيادته، وعلى العكس من ذلك فإنّ معونة القرابة ومساعدتها تنطوي على عدّة بركات من شأنها أن تدرك هذا النقص الظاهري بتفضلات الله والطفاه؛ أو أن يكون إشارة إلى بعده الظاهري والمادى، لأنّ مشاكل القرابة إنّما تنتقل بشكل أو بآخر إلى الإنسان وتورق فكره وتشغل روحه وتعرض سمعته وشخصيته للخطر وبالتالي تضاعف من مشاكله ومعاناته، وعليه فما أحراه أن يهب لمساعدتهم ومعونتهم ليظفر بثواب

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢

الآخرة وبركات الدنيا وينال الذكر الطيب والاحدوثة الحسنة. فقد جاء في الحديث أن الإمام على عليه السلام قال: «البركة في مال من

آتى الزكاة وآسى المؤمنين ووصل الأقرين» [٥٢] ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى الأضرار الفادحة التى يتكبدها الإنسان إذا أمسك يده عن قرابته ولم يقدم العون والمساعدة، ومن ذلك إنه إنما يقطع عنهم يده بينما يقطعون عنه أيديهم التى لا غنى له عنها «ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة».

فالحق ليس هنالك من عاقل مستعد للتضحية بكل هذه المنافع من أجل التنازل عن بعض منافع الشخصية الضئيلة، ثم يختتم الإمام عليه السلام كلامه بالقول «ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة». يمكن أن تنطوى مفردة «حاشيته» على معنيين؛ الأول صفات الإنسان وروحانيته، والآخر أن تكون إشارة إلى البطانة وبناءً على هذا، فإن مفهوم الجملة هو تمحور قوم الإنسان حوله إذا حسن سلوك بطانته تجاه الناس. فقد رأينا الكثير من الأفراد الصالحين الذين انفرجوا عنهم الناس رغم صلاحهم بسبب سوء تصرف بطانتهم ومن حولهم.

### فصل فى بركات التعاضد بالقرابة

إن مسألة صلة الرحم وتوطيد أواصر المحبة بالقرابة وإن كانت وظيفة إلهية ورد التأكيد عليها فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، إلّا أنّ ممّا لا شك فيه أنّ القيام بهذه الوظيفة الدينية والإنسانية إنّما ينطوى على بركات جمّة تعرض لها الإمام عليه السلام أواخر هذه الخطبة والمهم أن يعزز الإنسان هذه الأصرة ولا يمارس كلّ ما من شأنه الإساءة إليها أو قطعها. ولا بدّ من الإحسان إلى القربى حين شعور الإنسان بوفور النعمة، لتهب للوقوف إلى جانبه إذا ما واجهته بعض المحن والخطوب. وقد دلّ الواقع بما لا يقبل الشك أنّ التفوّق على المشاكل لا يتأتى من خلال الجهود الفردية، بل يتطلب مؤازرة الآخرين وتكافئ جهودهم، وما أحرى أن تكون الأولوية فى هذه الرابطة للقرابة والعشيرة حيث يعرف كلّ منهما الآخر إلى جانب الإرتباط العاطفى الذى يشدّ كلّ منهما الآخر إلى جانب الإرتباط العاطفى الذى يشدّ كلّ منهما للآخر،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٣

غير أنّ المؤسف له أنّ أغلب الأفراد إنّما يضربون هذه الامور عرض الجدار بمجرد نيلهم بعض الثراء والنعمة فيبتعد عن قرابته ويحرم نفسه من كلّ هذه الطاقات التى يمكنها معالجة مصاعبه ومشاكله، وهذا هو المعنى الذى تناولته أغلب الروايات الواردة بهذا الشأن. فقد جاء فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «صِلْهُ الرِّجْمَ وَحَسِّنْ الجِوَارِ، يُعَمِّرَانَ الدِيَارِ وَيَزِيدَانَ فِي الأَعْمَارِ» [٥٣]. وقال الإمام الباقر عليه السلام: «صِلْهُ الأَرْحَامَ وَحَسِّنْ الجِوَارِ، زِيَادَةٌ فِي الأَمْوَالِ» [٥٤]. كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «صِلْهُ الأَرْحَامَ تُرَكِّى الأَعْمَالَ وَتُنَجِّى الأَمْوَالَ وَتَرْفَعِ البُلُوبَ وَتُسَيِّرُ الحِسَابَ وَتُنَسِّى فِي الأَجَلِ» [٥٥]. وبالمقابل فإنّ قطع الرحم ينطوى على آثار خطيرة على حياة الإنسان فى الدنيا وسوء العذاب فى الآخرة. فقد جاء فى الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أخبرنى جبرئيل إنّ رِيحَ الجَنَّةِ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ مَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعٌ رَجِمٌ وَلَا شَيْخٌ زَانٍ» [٥٦]

ولعل هنالك من يسأل: ما المراد بصلة الرحم؟ المراد هو تعميق أواصر المحبة والنجدة فى حل المشاكل وعدم الغفلة وتفقد الأحوال فى كافة الظروف، وقد تحفظ هذه الصلة حتى بالسلام والإرتباط عن طريق الهاتف. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْلِيمِ» [٥٧] وستتكمّل فى الأبحاث القادمة عن صلة الرحم ومعطياتها المادية والمعنوية بما يتناسب والمواضيع الواردة فى الخطب. هذا وقد قال السيد الرضى (ره) فى آخر هذه الخطبة:

«الغفيرة هاهنا الزيادة والكثرة؛ من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجماء الغفير. ويروى عفوّه من أهل أو مال». والعفوّه: الخيار من الشىء. يقال: «أكلت عفوّه الطعام» أى خياره. وما أحسن المعنى الذى أراده عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته...» إلى تمام الكلام؛ فإنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك نفع يد واحدة، فاذا احتاج إلى نصرته، واضطر إلى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٤

مرافدتهم، قعدوا عن نصره، وتناقلوا عن صوته، فمَنع ترافد الأيدي الكثيرة، وتناهض الأقدام الجمّة.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٥

## الخطبة الرابعة والعشرون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهي كلمة جامعة له، فيها تسويغ قتال المخالف والدعوة إلى طاعة الله، والترقى فيها لضمان الفوز «وَلَعْمَرِي! مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ، وَامْضُوا فِي الدَّيِّ نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلَيْ ضَامِنٍ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا، إِنْ لَمْ تُنْخَوْهُ عَاجِلًا».

### نظرة إلى الخطبة

يهدد الإمام عليه السلام في هذه الخطبة مخالفيه بشدة ويعرب عن عزمه الراسخ في التصدي لهم وقتالهم بعد أن يقنطهم من أدنى مواءمة أو مصالحة على حساب العدل والحق، ثم يوصي صحبه بمواكبته في هذا الطريق والتأهب لمواجهة أعداء الدين. ويرى البعض أنّ الخطبة في الواقع ردّ على اولئك الذين يشكلون على الإمام عليه السلام في مساومة الأعداء واضطرارهم للاستسلام من خلال استمالتهم بالرشوة و... فالإمام عليه السلام يكشف أنه ليس من أهل المساومة والخداع. [٥٨]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٦

الشرح والتفسير

### المساومة والمصانعة

استهلّ الإمام عليه السلام خطبته بالقول: «ولعمري [٥٩] ما عليّ من قتال من خالف الحق وخابط [٦٠] الغي، من إدهان [٦١] ولا إيهان [٦٢]».

يبدو أنّ هنالك فارق بين العبارتين «خالف الحق» و «خابط الغي» - هو أنّ العبارة الأولى إلى الفرد الذي يشق عن علم سبيل مخالفة الحق، بينما تشير الثانية إلى من يختار ذلك الطريق ويسبح في بحر من الضلال جهلاً وخطأ ودون أدنى تأمل ومطالعة. أمّا تعبيره عليه السلام بالادهان (المجاملة والمداهنة) والايهان (الضعف) فهو تحديد إلى أنّ الكف عن القتال والمواجهة إنّما يستند إلى أحد سببين؛ إمّا المجاملة والمداهنة لأعداء الحق، أو الضعف والعجز، وحيث لم يكن لأي من هذا السببين من سبيل إلى كيان على عليه السلام فإنّ مواجهته لمخالفى الحق عيفة لا هواده فيها.

وقد ورد تقريباً شبه هذا المعنى في سائر كلمات الإمام عليه السلام في إطار حديثه عن الإطار العام الذي يتحرّك ضمن دائرته زعماء المسلمين وأئمتهم فقد قال عليه السلام: «لا يُقِيمُ أمرُ اللَّهِ سُبحانَهُ إِلَّا مَنْ لا يُصَارِعُ ولا يُضَارِعُ ولا يُتَّبِعُ المَطامِعَ» [٦٣]. كما وصف نفسه عليه السلام في موضع آخر فقال:

«وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتُ بِحِذَائِهَا وَاسْتَوَسَقْتُ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ» [٦٤].

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٧

ثم أبدى عليه السلام نصائحه ووصاياه وفي مقدمتها مراعاة الورع والتقوى فقال عليه السلام:

«فاتقوا الله عباد الله»

. فالتقوى - التي تعنى خشية الله فى الباطن وعدم مقارفة الذنوب والمعاصى والعمل على طاعة الله - هى أساس الأعمال الصالحة والباقيات الصالحات، ومن هنا ورد التأكيد عليها بصفتها مقدمة لسائر الوصايا الأخلاقية والدينية. ثم أوصى عليه السلام بالفرار من معصية الله إلى طاعته وغضبه وسخطه إلى رضاه وعذابه إلى رحمته ونعمته إلى نعمته «وفروا إلى الله من الله» فالبارة إشارة لطيفة إلى مسألة توحيد الأفعال، لأن أية مشكلة تواجه الإنسان فى هذا العالم إنما تفرزها طبيعة أعماله والآثار التى أودعها الله هذه الأعمال. وعليه فمشاكله من ذاته وعقابه ممّا تفرزه أعماله، وعليه فليس أمامه من سبيل لحل مشاكله سوى الفرار إلى الله واللجوء إليه إذ «لا مؤثر فى الوجود إلّا الله» وكل خير وبركة ونجاة تفاض على الإنسان من الله سبحانه - القرآن من جانبه تحدث عن طائفة من العصاة الذين استحقوا سخط الله وغضبه ولم يعد أمامهم من سبيل سوى اللجوء إلى الله سبحانه «وظنوا أن لا ملجأ من الله إلّا إليه» [٦٥] الطريف فى الأمر أن الإنسان إذا شعر بخوف من أحد لاذ بأخر، إلّا أن ذلك ليس كذلك بالنسبة لله سبحانه، فإذا ما خافه الإنسان وخشى عذابه، لجأ إليه، وهل هناك من هو أرحم بالإنسان منه؟! هذا هو الدرس الذى ينبغى أن تتعلمه من التوحيد الأفعالى فى أن الله هو مصدر كل خير وحركة وبركة. فله الأسماء والصفات التى تدعوننا للجوء إلى الله على كل حال وفى كل الظروف. فان خشينا سخطه وغضبه لذنا بعفوه ورحمته، وإن خفنا عدله لجأنا إلى فضله وكرمه.

وأخيراً يبدو أن هذه البارة مقتبسة من قوله سبحانه على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: «فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» [٦٦]. ثم قال عليه السلام فى الوصية الثالثة «وامضوا فى الذى نهجه لكم» ثم أوصى عليه السلام قائلاً: «وقوموا عصبه» [٦٧] بكم.

والواقع أن الإمام عليه السلام قد سنّ بهذه العبارات

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٨

قانوناً جامعاً يشتمل على أربعة بنود من شأنها ضمان السعادة النجاة:

الأول: مراعاة التقوى وخشية الله.

الثانى: الحركة نحو الله من خلال الفرار منه إليه سبحانه.

الثالث: الثبات على النهج الإيمانى وسلوك السبيل الصحيح نحو الله.

الرابع: العمل بالتكاليف والوظائف الدينية التى أمر بها الشارع المقدس.

قد يقال أن الوصايا الأربعة استهلكت بقاء التفرغ فما علاقتها بصدر الخطبة الذى تحدث عن العزم الراسخ فى مجابهة مخالفى الحق وقتالهم؟ والجواب على هذا السؤال واضح، لأن قتال هذه الطائفة المنحرفة الجائرة إنما يتطلب جنوداً أشداء مؤمنين من ذوى العزم والإرادة، وكأن الإمام عليه السلام أراد أن يعد أصحابه للوقوف بوجه أصحاب الباطل. جدير بالذكر أن الإمام عليه السلام عبر عن التكليف بقوله «ما عصيه بكم» (التكاليف التى كلفتم بها وأمركم بأدائها)، ومفهوم البارة هو أن الوظائف الإلهية ليست من الأمور التى يستطيع الإنسان إهمالها وعدم الإكتراث لها، بل هى طوق فى رقبته ودين فى ذمته لا بد له من أدائه.

يذكر أن هذه التعبيرات قد وردت فى أغلب الآيات والروايات التى تشير إلى أن الإنسان إنما يتحرر من القيود إذا ما أدى هذه التكاليف والوظائف. وأخيراً يختتم الإمام عليه السلام خطبته بضمان النصر والغلبة والعاقبة الحسنة لأصحابه فى خوضهم القتال ضد تلك الطائفة الضالة عن الحق، النصر الذى سيفوزون به فى الدار الآخرة لا محالة إذا تعذر فى دار الدنيا «فعلئ ضامن لفلجكم آجلاً إن لم تمنحوه عاجلاً». وهذا هو المنطق القوى والرصين الذى اعتمده القرآن فى مخاطبته لأتباعه فى تصديهم لأعداء الحق بأنهم منتصرون غالبون مهما كانت نتيجة القتال: «قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصَِّبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ» [٦٨] ومعلوم أن الجنود الذين يرون أنفسهم منتصرين فى جميع الأحوال وأن عدوهم مهزوم، إنما يقاتلون بمعنويات عالية دون أن يشعروا بأدنى خوف أو خطر ممّا ستنفره أحداث القتال. فىرى أغلب العلماء والمفكرين أن الإيمان

بهذا المبدأ- النصر أو الشهادة- هو العامل الرئيسي الذى يقف وراء

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٩

الانتصار الذى يشعر به المسلمون فى جبهات القتال رغم عدم الموازنة فى القوى والتكافى فى العدة والعدد مع جيوش الأعداء. وهذا هو المبدأ الذى ينبغى أن يجعله العالم الإسلامى اليوم نصب عينيه فى مجابهته لعالم الكفر فلا ينهر بإمكاناته وتجهيزاته الزائفة. والحق أن هذا المبدأ لا يحصل إلّا فى ظل الإيمان والورع والتقوى وخوف الله.

### فصل فى الضعف والمساومة

إنّ من الفوارق الأساسية بين الساسة الربانيين والساسة العاديين إنّما يكمن فى أنّ ساسة الدنيا لا يتورعون عن أيّة وسيلة من أجل تحقيق أطماعهم وأغراضهم الشخصية، وغالباً ما يساومون العدو على المبادئ الإنسانية ومصالح مجتمعاتهم ويتجاهلون الحق والعدالة، بغية حفظ مواقعهم السياسية والاجتماعية، فى حين ليست هنالك من مساومة فى قاموس الساسة الربانيين، بل غالباً ما يضحى هؤلاء بمواقعهم الحساسة حرصاً على حفظ المبادئ ورعاية للحق والعدل والقسط؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح فى سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وتلميذه أمير المؤمنين على عليه السلام. فما أكثر الأفراد الذين اعترضوا على سياسة على عليه السلام من قبيل استمالة الآخرين عن طريق التمييز فى العطاء من بيت مال المسلمين: أو الإبقاء على معاوية فى حكومة الشام، دون أن يحدثوا أنفسهم بالأساليب التى يتبعها معاوية فى حكومته للناس أو المبادئ التى سيعبر عليها فى هذه الحكومة! أو الاقتراح الذى طرحه عليه عبد الرحمن بن عوف فى الشورى بتسليمه مقاليد الامور شريطة العمل بسياسة الشيخين، أو تفويض طلحة والزبير ولاية البصرة والكوفة. وقد اقترح من قبل، على رسول الله صلى الله عليه وآله بعض الاقتراحات من قبيل اقتضاء المصلحة لطرده الضعفاء والمستضعفين. فاولئك وإن كانوا يفيضون إيماناً بالله ورسوله، إلّا أنّ المصلحة تقتضى استقطاب الأغنياء وتعبئتهم ضدّ العدو رغم خلو قلوبهم من الإيمان! ويبدو أنّ اختلاف الرؤية (على ضوء السياسة الإلهية والسياسة الشيطانية) واختلاف المصلحة من الواقع هى التى دفعت باولئك الأفراد والفئات الدنيوية للاعتراض على السياسة النبوية والعلوية.

والإمام عليه السلام يوضح فى هذه الخطبة السياسة التى سيتبعها وأنّه ليس من أولئك الساسة

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٠

الذين يرون للمجاملة والمداهنة من مكان فى سياسته وتعامله مع المارقين عن الحق والعدالة، وليس لديه من وسائل سوى التقوى وامتنال التكاليف الشرعية دون الإكتراث لهذا أو ذاك من المساومين والمعترضين، ونوكل المزيد من الكلام فى هذا الموضوع إلى محله.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٥١

### الخطبة [٦٩] الخامسة والعشرون

#### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن - وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران - لمّا غلب عليهما بسر بن أبى أرطاة فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له فى الرأى،



فقال:

## القسم الأول

## إشارة

«ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك، فقبحك الله  
وتمثل بقول الشاعر:

لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ»

## نظرة إلى الخطبة

يعتقد بعض شراح نهج البلاغة كابن أبي الحديد أن الخطبة بعد صفين والتحكيم والخوارج، حيث ألقاها عليه السلام أواخر عمره الشريف [٧٠]. ويفهم من مقدمة الشريف الرضى أن الإمام عليه السلام أورد هذه الخطبة حين تواترت عليه الأخبار بشأن استيلاء أصحاب معاوية على

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٢

البلاد الإسلامية، حيث بلغه عاملاه على اليمين فأطلعاه على غلبه بسر بن أرطاة لهما على تلك المنطقة. فقد كان بعض أتباع عثمان في صنعاء وكانوا قد بايعوا علياً عليه السلام مكرراً وخديعة. وكان عبيد الله بن عباس آنذاك عامل على عليه السلام على اليمن وقائد الجيش كان سعيد بن نمران. وقد شنت الغارات تلو الغارات من قبل أهل الشام على المناطق الإسلامية بعد قتل محمد بن أبي بكر الذي نصبه الإمام عليه السلام والياً على مصر. قام أتباع عثمان - في اليمن - بدعوة الناس للمطالبة بدم عثمان، فتصدى لهم عبيد الله بن عباس وأمر بسجنهم. فكتبوا من السجن إلى بعض أصحابهم في الجيش لعزل سعيد بن نمران والخروج عليه. ففعلوا والتحق بهم طائفة من اليمن ثم امتنعوا عن دفع الزكاة. فكتب عبيد الله وسعيد كتاباً للإمام عليه السلام. فكتب الإمام عليه السلام كتاباً لأهل اليمن ودعاهم للعمل بوظائفهم وحذرهم من العصيان والتمرد. فردوا عليه بالتزامهم بطاعة الإمام عليه السلام بشرط عزل هذين الشخصين. ثم كتبوا لمعاوية. فبعث معاوية بسراً إلى اليمن في جيش كثيف وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام، فقتل خلقاً كثيراً، وقتل في من قتل في مكة داود وسليمان، إبن عبيد الله بن عباس كما قتل في الطائف صهر عبيد الله. ثم بلغ اليمن بعد أن خرج منها عبيد الله وسعيد، واستخلف علياً عبد الله بن عمرو الثقفي، فحمل بسر عليه فقتله ثم استولى على صنعاء مركز اليمن. فلما دخل عبيد الله وسعيد على الإمام عليه السلام في الكوفة ذمهما عليه السلام لتركهما مكانهما، ثم صعد المنبر وألقى هذه الخطبة.

على كل حال فإن الخطبة قد أوردت حين اشتدت حملات أهل الشام على مختلف مناطق البلاد الإسلامية وضعف المقاومة التي أبداها أصحاب الإمام عليه السلام حيث كان الإمام عليه السلام في غاية التذمر والاستياء، فقد استهمل الإمام عليه السلام خطبته بالشكوى من قلة الأفراد المطيعين، ثم تعرّض عليه السلام إلى الواقعة الأليمة لحملات بسر بن أرطاة وغلبته على اليمن، ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالشكوى لله من هؤلاء القوم الذين مردوا على النفاق والمعصية فيدعوا عليهم ويسأل الله أبدالهم بشر منه وإبداله من هو خير منهم.

الشرح والتفسير

## النفاق والعصيان ودور الإمام

تبدو عبارات الإمام عليه السلام واضحة بالالتفات إلى سبب ورود الخطبة والأجواء التي كانت

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٥٣

حاكمة آنذاك، فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أنه لم تبق لديه سوى الكوفة بعد ذلك التمرد والعصيان «ما هي [٧١] إلّا الكوفة، أقبضها وأبسطها». والسؤال المطروح هنا: ما هي العلل والعوامل التي جعلت جيش الإمام عليه السلام يعيش هذه الحالة الخطيرة في العراق وسائر المناطق الإسلامية؟ نترك الإجابة على هذا السؤال إلى البحث الذي سنخوض فيه في موضوع تأملات.

أمّا المسألة المهمة فهي أن رجلاً ربانياً مثل علي عليه السلام وبتلك الشجاعة والبطولة والحنكة في التدبير إتما عاش تلك الحالة تجاه أعداء الإسلام أثر عدم وجود القوى المخلصه والشجاعة الموالية للحق والمواكبة لحركة الإمام عليه السلام. فقد أشار الإمام عليه السلام بقوله «أقبضها وأبسطها» بشأن الكوفة إلى خروج سائر المناطق عن حكمته وإن كانت خاضعة لها ظاهرياً. ثم قال عليه السلام: «ان لم تكوني إلّا أنت تهب أعاصيرك [٧٢] فقبحك الله» في إشارة إلى أن الكوفة وإن كانت مركز حكومة الإمام عليه السلام إلّا أنها لم تكن خالية من التمرد والنفاق، بحيث لم يكن الإمام عليه السلام يحسب لأهلها ذلك الحساب. وما أعظم معاناته عليه السلام وهو بذلك العلم والحلم والحكمة والشجاعة إلّا أنه يفتقر إلى المخلصين من الأتباع.

ثم تمثل عليه السلام بقول الشاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني على وضر من ذا الإناء قليل

«وضر» سواء كان بمعنى بقيه الدسم في الإناء، أو بقيه قطرات الماء في الإناء، أو الرائحة الباقية في إناء الطعام، فهي إشارة إلى أن الكوفة لم تكن سوى ذرة زهيدة آنذاك بالنسبة للعالم الإسلامي الواسع، ولا يسع أيّ زعيم بالاعتماد على أهل هذه المنطقة مهما كان من حفظ بيضة الإسلام والدفاع عن البلاد الإسلامية والوقوف بوجه هذه الذئاب الكاسرة المتعطشة للدماء.

الشرح والتفسير

## تأملان

### ١- الكوفة على وجهين

تعتبر الكوفة من المناطق الإسلامية المشهورة في التأريخ والتي كانت مسرحاً لعدة

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٥٤

حوادث حتى إقترن تأريخ الإسلام بتلك المنطقة ويعتقد البعض أن إسمها مشتق من شكلها الذي يشبه الدائرة، حيث كانت تصطلح العرب على المنطقة الرملية المدورة بإسم «كوفان»، وقال البعض سميت بذلك الإسم لاجتماع الناس هناك؛ لأنّ أحد معاني هذه المفردة هو الاجتماع والتجمع كما ذكروا عدة وجوه أخرى للتسمية لايسع المقام الخوض في تفاصيلها. وقيل بنيت عام ١٧ هـ على عهد الخليفة الثاني علي يد سعد بن أبي وقاص، وكانت أكبر مدن العراق التي تشد إليها الرحال. وسميت «قبة الإسلام». وقيل أن سعد بن أبي وقاص قد نزل المدائن بعد فتح العراق وغلبة الساسانيين فبعث رسله ليشير الخليفة الثاني بالفتوحات، فلما رأى الخليفة رسل سعد وقد شحبت وجوههم سألهم السبب، فذكروا له سوء مناخ مدن العراق، فأمر ببناء مدينة تناسب ومزاج العسكر فاختر سعد الكوفة. ولم تمض مدة حتى اشتعلت فيها النار فاحترقت - ثم بنيت من اللبنة. وقد خيّر سعد المسلمين بنزول المدائن أو الكوفة. فاختر فريق منهم الكوفة واستعادوا صحتهم. [٧٣]

وهناك عدة روايات صرحت بعضها بدم الكوفة في حين صرّح البعض الآخر بمدحها، ويبدو أن الروايات قد وردت بشأن مختلف عصور الكوفة والأقوام التي سكنت فيها. فقد فسرت بعض الروايات قوله سبحانه «وَطُورِ سَيْنِينَ» [٧٤] الواردة في الآية بالكوفة.

وجاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الكوفة روضة من رياض الجنة»، كما ورد في ذيل هذه الرواية أن فيه قبر نوح وإبراهيم وقبر سيد الأوصياء الإمام على عليه السلام وقبور ثلاثمائة وسبعين نبياً وستمأة وصياً. وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «إنه ليس بلد من البلدان ومصر من الأمصار، أكثر مجباً لنا من أهل الكوفة» [٧٥]. مع ذلك فقد شهدت الكوفة عدة عصور تسلط عليها الأعداء ولاسيما أعداء أهل البيت عليهم السلام بحيث أصبحت من الأوكار المناهضة للإسلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٥

## ٢- أهل الكوفة والإمام عليه السلام

كلنا نعلم بأن إحدى مشاكل حكومة الإمام على عليه السلام تكمن في أهل العراق ولاسيما أهل الكوفة الذين يتصفون بالتمرد وعدم الطاعة؛ الأمر الذي جعل الإمام عليه السلام يتعرض له في عدة خطب ليعرب عن إستيائه منهم وشكواه، في حين كانت روحية أهل الشام وطاعتهم تمثل أحد عوامل تفوق معاوية في أعماله.

وقد نظر بعض المؤرخين إلى هذا الموضوع نظرة إيجابية فذهبوا إلى أن العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام، أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء، وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأى واحد، لا يرون النظر، ولا يسألون عن مغيب الأحوال ومازال العراق موصوفاً أهله بقلة الطاعة، والشقاق على أولى الرئاسة. [٧٦]

إلما أن المرحوم مغنية يرى أن هذا الكلام أجوف لا أساس له. فأى عيب كان يسع أهل العراق أن يردوه على حكومة العدل العلوية حتى مارسوا ذلك الشقاق والنفاق (أية فطنة ثاقبة تدفع بالأفراد إلى العصيان والتمرد والذي أدى إلى تلك الذلّة والخنوع أمام العدو؟! والحق كما ذكره المؤرخون ومنهم طه حسين في كتابه (على وبنوه) أن سياسة معاوية كانت قائمة على المكر والخداع وشراء دين الناس بينما اعتمد الإمام على عليه السلام على الحق والعدل، ولعل الشاهد على ذلك ماورد به الإمام عليه السلام حين قال: «أتأمرني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! والله لا- أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً» [٧٧]. ثم ردّ عليه السلام على أولئك الذين قارنوا بين سياسته وسياسة معاوية قائلاً: «والله ما معاوية بأدهى منى لكنّه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس» [٧٨]. وهو الأمر الذي نلمسه اليوم بوضوح في عصرنا الراهن حيث يرى بعض الأفراد وضمن تحليلاتهم الاجتماعية أن الساسة

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٦

الأفذاذ هم أولئك الذين يعتمدون أساليب التضليل والخداع والذين لا يتورعون عن التشبث بأحسن الوسائل من أجل تحقيق أهدافهم وأطماعهم، في حين لا- يرون من كفاءة وجدارة لأولئك الأفراد من أهل الإيمان والورع والتقوى الذين لا- يساومون على القيم والمبادئ، نعم للأسف ما زال هذا الخطأ الفاحش هو الذي يسود بعض العقول والأفكار، وقد أدى إلى سلسلة من المفاصد السياسية والاجتماعية، بل ما أعظم الدماء البريئة التي سفكت على مدى التاريخ بسبب هذه النظرة الخاطئة على كل حال فإنّ الواقع هو غير ما ذكر، فالعراق ولاسيما منطقة الكوفة إنما سكنت من عدة فئات وبمختلف الثقافات وقد تأثروا إلى حد بعيد بسياسة عثمان بما دفعهم للتكالب على الدنيا والاعتزاز بها وقد أصبحت السنن الخاطئة آنذاك من مفردات حياتهم اليومية (بما في ذلك التمييز في العطاء من بيت المال) حتى كان أغلب زعماء القبائل يتوقعون المناصب والأموال الطائلة؛ الأمر الذي جعل معاوية ينجح في إستمالتهم فكانوا يتقاطرون على معاوية، الواحد تلو الآخر.

أضف إلى ذلك فقد كانت هنالك بعض الفوارق بين روحية أهل العراق والشام، منها أن أهل الشام كانوا يعرفون بالعمل، بينما كان

العراقيون أهل كلام كما كان الشاميون يتحلون بالانضباط الاجتماعي ولم يكن مثل هذا الانضباط سائداً لدى أهل العراق. وأخيراً كان أهل الشام أوفياء، بينما يمتاز أهل العراق بالغدر ونكث العهود.

وبالطبع فإن هذا الكلام لا ينسحب على أهل العراق في أي عصر وزمان غير زمان الإمام على عليه السلام كعصر الإمام الحسن أو الحسين عليهما السلام. ومن هنا وردت روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام التي تشيد بأهل العراق والكوفة. ولا غرابة أن تتصف أمة ببعض الصفات السلبية في عصر من العصور، ثم تسليخ عنها فتتحلى بصفات إيجابية.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٧

## القسم الثاني: سرّ الانهيار

### إشارة

ثم قال عليه السلام:

«أُنْبِتْتُ بُسْرًا قَدْ أَطَاعَ الْيَمِينَ وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُذَلُّونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بِاطْلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِّي حَقِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَيَّ صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصِلَةِ الْأَحْبَابِ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوْ ائْتَمَرْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَيَّ قَعْبٍ، لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام - في هذا المقطع من الخطبة - إلى قصة بسر بن ارطاة ذلك الجبار الشامي الفاضل وغلبته على اليمن، ثم تطرق عليه السلام إلى مصير أهل العراق والمستقبل المظلم الذي ينتظرهم مع ذكر الأسباب والعلل التي ستفضي إلى ذلك المستقبل. فقد ذكر بعض شراح نهج البلاغة أن معاوية وجه بسرًا إلى المدينة وأمره بقتل شيعته على عليه السلام وإرعاب أهل المدينة التي هبت لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتلت أبي سفيان، فدخل المدينة وشتم أهلها وهددهم وتوعدهم، ثم دعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعوه، وأحرق دوراً كثيرة. ثم قصد اليمن فاستباح أهلها وقد قتل ولدي حاكم اليمن آنذاك عبد الله بن عباس. [٧٩] وقد ذكر ابن أثير أن هذين الطفلين لآذا بأعرابي من بني كنانة، فلما أراد بسر أن يقتلها، قال له الكناني: دعهما فلا ذنب لهما، فإن كنت قاتلتهما نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٨

فاقتلني معهما، حيث كان يعتبر ذلك الأعرابي أن قتلها يعني تقصيره في أداء الأمانة. فما كان من بسر إلا أن قتلها وقتل هذا الأعرابي. [٨٠]

على كل حال إطلع أمير المؤمنين على عليه السلام على هذه الأخبار الأليمة فساءه ذلك فقال:

«أُنْبِتْتُ بُسْرًا قَدْ أَطَاعَ الْيَمِينَ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُذَلُّونَ مِنْكُمْ [٨٢] منكم»

، ثم تطرق عليه السلام إلى علل هذه الدولة لسلط الضوء على أربعة عناصر مهمة تقف وراء النصر، فقال عليه السلام:

«باجتماعهم على باطلهم، وتفريقكم عن حقاكم»

. فالاتحاد دعامة النصر ولاسيما إذا سادت الوحدة أتباع الحق. ولكن يالها من مصيبة أن يتفرق دعاة الحق عن حقاكم ويجمع دعاة الباطل ويتحدون على باطلهم! رغم أن الباطل مصدر الخلاف والتشتت وأن الحق مركز الاخاء والوحدة. نعم فإن الوفاق والاتحاد لمن دوعى النصر والنجاح في كل عمل وإن الشقاق والفرقة لمن دوعى الهزيمة والفشل.

أما العنصر الثاني فيخلص في الطاعة وإمثال الأوامر التي كانت سائدة لأصحاب الباطل وعدم طاعة أهل الحق لإمامهم:

«وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ، وطاعتهم إمامهم في الباطل»

. أجل فالانضباط والطاعة حيثما كانت إنّما تقود إلى النصر والغلبة. وليس لجيش ولا لأمّة أن تبلغ ما تريد دون رعايتها للانضباط وطاعتها لأمّرها وزعيمها، ومن هنا ورد التأكيد في كافّة الدوائر والمؤسسات اليوم على مسألة الانضباط والالتزام بالمقررات. العنصر الثالث يتمثل بالأمانة والوفاء بالعهد والتي تقابلها الخيانة ونقض العهود ولاسيما حيال الرؤساء والزعماء «وبادائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم»

فأمانتهم إنّما دفعت بهم لتعبئة كافّة الإمكانيات والطاقات ضد أعدائهم، في حين بددت خيانتكم هذه الطاقات وذهبت بها أدراج الرياح، وهل من مصير ينتظر من ضيع طاقاته وبدد إمكانياته سوى الهزيمة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٥٩

والفشل. لقد فسّر بعض شراح نهج البلاغة الأمانة هنا بالبيعة، غير أنّ التفسير الذي أوردناه سابقاً واستناداً إلى سائر عبارات الخطبة يبدو أنسب من هذا التفسير، أضف إلى ذلك فإن كانت البيعة بمعنى الطاعة فقد ذكرت سابقاً ولا داعي للتكرار. وأخيراً «وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم» وعليه فقد أوجز الإمام عليه السلام عوامل نصرهم وفشل إتياعه في اتّحادهم وانضباطهم وأمانتهم وصلاحهم في بلادهم، في حين عاش أتباعه الفرقة والاختلاف والعدو والخيانة والفساد. فأساليب الإدارة والحنكة في الحكومة وإدارة شؤون البلاد مهما كانت قويّة فإنّها لن تؤدّي إلى نتائج مرضية في ظلّ هؤلاء الأفراد الذين يمثلون أذرع الحاكم وعناصره في الدولة.

أجل فالحق ضعيف مهضوم إذا ما فسد أتباعه، والباطل قوى في ظلّ اتّحاد أتباعه.

ثم يختتم الإمام عليه السلام كلامه قائلاً:

«فلو اتّمت أحدكم على قعب [٨٣] لخشيت أن يذهب بعلاقته [٨٤]».

فهل من مجال للوثوق بمثل هؤلاء الأفراد الذين لا يؤتمنون على أتفه الأشياء، فضلاً عن القيام بإدارة شؤون الحكومة الإسلامية ومسائل الصلح والقتال وبيت المال وامثال ذلك.

## تأملات

### ١- بسر بن أرطاة القائد السفاح لمعاوية

فأما خبرُ بسر بن أرطاة العامريّ؛ من بني عامر بن لؤي بن غالب، وبعث معاوية له ليغيّر على أعمال أمير المؤمنين عليه السلام، وما عمّله من سفك الدماء وأخذ الأموال، فقد ذكر أرباب السير أنّ الذي هاج معاوية على تسريح بسر بن أرطاة- ويقال ابن أبي أرطاة- إلى الحجاز واليمن، أنّ قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يُعظّمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعلّي عليه السلام على ما في أنفسهم؛ وعاملُ عليّ عليه السلام على صنعاء يومئذ

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٠

عبيد الله بن عباس؛ وعامله على الجند سعيد بن نمران.

ووجه الكتاب مع رجل من همدان، فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم:

إنّي تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجّه إليكم يزيد بن قيس الأزحبيّ، في جيش كثيف، فلم يمنعه إلا-انتظار جوابكم. فقالوا: نحن سامعون مطيعون، إن عزّل عنّا هذين الرجلين: عبيد الله وسعيدا.

فرجع الهمدانيّ من عندهم إلى عليّ عليه السلام فأخبره خبر القوم.

فلما قديم كتابهم، دعا بُسْرَيْنَ أَبِي أَرْطَاءَ، وَكَانَ قَاسِيَّ الْقَلْبِ فَظًّا سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ، لَا رَافَةَ عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةً، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ طَرِيقَ الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْيَمَنِ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَنْزِلْ عَلَى بَلَدِ أَهْلِهِ عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ إِلَّا بَسَطْتَ عَلَيْهِمْ لِسَانَكَ؛ حَتَّى يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا نَجَاءَ لَهُمْ، وَأَنَّكَ مَحِيطٌ بِهِمْ. ثُمَّ أَكْفَفَ عَنْهُمْ، وَادْعُهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لِي، فَمَنْ أَبِي فَاقْتُلْهُ، وَاقْتُلْ شَيْعَةَ عَلِيٍّ حَيْثُ كَانُوا.

ج ج

وروى إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب "الغارات" عن يزيد بن جابر الأزدي، قال:

سمعت عبدالرحمن بن مسعدة الفزاري يحدث فى خلافة عبدالملك، قال: لما دخلت سنة أربعين، تحدث الناس بالشام أن علياً عليه السلام يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون معه، وتذاكروا أن قد اختلفت أهواؤهم، ووقعت الفرقة بينهم، قال: فقامت فى نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عتبة، فقلنا له: إن الناس لا يشكون فى اختلاف الناس على علي عليه السلام بالعراق، فادخل إلى صاحبك فمزّه فليست بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره. فقال: بل، لقد قولته فى ذلك وراجعتة وعاتبته، حتى لقد برم بى، واستنقل طلعتى، وایم الله على ذلك ما أذع أن أبلغه ما مشيتم إلى فيه.

فدخل عليه فخبّره بمجئنا إليه، ومقالتنا له، فأذن لنا، فدخلنا عليه، فقال: ما هذا الخبر الذى جاءنى به عنكم الوليد؟ فقلنا: هذا خبر فى الناس سائر، فشمز للحرب، وناهض الأعداء، واهتبل الفرصه، واغتتم الغرة، فإنك لا تدري متى تقدز على عدوك على مثل حالهم التى هم عليها، وأن تسير إلى عدوك أعز لك من أن يسيروا إليك. واعلم والله أنه تفرق الناس عن صاحبك لقد نهض إليك. فقال لنا: ما أستغنى عن رأيكم ومشورتكم، ومتى أختج إلى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦١

ذلك منكم أذعكم. إن هؤلاء الذين تذكرون تفرقهم على صاحبه، واختلاف أهوائهم، لم يبلغ ذلك عندى بهم أن أكون أطمع فى استئصالهم واجتياحهم، وأن أسير إليهم خاطراً بجندي، لا أدري على تكون الدائرة أم لى! فإياكم واستبطائى، فإنى آخذ بهم فى وجه هو أرفق بكم.

وبعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسرين أبي أرتاء، فبعثه فى ثلاثة آلاف، وقال:

سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، انهب أموال كل من أصبت له مالاً؛ ممن لم يكن دخل فى طاعتنا، فإذا دخلت المدينة، فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر؛ حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم، ثم سر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شردات؛ تأتى صنعاء والجندي، فإن لنا بهما شيعه، وقد جاءنى كتابهم.

ج ج

أن بسراً لما أسقط من جيشه، سار بمن تخلف معه، وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر، فيردون تلك الإبل، ويركبون إبل هؤلاء، فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة. قال: وقد روى أن قضاة استقبلتهم ينحرون لهم الجوز، حتى دخلوا المدينة. قال:

فدخلوها، وعامل علي عليه السلام عليها أبو أيوب الأنصاري، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج عنها هارباً، ودعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعوه. ونزل فأحرق دوار كثيرة.

ج ج

قال إبراهيم: وقد روى عوانه عن الكلبي أن بسراً لما خرج من المدينة إلى مكة قتل فى طريقه رجلاً، وأخذ أموالاً، وبلغ أهل مكة خبره، فتنحى عنها عامية أهلها، وتراضى الناس بشيعة بن عثمان أميراً لما خرج قثم بن العباس عنها، وخرج إلى بسر قوم من قريش، فتلقوه، فستهمهم، ثم قال: أما والله لو تركت ورأى فيكم لتركتمكم وما فيكم روح تمشى على الأرض، فقالوا: نشتدك الله فى أهلك

وعثرتك!

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٢

قال إبراهيم: وروى علي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، أن أهل مكة لما بلغهم ما صنع بشر، خافوا وهربوا، فخرج بنا عبيد الله بن العباس، وهما سليمان وداود، وأمهما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية، وتكنى أم حكيم، وهم حلفاء بني زهرة، وهما غلامان مع أهل مكة، فأضلوها عند بشر ميمون بن الحضرمي.

وخرج بسر من الطائف، فأتى نجران، ثم جمعهم وقام فيهم، وقال يا أهل نجران، يا معشر النصارى وإخوان القروء: أما والله إن بلغني عنكم ما أكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسل، وتهلك الحرث، وتخرب الديار!

وتهددهم طويلاً، ثم سار حتى أرحب، فقتل أبا كرب - وكان يتشيع - ويقال إنه سيد من كان بالبادية من همدان، فقدمه فقتله.

وأتى صنعاء وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس، وسعيد بن نمران، وقد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكه الثقفي، فمنع بشراً من دخولها وقتله، فقتله بشر، ودخل صنعاء، فقتل منها قوماً، أتاه وفد مأرب فقتلهم، فلم ينج منهم إلا رجل واحد، ورجع إلى قومه، فقال لهم: «أنعى قتلانا، شيوخاً وشباناً».

فندب علي عليه السلام أصحابه لبعث سرية في إثر بر، فتناقلوا، وأجابوا جارية بن قدامة السعدي، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ في بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. وبلغ بسر مسير جارية، فأنحدر إلى اليمامة، أخذ جارية بن قدامة السير، ما يلتفت إلى مدينه مر بها ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل، أو تحفى دابته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهوا إلى أرض اليمن، فهربت شيعه عثمان حتى لحقوا بالجال، وأتبعهم شيعه علي عليه السلام، وتداعت عليهم من كل جانب، أصابوا منهم، وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها.

وقال بسر: أحمد الله يا أمير المؤمنين أنى سرت في هذا لاجيش أقتل عدوك ذاهباً جانياً لم يترك رجل منهم نكبة، فقال معاوية لله قد فعل ذلك لا أنت.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٣

قال: ودعا علي عليه السلام على بشر، فقال: اللهم إن بسرا باع دينه بالدنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك. اللهم فلا تميته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار. اللهم ألعن بسراً وعمراً ومعاوية، وليحل عليهم غضبك، ولتنزل بهم نعمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بشراً بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذى بالسيف، ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك حتى أتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقه، فلا يزال يضربها حتى يعضى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

قال المسعودي في مروج الذهب بعد نقل هذه القصة أن بسراً كان يقول للناس: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله - الذان قتلا مظلومان بيدي - وكان ربما شدت يده إلى الورا منعا من لعبه بحزئه والناس تمنعه من ذلك. [٨٥]

## ٢- مقومات النصر وهزيمة الأمم

لقد شرح الإمام عليه السلام في هذه الخطبة عباراتها القصيرة ذات المعاني العميقة المقومات التي تمنى بها الامم والشعوب، ولا يقتصر هذا الأمر على أهل العراق والحجاز واليمن وقضية والى من الولاة كمعاوية وقائد عسكره بسر بن ارطاة، بل يشمل كافة العصور

والدهور. فقد تحدّث الإمام عليه السلام في بادئ الأمر عن وحدة الكلمة التي تعدّ السبب الرئيسي في تضامن القوى وتعبئة طاقاتها في مواجهة الأعداء. ومما لاشك فيه أنّ أهم العوامل التي أدت إلى انتصار جنود الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله على أعدائهم الذين كانوا يفوقونهم عدّة وعدداً إنّما يكمن في وحدة الكلمة. فكم من فئة قليلة هزمت عدوّها بفضل الاتحاد والإخاء. القرآن من جانبه اعتبر وحدة كلمة المسلمين من معجز النبي الأكرم صلى الله عليه وآله «هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» [٨٦]، كما اعتبر الوحدة الإسلامية التي سادت المسلمين أبان عصر الرسالة من النعم الإلهية الكبرى على الأمة الإسلامية

«وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٤

أعداءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً» [٨٧]، في حين قرن الفرقة والشقاق بالعذاب الدنيوي والأخروي «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً» [٨٨]. كما أشار الإمام عليه السلام إلى مسألة الانضباط وحنكة القيادة على أنّها العامل الآخر المكمل لعنصر الاتحاد والإخاء والتضامن. والحق رأينا عدّة ثورات في عصرنا الراهن قد كتب لها النجاح بينما لم توفق غيرها لهذه النتيجة، ولعلّ العامل الرئيسي في ذلك النجاح إنّما يستند إلى وحدة القيادة، بينما تعاني غيرها من التشتت وتعدد مراكز القرار.

ثم تطرق عليه السلام إلى الأمانة بفضلها العامل الثالث من عوامل النصر. فمما لاشك فيه أنّ أزية أمة من الأمم لن تزدق طعم النصر والسعادة مالم تستثمر طاقاتها وثرواتها بالشكل الصحيح. ولا يتيسر هذا الأمر إلّا إذا كانت الأمانة هي التي تحكم أفراد الأمة وتدفعها لصون إمكاناتها الاجتماعية.

أمّا العامل الأخير الدخيل في النصر فإنّما يكمن في صلاح أفراد المجتمع، وبعبارة أخرى فإنّ أفراد الأمة لن يتخلّوا على مشاكلهم ويتخلّصوا من مخالب الأعداء مالم يأخذوا بنظر الاعتبار مصالح المجتمع ويضحوا بمنافعهم الشخصية ويجدوا ويجتهدوا في إصلاح مجتمعهم، وليعلم اولئك الذين يهيمون بمنافعهم الشخصية ولو أدت إلى فساد المجتمع إنّهم إنّما يقضون على المجتمع وبالتالي يقضون على أنفسهم.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٥

### القسم الثالث: السّم والملل

#### إشارة

«اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَمَلُونِي وَسَيِّئْتُهُمْ وَسَيِّئُونِي [٨٩] فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي! اللَّهُمَّ مِثْ [٩٠] قُلُوبُهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ - لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ عَنَمٍ. هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ».

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

الشرح والتفسير

يتضرع الإمام عليه السلام في آخر الخطبة إلى الله بقلب مفعم بالهم والحزن فيدعو على اولئك الأتباع، غير أن دعائه عليهم يحمل تحذيراً جدياً لمن كان له أدنى صحوة من ضمير، حيث يسعى الإمام عليه السلام عن هذا الطريق إلى تنبيه أهل الضلالة وإعادتهم إلى الصراط المستقيم، فقال عليه السلام:



«اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني»

ومن الطبيعي ألا يكون هناك من وقع لنصائح الإمام العادل والقائد الشجاع في قلوب عبدة الدنيا والأهواء من أهل الجهل والعجز والذل إذا ما تباينت أهداف القائد ومبادئه وخلقه مع أهداف الرعية

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٦

وأخلاقها، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى تعب الطرفين وسئم كل منهما الآخر. وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد استطاع النهوض بزعامه الأقوام الجاهلية، فأنما ذلك لأنهم أقرؤا بأهدافه ومبادئه في التريية وقد كيفوا أنفسهم مع سننه وخلقه. ومن هنا فإن الأنبياء الذين لم يوفقوا في هذا الأمر ملؤوا أتباعهم، كما أن أقوامهم هي الأخرى لم تكن تطيق تحملهم. ولا يفوتنا هنا ضيق ذرع قوم لوط بنبيهم لطهارته وعفته «أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون». [٩١]

ثم دعا عليهم قائلاً:

«فبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني».

فهم ليسوا أتباعاً جديرين بهذا الإمام، ولم يعد إماماً مناسباً لهم، فالحكمة الإلهية تقتضي أن يخرجوا مسودي الوجوه من هذا الامتحان بعد أن تسلب منهم هذه النعمة الإلهية فيعيشوا أنواع الهوان والذل. وما أسرع ما استجيب دعاء الإمام عليه السلام، فقد تسلط عليهم بنو امية ليرتكبوا بحقهم ما قل نظيره أو انعدم في التاريخ والعجيب ماورد في بعض التواريخ الإسلامية من أن الحجاج قد ولد [٩٢] آنذاك، وبالطبع فإن أهل العراق والكوفة قد دفعوا ثمن جرائمهم وتحاذلهم قبل ذلك، إلا أنها بلغت ذروتها على عهد الحجاج. طبعاً ليس المراد بالعبارة «أبدلهم بي شراً مني» أنني سيء ولكن سلط عليهم من هو أسوأ مني. بل هي مقارنة تطلق على الخير المطلق والشر المطلق، فقد جاء في القرآن سورة الفرقان بعد أن أشار إلى شدة عذاب جهنم قائلاً: «قُلْ أَذْ لِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ».

وبعبارة أخرى لم يكن أهل العراق والكوفة آنذاك أختيار ليسأل الإمام عليه السلام الله أخير منهم، ولا الإمام عليه السلام- والعباد بالله- كان سيئاً ليسلط الله عليهم من هو أسوأ منه، ففي مثل هذه الموارد تفقد صيغته أفضل التفضيل مفهومها العادي وترد للمقارنة بين شيئين متضادين. ويبدو أن هذا الدعاء شبيه الدعاء الذي ابتهل به نبي الله نوح عليه السلام على قومه بعد أن يئس من صلاحهم «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً» [٩٣]. ثم قال عليه السلام: «اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٧

في الماء». لعل المراد بموثر قلوبهم (بمعنى ذوبانها) هو هجوم الهموم والغموم عليها بحيث تجرح عواطفهم الإنسانية إلى درجة يقال ذاب القلب، فقد ورد شبيه هذا المعنى في خطبة الجهاد رقم ٢٧ إذ قال عليه السلام:

«والله، يميم القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم»

. ومن الواضح أن المراد بذوبان القلب ضياع العقل والفتنة والدراية والحكمة. فمفهوم العبارة: خذ عقولهم وحكمتهم لهذا النفاق والعصيان فيعيشوا الحيرة والاضطراب في حياتهم. وقد ورد التعبير عن القلب بمعنى العقل والحكمة أو وعاء العقل والحكمة في عدة آيات وروايات، ومن ذلك ماورد في الآية ٢٥ من سورة الانعام: «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ». والواقع أن من أعظم العقوبات الإلهية- التي أوردتها القرآن الكريم والروايات بالنسبة للأفراد من أهل النفاق والمعصية- هي الا يرى الإنسان الحقائق ولا يدركها كما هي، فيعيش القلق والحيرة والضلال. ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالقول:

«أما- والله- لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

ثم تمثل بقول الشاعر:

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل الإمام عليه السلام من المنبر:

قال السيد الشريف: أقول: «الارمية» جمع «رمى» وهو السحاب والحميم، هاهنا وقت الصيف. وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً ولا أسرع خفولاً؛ لأنه لا ماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلّا زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، ولا إغائته إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله: هنالك لو دعوت أتاك منهم.

### بنو فراس بن غنم

هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حتى مشهور بالشجاعة، منهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان. ومنهم ربيعة بن مكدم بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس الشجاع المشهور، حامى الظعن حياً وميتاً، ولم يحم الحریم وهو ميت أحد غيره؛ عرض له فرسان من بنى سليم، ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعتهم، فرماه نبيشة بن حبيب نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٨

بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه في الأرض، واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه لم يزل ولم يمل. وأشار إلى الظعائن بالروح، فسرن حتى بلغن بيوت الحى، وابن سليم قيام إزاءه لا يقدمون عليه، ويظنون حياً؛ حتى قال قائل منهم: إني لا أراه إلّا ميتاً، ولو كان حياً لتحرك؛ إنه والله لمائل راتب على هئية واحدة، لا يرفع يده، ولا يحرك رأسه. فلم يقدم أحد منهم على الدنو منه، حتى رموا فرسه بسهم، فشب من تحته، فوقع وهو ميت، وفاتتهم الظعائن. [٩٤]

وجاء في كتاب بلوغ الأدب أن شجاع كل فرد من أبناء هذه القبيلة بعشرة من شجعان سائر القبائل، وهم أشجع قبائل العرب. [٩٥] والطريف في الأمر أن جيش الإمام عليه السلام في الكوفة قد بلغ عشرات الآلاف، بل بلغ طبق رواية مئة ألف جندى [٩٦]، إلّا أن الإمام عليه السلام يتمنى استبدال كل هذا الجيش بألف من فرسان بنى فراس؛ الأمر الذى يدل على مدى ضعف جيش الكوفة وعجزه، ومدى شجاعه أبناء قبيلة بنى فراس، فقد تضاعفت شجاعتهم الذاتية في ظل الإسلام والإيمان. كما جاء في القرآن الكريم: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ». [٩٧]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٦٩

## الخطبة السادسة والعشرون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيهما يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له نظرة إلى الخطبة.

### نظرة إلى الخطبة

يرى بعض المحققين أنّ الدافع من هذه الخطبة (أو بتعبير آخر كتابه هذه الرسالة) أنه سأل البعض علياً عليه السلام عن رأيه بمن سبقه من الخلفاء بعد أن استولى أصحاب معاوية على مصر وقتلوا محمد بن أبى بكر. فاستنكر عليهم الإمام عليه السلام ذلك بعد أن استولى معاوية على مصر وقتل شيعته، فكتب الإمام عليه السلام هذا الكتاب. [٩٨] ويتصور أحياناً بأن الخطبة اختتمت بالدعوة إلى الجهاد وهذا ما يتنافى وما ذكر، حيث يدل ذلك على أنّ الكلام صدر عن الإمام عليه السلام قبل معركة صفين، لكن يمكن أن يكون هذا الكلام إشارة إلى معركة أراد الإمام عليه السلام أن يعب الناس لها قبل شهادته، غير أنّ شهادته عليه السلام حالت دون ذلك.

على كل حال فالخطبة على ثلاثة أقسام: القسم الأول في وضع العرب في الجاهلية وعلى أعتاب انبثاق الدعوة الإسلامية وبعثه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التي أنقذتهم مما لا يمكن تصوره من البؤس والشقاء.

والقسم الثاني في الحوادث التي اعتقت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وكيفيه غضب حق الإمام عليه السلام في الخلافة، وسكوته حفظاً للإسلام والقرآن بينما كان يعيش حالة من التذمر والاستياء.

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٧٠

والقسم الثالث إشارة إلى البيعة المشروطة لعمر بن العاص على معاوية والتي أدت إلى تلك الولايات والمصائب والأضرار الفادحة في الأرواح والأموال، ثم يختتم الخطبة بحث أتباعه بالتأهب للقتال.

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٧١

## القسم الأول: العرب في الجاهلية

### إشارة

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ - مَعْشَرَ الْعَرَبِ - عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمِّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقَطُّعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَضْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ».

الشرح والتفسير

يتطرق الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة إلى أوضاع العرب في الجاهلية في رسم صورة واضحة الملامح عن حياتهم من خلال الأبعاد الفكرية والعاطفية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث لا تتوصل لهذه الصورة التي رسمها الإمام عليه السلام ولو طالعنا كافة المؤلفات التي صنفت بشأن العرب في العصر الجاهلي. ويبدو أن الإمام عليه السلام استهل الخطبة بهذا الكلام ليذكرهم بالعصر الجاهلي الذي سبق الإسلام فيقارنونه بما بعد البعثة النبوية الشريفة فيقفوا على قيمة الإسلام ولا يضحوا بهذه القيمة والنعمة من خلال هذه الفرقة والاختلاف وأتباع الأهواء والشهوات، ولا غرو فقيمة النعم تبقى مجهولة ولا يعرف قدرها إلا إذا فقدت فقد قال عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ».

الجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام أكد على جانب الانذار في رسالته النبي صلى الله عليه وآله، بينما نعلم أن الانذار قد قرن بالبخارة، كما ورد ذلك في عدة آيات قرآنية، كآية الشريفة «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» [٩٩] وسائر الآيات القرآنية. [١٠٠] غير أن الانذار بالعقاب

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٧٢

والتهديد بالعذاب غالباً ما يكون الدافع لحركة الأمة نحو القيام بوظائفها والتحفظ عن تركها كان التأكيد أكثر على مسألة الانذار، ومن هنا ورد التأكيد في أغلب الآيات القرآنية على الانذار بشأن رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء، ولم تطالعنا أي من الآيات التي اقتصرت على البشارة. وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده القوانين المعاصرة، حيث ركزت على جانب العقوبة بصفقتها الضماننة الإجرائية الناجحة، ونادراً ما يعتمد الحث والتشجيع من أجل تحقيق الغرض المذكور. بصورة عامة فإن الهدف النهائي للانذار هو إثارة الشعور بالمسؤولية تجاه الوظائف والتكاليف الملقاة على عاتق الإنسان. وهنا لا ينبغي أن ننسى بأن انذار النبي صلى الله عليه وآله يشمل كافة الكائنات؛ الأمر الذي يدل على عالمية الدين الإسلامي وخلوده، لأن للعالمين مفهوم واسع يشمل كافة أفراد البشرية في

كل عصر ومصر. قوله عليه السلام:

«أميناً على التنزيل»

تلويح ضمنى بعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو صائن لكتاب الله ومبلغه للعالم دون أدنى تغيير. ثم تطرق عليه السلام لأوضاع العرب زمان الجاهلية في عشرة عبارات مقتضبة عظيمة المعانى تشير إلى أربعة محاور، فقال:

«وأنتم معشر العرب على شر دين»

وأى دين أسوأ من الوثنية؟ أن ينحت عاقل قطعة من الحجر أو الخشب بيده ثم يسجد لها ويعبدها ويرى مقدراته بيدها ويلوذ بها فى حل المشاكل التى تواجهه فى حياته، أو أن يصنع صنماً من التمر يتخذه إلهاً فاذا جاع أكله. أضف إلى ذلك الانحراف الخطير فان طقوس هؤلاء القوم مملوءة بالخرافات والعقائد السخيفة البعيدة عن المنطق والتى سطرتها كتب تأريخ العرب فى العصر الجاهلى، وسنعرض لجانب منها لاحقاً.

هذا على مستوى العقائد والأفكار. ثم تطرق عليه السلام إلى أوضاعهم الاقتصادية المزرية فقال عليه السلام: «وفى شر دار

منيخون» [١٠١] بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدرو تأكلون الجشب». [١٠٢]

تعبيره عليه السلام «شر دار» بالنسبة لمحل إقامة عرب الجاهلية، رغم أن أغلبهم (ولاسيما من

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٧٣

خاطبهم الإمام عليه السلام بهذه الكلمات) كانوا يقطنون فى مكة أو المدينة يفيد أن هاتين المنطقتين قد فقدتا قدسيتهما ومكانتهما المعنوية إثر تبدلها إلى مركز للأصنام والأوثان والفساد والانحراف.

وقد أحاطت بهم عواصف الرمل والرياح المحرقة فى تلك الصحارى الجرداء، بحيث إذا تمكن أحدهم من العثور على بقية ماء فى بعض البرك والآبار فانه كان على درجة من التلوث والتعفن بسبب هبوب الرياح أو تلويثه من قبل بعض الأفراد حتى ليشعر شاربه بالغثيان، غير أن هؤلاء كانوا مضطرين لشربه، ولم يكن طعامهم بأفضل ممّا عليه الشراب.

نقل أحد شراح نهج البلاغة أنّ إعرابياً سئل: «أى الحيوانات تأكلون فى البادية؟» قال:

«تأكل كل ما دبّ ودرج الا أم جبين». [١٠٣]

أما التعبير بالحيات الصم، هو أن الحية الصماء أخطر من غيرها لأنها صماء لا تنزجر بالصوت، أو لعل سمها أخطر.

أما المحور الثالث فقد أشار فيه الإمام عليه السلام إلى أوضاعهم الاجتماعية المزرية وإنعدام الأمن والاستقرار فقال عليه السلام:

«وتسفكون دمائكم»

والتعبير بالمضارع

«تسفكون دمائكم»

كسائر الأفعال فى عبارات الخطبة يفيد استمرار هذه الأوضاع المتفاقمة. والواقع لا تحتاج قضية سفك الدماء المتعارفة بينهم إلى دليل، فسيوفهم تشهر لاتفه الأسباب ليخوضوا أعنف المعارك وأشرسها لشهور بل لسنوات- ولعل نظرة عابرة إلى معاركهم المعروفة بحرب الفجار والتى ستشير إليها لاحقاً تفيد أنّ أولئك الجهال كانوا يخوضون أشرس القتال من أجل أهون الأشياء. وأخيراً أشار عليه السلام

إلى المحور الرابع المتمثل بأوضاعهم العاطفية المتردية

«وتقطعون أرحامكم»

ولعل العبارة إشارة إلى قضية وأد البنات ودفنهن أحياء، حيث كانوا يرون البنت تجر عليهم الخزي والعار، فكان أحدهم يتوارى عن الأنظار خجلاً إذا ولدت له بنت، وهذا ما أشارت إليه الآية ٥٨ و ٥٩ من سورة النحل «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ\* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٤

التُّرابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» وقد لا يكتفى البعض بالاعتصار على هذا القتل على البنات فيعمد إلى قتل ولده خشية الفقر؛ الأمر الذي نهى القرآن عنه بشدة، فقد نهت عن ذلك الآية ٣١ من سورة الاسراء «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» بل كان الوالد يقتل ولده والولد والده والأخ أخيه عبثاً، فقد عاشت الرحم فاجعة لم يشهد لها التاريخ مثيل.

ويختتم الإمام عليه السلام كلامه بخلاصة مفاسدهم المعنوية والمادية بالقول

«الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»

. وكان تعبيره (منصوبة) إلى أنهم كانوا يفتخرون بهذه الأصنام فينصبونها في كل مكان فضلاً عن عبادتها والسجود لها. ومعصوبة من مادة عصب (ما يربط العضلات بالعظام) إشارة إلى أنواع المعاصي من قبيل سفك الدماء وقتل النفس وقطع الرحم والتعرض للنواميس ونهب الأموال وشرب الخمر والقمار و... التي اجتاحت عرب الجاهلية وعليه فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارات إلى انحرافاتهم العقائدية والأخلاقية وأزماتهم الاقتصادية والعاطفية ومدى الانحطاط والسقوط الذي بلغوه على هذه المستويات.

## تأملات

### ١- آفاق العصر الجاهلي

ضروري هو البحث حول العصر الجاهلي والمسائل المختلفة المرتبطة به من أجل التعرف على الإسلام وعظمة النبي صلى الله عليه وآله، فقد سعى المؤرخون لإحصاء المسائل المتعلقة بذلك العصر، وقد أشرنا إلى هذه المسألة في شرح الخطبة الثانية، وحيث أشار الإمام عليه السلام في القسم الأول من هذه الخطبة إلى ذلك الموضوع فإننا نرى ضرورة الإشارة إلى بعض الأمور:

أ الحديث طويل في عقائدهم الخرافية فالوثنية كانت هي الحاكمة والمنصوبة في جوف الكعبة فهناك أوثان القبيلة والاسرة، ولبعضها أشكال وأخرى دون شكل. من عقائدهم أن الملائكة بنات الله، في حين ينفرون أنفسهم بشدة من البنات. وينكرون القيامة ويشاورون أصنامهم في الأمور المهمة، وطريقة ذلك أنهم يكتبون على السهام «افعل» و«لا تفعل»

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٥

فيجعلونها مع بعضها ويخرجون واحد منها على أنه الأمر الذي أصدره الوشن. ومن خرافاتهم العقائدية الإيمان بالغيلان وطيور الشؤم والبركة وما إلى ذلك.

ب- على الصعيد الإقتصادي فقد كان يدفعهم الفقر وعلاوة على وأد البنات إلى قتل الأولاد. وأغلب دخلهم كان عن طريق السلب والنهبت، وكان الأغلب وبسوء الوضع الإقتصادي يعيش حافيا شبه عريان، وإن كان لأحدهم لباس متواضع دعا، ذلك للفخر فينشد:

من يك ذابت فهذا بتي مقيط مصيف مشت!

ج- على المستوى العاطفي فكفاهم أنهم لم يرحموا أي شيء وذلك بسبب طبيعتهم الوحشية كما يقول ابن خلدون حيث يميلون إلى السلب والتهب ولذتهم بذلك وفخرهم بالقتل - روى أن أحدهم سمع قول النبي صلى الله عليه وآله في وصف الجنة ونعمها، فسأل هل فيها قتال - قيل: لا.

قال إذن لا خير فيها. قيل في بعض التواريخ أن الحروب التي نشبت بين عرب الجاهلية بلغت ١٧٠٠ حرب دام لبعضها مئة عام وتعاقبت عليها الأجيال، وما أكثر الحروب التي كانت تنشب لأتفه الأسباب.

د- أما على الصعيد الإجتماعي فقد كانت أوضاعهم مزريه بفضل إنتشار الفساد والخمر حتى كان الشراب هو المتبادر إلى الأذهان من التجارة والشجاعة تعنى القتل والغيرة والعفة تعنى وأد البنات - كانوا يعشقون ثلاث: المرأة والخمر والقتال حتى قال شاعرهم:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في الفلات فأنتى أخاف اذا ما متّ ألاً أذوقها

كانوا يعتقدون بوجوب نصره الصديق على الحق كان أم الباطل. كما كان القمار بارزا عندهم حتى أنهم كانوا يخسرون فيها نساءهم.

كان الزنا منتشرًا بينهم حتى إشتهر عندهم الزانيات من أصحاب الرايات، وهكذا سائر المفاسد التي لا مجال لإحصائها. [١٠٤]

نعم هكذا كان العرب وقد أتقدهم الله بالإسلام، فلم ينجو من الخرافات والوثنية

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٦

والعقائد المنحطّة، بل تغيرت حتى أوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية والعاطفية وقد صنع من إنسانهم المتوحش مثال الفرد المتحضر الأسوء كمن على شاكلة أبي ذر والمقداد وعمار وبلال.

وتتضح عظمة الإسلام ورسالة النبي صلى الله عليه وآله من هذه المقارنة، أما ظهور آثار الجاهلية في عصرنا باشكالها الأوسع والأقصى - بسبب الإبتعاد عن تعاليم الأنبياء سيما تعاليم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله لهي شهادة أخرى على عظمة هذه الرسالة.

## ٢- شر دار أم خيرها

النقطة الجديدة بالذكر في الخطبة المذكورة وصفه لموضع سكن عرب الجاهلية بشر دار، بينما وصف ذلك العصر في الخطبة الثانية بالقول «خير دار وشر جيران» ولما كان المراد في العبارتين أرض مكة فيبدو هناك تناقضاً، إلا أنّ أدنى تأمل يفيد عدم وجود أى تناقض - فأرض مكة ذاتاً مركزاً لأفضل دار يعنى الشعبة، ولكن بالعرض فإن جميع هذه الأرض المقدسة حتى بيت الله فقد لوثت بالشرك والوثنية والمفاسد الأخلاقية. وعليه فهى شر دار باعتبار وخير دار باعتبار آخر.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٧

## القسم الثاني: الصبر المرير

### إشارة

«فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكُظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام - في هذا المقطع من الخطبة - إلى الحوادث التي أعقبت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله ولاسيما حادثة الخلافة، ويتطرق إلى السبب الذي دعاه إلى السكوت وعدم المطالبة بحقه المسلم في الخلافة، أى خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله - والتي كانت في الواقع حق المسلمين - فقال عليه السلام:

«فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي»

نفحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ٧٧

من الواضح أنّ القيام بالأمر تجاه تلك الطائفة المتحزبة - التي تشهد التواريخ بأنّها خططت للالتفاف على الخلافة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله - لا ينسجم وأى منطق؛ لأنّ مثل هذا القيام ليس فقط لا يتمخض عن نتيجة، بل سيؤدى ذلك القيام إلى قتل طائفة

من صفوة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، أضف إلى ذلك فإن هذه المواجهة قد تقود إلى شق صفوف المسلمين بما يعود بالنفع للمنافقين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين مثل هذه الحوادث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ الأمر الذي جعل الإمام عليه السلام يفضل الصمت والسكوت ومن هنا واصل الإمام عليه السلام خطبته بهذا الشأن فقال:

«وأغضيت [١٠٥] على

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٨

القذى [١٠٦] وشربت على الشجا [١٠٧]، وصبرت على أخذ الكظم [١٠٨] وعلى أمر من طعم العلقم [١٠٩].»

## تأملات

### ١- الأحداث المبررة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

تشبه هذه العبارات تلك التي وردت في الخطبة الثالثة المعروفة بالخطبة الشقشقية، بل هي أشد وقعاً منها، وتفيد أن الإمام عليه السلام قد قضى ساعات ولحظات غاية في المرارة إبان تلك السنين - ما يقارب خمس وعشرين سنة - التي قضاها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جليس الدار حين دفع عن حقه في الخلافة.

ولم يكن تدمير الإمام عليه السلام كونه لم يتزعم الحكومة، فقد أعلن صراحة عن عدم إكترائه لهذا الأمر وأشار كراراً إلى أن هذه الخلافة لا تساوى عنده شيء إلا أن يقيم حقاً أو يدحض باطلاً، فهي مسؤولية إلهية وليست وسيلة للفخر والمباهاة، وإنما كان تدمره لأنه كان يشهد تنصل الأمة شيئاً فشيئاً عن الإسلام وابتعادها عن القيم وحياتها لسنن الجاهلية حتى حدث ما كان يخشى منه، فقد تسلم معاوية زمام أمور الدولة الإسلامية وأصبحت خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ملكية وراثية ليرثها من بعده ولده يزيد الذي ارتكب أفظع الجرائم والجنايات بحق المسلمين وتكشف عبارات الإمام عليه السلام عن مدى الدعايات الشديدة التي مارسها القائمين على شؤون الحكومة من جهة وتهديد الأمة وارعابها من جهة أخرى في إقصاءه عن حقه المسلم في الخلافة بحيث لم يكن معه من ينهض بالأمر سوى أهل بيته، فقد نقل المؤرخون عن الإمام عليه السلام أنه قال:

«لو وجدت أربعين ذوى عزم لقاتلت» [١١٠]

والذي يستوحى من عباراته عليه السلام أن

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٧٩

المتحمسين لغضب الخلافة لم يكونوا يتورعون حتى عن سفك دماء أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«فضننت بهم عن الموت»

؛ الأمر الذي يبدو عجباً ورهيباً للغاية، وإن كانت مثل هذه الأمور الأخلاقية ليست عجيبة في عالم السياسة والحكومة! كما يحتمل أن يكون أولئك المتعصبين للخلافة يتربصون الدوائر بذرية الإمام عليه السلام التي كانوا يرون أنها ستصدي للخلافة مستقبلاً، فهم يهمون بقتلهم لكي لا تبقى لأهل البيت من باقية تنهض بمسؤولية الخلافة.

أما السؤال عن مدى لوعة الإمام عليه السلام وشدة تلك الأيام التي كانت تمر عليه وهو جليس الدار، يتطلع بذهول لتلك الأفعال التي ارتكبت باسم الحكومة الإسلامية من قبيل تحريف العقائد والانحراف في فهم النصوص والأحكام الإسلامية وتضييع العدالة وبالتالي استبدال الحكومة الإسلامية بالملكية الوراثية كحكومة فرعون وقيصر وكسرى، فالإجابة عليه قد وردت في الخطبة الثانية والستين من نهج البلاغة التي قال فيها الإمام عليه السلام:

«أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيماً على المرسلين، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كن يلقى في روعى ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عنى من بعده! فما راعنى إلا أنيئال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام، وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا يتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب؛ فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهه»

فالإمام عليه السلام كان يشهد آنذاك مشكلتين خطيرتين؛ الأولى ذهاب حقه المسلم في الخلافة؛ الحق الذي أدى زواله إلى انحرافات عظيمة برزت على الساحة الإسلامية، والثانية تكمن في الخطر الذي كان محدقاً بالإسلام، والفرصة التي كان ينتظرها تيار النفاق من أجل الاجهاز عليه، فما كان منه عليه السلام إلا أن يعمل بالقاعدة المنطقية العقلانية والشرعية في تقديم الأهم على المهم عند التراجع، فسكت على مضض عن حقه في الخلافة حفاظاً على بيضة الإسلام.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٠

## ٢- هل بايع الإمام عليه السلام الخليفة الأول؟

كثر الكلام بين المؤرخين والمحدثين بشأن موقف الإمام على عليه السلام من خلافة الأول والبيعة التي تمت له في سقيفة بني ساعدة. وليس هنالك من اتفاق بين علماء الشيعة والسنة بهذا المجال، فقد صرح الشارح البحراني أن أغلب علماء الشيعة يعتقدون أن الإمام على عليه السلام امتنع عن مبايعة الخليفة الأول، وقد انضم إليه عدد من بني هاشم، إلا أنهم اضطروا آخر الأمر لبيعته بعد أن اجبروا عليها. وقيل أن أمير المؤمنين على عليه السلام لازم البيت ولم يخرج، فلما رأوا أنه وحيد تركوه ولم يحملوه على البيعة. أما محدثوا العامة فقد ذهبوا إلى أن الإمام عليه السلام قد امتنع عن البيعة ستة أشهر حتى توفت الزهراء عليها السلام فبايع طوعاً. وللمرحوم العلامة السيد شرف الدين صاحب المراجعات تحليل رائع بهذا الشأن، خلاصته أن الإمام عليه السلام أراد أن يؤكد حقه المسلم في الخلافة ونص النبي صلى الله عليه وآله بالوصية عليه من جانب، ومن جانب آخر أراد أن يفوت الفرصة على المنافقين - الذين كانوا يتربصون الدوائر بالإسلام ويرون السبيل قد تمهد أمام أطماعهم بالقضاء على الدين من خلال الاختلافات بين الأنصار والمهاجرين - فامتنع عن البيعة مدة (ليعلن عن حقه في الخلافة)، ثم بايع حفاظاً للإسلام ودرءاً لخطر المنافقين والمتربصين بالدين. [١١١] وقد وردت بعض العبارات التي تشير إلى هذا المعنى في الخطبة ٦٢ من نهج البلاغة

«... فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا يتكم...».

وستحدث إن شاء الله بما يناسب المقام حين شرحنا للخطب والرسائل المرتبطة بهذا البحث.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٨١

## القسم الثالث: المساومة السياسية المفوضه

### إشارة

ومنها:

«وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عِدَّتَهَا



فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى المساومة الفاضحة التي اشترطها عمرو بن العاص على معاوية كثمان للبيعة، فقال: «ولم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمناً»

. فقد ذكر المؤرخون: لما نزل على عليه السلام الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعو به إلى البيعة، أرسل فيه جرير بن عبدالله البجلي. فقدم عليه به الشام، فقرأه واغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وطاول جرير بالجواب عن الكتاب، حتى كلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان، فأجابوه ووثقوا له، وأحب الزيادة في الاستظهار، فاستشار بأخيه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعن بعمرو بن العاص فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشد اعتزالاً؛ إلماً أن يثمن له دينه فسيبيعك، فإنه صاحب دنيا. فكتب إليه معاوية «أما بعد، فانه كان من أمر على وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعته على، وقد حبست نفسي عليك، فأقبل إذا كرك أموراً لا تعدم صلاح مغبتها، إن شاء الله» - فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه: عبد الله بن عمرو ومحمد بن عمرو، فقال لهما: ما تريان؟ فقال عبدالله: قر في منزلك فلست مجعولاً خليفته، ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة. أما ولده نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٢

الآخر فقال: الحق بجماعة أهل الشام فلما دخل عمرو بن العاص الاشم، خاطبه معاوية قائلاً:

«يا أبا عبدالله أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصى المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم» [١١٢]. فقال له عمرو: من هو؟ قال: على. فقال عمرو بن العاص: «والله ما أنت وعلى بجملتي بعير ليس لك همجته ولا سابقته ولا - صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه». ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً؛ فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال معاوية: حكمك، فقال عمرو: مصر. فتلكأ عليه معاوية وقال: يا أبا عبدالله إنني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: دعني عنك. فأشار عليه عتبة بأن يجيب عمرو، فأجابه وأعطاه مصر. [١١٣] جدير بالذكر إن مصر كانت في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر، فكان لعظمها في نفسه وجلالته في صدره، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه. أضف إلى ذلك فقد ولاها أربع سنوات على عهد الخليفة الثاني، وأربع أخرى على عهد عثمان حتى عزله. ثم قال الإمام عليه السلام:

«فلا ظفرت يد المبايع، وخزيت أمانه المبتاع» [١١٤]

. فالواقع كلامه عليه السلام يتضمن الدعوة ضد المشتري والبائع. نعم صحيح أن معاوية قد وفي له بوعده وأعطاه مصر، إلا أنه لم يحكمها مدة طويلة بعد أن وافاه الأجل، إلى جانب ما نقل عنه أواخر عمره عن مدى خشيته من عاقبته ومصيره، فلم يذق طعم النصر الذي كان يحلم به. كما أن معاوية وإن وطد دعائم حكومته بهذا العمل إلا أنها آلت إلى الانهيار المخزي بعد أن انفرج عنه كافة الصحابة من المهاجرين والأنصار والأفراد المشهورين بحسن السمعة من أهل الورع والتقوى ولم يتمحور حوله سوى تلك التلة التي ورثت العداة للإسلام وسليلى زعماء الجاهلية، فكانوا أعوانه الذين يبطش بواسطتهم الناس ويجرعونهم أشبع غصص القتل والارعاب والتهديد والوعيد. كما يحتمل ألا تكون العبارة من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٣

قبيل الدعاء، بل هي جملة خبرية؛ أي أن بيع الدين بالدنيا لا يقود إلى النصر أبداً، بل ستكون الخسارة من نصيب البائع والمشتري؛ الأمر الذي أشارت إليه بعض الآيات القرآنية «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» [١١٥] والآية «أُولَئِكَ الَّذِينَ

اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» [١١٦]. وتعبير الإمام عليه السلام بالأمانة عن حكومة مصر وحقوق أهلها من المسلمين إشارة صريحة إلى أن حكومة الأئمة وإدارة شؤونها إنما هي أمانة إلهية لا بد أن ينهض بعينها الأخيار الصالحين بغية ضمان مصالح الأمة، وأما أولئك الذين يتخذون هذه الحكومة وسيلة لتحقيق مآربهم وأغراضهم الشخصية إنما يخونون هذه الأمانة الإلهية وهذا ما سيؤدي في آخر الأمر إلى فضيحتهم وزوال حكمهم.

ومن هنا صرح أغلب المفسرين بأن المصداق الوحيد أو المصداق البارز للأمانة الواردة في الآية الشريفة «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» [١١٧] إنما هي الحكومة والولاية. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بحث الأمة على الاستعداد والتأهب لمنازلة العدو

«فخذوا للحرب اهبتها» [١١٨]، وأعدوا لها عدتها فقد شب [١١٩] لظاها [١٢٠] وعلا سناها [١٢١]»

. فالعبارة تفيد أن الإمام عليه السلام قد اعتمد كافة الطرق السلمية من أجل وضع حد لذلك النفاق والعداء ولاسيما غدر أهل الشام وحكامهم إلا أن كل ذلك لم يجد نفعاً، فكان حجم التآمر والدسائس يزداد كل يوم، فما كان منه عليه السلام إلا أن أمر بالتأهب للقاء العدو؛ فقد شب لظي نيران الأعداء وتصاعدت ألسنتها، ولا بد من مواجهتها والعمل على اطفائها. كما يشير التأريخ الإسلامي إلى أن أعداء الإمام عليه السلام كانوا يسارعون للاستعداد للقتال وقد بعثوا بكتبهم ورسائلهم إلى طلحة والزبير. وأخيراً يختتم الإمام عليه السلام بالإشارة إلى الصبر بفضله أحد أهم مقومات النصر فقال «واستشعروا

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٤

الصبر فإنه أدعى إلى النصر». واستناداً إلى مفردة الاستشعار من مادة (ش ع ر) التي تعني الثياب الداخلية (في مقابل الدثار بمعنى الثياب الخارجية) يتضح أن الصبر والاستقامة لا بد أن تسود باطن الإنسان وتمد الإنسان بمعاني الصمود إزاء الحوادث المريرة.

## تأملات

### ١- السياسات الدنيوية لا تعترف بالأصول الأخلاقية

هناك عبارة ما انفكت الألسن ترددتها حتى صارت مثلاً، وهي قولهم «الملك عقيم» التي تفيد تنكر السياسة المادية - القائمة على أساس القيم الدنيوية والأنانية والأطماع الشخصية - حتى للقرابة بما فيها الزوجة والولد والوالدين والتضحية بها من أجل تحقيق أهدافها وأغراضها؛ ولا - غرو فالساسة لا يرون من قيمة تفوق حفظ مواقعهم، وعليه فمن الطبيعي أن يضحون بالغالي والنفيس ويضربون كل قيمة عرض الحائط من أجل حفظ مصالحهم.

وقوله عليه السلام:

«فضننت بهم عن الموت»

تشير إلى أن المتعطشين للخلافة كانوا مستعدين حتى لقتل أهل البيت من بني هاشم فيما لو استعان بهم الإمام عليه السلام ونهض بالأمر للمطالبة بحقه في الخلافة. والحديث النبوي المعروف

«حَبَّكَ لِلشَّيْءِ يعمى ويصم» [١٢٢]

لأصدق على الرغبة بالجاه والمقام منه على سائر الأمور، ونموذج ذلك ماورد في الخطبة التي نحن بصدددها. ويحفل التأريخ بسير أولئك الذين عبروا على كل شيء وسحقوه من أجل الظفر بأهدافهم في السلطة والرئاسة.

### ٢- باعة الدين بالدنيا!

تعرضنا إلى حد ما في البحث السابق إلى مسألة بيه الدين والقيم والمثل المعنوية بالمنافع المادية الرخيصة، ولمسنا نموذج ذلك في شخصية عمرو بن العاص الذي أشارت إليه الخطبة المذكورة، حيث صرحت بأنه ومن أجل حكومه مصر ولو لمدة قصيرة قد باع دينه وقيمه،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٥

وقد أعرب آخر عمره كما أورد ذلك المؤرخون عن مدى ندمه، ولكن حيث لم ينفج الندم وقد اغلقت كافة سبل العودة. القرآن الكريم من جانبه أشار إلى هذا الأمر بصفته أحد العوامل الرئيسية المؤدية إلى الانحراف ولاسيما بالنسبة للعلماء من عبدة الدنيا. ومن ذلك ما أورده القرآن بشأن فريقاً من علماء بنى اسرائيل - الذين كانوا يبشرون بظهور النبي قبيل انبثاق دعوته على ضوء العلم الذي كان لديهم والأخبار الواردة في كتبهم (التوراة والانجيل) إلماً أنهم حرفوا الكلم حين تعرضت بعض مصالحتهم المادية للخطر - فقد صرحت الآية ١٨٧ من سورة آل عمران قائلة:

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ».

فمن الواضح أن القرآن الكريم يذمهم من أجل أنهم حرصوا على متاع قليل، بل المراد أن المتاع المادي - وأن تضمن أرفع المقامات وأكثر الثروات - يبقى قليلاً مقارنة بالمتاع المعنوي «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» [١٢٣].

على العموم فإن كافة الأفراد الذين يقدمون طاعة المخلوق على طاعة الخالق ويؤثرون أطماعهم ومنافعهم على الآخرة ويضربون الأحكام الشرعية عرض الحائط ولا يكثرثون للحلال والحرام من أجل تحقيق أهوائهم الشخصية إنما هم في زمرة باعة الدين بالدنيا. ويقابلهم أولئك الأفراد الذين لا يرون في أعمالهم سوى رضى الله والتسليم لإرادته، وهؤلاء هم الذين وصفهم القرآن بحزب الله الذين لا يرون حتى في الأهل والقربة من عائق أمام رضى الله «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...» [١٢٤].

### ٣ - علاقة النصر بالثبات

إن كان النصر يقوم على عدة عوامل، فإن أحد أهم هذه العوامل هو الصبر، وتبدو الرابطة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٦

بين النصر والصبر على درجة من الوضوح بحيث إن الأدباء ومنذ قديم الزمان قد قرنوا الظفر بالصبر «من صبر ظفر». وقد أشار القرآن الكريم صراحة إلى هذه الحقيقة حتى اعتبر أن النصر حليف جند الإسلام مهما كان عدد وعدة العدو إذا ما تحلوا بالصبر والاستقامة «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا» [١٢٥]. وهذا هو السبب الذي يكمن وراء انتصار المسلمين في كافة الغزوات رغم عدم الموازنة والتفاوت الفاحش بين ما عليه الأعداء من عدة وعدد ومعدات وما عليه المسلمين، حيث كانوا يتحلون بالصبر النابع من إيمانهم بالله واليوم الآخر.

وهذا ما أكده الإمام عليه السلام في خطبته اذ قال:

«واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر»

. ولا يسعنا هنا إلا أن نكتفي بهذا المقدار ونوكل المزيد من الكلام إلى الأبحاث القادمة. أما المسألة الجديرة بالذكر فهي أن استشعار الصبر - بمعنى نفوذه إلى عمق النفس البشرية - أو دثاره - بمعنى التحلى به على مستوى الظاهر؛ الأمر الذي يدخل الرعب إلى قلوب الأعداء - إنما يقود إلى النصر وهزيمة العدو.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٧

## الخطبة السابعة والعشرون

## إشارة

ومن خطبة له عليه السلام وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا. وفيها يذكر فضل الجهاد ويستنهض الناس ويذكر علمه بالحرب ويلقى عليهم التبعة لعدم طاعته.

## سند الخطبة وزمانها ومكانها

## إشارة

قال ابن أبي الحديد هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام؛ قد ذكرها كثير من المحققين والمحدثين (غير المرحوم الشريف الرضى) ورواها أبو العباس المبرد في أول (الكامل) وأسقط من هذه الرواية ألفاظاً وزاد فيها ألفاظاً، وقال في أولها: إنه انتهى إلى علي عليه السلام أن خيلاً وردت الأنبار [١٢٦] لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسان بن حسان، فخرج مغضباً يجر رداءه، حتى أتى النخيلة، وأتبعه الناس، فرقى رباوة في الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله الذل وسيم الخسف» [١٢٧].

كما أوردها المرحوم الكليني في كتابه الكافي في بحث الجهاد. [١٢٨]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٨

ونقلها صاحب مصادر نهج البلاغة عن عشرة مصادر معروفة قبل المرحوم السيد الرضى ومنها: «البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والأخبار الطوال للدينوري والغارات للثقفى والعقد الفريد لابن عبد ربه والأغانى لأبى الفرج الأصفهاني...» [١٢٩] وعليه فإن الإمام عليه السلام قد أورد هذه الخطبة في النخيلة حين أخبر عليه السلام بهجوم سفیان بن عوف الغامدى - والذى عبّر عنه الإمام عليه السلام ب (أخو غامد) - على الأنبار وقتل عامله عليها حسان بن حسان وطائفة من المسلمين وقد نهبوا أموالهم وخرّبوا بيوتهم دون أن يواجهوا أدنى مقاومة ثم عادوا إلى الشام سالمين. فأما أخو غامد الذى وردت خيله الأنبار فهو سفیان بن عوف بن المغفل الغامدى؛ وغامد قبيلة من اليمن، وهى من الأزد، أزد شنوءة - واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد - وسمى غامداً لأنه كان بين قومه شر فأصلحه وتغمدهم بذلك. قال سفیان بن عوف الغامدى، قال: دعانى معاوية، فقال: إئتى باعثك فى جيش كثيف، ذى أداة وجلادة، فألزم جانب الفرات، حتى تمر بهيت فتقطعها، فان وجدت بها جنداً فأغر عليهم وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فان لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل فى المدائن؛ ثم أقبل إلى واتق أن تقرب الكوفة. واعلم انك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة؛ إن هذه الغارات يا سفیان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو الينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال، فإن حرب الأموال شبيهة بالقتل، وهو أوجع للقلب. قال: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية فى الناس فخطبهم، فقال: أيها الناس، اتدبوا مع سفیان بن عوف، فإنه وجه عظيم فيه أجر، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله - ثم نزل. قال: فوالذى لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجت فى ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات، فأغذذت السير حتى أمر بهيت، فبلغهم أنى قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب، كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمر بصند وداء، ففروا فلم ألق بها أحداً، فأمضى حتى أفتتح الأنبار،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٨٩

وقد نذروا بي، فخرج صاحب المسلحة إلى، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية. فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي عليه السلام؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة؛ ولا ندرى الذى يكون فيها، قد يكون مائتى رجل، فنزلت فكتبت أصحابى كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم، ويطاردهم ويطاردونه فى الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فملا حملت عليهم الخيل وأمامها ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان فى الأنبار من الأموال؛ ثم انصرفت، فو الله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسر للنفوس منها. وبلغنى والله أنها أرعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية، حدثته الحديث على وجهه، فقال: كنت عند ظنى بك، لا تنزل فى بلد من بلدانى إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره، وإن أحببت توليته وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دونى، قال فو الله ما لبثنا إلا يسيراً، حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الأبل هزاًباً من عسكر على عليه السلام. وكان اسم عامل على عليه السلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسان البكرى. قال ابراهيم بن عبد الله بن قيس كنت مع أشرس بن حسان البكرى بالأنبار على مسلحتها، إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتائب تلمع الأبصار منها، فهاولنا والله، وعلما إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا، وإيم الله لقد قاتلناهم فأحسننا قتالهم؛ حتى كرهونا، ثم نزل صاحبنا، وهو يتلو قوله تعالى: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا». ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله، ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية مادماً نقاتلهم، فان قاتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار، ثم نزل فى ثلاثين رجلاً، فهتمت بالنزول معه، ثم أبت نفسى، واستقدم هو وأصحابه، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله، وانصرفنا نحن منهزمين. [١٣٠]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٠

### نظرة إلى الخطبة

كما ذكرنا سابقاً فان هذه الخطبة- المعروفة بخطبة الجهاد- من أشهر خطب أمير المؤمنين عليه السلام التى تدور حول محور الجهاد. فقد استهل الخطبة بشرح أهمية الجهاد ومعطياته والعواقب الوخيمة التى تنتظر الأمة فى حالة تركه. ثم عرض باللوم لأهل الكوفة بعد أن تعرض لحملة «سفيان الغامدى» على مدينة الأنبار وشهادة «حسان بن حسان»- العامل الوفى والأمين لأمير المؤمنين عليه السلام على الأنبار- والجرائم التى ارتكبتها أهل الشام فى سلب الأموال وهدم البيوت- وفى القسم الثالث من الخطبة إلى ذم أهل العراق آنذاك ثانية والتعلل ببعض الامور بهدف التفاعس عن الجهاد- وأخيراً يختتم الإمام عليه السلام خطبته ببيان استعدادة التام لجهاد العدو وسوابقه المشرقة بهذا الخصوص وفى الختام فهى خطبة ذات تأثير بليغ فى نفوس السامعين، حتى قال الشارح المعروف ابن أبى الحديد بهذا المجال: واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثروا، وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام؛ فمن جيد ذلك ما قاله ابن بناتة الخطيب بشأن الجهاد

«.. فانَّ الجهاد أثبت قواعد الإيمان، وأوسع أبواب الرضوان، وأرفع درجات الجنان ..»

ثم أضاف: فانظر إليها وإلى خطبته عليه السلام بعين الانصاف، تجدها بالنسبة إليها كمخنث بالنسبة إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالاضافة إلى سيف من حديد. [١٣١]

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩١

القسم الأول: الجهاد باب من أبواب الجنة

## إشارة

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدَرَعُ اللَّهِ الْخَصِيئَةُ، وَجَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَجَلَهُ الْبَلَاءُ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيَمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصْفَ».

## الشرح والتفسير

لقد تعرضت الخطبة إلى فلسفة الجهاد وبركاته في عبارات قصيرة ذات عدة معانٍ، إلى جانب الآثار السيئة لترك الجهاد، فقد قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه

«أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة»

وبالطبع هناك عدة أسباب وردت في الأحاديث بصفتها «أبواب الجنة» التي تؤدي إلى نيل الرحمة والفوز بالرضوان والجنة يكمن أهمها في الجهاد، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«للجنة باب يقال له «باب الجهاد» يمضون إليه فاذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم» [١٣٢]

. ونعلم أن الجهاد في الإسلام على نوعين: جهاد العدو وجهاد النفس. وقد اصطلح على الأول بالجهاد الأصغر وعلى الثاني بالجهاد الأكبر، وكل منهما باب من أبواب الجنة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٢

ولا يتيسر لقاء الله دون الجهاد الأكبر كما تتعذر العزة والرفعة في الدنيا والآخرة دون الجهاد الأصغر. ثم قال عليه السلام «فتحه الله لخاصة أوليائه»

. صحيح أن جهاد العدو والنفس يعد وظيفة جميع المسلمين، إلا أن أولياء الله فقط الذين يسعهم خوض غمارهما حتى النهاية على أساس الاخلاص والنية الحسنة، بينما قد تكون نيات الآخرين مشوبة بالطمع ونيل الغنام أو الحصول على الحياة والمنصب والشهرة وبالتالي فهم لا يواصلون المسيرة إلى آخرها. فأولياء الله فقط الذين يقتحمون الميدان ويصبرون على الأذى في حركتهم الجهادية فيركعون كافة قوى الشر والظلام.

ونخلص مما سبق إلى عدم ورود الإشكال على الإمام عليه السلام في أنه خص باب الجهاد بخاصة أولياء الله بينما كتب على جميع المسلمين. كما نفهم من قوله عليه السلام أن من طوى مسيرة الجهاد الأصغر والأكبر فهو من خاصة أولياء الله سبحانه. ثم يصف عليه السلام الجهاد فيقول

«وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة»

ونعلم أن اللباس زينة للإنسان وجمال له من جانب، ومن جانب آخر فانه حافظ لبدنه من شدة الحرارة والبرودة التي تؤذيه فيما لو كان عرياناً، كما يشكل أساس عزة الأقوام والشعوب ودرعها من أنواع المخاطر والآفات؛ الأمر الذي أكده الإمام عليه السلام في عباراته اللاحقة.

وأخيراً فالجسد العاري عرضة لأنواع الأذى موصوفاً بالقبح والشناعة، وعليه فالأئمة التي تولى ظهرها للجهاد هي أئمة ذليلة مهددة بكافة عناصر الزوال والانهيار. أما علته إضافة اللباس للتقوى في العبارة فلعل ذلك يفيد تعذر حفظ أصول التقوى دون توفر الأمن، كما يتعذر الأمن دون الجهاد. كما يحتمل تفسيرها على أنها إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الأعراف التي عدت التقوى نعمته الهية بعد ذكر اللباس الظاهر «وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ».

وبناءً على هذا فالمراد هو أن لباس التقوى الذي ورد في القرآن إنما مصداقه الكامل هو الجهاد الذي يجعل المجتمع يعيش الأمن

والأمان على كافة المستويات [١٣٣] وهو مصدر الحسن والجمال.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٣

ثم شبه الإمام عليه السلام الجهاد بالدرع الحصينة والجنة الوثيقة، والوسيلتان من المعدات الدفاعية في القتال، حيث لم يكن من أمان لأولئك الذين يخوضون المعارك سابقاً ولم يتدعوا، وهذا هو حال الأمة التي تترك الجهاد فهي ضعيفة خاوية تجاه ضربات العدو. ولعل هذه العبارة تشير إلى حقيقة وهي أن الجهاد لا يراد به الهجوم على الآخرين ومن أجل التوسع والسيطرة ونهب الأموال والثروات وفرض الأفكار والعقائد، لأننا نؤمن بأن الإسلام والقرآن إنما يستند إلى منطق قوى يغنيه عن شهر السيف بوجه المقابل. وعليه فأنما شرع الجهاد من أجل حفظ المجتمع الإسلامي وإزالة الموانع التي تعترض أساليب التبليغ والقضاء على الموانع التي تحول دون حرية البيان.

أمّا الحروب المعاصرة فهي وإن نحت الدروع القديمة إلا أنها تعتمد اليوم الوسائل التي تفوقها في الدفاع من قبيل المدرعات والمصفحات والمواقع المحصنة، كما تلجأ إلى بعض الملابس الخاصة بغية مواجهة الهجمات الكيميائية بحيث لا تتأثر من قريب أو بعيد بخطر هذه الأسلحة.

جدير بالذكر أن ما ذكر بشأن تفسير عبارة الجهاد الأصغر (العدو الخارجي) يصدق تماماً على الجهاد الأكبر (جهاد النفس)؛ حيث لا طاقة للإنسان بهجمات الشيطان دون جهاده لنفسه. ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى الآثار السلبية التي يتمخض عنها ترك الجهاد ليوجزها في سبع نقاط، فقال:

«فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل»

وقوله عليه السلام (رغبة عنه) إشارة إلى استثناء الأفراد من هذا الحكم ممن يمتلكون الأعذار الموجهة التي لا تجعلهم قادرين على خوض الجهاد من قبيل العجز والمرض ونحو ذلك؛ الأمر الذي أكدته بعض الآيات القرآنية. [١٣٤] الأثر السلبي الثاني لترك الجهاد «وشمله البلاء» فمثل هذا الفرد أو الأمة إنما يعتكف في موضع أعزل يجعله عرضة لحملات الحيوانات المفترسة بحيث تدخل عليه دون أدنى مقاومة، والجهاد وحده هو الذي يشكل السد الحديدي إزاء مثل هذا البلاء فينأى بالإنسان بعيداً عن هذه الحيوانات. أما الأثر السلبي الثالث فقد أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله «وديث [١٣٥] بالصغار [١٣٦]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٤

والقماءة [١٣٧]» وكيف لا يعيش الذل والهوان والضعف من ضيع هذا السند العظيم؛ أي الجهاد.

وصحيح أن العبارتين قريبتان من بعضهما بالمعنى، إلا أن هناك فارقاً طفيفاً، حيث كان الكلام هناك عن الذلة وهنا عن الحقارة والضعف. فالمفهومان مختلفان إلا أنها من قبيل اللازم والمزوم. وأما المصيبة الأخرى التي تطيل تارك الجهاد فهي «وضرب على قلبه بالأسهاب» [١٣٨]

فالأفراد الضعفاء والعجزة والمهزومون إنما يعانون من الأوهام على الدوام فلا يسعهم تقييم الحقائق كما هي. فخشية العدو تجعلهم يعيشون في هالة من الخيالات المرعبة، أو أنهم يلجأون إلى بعض الخرافات من أجل تحقيق النصر كأن يتخلوا عن السيف والمقاومة ويلوذوا بالسحرة والكهنة.

وقد حفل التاريخ بنماذج حيية لمثل هؤلاء الأفراد، الذين لا يكشفون بذلك سوى عن ضعفهم وعجزهم، بينما يتنزه المجاهدون الشجعان عن مثل هذه السفاسف.

ثم ذكر الأثر السلبي الخامس بقوله عليه السلام

«وأدب [١٣٩] الحق منه بتضييع الجهاد»

، وذلك لأن الحق - كما ورد في المثل المعروف - يؤخذ ولا يعطى. فالطواغيت وأصحاب المنطق الغاشم والمستبدون لا يفوضون

الحق لأصحابه أبداً، ولا بد من التحلى بالقوة من أجل انتزاع الحق من براثن اولئك الطغاة؛ الأمر الذى نوه له الإمام عليه السلام فى الخطبة التاسعة والعشرين بقوله  
«لا يدرك الحق الا بالجد»

وأما الأثر السلبي السادس «وسيم الخسف» وبالالتفات إلى اطلاق الخسف والخسوف على زوال نور القمر والاختفاء فى الأرض، وان «سيم» من مادة «سوم» بمعنى الحركة إثر شىء فان مفهوم الجملة سيكون: أن تاركى الجهاد فى الواقع إنما يسيرون باتجاه الزوال والانقراض؛ الأمر الذى لاحظناه بوضوح فى الأمم والبلدان التى آلت إلى السقوط والانهيار إثر تقاعسها عن الجهاد. [١٤٠]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٥

ثم قال عليه السلام فى إطار ذكره للأثر السلبي السابع

«ومنع النصف» [١٤١]

ودليل ذلك واضح؛ لأن أتباع العدالة عادة ما يشكلون الأقلية، ولو لم يكونوا كذلك كميّة فهم أقلية من حيث الكيفية والقدرة. ومن هنا فان أصحاب السطوة يندفعون بكل ما اتوا من قوة لهضم حقوق الشعوب المظلومة ويسعون لمضاعفة ثرائهم وأموالهم. وليس لهذه الشعوب من وسيلة لاستعادة حقوقها وخلصها من براثن الظلم والاضطهاد وتحقيق العدالة الاجتماعية سوى فى خوض غمار الجهاد. وهنا تكمن أهمية العبارات التى أوردها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بشأن الجهاد وفلسفته ومعطياته الايجابية والسلبية فيما لو تخلت عنه الشعوب والامم.

كما يتضح ممّا أوردنا أن الجهاد لم يندب بفعل الثواب المعنوى المترتب عليه، بل بسبب الآثار والمعطيات الكبيرة التى يفضى إليها فى هذه الحياة الدنياوية. فهل هناك من يطلب الذل والهوان ويرضى بغضب الحقوق وتضييعها وبالتالي يحث الخطى نحو الزوال والفساد؟! فان كان الجواب بالسلب، كان علينا أن نشدد حيازيمنا ونهب لخوض الجهاد والتحلى بالصبر والاستقامة من أجل درك معطياته العظيمة فى الدنيا والآخرة وتحمل كافة الآلام والمصاعب كاحتمال المريض لمرارة الدواء من أجل التماثل للعافية والشفاء.

## تأملان

### ١- الجهاد سر رفعة الشعوب وعزتها

كثر الكلام بشأن الجهاد، ولدينا المزيد من الكلام بهذا الخصوص طالما توالى خطبه عليه السلام فى نهج البلاغة فى الحديث عن هذه المسألة.

أما الشىء المهم الذى نود التطرق إليه بصفته مبدأ حيويًا هو أن الجهاد قانون الحياة الذى يمنحها الدوام والبقاء وأن الإنسان وكل كائن ينبض بالحياة مازال مقبلاً على الجهاد وبخلافه

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٦

يبدأ عده العكسى فى الموت والفساد. فالنبات يواجه عدة آفات يسعى للتغلب عليها من أجل البقاء حياً، وجذور الأشجار هى الاخرى تغوص فى أعماق الأرض من أجل امتصاص الماء والأملاح فاذا ما اعترضت بعض الموانع كالصخور سعت لاختراقها ومواصلة تغلغلها فى أعماق التربة وإن عجزت عن ذلك فتشت عن طريق آخر واستمرت فى مسيرتها. وهكذا الحال بالنسبة للحشرات والحيوانات التى تواجه الأخطار التى تهدد كيانها باستمرار فتبدي مقاومتها من أجل مواصلة حياتها. فهناك بعض الطيور التى تهاجر إلى مسافات شاسعة قد تنطلق من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى مقاومة كافة الظروف المحيطة بغية مواصلة حياتها. أما الإنسان فيعيش حركة جهادية مريرة على مستوى أعضائه الداخلية ودورته الدموية، فالجنود التى تدافع عن البدن- والتى يصطلح عليها بكريات الدم البيض-



طيلة عمر الإنسان إنما تتصدى ببسالة لكافة الأعداء المتمثلين بالمكروبات والفايروسات التي تحاول اختراق بدن الإنسان عن طريق الماء والغذاء والهواء والشقوق التي تحدث في الجلد.

وقد الهمت هذه الكريات سبل الصمود بوجه كافة الأسلحة الكيميائية والفيزيائية بحيث تبيدها وتبقى على البدن سالمًا صحيحًا. فإذا ضعفت هذه الجنود لأي سبب من الأسباب وتفاعست في وظيفتها هجمت جميع الأمراض على الإنسان، وما المرض الخطير الذي يطلق عليه «الايديز» إلّا نتيجة طبيعية لاختلال عمل هذه الكريات وتوقفها عن العمل، ومن هنا فإنّ المصابين بهذا المرض الخطير إنما يكونون عرضةً للإصابة بأخطر الأمراض. وزبدة الكلام فإنّ الجهاد رمز الحياة وسر السعادة والسبب الرئيسي للنصر والغلبة وعامل الرفعة والعزة، لكن ليس ذلك سوى الجهاد من أجل تحقيق الحق والعدل وإلّا فليس ذلك سوى الجريمة والظلم والعدوان.

ومن هنا تظافرت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية بما فيها الخطبة المذكورة التي أكدت على قضية الجهاد بما لم تول مثل هذه الأهمية لغيره من المفاهيم، ولا سيما الجهاد بالمعنى الأشمل الذي يتضمن الوقوف بوجه العدو الخارجي والداخلي. فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«من ترك الجهاد ألبسه الله ذلًا في نفسه وقرأ في معيشته

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٩٧

ومحقًا في دينه» [١٤٢]

ويستفاد من هذا الحديث أن ترك الجهاد إنما يهدد بالخطر الحياة المعنوية للإنسان فضلًا عن حياته المادية. وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إغزوا تورثوا أبنائكم مجداً» [١٤٣]

كما ورد عن أمير المؤمنين على عليه السلام في قصار حكمه في نهج البلاغة ضمن إطار بيانه لفلسفة الأحكام الشرعية فقال:

«والجهاد عزاً للإسلام» [١٤٤]

. وأخيراً فهناك عدة خطب شحن بها نهج البلاغة بشأن الجهاد سنعرض لها في الأبحاث القادمة.

## ٢- هل الجهاد الإسلامي دفاعي فقط؟!

منذ سنوات وقد شغل هذا السؤال أذهان الأوساط الإسلامية بما فيها العلماء، فقد ذهبت طائفة إلى أنّ كافة غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله كانت دفاعية حذراً من اتهام الإسلام من أنّه قد انتشر بالسيف ورهبة السلاح! أو بعبارة أخرى خشية اتهام الإسلام بالروح السلطوية والفتوحات العسكرية. وبالمقابل هناك طائفة أخرى ترى أنّ الغزوات الإسلامية على قسمين؛ بعضها هجومية وبعضها دفاعية، وترى أنّ هذين القسمين حق ثابت للمسلمين اليوم، وتعتقد أنّ الإسلام موظف بتحرير المسلمين الذين يرزحون تحت نير السلطات الظالمة؛ الأمر الذي يدخل ضمن الجهاد الهجومي، كما ترى أنّ الإسلام مكلف بتمهيد السبيل أمام ممارسة الاعلام المنطقي وإزالة كافة العوائق التي تعترض هذا السبيل ولو اضطر للجوء للقوة وهذا نوع آخر من الجهاد الهجومي. كما هنالك رأى ثالث يقول أنّ طبيعة القتال في الإسلام هي طبيعة دفاعية، إلّا أنّ المسائل الدفاعية قد تجعل الهجوم ضرورة. مثلاً الدفاع عن المظلومين، أو بعبارة أخرى التدخل الإنساني وإن كان يبدو ظاهرياً هجوماً إلّا أنّه في

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٩٨

الواقع دفاع عن قوم يرزحون تحت الظلم والاضطهاد، وعليه فالدفاع عنهم ضروري بالنسبة لكافة الأفراد من أهل الإيمان. والهجوم بالمعنى الثاني - يعنى تمهيد السبيل أمام حرية الاعلام المنطقي وممارسة التبليغات - هو الآخر دفاع تجاه بعض الموانع، فإنّ الإسلام يأذن بقتال العدو إذا ما خلق بعض الموانع والعراقيل.

أما العبارات التي وردت في بداية هذه الخطبة إنما هي دليل واضح على دفاعية طبيعة الجهاد؛ فقد شبه في موضع باللباس وفي آخر بالدرع وفي ثالث بالجنه، ونعلم بأن جميع هذه الامور من قبيل الوسائل الدفاعية. وأما العبارات القادمة فقد تضمنت إشارات إلى الهجوم الذي يختزن بعداً دفاعياً، ومن ذلك قوله عليه السلام:

«قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم»

. ويمكن أن يكون هناك استثناء واحد لهذا القانون الكلي وهو الجهاد والقتال من أجل إزالة الصنمية والوثنية؛ وذلك لأن الإسلام يرى في الوثنية أكبر خطر يهدد المجتمع البشري من الناحية المعنوية والمادية، فيصرح بالجهاد من أجل القضاء على الوثنية في حالة عدم جدوى التبليغ.

لاشك أن بعض الطغاة والجبابرة سيستغلون مسألة الدفاع عن المظلومين أو مواجهة الانحطاط الفكري والثقافي كوسيلة للتغطية على أهدافهم العدوانية والتوسعية، إلا أن ذلك لا يحد من قيمة هذه المفاهيم أبداً. فاستغلال هذه المفاهيم المقدسة ليس بالشىء الجديد. وللوقوف على أهداف الجهاد في الإسلام يمكن مراجعة المجلد الثاني من تفسير الأمل، الآية ١٩٣ من سورة البقرة.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٩٩

## القسم الثاني: الموت كمدأ

### إشارة

«ألا- وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ومليكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحتها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعتهما، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترجام ثم انصيرفوا وافريرين ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً».

الشرح والتفسير

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من تلك المقدمة المقتضبة، تطرق إلى نموذج بارز من الافرازات المشؤومة لترك الجهاد فقال عليه السلام:

«ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم»

يذكر الإمام عليه السلام بأنه أشار إلى طبيعة هؤلاء الظلمة المردة الذين ينطون على الروح العدائية التي تبرز على السطح إذا ما سنحت الفرصة فلا يتورعون عن قتل الأبرياء وسبى النساء ونهب الأموال والثروات، وعليه فان العقل والشرع يجيز الوقوف بوجه هؤلاء الطغاة وقبر مؤامراتهم في مهدها وكسر شوكتهم

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٠

وإخماد فتنهم قبل أن يتأهبوا للقتال والعدوان.

ثم يعرض عليه السلام الدليل على ما أورده فقال:

«فوالله ما غزى قوم في عقر[١٤٥] دارهم إلا ذلولاً»

. ومن الواضح أن من يتعرض للهجوم في عقر داره إنما يفقد معنوياته ويشعر بالهزيمة والفشل في نهاية الأمر من جانب آخر فإن

المهاجم الذى يتعرض إلى قوم فى عقر دارهم لا يفكر أبداً فى حفظ حرمة الدار، بل يدمر كل شىء فيها، أضف إلى ذلك فان مثل هذه الدار تصبح مسرحاً للقتال؛ الأمر الذى يؤدي إلى سفك دماء من فيها بما فيهم الصبية والنساء، وعليه فان مثل هذه الامور تشكل بمجموعها العناصر التى تؤدي إلى هزيمة القوم الذين يتعرضون للهجوم فى عقر دارهم. ومن هنا ورد التأكيد على المقاتلين فى كافة الغزوات الإسلامية (باستثناء بعض الغزوات والمعارك التى اكتنفتها بعض الظروف والملابسات كمعركة الأحزاب) بترك المدن والتصدي للأعداء خارجها. ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة

«فتواكلتم [١٤٦] وتخاذلتم حتى شنت [١٤٧] عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان»

. التواكل يعنى إيكال كل فرد عمله إلى آخر، بعبارة اخرى هو تخلى الفرد عن مسؤوليته والقائها على عاتق الآخرين بحيث تخلو الساحة. والتخاذل يعنى عدم مد يد العون إلى الآخرين، بما يؤدي فى خاتمة المطاف إلى تصدع عرى الاتحاد، بحيث لا يشعر العدو بأى رادع أو مانع يحول دون شنه لهجماته، وهذه أحد أشبع الصفات التى تسود المجتمعات البشرية بحيث يتقاعس كل فرد عن مسؤوليته ويقلدها ربة الآخرين وينهمك كل فى شؤونه الشخصية دون أن يوفر الدعم والإسناد لأخيه إذا ما تعرض لحملات الأعداء المسعورة، فلا يؤدي ذلك سوى إلى تلك النتيجة التى خلص إليها الإمام عليه السلام فى أن العدو سيرى الميدان مفتوحاً أمامه فيشن حملاته- لتسقط المدينة تلو الأخرى دون أن يجابه بأدنى مقاومة. ثم يستشهد الإمام عليه السلام بمثال حى متطرقاً إلى واقعه الغامدى فيقول:

«وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكرى وأزال خيلكم عن

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠١

مسالحتها»

. ويبدو أن الأنبار كانت منطقة حدودية عراقية متاخمة للشام، لأن مسالحة جمع مسلحة تعنى الحدود والثغور- وذلك لأن الأسلحة تجمع هناك لتستخدم فى الدفاع عن الحدود- وقوله عليه السلام:

«أزال خيلكم عن مسالحتها»

تفيد اجتياز الحدود لهذه الحدود دون مقاومة وقد مر علينا شرح ذلك. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى الجنايات التى ارتكبتها الغامدى بحق أهل الأنبار من المسلمين والمجاهدين من أهل الكتاب الذين ينبغى الدفاع عنهم من قبل الدولة الإسلامية، فقال عليه السلام:

«ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها [١٤٨] وقلبها [١٤٩] وقتلها [١٥٠] ورعتها [١٥١] ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام»

، فالإمام عليه السلام أشار بوضوح إلى أن أحداً من المسلمين لم يهب للدفاع عن هذه النسوة المسلمات أو تلك المعاهدات. أما الاسترجاع فقد فسره بعض شراح نهج البلاغة بالبكاء المصحوب بالعويل فى حين فسره البعض الآخر بكلمة «إنا لله وإنا إليه راجعون» التى تقال عادة عند النوائب والشدائد التى يتعرض لها الإنسان. ثم قال عليه السلام

«ثم انصرفوا وافرین مانال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم»

آنذاك يخلص عليه السلام إلى هذه النتيجة

«فلو أن أمراً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»

فقد كشف الإمام عليه السلام عن عمق اللوعة التى كانت تعتلج فى صدره مستغرباً ما حدث، كيف يضعف المسلمون إلى هذه الدرجة ولا تهتبر لهم قسبة تجاه هذه الحملات المروعة التى أهلكت الحرث والنسل وقد طالت الأموال والأنفس والأعراض، وقد رجع المهاجمون غانمين سالمين دون أن يتكبدوا أية خسارة! أجل لا يسع المسلم الغيور تحمل مثل هذه الحادثة المأساوية قط، بل لو مات كمداً من جرائمها لما كانت عليه من لائمة. والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام لم يفرق بين المرأة المسلمة والمعاهدة لما تعرضت له

من انتهاك الحرمة والتطاول على حليها ووسائلها، كما يكشف عن مدى ضرورة التزام الدولة الإسلامية بالدفاع عن حقوق الأقليات الدينية التي تعيش ضمن المجتمع الإسلامي، مع ذلك فإن غرض الإمام عليه السلام كان يكمن في تصوير عمق

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٢

الفاجعة المأساوية. وبالطبع فإن هذا الكلام لا يختص بزمان دون آخر، كما لا يقتصر على هجوم جيش معاوية على الأنبار، بل يتضمن قاعدة كلية يجب أن تسود الحياة الإسلامية على الدوام. وكأني بالإمام عليه السلام قد خاطب بهذه العبارات كافة المسلمين الذين يتعرضون اليوم لأبشع هجمات الشرق والغرب التي تنوى السيطرة على أموالهم وثوراتهم ومسخ قيمهم وضرورة التصدي لهم والدفاع عن حياض بلدانهم، بحيث لو مات أحدهم غصه وكمداً لما يرتكبه العدو الطامع من جرائم وجنایات لما كان ملوماً بل كان جديراً.

## تأملات

### ١- معادلات الهزيمة والانتصار

لقد أشار الإمام عليه السلام من خلال بصيرته الثاقبة وروحه السامية وخبرته الوافية في ميادين الحرب والقتال إلى العناصر المهمة التي تقف وراء الهزيمة والانتصار والتي ينبغي أن يجعلها المسلمون نصب أعينهم من أجل دحر الأعداء والحفاظ على بيضة الإسلام. فقد تطرق الإمام عليه السلام إلى أخلاء الساحة أمام العدو ومنحه الفرصة بشن هجماته بفضلها تشكل أحد عوامل الفشل والانهزام؛ الأمر الذي لا يختلف عليه إثنان وقد خضنا في تفاصيله سابقاً.

العامل الآخر التواكل (بمعنى وكل كل الأمر إلى صاحبه، أي لم يتوله أحد بل أحاله كل على الآخر). فلو قام كل فرد في المجتمع بوظيفته ولم يحمل الآخرين مسؤولية أعماله لما كان هناك من مجال للفشل والهزيمة، بينما ليس هنالك من سبيل للهروب من الفشل والهزيمة المنكرة أمام العدو إذا ما تخلى كل فرد عن مسؤولياته ووظائفه وأكلها إلى الآخرين من أفراد المجتمع.

العامل الثالث التخاذل بمعنى ترك الآخرين ومشاكلهم دون معاونتهم ومساعدتهم، فإذا تعرضت منطقة إلى غارة أو غزوة لم تنجدها سائر المناطق. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في الخطبة ١٦٦

«أيا الناس! لو لم تتخاذلوا عن نصره الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوى عليكم».

### ٢- حماية الأقليات الدينية

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٣

لعل البعض يتصور أن قضية احترام الأقليات الدينية التي تعيش في كنف الإسلام وتكفل بحفظ أموالها وأرواحها إنما هي شعار لا يرقى إلى العمل والتطبيق، إلّا أنّ أدنى نظرة إلى الفقه الإسلامي في كيفية تعامله مع أهل الذمة وكلمات المعصومين عليهم السلام بما فيها كلام الإمام عليه السلام في هذه الخطبة، تكشف بجلاء أنّ الإسلام يرى نفسه السند والدعم الحقيقي لهم ما دامهم لم ينقضوا العهود ويشهروا السلاح ضد الإسلام والمسلمين، وعليه فأموالهم وأرواحهم محترمة ومحفوظة. فقد أعرب الإمام عليه السلام في هذه الخطبة عن بالغ حزنه وأسفه لما تعرضت له المرأة اليهودية أو النصرانية التي تعيش كمواطنة في المجتمع الإسلامي ولم يفرق بينها وبين المرأة المسلمة قط، ثم ذم أهل العراق ووبخهم على ما أبدوه من ضعف وعجز حيال العدو وعدم الدفاع عن هذه النساء.

### ٣- الغيرة الدينية

المراد بالغيرة الدينية الحساسة تجاه أى خروج عن مسار الحق والعدل وتجاهل الأحكام الشرعية والتعامل بشدة وصرامة مع هذه الحالة بما يتناسب وحجمها والابتعاد عن اللامبالاة، ويفتقر لهذه الغيرة كل من تعامل ببرود مع هذه الامور ولم يد أي حساسية تجاهها. وقد صرح القرآن الكريم بخصوص بعض المقاتلين المؤمنين الذين لا يمتلكون المعدات التي تؤهلهم للاشتراك في المعارك قائلاً «وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» [١٥٢]. فالآية تشير إلى مسألة تجعل الأفراد الذين لا يمتلكون الوسائل المطلوبة في القتال وتحول دون التحاقهم بصفوف المقاتلين يتحولون إلى دموع غزيرة؛ القضية لا يمكن تفسيرها سوى بالغيرة الدينية. وقد أشارت الخطبة إلى أحد مظاهر هذه الغيرة، حين قال عليه السلام: «فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»

. فالغيرة تشكل أحد العوامل المهمة من أجل الدفاع عن حريم القوانين الإسلامية وإحياء الأمر بالمعروف

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٤

والنهي عن المنكر. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن بعض أصحابه قال: إن الله بعث ملكين إلى أهل المدينة ليقلباها على أهلها فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرع إليه، فقال أحدهما للآخر: أما ترى هذا الداعي فقال: قد رأيت ولكن أمضى لما أمرني به ربي فقال:

ولكني لا أحدث شيئاً حتى أرجع إلى ربي، فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب إنى إنتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع إليك فقال: إمض لما أمرتك فان ذلك رجل لم يتغير وجهه غضباً لى قط. [١٥٣]

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٥

### القسم الثالث: الاجتماع على الباطل والفرقة عن الحق

#### إشارة

«فَيَا عَجَبًا! عَجَبًا- وَاللَّهِ- يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فُقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا، حِينَ صِرْتُمْ عَرَضًا يُزْمَى: يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ وَتُغَزَّوْنَ، وَلَا تُغَزَّوْنَ وَيُعَصِّى اللَّهُ وَتَرْضُونَ فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَيْدِهِ حِمَارُهُ الْقَيْظُ؛ أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ. وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: «هَيْدِهِ صِبَارَةُ الْقُرِّ أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْبُرْدُ! كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ؛ فَأَنْتُمْ- وَاللَّهِ- مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ!».

الشرح والتفسير

يتناول الإمام عليه السلام بالتحليل العوامل الاخرى لتقهقر أهل الكوفة وتراجعهم إلى جانب ذمهم ولومهم، بما يوقظ ضمائرهم ويدفع بهم باتجاه الصمود بوجه العدو والحوول دون تسله إلى البلاد، فقد قال عليه السلام

«فيا عجباً [١٥٤] عجباً- والله- يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم»

. إنما يكون التعجب والاندعاش حيث الامور التي تخرج عن المسار الطبيعي أو تكتنفها العوامل المجهولة أو غير المألوفة؛ الأمر الذى يطالب أنصار الحق ويوازن من إيمانهم القوى بالدفاع والصمود والمقاومة، بينما يقف أتباع الباطل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٦

مكتوفى الأيدي وعدم الدفاع عن الحق لافتقارهم للدوافع التي تؤدي إلى ذلك الدفاع، ومن هنا فاذا شوهذ أصحاب الحق يعيشون الفرقة والاختلاف وضعف الإرادة، بينما تحكم الوحدة والأخاء أتباع الباطل، فان ذلك مدعاة للذهول والعجب. فإمام أهل العراق هو

على بن أبى طالب عليه السلام الذى نص رسول الله صلى الله عليه وآله على ولايته إلى جانب مبايعته من قبل أهل المدينة ومكة من المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين من المناطق الإسلامية، كما كانت دلائل أحقيته من زهد وعلم وفضيلة وعدالة واضحة للجميع، بينما كان إمام الشام معاوية المعروف بطغواه ووجه للجاه والمنصب وسوابقه المشينة فى الإسلام والجاهلية التى لم تكن خافية على أحد، أفليس من العجب أن يهب أهل الشام لنصرة باطلهم ويقفون بوجه الحق، وينفرج أهل الحق عن الإمام عليه السلام فينقضون ميثاقهم وينكثون بيعتهم؟! ومن هنا اشتد استياء الإمام عليه السلام عليهم فجعل يذمهم ويلومهم، بعد أن جعلوا أنفسهم فى هذه الحالة المزرية

«فقبحاً لكم وترحاً [١٥٥] حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون»

. فالواقع يوجز الإمام عليه السلام ما يدعوه لدمهم فى أمر واحد يكمن فى الضعف والتواكل والخذلان إلى الحد الذى يمنح الأعداء الجراءة فى شن الحملات تلو الحملات والغارات تلو الغارات فيسفكون دماء الأبرياء، وليس لهؤلاء من ردود فعل سوى الصمت والسكوت تجاه هذه المجازر المروعة!

ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى دليل آخر دعاه لدم هؤلاء والذى أدى بهم إلى ذلك الضعف والذى يكمن فى التعلل بحر الجو وبرودته التى لا تلعب دوراً فى القتال، فقال عليه السلام:

«فاذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحر قلتم هذه حمارة [١٥٦] القيظ [١٥٧]؛ أمهلنا يسبخ [١٥٨] عنا الحر. وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء، قلتم: هذه صبارة [١٥٩] القر، أمهلنا ينسلخ [١٦٠] عنا البرد؛ كل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٧

هذا فراراً من الحر والقر [١٦١]، فاذا كنتم من الحر تفرون، فأنتم - والله - من السيف أفر!».

وكان الميدان لا يصلح للقتال إلأى أيام الربيع وفى ظل الأرض المخضرة والحشائش النظرة والطيور المغردة والمياه المتدفقة، فيدحر الجند أعدائهم بعضاً سحرياً دون الحاجة إلى العدة والعدد.

وكان هؤلاء الجهال قد تناسوا تأريخ الإسلام رغم عدم مرور فترة عليه بحيث زحف النبى صلى الله عليه وآله بصحبه من المدينة إلى تبوك بعد أن قطعوا تلك المسافة الشاسعة خلال الصحراء الجرداء وفى ظل حرارة الشمس المحرقة على تلك الرمضاء ولم يكن لديهم ما يكفى من الماء والغذاء، وهكذا تحملوا سائر الصعاب والمعضلات فى الحروب والغزوات ليقفوا كالليوث أمام الأعداء من خصوم الدعوة، ولو كانوا يأتون ما أتى جيش الكوفة ويتعللون بما تعللوا به لما نمت شجرة الإسلام ولا اخضر لها عوداً، بل لم يكتب النصر لأى جيش فى العالم حين يعيش الجنود حالة من الضعف والوهن والجبن، ولم يكن نصيبهم سوى الفشل والهزيمة والذلة والهوان. والواقع أن كلام هؤلاء يشبه ما قاله الكفار والمنافقون من قبل فى صدر الإسلام «لا تنفروا فى الحر» فرد عليهم القرآن بالقول «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» [١٦٢].

فأهل الكوفة كانوا يريدون بهذه الأعذار الواهية التهرب من مواجهة العدو وقتاله، حيث تسرب إليهم النفاق بفعل ضعف ايمانهم بمبادئ الإسلام وإمامهم على بن أبى طالب عليه السلام.

على كل حال فإن المجاهدين الحقيقيين الذين يقتحمون الميدان ويخوضون غمار الجهاد ويسطرون الانتصارات إنما هم اولئك الذين لا يبالون بمصاعب الطقس والمناخ ولا يكثرثون إلى مشاكل الطريق وتحمل العناء فى هذا المجال، ومما لا شك فيه ان العدو اذا شعر بأن خصمه يتحفظ عن القتال بسبب بعض المشاكل الطبيعية من قبيل حرارة الجو وبرودته فإنه سيستغل هذا الأمر كمنقطة ضعف ويوظفها لصالحه بشن الحرب أملاً بتحقيق الانتصار.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٨

إن أدنى نظرة إلى كلام أمير المؤمنين على عليه السلام في هذه الخطبة تثير السؤال التالي: لم كل هذا الذم من الإمام عليه السلام لأهل الكوفة حتى خاطبهم لاحقاً

«لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفه والله جرت ندماً وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجر عتموني نغب التهام أنفاساً، وأفسدتم على رأبي...»

. ولعل أدنى نظرة إلى تاريخ الكوفة وأهلها ونقض الموثيق ونكث البيعة والنفاق والضعف والوهن الذي سادها تفسر لنا فلسفة هذا الذم القاسى والشديد. وكأن الإمام عليه السلام سلك السبيل الأخير الذي من شأنه علاج مرضهم العضال حيث لم تعد لهم حساسية تجاه أى شىء، فقد لجأ الإمام عليه السلام إلى هذا الأسلوب لعله يثير ما تبقى لديهم من مشاعر وأحاسيس تجاه عدوهم، وقد أثبتت الدراسات أن هذا الأسلوب عملي جداً تجاه بعض الأفراد من الناحية النفسية. فهذه الكلمات فى الواقع تشير إلى مدى اليأس من تلك العناصر الضعيفة الهزيلة التى لم تجد معها النصائح والمواعظ أية فائدة.

بل الأعجب من ذلك أن كل هذه الكلمات اللاذعة لم تتمكن من إثارة يقظة وجدانهم، بحيث لم يلتحق به إلا النفر القليل حين تجهز للقاء الأعداء، مما اضطره إلى دعوة أولئك الأفراد الذين كانوا يقطنون القرى والمناطق المتاخمة لأطراف الفرات ويعبئها للقاء العدو. ولعل حالة أهل الكوفة تشبه إلى حد بعيد تلك الحالة التى سادت بنى اسرائيل حين حرضهم نبيهم موسى عليه السلام على قتال عدوهم وتحرير بيت المقدس، فقد ردوا عليه بالقول: «قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون... فاذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون» [١٦٣]

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٠٩

## القسم الرابع: إدماء القلب

### إشارة

«يا أشباه الرجال ولا رجال! حُلومُ الأطفال، وعقولُ ربّاتِ الحجال! لوددتُ أني لم أركم ولم أعرفكم معرفه- والله- جرّث ندماً، وأعقبتُ سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرّعتُموني نغب التهام أنفاساً، وأفسدتم على رأبي بالعضيان والجدلان حتى لقد قرّيتن: إن ابن أبي طالب رجلٌ شجاعٌ ولكن لا علم له بالحزب. لله أبوهن! وهل أحدٌ منهن أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد درّفت على السنين ولكن لا رأى لمن لا يطاع!».

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام خطبته بصب جام غضبه على أولئك الأفراد الضعاف الذين تواكلوا وتقاعسوا عن إداء وظائفهم على يثير حفيظتهم فيلتمتوا إلى عظم المخاطر التى كانت تتربص بهم، ولاسيما أهل الشام الذين كانوا يشنون عليهم الغارات تلو الغارات دون أن يتورعوا عن سفك دمائهم وانتهاك حرمتهم وسلب أموالهم، حيث بالغ عليه السلام هذه المرة فى ذمهم فخاطبهم قائلاً:

«يا أشباه الرجال ولا رجال»

يامن يعيشون آمال الأطفال فيسرع فيهم الخداع

«حلولم [١٦٤] الأطفال»

ويامن يحملون عقول ربّات الحجال من العرائس اللائى لا يفكرن سوى برغد العيش ووسائل الزينه

«وعقول ربّات [١٦٥] الحجال [١٦٦]»

فقد وبخهم الإمام عليه السلام في العبارة

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٠

الأولى بعدم امتلاكهم الشجاعة والحمية والغيرة والمروءة والرجولة التي كانوا يتمتعون بها ظاهرياً ولم يكن لهم من معانيها شيئاً على مستوى العمل. ثم اندفع في ذمهم أكثر ليخاطبهم بقوله:

«لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً وأعقت سدماً»

. فالتأريخ يشهد بأن ثمره علاقة أهل الكوفة والعراق بالإمام عليه السلام طيلة فترة خلافته لم تكن سوى الهم والغم الذي تمخض عن ضعفهم ونقضهم العهود وتفرقهم عن الحق وتلبسهم بالنفاق والرياء، فكان من الطبيعي أن يتمنى الإمام عليه السلام عدم رؤيتهم والتعرف عليهم، حتى دعا عليهم

«قاتلكم الله ١٦٧» فقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدرى غيظاً وقد جرعت مني الهموم غصه بعد غصه، فجعلتموني غرضاً لسهام الأعداء، حتى ذهبت بهم المذاهب أني رجل شجاع، بينما ليست لي من دراية بالحرب «قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدرى غيظاً وجرعتموني نغب ١٦٨» التهمام ١٦٩» أنفاساً، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب»

. عادة ما تعزى الامم والشعوب ضعفها وتخلفها وفشلها إلى قلة تدبير زعمائها، بينما قد تكون القضية بالعكس؛ أي أن الزعيم شخصية كفاءة بينما تعيش الأمية حالة من التخلف الفكري والثقافي والاجتماعي؛ الأمر الذي يعتبر مأساة حقيقية بالنسبة للزعيم والقائد الناجح الذي يتولى بمثل هذه الجماعة المسلوقة الإرادة، ومما يؤسف له أن مسؤولية النتائج المريرة التي تفرزها طبيعة هذه المسيرة قد يلقيها الناس على عاتق ذلك الزعيم.

ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالرد على قريش التي تخرست بعدم علم الإمام عليه السلام بفنون القتال والحرب رغم شجاعته وبسالته:

«لله ١٧٠» أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً [١٧١] وأقدم فيها مقاماً مني»

. فقد اقتحمت

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١١١

ميادين الحرب وأنا ابن العشرين وها أنا ذا أخوض غمارها وقد ناهزت الستين من عمري (وعليه فقد مارست تجربة ضخمة في الحروب كقائد لمدة أربعين سنة) ولكن ماذا عساني أن أفعل وليس هنالك من يطيع

«لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت [١٧٢] على الستين! ولكن لا رأى لمن لا يطاع».

## تأملات

### ١- الاتباع الطحاء والقادة الأكفاء

لاشك أن معادلات الهزيمة والانتصار ليست عبثية، وأن أولئك الذين ينسبون النصر أو الهزيمة إلى بعض الأسباب المجهولة والعوامل الغامضة من قبيل المصادفة والحظ إنما يسعون للقرار من الحقائق المريرة والابتعاد عن تحليلها والوقوف على كنهها. وعادة ما تذهب التحليلات إلى أن العامل الأصلي الذي يكمن وراء النصر والهزيمة إنما يتمثل بقدره القيادة وحكمتها في إدارة شؤون الأمة، بينما تكون القضية معكوسة في بعض الحالات، فقد تتحلى القيادة بالقوة والاقتدار وارتفاع المعنوية والاحاطة بفنون الإدارة والتعامل مع الاحداث؛ الأمر الذي يفيد بما لا يقبل الشك أن العنصر الذي يقف وراء الهزيمة إنما يتمثل بالاتباع الضعفاء الذين لا يتحلون بالارادة



إلى جانب سذاجتهم وقلة تجربتهم بما يجعل من المتعذر عليهم مواكبة قيادتهم فى ادراك الأهداف فضلاً عن تطبيقها فى الواقع، وهنا تتلاشى قدرة الزعيم الكفوء فى ظل فساد وانحراف مثل هؤلاء الأتباع؛ الأمر الذى يؤرق فكر القائد ويقض مضجعه. وهذا هو السر فى تلك الكلمات الشديدة التى أطلقها الإمام عليه السلام بحق أهل الكوفة، فقد بلغت الفرقة والشقاق والنفاق حداً جعل حتى أصحاب الإمام عليه السلام - فضلاً عن أعدائه - من اولئك الذين شهدوا بطولات الإمام عليه السلام وصولاته فى الغزوات الإسلامية يهتمونه بعدم العلم بفنون القتال! فما كان منه عليه السلام إلا أن ذكرهم بتأريخه المشرق ومواقفه المشهورة التى تنكفى فيها

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٢

الأبطال؛ لقد نهضت بأمر القتال ولم أبلغ العشرين وقد ذرفت الآن على الستين، فكيف اتهم بعدم العلم بالحرب؟ نعم قد بليت باتباع بعيدين عن الانضباط من أهل الهوى والطيش الذين يتصرفون على ضوء ما تمليه عليهم أهوائهم، وعليه فليست هنالك من نتيجة سوى الهزيمة والفشل. وأفضل شاهد على ذلك النتيجة المريرة لمعركة صفين والخذعة التى عمد إليها معاوية وعمرو بن العاص فى حمل المصاحف على أسنة الرماح، والأنكى من كل ذلك قضية التحكيم وترشيح أبى موسى الأشعري وفرضه على الإمام عليه السلام. فيكاد يجمع الجميع اليوم بما فيهم المحققون وغيرهم أن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى فى صفين لولا - حالة النفاق والفرقة والعصيان التى دبت فى جيش الإمام عليه السلام ولما وقعت تلك الأحداث التى سود بها الأمويون وجه التاريخ ومن هنا تعتبر موقعة صفين من أقسى الأحداث التى شهدها التاريخ الإسلامى وبالذات سيرة الإمام على عليه السلام. وليت ذلك الأمر اقتصر على زمان على عليه السلام، بل مازال هنالك اليوم الكثير من الجهال الذين يشككون فى السياسة الحربية لأمر المؤمنين عليه السلام وكيفية إدارة شؤون البلاد، وما هذا إلا دليل صارخ على عمق مظلومية الإمام عليه السلام، الإمام عليه السلام الذى جعل التاريخ يدين بالفضل لذلك العهد العظيم الذى عهده لعامله على مصر مالک الأشرى فى كيفية إدارة شؤون البلاد، فما زالت مبادئه وأسسائه قائمة فاعله رغم مرور أربعة عشر قرناً عليه، ليكون ذلك العهد مصداقاً لقوله سبحانه «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ\* تُوْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا» [١٧٣]. فقد أذعن العدو والصدىق لعمق الأصول والتعاليم التى أوردها الإمام عليه السلام فى نهج البلاغة التى تمثل عمق سياسة الإمام عليه السلام، مع ذلك ينبرى هذا وذاك من الحين إلى الآخر لاتهام الإمام عليه السلام. وقد أشار الإمام عليه السلام فى عدة مواضع إلى هذه الحقيقة المريرة المتمثلة بالعدو والخيانة ونقض العهود والمواثيق. فقد خطبهم عليه السلام بعد حادثه الأنبار وغارت أهل الشام قائلاً:

«والله ما تكفوننى أنفسكم فكيف تكفوننى غيركم إن كانت الرعايا قبلى لتشكوا حيف رعاتها واننى اليوم لأشكو حيف رعيتى كأننى المقود وهم القادة أو الموزوع وهم الوزعة» [١٧٤]

. كما قال عليه السلام فى موضع آخر:

«اريد أن أدأوى بكم وأنتم دائى»

، ثم شكاهم عليه السلام بالقول:

«اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى وقلت النزعة بأشطان

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٣

الركى! أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها» [١٧٥].

## ٢- الإجابة على سؤال

لقد أثار بعض شرّاح نهج البلاغة سؤالاً وهو: هل كانت تلك السياسة التى انتهجها الإمام عليه السلام ازاء الأمة (بتلك الشدة والحدة من الدم واللوم) صائبة؟ ألم تكن تدعو تلك الكلمات الأفراد إلى النفرة والشعور بالغرابة والعزلة؟ ويبدو هذا الإشكال أعمق وأرسخ

إذا أخذنا بنظر الاعتبار مدى صبر الإمام عليه السلام وحلمه وعفوه وصفحه، فكيف ارتضى الإمام عليه السلام مخاطبتهم بتلك الكلمات؟ ويتضح الجواب على هذا السؤال من خلال ما ذكرناه سابقاً من أن ذلك الأسلوب كان يمثل الوسيلة الأخيرة التي من شأنها إثارة عواطف الأمة وتفعيل حركتها ونشاطها وإخراجها من حالة الضعف والوهن التي كانت تسيطر عليها، ولعل ذلك الأسلوب يشبه ما تعارف لدى عوام الناس حين تعجز عن اصلاح أحدهم فتقول لابده من العمل بما يثير غيرته ويوقظ ضميره. وعليه فإن تلك الكلمات تكشف بدورها عن بلاغة الإمام عليه السلام في إيراد الكلام الذي ينطبق ومقتضى الحال. وهنا لا ينبغي أن ننسى بأن الإمام عليه السلام عمد إلى ذلك الأسلوب بعد أن مارس كافة الطرق من قبيل حثهم على الجهاد وتذكيرهم بالقيم والمبادئ، واطرائهم والثناء عليهم - وعليه يبدو من المستبعد رأى بعض شراح نهج البلاغة [١٧٦]، من أن الإمام عليه السلام أورد ذلك الكلام على ضوء «لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة»

؛ لأن الكثرة المقترنة في الحروب والمعارك مطلوبة ولا يسع أحد بمفرده أن يهب القتال جيش جرار طمعاً بتحقيق النصر.

### ٣- سؤال آخر

لقد قال الإمام عليه السلام في الخطبة المذكورة

«لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٤

قد ذرفت على الستين» فيقتدح إلى الذهن هذا السؤال: كان لعلى عليه السلام على الأقل ثلاث وعشرين عاماً حين الهجرة، وانا لنعلم بأن المعارك الإسلامية وقعت بعد الهجرة، فكيف ينسجم هذا الأمر وما ذكره الإمام عليه السلام ونقول في الجواب صحيح أن الحروب والمعارك وقعت فعلياً بعد الهجرة، إلا أن السنوات الأخيرة من الدعوة في مكة قد شهدت تصعيداً في مجابهة النبي صلى الله عليه وآله بما لا يقل شيئاً عن إعلان حالة الحرب. ونموذج ذلك محاصرة بيت النبي صلى الله عليه وآله من قبل كافة رجالات قريش حين بات الإمام عليه السلام على فراشه لينجو رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، كما صرحت بعض التواريخ بأن المشركين كانوا قد أعدوا قبل ذلك بعض الخطط لقتل النبي صلى الله عليه وآله؛ الأمر الذي كان يثير قلق أبي طالب. حتى أورد صاحب البحار أن صبيئة المشركين كانوا يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة حين يخرج من بيته في مكة، فكان على عليه السلام يدافع عنه وينقض عليهم فيولون هارين [١٧٧].

فالواقع تشير مثل هذه الأحداث وما شابهها أن العهد المكي كان يعيش حالة الحرب رغم عدم نشوبها بصورة فعلية حيث كان المسلمون يشهدون أذى الكفار باستمرار، الأمر الذي كان يتطلب بعض التدبير والتفكير من أجل كسب المعركة. ولعل قوله عليه السلام:

«نهضت فيها وما بلغت العشرين»

- الذى ورد فى الخطبة - إشارة إلى التأهب للحرب لا لنشوب الحرب.

### ٤- الخاتمة المبررة للواقعة

ذكر بعض شراح نهج البلاغة أن علياً عليه السلام حين اخبر عن غارة أهل الشام وقتلهم لعامله فخطب الناس.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم، فلم ينبس أحد منهم بكلمة، فلما رأى ضيقتهم نزل، وخرج يمشى راجلاً حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرفهم، فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك، فقال: ما تكفوننى ولا

تُفون

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٥

أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو اجم كئيب، ودعا سعيد بن قيس الهمداني، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف، وذلك أنه أخبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف.

فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف؛ حتى إذا بلغ. عانات، سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسين وقد فاتوه، فانصرف.

وأته قوم يعتذرون، فقام حُجر بن عدى الكندي وسعيد بن قيس الهمداني، فقالا: لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين، مُرْنَا بأمرك نتبعه، فوالله ما نعظم جَزَعاً على أموالنا إن نفذت، ولا على عشائرنَا إن قُتِلتْ في طاعتك. فقال: تجهّزوا للمسير إلى عدونا.

فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه، قال لهم: أشيروا على رجل صليب ناصح، يحشر الناس من السواد. فقال له: سعيد بن قيس: يا أمير المؤمنين، أشير عليك بالناصح الأريب الشجاع الصليب، معقل بن قيس التميمي، قال: نعم.

ثم دعا فوجهه، فسار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام [١٧٨].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٧

## الخطبة [١٧٩] الثامنة والعشرون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهو فصل من الخطبة التي «الحمد لله غير مقنوط من رحمة»

وفيه احد عشر تنبيها

### نظرة إلى الخطبة

هذه من الخطب المعروفة لأمر المؤمنين على عليه السلام، وهي كما ذهب الشيخ المفيد في الإرشاد من خطبه الخالدة التي حفظها أرباب الفهم والعقل، أو كما قال السيد الرضى: إنه لو كان كلام يأخذ بالأعتاق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة، لكان هذا الكلام وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال وقادحاً زناد الاعتاظ والازدجار. فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة القصيرة - والتي يراها بعض المحققين جزءاً من الخطبة الخامسة والعشرين - إلى عشرة جوانب مهمة بشأن الآخرة والزهد في الدنيا وعدم الاغترار بنعم الدنيا وزبرجها والاستعداد والتأهب للدار الآخرة، والتحذير من الأخطار التي تهدد سعادة الإنسان - فالحق أن الخطبة من الخطب العظيمة التي تسوق الإنسان إلى الزهد في الدنيا وعدم الإكتراث لزخرفها والانتباه إلى الآخرة، وقد انطوت على عبارات واضحة صريحة توظف الإنسان من غفلته ورقدته.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١١٩

## القسم الأول: الدنيا والآخرة عند الإمام على عليه السلام

### إشارة

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرْتُ، وَأَذَنْتُ بِوَدَاعٍ وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلْتُ، وَأَشْرَفْتُ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ وَغَدًا السَّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةُ

وَالْغَايَةَ النَّارُ؛ أَفَلَا- تَأْتِي مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَيِّتِهِ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ. فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ. وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضُرَّ أَجَلُهُ».

الشرح والتفسير

أشرنا سابقاً إلى أن الإمام عليه السلام تطرق إلى عشرة أمور مهمّة في هذه الخطبة الغزاة لدفع الناس باتجاه الزهد وعدم الاغترار بزخارف الدنيا؛ فقد ورد في الأخبار- كما أثبتت ذلك التجربة طيلة التاريخ- أن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، وعليه فإنّ عدم الإكتراث لهذه الدنيا والزهد فيها يمثل الخطوة الأولى المهمة لإصلاح النفوس ومواجهة الفساد الفردي والاجتماعي.

فقد استهل الإمام عليه السلام كلامه بتصدر الدنيا ووداعها لأهلها

«أما بعد فان الدنيا قد أدبرت، وآذنت [١٨٠] بوداع»

. وهنا يطرح هذا السؤال: كيف آذنت الدنيا بالأدبار والوداع؟ هناك الشواهد والأدلة الحيّة على هذا الأمر ومن ذلك قبور الماضين التي تضم بقايا رفات وعظام الملوك والسلاطين والحكام والأمراء والكهول والفتيان والصبيان، والأظهر المحذوبة للكهول

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٠

واشتعال الرأس شيباً والأمراض الفتاكة التي تودي بحياة الأفراد، حقاً لقد أصيبت الدنيا بالصمت والسكوت، إلّا أنّه ما زالت تتحدث بلسان العبرة! وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في إحدى خطبه

«فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين، فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمارةً وكان الآخرة لم تزل لهم داراً». [١٨١]

ثم أشار عليه السلام في النقطة الثانية إلى موضوع إقبال الآخرة

«وإن الآخرة قد أقبلت، وأشرفت باطلاع» [١٨٢]

. إنّ الموت يعد المنزل الأول من منازل الآخرة والذي يتلع أبناء الدنيا، وهذا بدوره من علامات إقبال الآخرة. ومن هنا فقد أوصى الإمام عليه السلام الجميع بالاستعداد إلى الآخرة ومغادرة الدنيا والتزود لتلك الدار المحفوفة بالخطر قبل فوات الأوان. وذكر عليه السلام في النقطة الثالثة بالرابطة القائمة بين داري الدنيا والآخرة فقال

«ألا وإن اليوم المضمار [١٨٣] وغدا السباق [١٨٤] والسبقة الجنّة والغاية النار»

فقد شبه عليه السلام بهذه العبارة الرائعة الإنسان بالخيال الذي يخوض السباق، فمن الواضح أنّ مثل هذا الإنسان وعلى غرار الخيال يحتاج إلى التمارين والتدريبات المسبقة، حيث تصطح العرب بالمضمار على الموضوع أو الزمان الذي يضم فيه الحيوان، بل يطلق على الحيوان الذي ينحف إثر التمارين لا على كل حيوان كما صرح الراغب في المفردات. آنذاك يبدأ السباق الذي يتضمن الفوز والخسارة وتسلم الجوائز من قبل الفائزين. فالإمام عليه السلام يرى الدنيا ميدان التأهب والاستعداد والآخرة ميدان السباق والجوائز، وسوف تكون جائزة الفائزين الجنّة ونصيب الخاسرين النار. ومن البديهي أنّ أحداً لا يسعه التمرين في ميدان السباق، بل عليه أن يتمرن ويعد نفسه قبل السباق؛ وهكذا الحال في المحشر،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢١

فليس هنالك من مجال للحسنات والتوبة من السيئات وتهذيب النفوس وتطهيرها، ولا بدّ من إعداد هذه الامور في الحياة الدنيا. وعليه فلا ينبغي أن ينسى الأفراد هذه الحقيقة وهي إن عدم التزود في الدار الدنيا والتأهب الروحي والمعنوي فإنّ النتيجة النهائية للسباق في الآخرة لن تكون سوى الفشل والخيبة والخسران التي تعنى هناك نار جهنم. والجدير بالذكر هنا أنّ الفائزين هناك يتفاوتون في الدرجات، فهناك الفائز الأول والثاني والثالث وهكذا؛ الأمر الذي يتجسد بوضوح في عالم الآخرة ودرجاتها. فيتضح ممّا تقدم أنّ السباق بمعنى المسابقة والسبقة بمعنى الهدف والغاية التي ينبغي للمتسابق أن يصل إليها، والسبقة على وزن لقمه بمعنى الجائزة وقد

علق المرحوم السيد الرضى (ره) - في ذيل هذه الخطبة كما سيأتى - على تعبير الإمام عليه السلام:

«والسبقة الجنّة والغاية النار»

فقال: لم يقل عليه السلام السبقة النار كما قال السبقة الجنّة؛ لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنّة وليس هذا العنى موجوداً في النار، فخالف الإمام عليه السلام بين اللّفظين لاختلاف المعنيين. ولا يبدو هنالك من تعارض بين كلامه عليه السلام والآية الشريفة «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [١٨٥]؛ لأنّ «سابقوا» لا تعنى السباق في هذا العالم، بل تعنى التأهب من أجل سباق الآخرة، والدليل على ذلك أنّها جعلت الجنّة هي الهدف النهائي لهذه المسابقة، بعبارة اخرى فان السباق هنا نحو الخيرات والصالحات، أمّا السباق هناك نحو الجنّة التي تمثل حصيلة الأعمال. ثم أشار عليه السلام في النقطة الرابعة إلى واحدة من أهم أمتعته السفر الأخرى الخطير وهي التوبة فقال:

«أفلا تائب من خطيئته قبل متيته [١٨٦]، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه»

فهذه التعبيرات - التي تهدف إلى إثارة العارفين والعمل على تشجيعهم إلى جانب تنبيه الغافلين وإيقاظهم - هي في الواقع تمثل النتيجة المنطقية للعبارات السابقة، وذلك إذا كانت الدنيا قد أدبرت واذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنّة والغاية النار فلم لا يتوب أهل الحجى والعقل وينبوا إلى

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٢

اللّه ويغتنموا الفرصة بالأعمال الصالحة ويستعدوا لسفر الآخرة؟ ولعل هذا هو الذي أشار له الإمام عليه السلام في خطبة اخرى «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة والتوبة مبسوطة» [١٨٧].

أما تعبيره عليه السلام عن يوم القيامة بيوم البؤس فلما يكتنفه من أحداث مهولة وعذاب شديد وعلع وخوف عظيم. وقد أشارت أغلب الآيات القرآنية لذلك العذاب لتحذر الإنسان وتحثه على اغتنام الفرصة والتزود لذلك اليوم العصيب الملىء بالمخاطر التي لا ينجى منها سوى العمل الصالح. أمّا في النقطة الخامسة فقد أشار عليه السلام إلى الفرص التي تمر مرّ السحاب والتي يقود عدم اغتنامها إلى الندم

«ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أجله»

ويخسر بالمقابل من يقصر في العمل، كما أنّ أجله يصبح عليه وبال

«ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أجله»

. وتعبيره عن الحياة الدنيا بأيام الأمل لهو تعبير لطيف يشير إلى قصر وإيجابية عالم الدنيا؛ لأنّ دقائق عمر الإنسان تمثل أعظم فرصة من أجل بلوغ السعادة والفوز بالفلاح الاخرى الخالد.

فلعل التوبة في لحظة من اللحظات تطفئ بحاراً من نيران جهنم كانت تتربص بهذا الإنسان، ولعل العمل الصالح الخالص في ساعة من عمره ينتهي به إلى جنان الخلود والرضوان.

## تأملات

### ١- الدنيا والآخرة في الأحاديث

يرى الدين الإسلامى الحنيف وجميع الأديان السماوية أنّ الدنيا دار طارئه متبدلة جعلت ليتزود منها الإنسان ويكسب فيها السمو والكمال والمعرفة التي تعلق بها إلى عالم الخلود، ومن هنا فإنّ الله يبتلى العباد فيها بأنواع البلاء والامتحان من خلال العبادات والطاعات وترك الشهوات وتحمل المصائب والمشكلات التي من شأنها تربية الإنسان وصقل شخصيته

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٣

وتهيئته لعالم الآخرة المفعم بالخير والبركة. وقد تظافت الروايات التي تعرضت لبيان حقيقة الدنيا بعدة تعبيرات مختلفة رائعة، ومن ذلك الخطبة التي نحن بصدددها والتي شبه فيها الإمام عليه السلام الدنيا بالدورة التدريبية التي يستعد فيها الإنسان لسباق الآخرة، الذي يحصل فيه الغالب على الجنة والخاسر النار. وقد جاء في الحديث أن

«الدنيا مزرعة الآخرة» [١٨٨]

ومن الواضح أن المزرعة ليست مكاناً للحياة والاستقرار بل هي مكان للتزود من أجل مكان آخر، وقد عبر عنها بالمتجر ودار الموعظة والمصلى، كما أورد ذلك الإمام على عليه السلام في نهج البلاغة فقال

«إن الدنيا دار صدق لمن صدقها... ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أعباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحى الله ومتجر أولياء الله» [١٨٩]

. وروى عن الإمام السجاد عليه السلام أن المسيح عليه السلام قال للحواريين:

«إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها» [١٩٠]

. كما عبر عنها الإمام على عليه السلام بأنها

«دار ممر» [١٩١] و «دار مجاز» [١٩٢]

. وأخيراً فقد وصفها الإمام الهادي عليه السلام بالسوق الذي يتضمن الربح والخسارة

«الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون» [١٩٣]

. والخلاصة فإن كل هذه العبارة ترشد إلى عدم النظر إلى الدنيا على أنها هي الهدف النهائي، بل هي وسيلة لادخار العمل الصالح وكسب المعارف من أجل الظفر بالدار الآخرة. ولعل البعض يرى أن هذا الموضوع ساذج، إلا أن الواقع هو أن أهم مسألة مصيرية في حياة الإنسان في أنه كيف يتعامل مع الإمكانيات المادية التي زود بها في هذه الحياة وكيف ينظر إلى هذه الدار، هل يراها وسيلة وأداة من أجل الوصول إلى هدف معين، أم يراها هي الهدف النهائي وليس وراءها شيء. والواقع أن تأكيد الإمام عليه السلام في بداية الخطبة على أن الدنيا ميدان الاستعداد لسباق الآخرة إنما يشكل الدعامة الأساسية الراسخة لسائر المواعظ المهمة التي وردت في هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٤

## ٢- الخسارة العظمى

النقطة التي تعرضت لها الخطبة والتي ينبغي الالتفات إليها، إنما تكمن في عدم إمكانية تدارك الخسران الذي يطيل الإنسان في هذه الحياة وفقدانه للفرص التي كان من شأنها أن تجعله يفوز بالدار الآخرة، والواقع إن السباق الذي ينتظر الإنسان إنما يقام لمرة واحدة فقط، فهناك ميدان للتمرين وآخر للسياق ليس للتكرار إليه من سبيل، ومن خسر فليس أمامه من فرصة لتدارك خسارته، ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله»

. أمّا الندم فلا يداوى جرحاً ولا يصلح فاسداً هناك فليصرخ الصارخون: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ» [١٩٤] فيأتي الجواب «كَلَّا».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٥

## القسم الثاني: الرحيل الوشيك

## إشارة

«أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ! أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى. أَلَا- وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِزْتُمْ بِالظَّنِّ وَدَلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهُوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزُرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى مسألة مهمّة ربّما غفل عنها أغلب الناس:

«أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ»

فعبادة الله وطاعته لا تعنى الفرع إليه فى الشدة والبلاء والتولى عنه فى اليسر والرخاء؛ ولو كان الأمر كذلك لكان مشركوا الجاهلية من خالص العباد، فقد وصفهم القرآن الكريم بالقول: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» [١٩٥] ثم خاطبهم فى آية أخرى «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُم مَّن كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» [١٩٦]. والواقع أن العبرة ليست فى الاقبال على الله عند الفرع، بل العبرة أن يقبل العبد عليه حين الرخاء والرفاه والشعور بالقوة والافتقار، فما كان مع الله فى هذه الظروف كان الله معه فى الظروف العصبية.

فعلامة الإيمان الخالص أن يتوجه العبد إلى الله ويذكره على كل حال فى العافية والسقم والفتوة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٦

والكهولة والفقر والغنى والهزيمة والانتصار والحرية والسجن وما إلى ذلك. ومن هنا نرى الأنبياء والأوصياء والأولياء لا ينفكون فى حال من الأحوال عن التضرع إلى الله والتوجه إليه. فالمتبع لسيرة الإمام على عليه السلام لا يرى فى عبادته من تفاوت بين جلوسه فى البيت حين زحزحت عنه الخلافة ونهوضه بالأمر وإدارته لشؤون البلاد الإسلامية، فالزهد والتهجد وإعانة الضعفاء والفقراء وطلاق الدنيا إلى غير رجعة كان من المعانى الواضحة فى عبادة الإمام عليه السلام: ثم قال عليه السلام:

«أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا»

. لقد رأينا عدّة أفراد من الذين يعيشون الأرق لىالى حين يهيمون ببعض الأسفار القريبة التى تدر عليهم بعض الأرباح والفوائد، فكيف ينال طالب الجنة الباقية- النعمة التى لا تفوقها نعمة أو الخائف من نار جهنم التى لا يتصور عذابها وأن رؤيته غير سماعه- ولا يكثر لهذه الامور؟! ولعل ذلك يعزى إلى ضعف ايمان الفرد بالعالم الآخر، أو إلى سكر النعم والمنافع التى يتمتع بها فى حياته، ومهما كان السبب فإن الغفلة عن الآخرة لمن الظواهر المأساوية الاليمة التى ينبغى للإنسان التوقف عندها ومعالجتها. ولاشك أن من وظائف أئمة الدين وزعماء المسلمين ايقاظ الناس من غفلتهم وترسيخ دعائم ايمانهم ولفت أنظارهم إلى الدار الآخرة وتحذيرهم من الاغترار بالدنيا والذوبان فيها. وفى النقطة الثامنة يشير الإمام عليه السلام إلى مسألة ذات صلة بهذا الموضوع فىقول:

«أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى»

. طبعاً لا- يتضح عمق هذا الكلام مالم نقف على التعريف الصحيح للحق والباطل. فالحق عبارة عن الواقعات، سواء كان هذا الحق تكوينياً أم تشريعياً. ويراد بالحق التكويني واقعات عالم الوجود، ويقابل ذلك الباطل المتمثل بالخيال والسراب الذى لا واقع له ولا وجود سوى فى عالم التصور والوهم. أما الحق التشريعي فيتمثل بالقوانين والتعاليم الإلهية التى شرعت من أجل الفرد أو مجموعة الأفراد على ضوء المصالح والكفاءات الذاتية أو الاكتسابية، ويقابله الباطل الذى يتجسد بعرقلة القوانين والتمرد عليها باسم القانون وتضييع العدالة وسلب الحريات وذبحها بمرأى ومسمع من الناس. ومن البديهي أن من يولى ظهره للحق سواء على مستوى التشريع أو

التكوين فإنه يقع في حائل الباطل من قبل الوهم والخيال والسراب الذي يحسبه الظمان ماء؛ الأمر الذي لا يرتقى بالإنسان إلى الشىء،  
نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٧

والواقعات هي التي تبلغ بالإنسان الهدف لا الوهم والخيال الذي لا يجر على الإنسان سوى الخذلان والخسران. ولعل الإنسان يستطيع  
عن طريق الباطل اغفال الآخرين مدّة من الزمان، إلّا أنّ مصيره المحتوم إنّما يؤول إلى البؤس والشقاء لا محالة في خاتمة المطاف وعليه  
فان قوله عليه السلام:

«ألا وإنه من لا ينفعه الحق، يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى، يجر به الضلال إلى الردى»

إنّما يمثل حقيقة واقعية واضحة. طبعاً صحيح أن الاقرار بالحق واقتفاء آثاره إنّما يقترن غالباً بتحمل الشدائد المريرة، إلّا أنّ هذه المرارة  
تبدو كمرارة الدواء التي تجعل السقيم يتمثل للشفاء، ولا يجنى من تلك المرارة سوى السلامة والصحة والعافية من المرض الذي  
ربّما يؤدي بصاحبه إلى الموت. ويتضح ممّا تقدم أنّ الحق والباطل ليسا من قبيل الوجودات الاصطناعية والامور الاعتبارية؛ فالحق في  
عالم التكوين هو ذلك الوجود العيني وفي عالم التشريع هو عبارة عن الواجبات والمحظورات التي تستند إلى المصالح والمفاسد  
والتي تمثل بدورها واقعات عينية، وسنتناول هذا الموضوع بالشرح في الأبحاث القادمة.

على كل حال فإنّ الإمام عليه السلام هدف بهذه العبارة إلى إفهام الآخرين - علاوة على تنبيههم إلى أصل كلي له بالغ الأثر في مصير  
الناس - بأنهم إذا لم يلتزموا بوصايا المنسجمة والحق والعدل فإنهم سيقعون في مخالف الظلم والجور والاضطهاد وإن أضرار الباطل  
ستجتاح حياتهم؛ الأمر الذي شهدوه في حياتهم ومسيرتهم. ثم تعرض الإمام عليه السلام - في النقطة التاسعة - إلى موضوع مهم يحكم  
حياة البشرية شاءت أم أبت

«ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن [١٩٧] ودلتم على الزاد»

. والأمر بالظعن هو قانون الموت الذي يحكم حياة الناس، فالأطفال يسرون نحو الشباب، والشباب يتجهون نحو الكهولة وهذه الأخيرة  
إنّما تنتهي بالموت. فهو قانون شامل جارٍ لا - يعرف الاستثناء والشواذ، كما أنّه قانون لا يقوى أحد على تجاوزه مهما كانت قوته  
وقدرته وعلمه ومعرفته فهو القانون الذي شرعته يد القدرة الإلهية لسمو الإنسانية وتكاملها وقد تعرضت أغلب آيات كتاب التشريع.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٨

لهذا الأمر التكويني كآلية: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [١٩٨] والآية: «أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِيرَةٍ» [١٩٩].  
وقد خوطب بهذا الأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يمثل أشرف كائنات عالم الخلق «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» [٢٠٠] والآية:  
«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» [٢٠١].

كما يحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السلام

«أمرتم بالظعن»

الأمر بالاستعداد للرحيل من الدنيا، كما ورد ذلك في الخطبة ٢٠٤

«تجهزوا رحمكم الله فقد نودى فيكم بالرحيل» [٢٠٢]

. وأمّا الأمر بالتجهز والتزود فإنه يمثل رسالة جميع الأنبياء إلى البشرية وتنبيهها إلى الطريق الخطير الذي ينتظرها؛ وهو طريق طويل  
يشمل الفاصلة بين الدنيا والآخرة ولا - يمكن السير عليه دون حمل الزاد، ولا - معنى للزاد هنا سوى الإيمان والتقوى والورع والعمل  
الصالح «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [٢٠٣] ولا - ينفع في الآخرة سوى القلب السليم المفعم بالإيمان وحبّ الله «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بُنُونَ» \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [٢٠٤].

وعليه فلا ينبغي أن يلتفت سالكوا هذا الطريق إلى الدنيا وما فيها وينخدعوا بزخارفها، بل عليهم الهم بالعمل الصالح الذي لا يبلغ بهم  
الهدف المنشود سواء «المال والبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» [٢٠٥].



نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٢٩

وأخيراً بعد أن لفت انتباه الأمة إلى الآخرة وزهداها في الدنيا وأوصاها بالتزود لتلك الدار وحذرهما من ذلك الطريق الخطير الذى ينتهى سالكه إلى السعادة والقرب الإلهى إذا سار عليه بعمله الصالح وورعه وتقواه، عاد عليه السلام ليحذر من عقبتين خطيرتين تصدان الإنسان عن السعادة والفلاح

«وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان: إتباع الهوى، وطول الأمل»

وهو المعنى الذى ورد فى الخطبة ٤٢ بعد أن تناوله الإمام عليه السلام بشيء من التوضيح فقال:

«أيها الناس وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان: إتباع الهوى وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة»

. وتفيد الإحاديث النبوية والأخبار والروايات أن هذه التعاليم قد احتذاها أمير المؤمنين عليه السلام من معلمه الأول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فقد وردت هذه المعانى فى بحار الأنوار نقلًا عن النبي صلى الله عليه وآله [٢٠٦].

والواقع هو أن هذين المرضين يعدان من أعظم عوامل الذنوب والمعاصى، لأن إتباع الهوى لا يعرف معنى للحدود والقيود، فاذا سيطر على الإنسان أعمى بصره وبصيرته وأصم سمعه بحيث لا يطيق سماع الحق من النبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام ولا تعد لديه القدرة على رؤية الحقائق التى تحيط به، وعليه فهو يعيش حياته الدنيا كالصم البكم العمى الذين لا يفقهون؛ الأمر الذى يجعله عرضة للسقوط فى الهاوية. أما طول الأمل فإنه يزين الدنيا بما ينسى الآخرة ويقتصر بهمة الإنسان على الدنيا التى يرى فيها مقامه الأخير وهدفه النهائى. ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بقوله

«تزدوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون [٢٠٧] به أنفسكم غداً»

نعم فهناك سفر طويل على الأبواب، سفر يتطلب المتاع والزاد الكثير، وعليه فينبغى للعاقل أن يلتفت إلى نفسه ويجهزها بما يجعلها تجتاز ذلك السفر الطويل قبل فوات الأوان، ويتعد عن الأخطار والمطبات التى يمكنها عرقله هذه السفر، فيطويه بكل إيمان وثبات ليصل إلى هدفه المنشود.

## تأملان

### ١- خير الزاد

لا نرانا نبالغ إذا شبهنا الناس بالمسافرين الذين يغادرون منطقة صغيرة ملوثة نحو عالم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٠

كبير مفعم بالطهر والخير والعطاء، بل هذا هو السفر الواقعى والحقيقى الذى ينقل الإنسان من هذا العالم السفلى والمتهافت للدنيا إلى عالم الآخرة العلوى والسامى الخالد، كما أن لوازم السفر التى يهيئها المسافر، هى الأخرى لا بد أن توفر فى هذا السفر الشاق من قبيل الزاد والمتاع والمركب ومعرفة نقطة الانطلاق والغاية ومطبات الطريق والمخاطر التى تعترض السبيل والتى ينبغى دراسة كل واحد منها بصورة مستقلة - فقد صرح القرآن الكريم بأن زاد هذا السفر إنما يكمن فى الورع والتقوى فى اجتناب المعاصى وطاعة أوامر الله والإتيان بالأعمال الصالحة.

وهو المعنى الذى أكده أمير المؤمنين على عليه السلام كراراً فى نهج البلاغة، ومن ذلك ماورد فى الخطبة ١٨٣ حيث قال عليه السلام:

«وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد أؤذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد»

وهن يبرز هذا السؤال: إنَّما يستفاد من الزاد والمتاع طيلة السفر لا في المقصد والغاية، والحال إنَّ الورع والتقوى تستفاد في الآخرة وتشكل مفتاح أبواب الجنان، فكيف اعتبرت التقوى هي الزاد والمتاع؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من القول بأنَّ مبدأ هذا السفر طويل يتبدأ من لحظة الموت وسكراته ويستمر حتى عالم البرزخ وما يتخلله من مواقف القيامة ومنازل السؤال والحساب والصراط- والتي تتسم بتعدها وهول مطلعها- حتى تنتهي بالجنان. وممَّا لا شك فيه أنَّ التقوى هي زاد في عالم البرزخ كما أنَّها الزاد والمتاع في مواقف القيامة ومنازلها قبل الدخول إلى الجنة- نعم فإنَّ زاد التقوى هو الذي يجعل الإنسان يجتاز هذه المنازل الخطيرة بسلام ويقوده إلى منزله الأخير المتمثل بالجنة.

جدير بالذكر أنَّ الآية الشريفة «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» جعلت التقوى هي المعيار الرئيسي لكرامة الإنسان وقيمه؛ الأمر الذي يؤكد المعنى المذكور في أنَّ السبيل الوحيد للنجاه غداً إنَّما يكمن في التقوى والتي عبّر عنه أحياناً بالزاد وأحياناً أخرى بصفتها تمثل ملاك الكرامة الإنسانية. وهذا ما وضحته بعض العبارات الواردة في الخطبة ٢٠٤ من نهج البلاغة

«وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإنَّ أمامكم عقبه كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لابد من الورد عليها والوقوف عندها» . نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لتوفير هذا الزاد القيم قبل فوات الأوان، فلا نرد ذلك السفر بأيدي خاليه، والحق أنَّها خاليه مقارنة بما عليه تلك الدار.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣١

## ٢- اتباع الهوى وطول الأمل من أعداء الإنسان

### إشارة

لابد من التعامل بصورة جادة مع التحذير الذي اختتمت به الخطبة بشأن الأخطار الكبرى التي يفرزها اتباع الهوى وطول الأمل؛ فهما مكنم الخطر والمأساء التي تصيب الإنسان. فاتباع الهوى يعد أعظم عقبه تعترض سبيل سعادة الإنسان. فالاستسلام المطلق للشهوات والأهواء النفسية يعد العدو اللدود لسعادة البشرية. القرآن الكريم من جانبه حذر حتى الأنبياء من هذا العدو الفتاك، ومنهم نبي الله داود عليه السلام الذي قال بشأنه «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [٢٠٨] كما صور هوى النفس في موضع آخر بالصنم الذي يعبد من دون الله «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [٢٠٩]. والحق أن اتباع الهوى ليعمى البصيرة ويصم السمع ويختم على العقل والفكر ويحول دون الإنسان وتمييز بديهيات الحياة، فهل هنالك من خطر أعظم وأفدح منه؟! ومن هنا اقتصر القرآن بوعده الجنة لأولئك الذين يخشون الله ويسيطرون على أهوائهم «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَيَأْتِ الْجَنَّةَ هَيَّ الْمَأْوَى [٢١٠].

طول الأمل هو الآخر من أسوأ وأخطر العقبات التي تعترض سبيل السعادة الإنسانية؛ فقد دلت التجارب على مدى التأريخ أن آمال الإنسان الخيالية لا تقف عند حدود، فلا يزداد نحوها إلا تعطشاً. ومن الطبيعي أن مثل هذه الآمال تشل حركة الإنسان وتسلبه جميع طاقاته الفكرية والبدنية ولا تبقى له شيئاً يشده نحو الآخرة. فاننا نعرف بعض الأفراد الذين عاشوا هذه الآمال الكاذبة حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم دون أن يلتفتوا حتى لتربية فلذات أكبادهم. ومن عجائب هذه الآمال، أن الإنسان كلما تقدم أكثر كانت هذه الآمال أكذب بحيث تضاعف غرور الإنسان وتصده عن الواقع. وهذا هو الوضع السائد لدى الكفار والذي أشار إليه القرآن في خطابه

لرسول الله صلى الله عليه وآله

«ذَرُّهُمْ يَا كُفُّوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسُوفَ

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٢

يَعْلَمُونَ» [٢١١]، المعنى الذى أشار إليه الإمام عليه السلام فى قصار كلماته فى نهج البلاغة «من أطال الأمل أساء العمل» [٢١٢].

ويبدو أن تلك الآمال متعذرة النيل من خلال الأسباب المشروعة، وهى لا تتيسر إلّا من خلال خلط الحلال بالحرام وهضم حقوق الآخرين ونسيان الله والآخرة. ومن هنا حذر الإمام عليه السلام فى الخطبة ٨٦ من نهج البلاغة أولئك الذين ينشدون السعادة بالقول «واعلموا أنّ الأمل يسهى العقل وينسى الذكر فأكذبوا الأمل فانه غرور وصاحبه مغرور» ويبدو قصر الأمل على درجة من الأهمية بحيث اعتبره الإمام عليه السلام الركن الأصلى للزهد، وهذا ما أورده فى الخطبة ٨١ من نهج البلاغة

«أيها الناس، الزهادة قصر الأمل والشكر عند المنعم والتورع عند المحارم»

. وآمال الإنسان كانت ومازالت أبعد وأطول من عمر الإنسان وإمكاناته وقدراته؛ الأمر الذى لا يجعل أهل الهوى وطلاب الدنيا يحققون تلك الآمال ويظفروا بها أبداً، وغالباً ما يودعون الدنيا بمنتهاى الانزجار والاستياء فى لحظات نزع أرواحهم. وبالطبع لا ينبغى الغفلة عن الأمل بشكل الدافع الأساس لسعى الإنسان وجهده وانطلاقته فى هذه الحياة، وعليه فالأمل حسن وليس بقبیح ولا يمكن مواصلة الحياة من دونه، إلّا أنّ المذموم إساءته وطوله وبعده عن الواقع واستناده إلى الوهم والخيال. ومن هنا ورد فى الحديث «الأمل رحمة لامتى ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً» [٢١٣].

وبناءً على ما تقدم فإن وظيفة أساتذة الأخلاق خطيرة ثقيلة؛ وذلك لأنهم لابد أن يضيئوا نور الأمل فى قلوب الناس من جهة ومن جهة أخرى ينبغى أن يبقوا عليه متوازنًا بعيداً عن الإفراط. والآمال المنطقية هى تلك التى تنسجم ومتطلبات الإنسان وقدراته الواقعية بحيث لا تبعده عن هدفه المنشود. وبالطبع فإنّ الإسلام لا يعارض التخطيط والبرمجة من أجل المستقبل والتطلع إلى الغد ولا سيما بالنسبة للأنشطة الاجتماعية التى تعود بالنفع على المجتمع الإسلامى وتضع حداً للتبعية لأعداء الإسلام، فإنّ مثل هذه الأنشطة ليست مذمومة فحسب،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٣

بل تعتبر عبادة والمذموم فى الإسلام أنّ الإنسان يغرق فى هالة من الآمال الفارغة التى تنسى الآخرة، وبالتالي لا يظفر الإنسان بها مهما جند طاقته وإمكاناته.

وفى الحياة الفردية مطلوب هو التفكير فى العاقبة والذى إصطلحت عليه الروايات بالحزم.

والمذموم فى الإسلام أن يغرق الإنسان فى الأمل حتى ينسى الآخرة، ويفنى كل طاقته وقواه فى ذلك الأمل الذى لن يبلغه قط.

## تكملة

قال السيد الشرف (رض) وأقول: إنه لو كان كلام يأخذ بالاعتناق إلى الزهد فى الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة، لكان هذا الكلام وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال وقادحاً زناد الاعتزاز والازدجار ومن أعجبه قوله عليه السلام: «ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق، والسبقة الجنّة والغاية النار»، فإن فيه - مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل، وواقع التشبيه - سرّاً عجيباً ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «والسبقة الجنّة، والغاية النار» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل: «السبقة النار». كما قال، «السبقة الجنّة»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى امر محبوبٍ وغرضٍ مطلوبٍ وهذه صفة الجنّة وليس هذا المعنى موجوداً فى النار، نعوذ بالله منها !...

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٥

## الخطبة [٢١٤] التاسعة والعشرون

## إشارة

ومن خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بين قيس - صاحب معاوية - على الحاج بعد قصة الحكمين، وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف.

## نظرة إلى الخطبة

كما ورد في أسناد الخطبة فان بعض المحققين يرون أن هذه الخطبة جزء من الخطبة السابعة والعشرين؛ ويبدو أنها كذلك، لأن مضامينها واحدة تفيد مدى ضعف أهل الكوفة والعراق تجاه حملات معاوية وأهل الشام، وكأنهم لم يشعروا بما كان يدور حولهم والجرائم البشعة التي كان يرتكبها الشاميون. فقد جعل الإمام عليه السلام يمطرهم بوابل الدم والتشنج لعلمهم يفوقون إلى أنفسهم ويتنبهوا إلى الأخطار التي كانت محدقة بهم. فقد قال ابن أبي الحديد:

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٦

كانت غارة الضحاك بن قيس بعد الحكمين، قبل قتال النهروان، وذلك أن معاوية لما بلغه أن علياً عليه السلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مُقبلاً، هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشام، فصاح بها: إن علياً قد سار إليكم. وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على الناس:

## ج ج

فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي عليه السلام فأعز عليه، وإن وجدت له مسليحة أو خيلاً فأعز عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تُقيم لخيال بلغك أنها فقد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف. فأقبل الضحاك، فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، حتى مر بالثغليية فأغار على الحاج، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عُميس بن مسعود الذُهلي، وهو ابن أخ عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقتله في طريق الحاج عند القططانة.

وقتل معه ناساً من أصحابه.

استصرخ أمير المؤمنين عليه السلام الناس عُقب غارة الضحك بن قيس الفهري على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه، فخطبهم. [٢١٥]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٧

## القسم الأول: عوامل ضعف أهل الكوفة

«أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أُبِيدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ! كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصُّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فَيْكُمْ الْأَغْيَاءَ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَمَاذَا حِيَاءُ الْفِتْيَالِ قُلْتُمْ: حَيْدِي حِيَادِي! مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ».

الشرح والتفسير

ذكرنا سابقاً أن الخطبة القيت في ظروف عصيبة جداً، حيث شنت الغارات تلو الغارات على أهل العراق، جعلت الإمام عليه السلام يسعى جاهداً لا عداد الناس، إلا أن الضعف والوهن كان قد بلغ مبلغه منهم بحيث لم تعد لهم من قوة تذكر، فلم يكن أمام الإمام عليه

السلام من سبيل سوى اللجوء إلى آخر حربى من أجل تعبئتهم واستنفار طاقاتهم وهى توييحهم وذمهم عليهم يلتفتون إلى أنفسهم ويصبروا الأخطار التى كانت تترىص بهم.

فقد استهل الإمام عليه السلام خطبته بالتعرض إلى العامل الرئيسى الذى يقف وراء ذلك الضعف والذلة والهوان والذى يعزى إلى عدم الانسجام بين الأقوال والأفعال الذى يستند إلى ضعف الاعتقاد الباطنى بالأهداف المقدسة النبيلة فقال عليه السلام: «أيها الناس المجتمععة أبدانهم، المختلفه أهواؤهم»

، أما كلامهم فقد كان شديد يخترق الصخور، أما أعمالهم فقد كانت هزيلة لا تنسجم وذلك الكلام «كلامكم يوهى [٢١٦] الصم [٢١٧] الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء»

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٨

أجل إن ذلكم وهوانكم إنما أفرزه شقاقكم وفرقتكم. إنكم متحدون ظاهراً، مختلفون باطناً، وهذا ما أدى بكم إلى الاكتفاء بالأقوال الطنانة الرنانة بدلاً من الأفعال والأعمال؛ الأمر الذى يؤدى إلى تآكل المجتمعات وانهارها إذا ما عاشت هذه الحالة «تقولون فى المجالس: كيت وكيت [٢١٨]، فإذا جاء القتال قلت: حيدى حيدى [٢١٩]».

فالواقع هذه بعض الصفات البارزة للمنافقين والأفراد الضعاف النفس المسلوبى الإرادة الذين يكثر الحديث فى المجالس الخاصة والعامه ويستعرضون معانى الشجاعة والبسالة والعزم والإرادة الراسخة، وكأن قدرة هؤلاء لا تتجاوز هذه الأحاديث، فإذا وردوا ميدان القتال استحوذ عليهم الخوف والهلع وكأنهم يصرخون، إليك عنا أيها القتال فارقنا وابتعد، بل هم مرعبون من ميدان الحرب والقتال ويختلفون مختلف الأعدار للفرار من الميدان. والعبارة «حيدى حيد» من مادة حيد بمعنى الميل والانحراف عن الشىء وتقابلها العبارة «فيحى فياح» بمعنى الرغبة فى الشىء. ولعل المخاطب بالعبارة «حيدى حيد» الجنود والمقاتلون الذين تدعوهم عناصر النفاق والانهاز إلى اعتزال الميدان، وعلى العكس من ذلك دعوة عناصر القوة والاعتدال إلى القتال بقولها «فيحى فياح». كما يحتمل أن يكون المراد قولهم للمعركة ابتعدى عنا؛ الأمر الذى يكشف عمق خوفهم من قتال العدو، كما يمكن أن يكون المراد أنهم كانوا يخاطبون أنفسهم بهذه العبارة بغية الاسراع فى الابتعاد والاعتزال. وما أشبه هذه الطائفة المنافقة بمنافقى عصر الرسالة الذين صورتهم سورة الأحزاب: «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٣٩

أَعْمَالُهُمْ وَكَانَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» [٢٢٠]. لقد كانت هناك عدده معدودة على هذه الشاكلة على عهد النبى صلى الله عليه وآله، غير أنه من المؤسف أن الأكثرية الساحقة لأهل الكوفة- التى كانت تمثل جيش الإمام عليه السلام- كانت كذلك. ثم قال عليه السلام:

نفحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ١٣٩

«ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم»

يبدون أن هذه العبارة تشكل رداً على أولئك الذين يشكلون على مثل هذه الخطب فى أن الإمام عليه السلام لم يكتف بالموعظة ولا يمارس الضغوط من أجل حشدهم للجهاد؛ الأمر المتعارف لدى الحكام فى كافة أرجاء المعمورة؟ فالإمام عليه السلام يقول: لو تركتكم وحالكم أحراراً ودعوتكم للجهاد لم تلبوا دعوتى، ولو شددت عليكم فى هذه الدعوة فأنتم كذلك، وما ذلك منكم بعجيب فأنتم أفراد ضعاف النفس والإرادة ولستم إلا إلباً لأعدائكم على أوليائكم. وقد أثبت التاريخ أن هؤلاء الأفراد أصبحوا جنوداً مجندة لبنى أمية ومن كان على شاكلة ابن زياد والحجاج إثر خشيتهم من التهديدات التى تطيل أموالهم وأعراضهم، ولكن ليس لحكام

العدل ولا سيما على عليه السلام من اتباع هذا الاسلوب في تعبئة الأفراد. ثم قال عليه السلام  
«أعليل بأضاليل [٢٢١]»

كل ذلك قعوداً عن الجهاد ودفعاً بى إلى تأخيره، كالمدين الذى يناشد الدائن تمديد الأجل  
«وسألتمنى التطويل دفاع ذى الدين المطول»

نعم هذا هو حال الأفراد الضعاف من أهل المزاعم والإدعاءات دون الأفعال، ليس لهم من هم سوى خلق الأعدار والتشبث بالذرائع من أجل التهرب من المسؤولية، القرآن من جانبه صور حالة المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا يحاولون بشتى الطرق التملص من خوض القتال فعزى ذلك إلى حبهم للدنيا وإيثارها على الآخرة «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُم إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ». [٢٢٢]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٠

هنالك سؤال يطرح نفسه وهو: لم كل هذا الضعف الذى ساد أهل الكوفة مع وجود ذلك الإمام العادل والحكيم المعروف والمجرب فى ساحات الوغى، فى حين كان أهل الشام أكثر قوة وفاعلية منهم والحال كان حاكمهم معاوية؟ ويبدو أن الجواب على هذا السؤال كما أشرنا سابقاً يكمن فى الآلية الاجتماعية التى كانت عليها الناس آنذاك. فالكوفة لم تكن تتمتع بسابقه تاريخية تذكر، بل كانت منطقته حديثة ضمت أقواماً مختلفه ذات ثقافات متنوعه، عاشت حالة من التنافس الظاهرى والباطنى، خلافاً لأهل الشام الذين كانوا يتمتعون بالوحدة واللحمه. أضف إلى ذلك فإن أغلب خصوم الدعوة من منافقى المدينة وسائر المناطق كانوا قد اتجهوا صوب الكوفة وأخذوا يمارسون دعاياتهم المغرضه التى تهدف إلى شق الصفوف وزرع بذور الفرقة والاختلاف فى صفوف أهل الكوفة، إلى جانب العمل على إضعافهم فى مجابهة العدو. من جانب آخر فإن الفتوحات الإسلامية آنذاك قد جرت ثروات طائلة، ولا يخفى أن طبيعته الثروه إنما تختزن الدعء والرفاه والعافية؛ الطبيعه التى لا تنسجم وروح القتال والجهاد.

ومن هنا كان أهل الكوفة يقتنصون الأعدار التى تمكنهم من أداء وظيفتهم الجهادية حتى فى أحلك الظروف التى شنت عليهم الغارات وجرعوا فيها غصص الذل والهوان من قبل بنى أمية وجيوش الشام. نعم إن الأمية كانت تلهث وراء الحكام الذين عبثوا بيت المال وأغدقوا مافيه على الرعية، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام مستعداً للتفريط بصاع من بيت مال المسلمين لأقرب المقربين كائناً من كان. وهذه هى العلة الاخرى التى ساقها أمير المؤمنين فى كشفه النقاب عن روحية الأمة  
«وإنى لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ولكنى لا أرى صلاحكم بافساد نفسى» [٢٢٣].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤١

## القسم الثانى

### إشارة

«لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ! أَيُّ دَارٍ بَعِيدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعِيدٍ تُقَاتِلُونَ؟ الْمَعْرُورُ - وَاللَّهِ - مَنْ عَزَزْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ، فَقَدْ فَازَ - وَاللَّهِ - بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى ركن مهم فى الحياة الإنسانية فقال

«لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد»

ما أجدر أن تكتب هذه العبارة بماء الذهب وتتلئ صباح مساء فى أفنية مستضعفى العالم حتى تصبح جزءاً من ثقافتهم وترسخ فى

أعماقهم. نعم إن الطغاة جرعوا الأذلاء والعجزه صنوف العذاب والاضطهاد ولم ينصفوهم ويمنحوهم حقوقهم، فالحق يؤخذ بالقوة إستناداً لمعاني العمل والسعى الدؤوب والاثرة وحمل السلاح وخوض غمار القتال، فالطغاة الجبارة لا يفهمون سوى لغة الحديد والنار ولا بد من مجابتهم بالقوة. ويبدو أن طبيعة العالم كذلك في أن سبيل بلوغ الأهداف العليا المادية والمعنوية إنما عبد بالمطبات والعقبات الكؤود، ولا يظفر بهذه الأهداف من لم يقاوم هذه العقبات. ثم يقطع الإمام عليه السلام كافة الأعدار على هؤلاء فيخاطبهم ماذا تنتظرون، وعن أي دار تدافعون، ومع من تقاتلون وأنا بين أظهركم

«أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي إمام بعدى تقاتلون؟»

. نعم لن يسعكم الدفاع عن أي دار طالما تخاذلت في الدفاع عن داركم بصفتها دار الإسلام، وإذا لم تلتحقوا بي في القتال نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٢

فلن يسعكم القتال مع أي أحد بعدى. وعليه فليس أمامكم سوى الأسر والعبودية للعدو فيسلبوكم الإرادة والاختيار- فالواقع هو أن الإمام عليه السلام أراد حثهم على القتال من خلال بعض المعاني التي تثير في نفوسهم الحمية والغيرة، فالوطن لا يسلم دون الدفاع عنه، وإن كانت لهم أدنى رابطة بإمامهم فهم مطالبون بالقتال فما عسى أن يكون الإمام من بعده والذي يسعهم القتال معه. ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى عدم إمكانية خوض القتال بمثل هذه العناصر الضعيفة الهزيلة التي فقدت مقومات المقاومة والثبات «المغرور- والله- من غررتموه» [٢٢٥].

فالمحتال الخادع قد يتلاعب ببعض ممتلكات الناس ويمدّ يده إلى بعض حاجاتهم، أما أنتم فقد سلبتموني كل شيء وقد وليتم ظهوركم للعدل والطهر والتقوى والعزة والرفعة فضيغتم حقوق المسلمين ولاسيما المستضعفين والمحرومين. ثم قال عليه السلام:

«ومن فاز بكم، فقد فاز- والله- بالسهم الأخب» [٢٢٦]

. إشارة إلى أن مساعدتكم ونصرتكم ليست بشيء، ومن يعتمد عليكم كمن يشترك في اقتراح لا تنطوي نتيجته سوى على الخسران. فالإمام عليه السلام يرى في نصره أهل الكوفة الهزيمة الفشل وقد شبهها تشبيه رائع في أن الفوز بهم كالفوز بالسهم الأخب الخاسر. ثم أورد شبهاً آخر فقال عليه السلام:

«ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل»

في إشارة إلى أن أهل الكوفة فاقدون لكافة مقومات الهجوم على العدو من قبيل قوة الإيمان والتقوى والشجاعة، وقد فقدوا كافة القيم إثر تعلقهم بالحياة الدنيا والاغترار بزخارفها وزبرجها.

## تأملان

### ١- الحق يؤخذ ولا يعطى

ما نفهمه من قوله عليه السلام

«لا يدرك الحق إلا بالجد»

أن الحق يؤخذ ولا يعطى؛ أي لا يمكن التطلع إلى الحصول على الحق في ظل الحكومات الغاشمة التي تعتمد أسلوب القوة وتمارس الظلم والاضطهاد بحق الطبقات المحرومة والمستضعفة؛ ولا غرو فأساس قوتهم وقدرتهم إنما

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٣

تكمن في غضبهم لحقوق الآخرين، وعليه فلا تعنى إعادة هذه الحقوق المغتصبة سوى تجريدهم من هذه القوة؛ الأمر الذي لن يحدث قط. وهنا يحث الإمام عليه السلام كافة المحرومين والمستضعفين على الوحدة وحرص الصفوف لاستعادة حقوقهم السليبة من الظلمة

والطواغيت وأنهم غالبون لا- محالة، فالطغاة ليسوا مستعدين للتضحية، بينما يضحي المستضعفون بالغالي والنفيس من أجل إحقاق حقوقهم. طبعاً ملئت الدنيا اليوم بالشعارات التي تتبنى حقوق الإنسان وتطالب بإعادة حقوق المحرومين، غير أن التجربة أثبتت بالأدلة القاطعة أن هذه الشعارات لاتعد كونها مصادد تهدف اغفال الطبقات المسحوقة والمعدمة والاستسلام إلى ارادة الأقوياء؛ الأمر الذي يثبت أن الحق يؤخذ ولا يعطى. فالمؤمنون لا يسعهم الوقوف مكتوفى الأيدي حيال الظالمين الذين يتلاعبون بمقدراتهم. وعليهم أن يتعلموا الدروس والعبر التي لفتها الإمام الحسين عليه السلام البشرية جمعاء فى الصبر والتضحية والفداء، فما زالت صرخاته تدوى فى الاسماع

«ألا- وإنّ الدعى ابن الدعى قد تركنى بين السلة والذلة! وهيهات له ذلك! هيهات منى الذلة! أبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون و حدود طهرت وحجور طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» [٢٢٧]

. كما أكد القرآن الكريم على جانب الصبر والصمود والمقاومة لدى المؤمنين، ومن ذلك الآية ٢١٤ من سورة البقرة «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ». وهى الحقيقة التى نلمسها بوضوح فى كافة الغزوات الإسلامية من قبيل بدر وأحد والأحزاب وتبوك وحنين، التى كان ينتصر فيها المسلمون بسلاح الإيمان والصبر، صحيح أن النصر من عند الله، إلا أن الامداد الغيبى والعناية الإلهية كانت مكملة للأسباب الظاهرية والعدو والعدد التى كان عليها المسلمون. فهذا أحد القوانين التاريخية الثابتة، فلا يقتصر على صحب النبى صلى الله عليه و آله والإمام الحسين عليه السلام، كما لا يرتبط بالأمس واليوم، بل يشمل المستقبل كالماضى على حد سواء.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٤

## ٢- الدفاع عن الوطن

لقد لجأ الإمام على عليه السلام إلى مختلف الأساليب من أجل إثارة مشاعر أهل الكوفة وتعبئتهم لقتال العدو، ومن ذلك تأكيد على مسألة الدفاع عن الوطن «أى دار بعد داركم تمنعون»

؟ فى إشارة واضحة إلى علاقة كل فرد بوطنه وأنه يهب للدفاع عن هذا الوطن إذا تعرض للخطر مهما كانت المدرسة والفكرة التى يؤمن بها وينتمى إليها، إلما أن المؤسف له أن هذه الروح هى الاخرى قد ماتت فيهم. وهنا يبرز هذا السؤال: هل حرمة الوطن فى الإسلام بصفته يمثل دار الإسلام أم هناك شىء آخر؟ أى البلد الإسلامى يكتسب حرمة كونه بلداً إسلامياً، أم هناك حرمة ذاتية لكل بلد بحيث تتضاعف هذه الحرمة لو أصبح جزءاً من دار الإسلام؟ يمكن العثور على أجوبة هذه الاسئلة فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية؛ الأمر الذى يؤكد العقل أيضاً. فقد تواتت الآيات التى ذهبت إلى أن الاخراج من الوطن إنما يضاد القيم الإنسانية؛ الأمر الذى يعنى حرمة الوطن الذاتية، وهذا ما نلمسه بوضوح فى الآيات القرآنية الثامنة والتاسعة من سورة الممتحنة «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» فقد اعتبرت الآيتين الكريمتين الاخراج من الوطن بمثابة المقاتلة فى الدين، الأمر الذى يؤكد قيمة الوطن كما صرحت بذلك الآية ٢٤٦ من سورة البقرة على لسان بنى اسرائيل «قالوا وما لنا أَلانُقَاتِلَ فى سبيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا» فهى تدل على أن دافعهم الجهادى إلى جانب حفظ الدين ينطوى على انقاذ الوطن، وقد أقر نبينهم هذا الدافع دون أن يعترض عليه، ونوكل الحديث فى الآيات الاخرى الواردة بهذا المجال إلى محلها.

رسول الله صلى الله عليه و آله كان شديد التأثر اثر هجرته من مكة، طبعاً صحيح أن مكة كانت تمثل قيمة دينية كبيرة، إلا أنها كانت



تعنى إلى جانب ذلك بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وطنه ومسقط رأسه، ومن هنا خفف عنه القرآن بقوله «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ» [٢٢٨].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٥

وورد في الحديث عن علي عليه السلام:

«عمرت البلدان بحب الاوطان» [٢٢٩]

وقال أيضاً

«من كرم المرء بكائه على ما مضى من زمانه وحينه إلى أوطانه» [٢٣٠].

وجاء في الحديث المعروف

«حبّ الوطن من الإيمان» [٢٣١].

فالذى نخلص إليه أنّ حبّ الوطن والتعلق به يستند إلى جذور قرآنية ونبوية إلى جانب تأييد العقل والمنطق. الا ان هذا لا يعنى تعلق الفرد بوطنه بصورة مطلقة بحيث لا يتركه طلب العلم والتكامل ونيل المنافع المعنوية والقيم الإلهية ومن هنا ورد الحديث عن علي عليه السلام:

«ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك» [٢٣٢]

. وأخيراً فإن الوطن يكتسب قيمة مضاعفة إذا ما انضمت إليه الجوانب المعنوية علاوة على الجوانب المادية، فيصبح دار الإسلام، فيهب الفرد بكل ما أوتى من قوة للدفاع عنه والذود عن كيانه.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٧

### القسم الثالث: اليأس من القوم

#### إشارة

«أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصِدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ. مَا بِالْكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ أَقْوَالًا بغيرِ عِلْمٍ؟

وَعَفْلَةٌ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟! وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟»

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام هذه الخطبة- التي تعدّ من الخطب الأليمة للإمام عليه السلام بمعاودة ذم اولئك القوم الذين ماتت ارواحهم عليهم فيقولون قليلاً فيعبثوا أنفسهم ويستغلوا إمكاناتهم ويهبوا للقاء عدوهم فيريحوا الامية الإسلامية من شر أهل الشام الذين يمثلون حثالات زمان الجاهلية، فقد قال عليه السلام:

«اصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أُوعد العدو بكم».

نعم إنّ الإدارة الناجعة تتطلب ثقة متبادلة بين الامية والقائد، وإنّ ثقة القائد بالامة والعمل على تشجيعها ورضها عن أخطائها وتذكيرها بنقاط قوتها من شأنه أن امل القائد وأحلامه قد تتبدد من جراد الامة التي تعيش الخواء الروحي والضعف والتشتت والتمزق والجهل بحيث لا يعد للتشجيع والثقة من دور فى إثاوتها وحشد طاقاتها، بحيث يستفعل مرضها بما يجعل من الصعقة الاسلوب الامثل للشقاء.

- فالعبارة وإن كانت تصور الأوضاع المزريّة لأهل الكوفة، إلّا أنّها تشير إلى مدى عمق المشاكل التي إستنزفت أمير المؤمنين على عليه

السلام في ذلك الزمان، فقد كان محققاً في اعلانه عدم الوثوق بهم، فقد خالفوا كراراً وعودهم ونقضوا محارم عهودهم ونكثوا بيعتهم. لم يكونوا يحسنون سوى الكلام في المجالس وإطلاق الشعارات الرنانة والكلمات نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٨

الحساسة، فاذا دقت ساعة القتال ولوا زحفاً إلى مخادعهم وهربوا هرب الشاة من الذئب.

ثم قال عليه السلام:

«ما بالكم؟ مادواؤكم؟ ما طيبكم؟ القوم رجال أمثالكم».

أو تعتقدون أنّ أهل الشام خلقوا من غير طينتكم، أم لهم بقية جسمية وروحية تختلف عنكم؟ كلا. اللهم الافارق واحد بينكما هو الاخلاق والمعنويات.

فهم يعملون ماذا يلزمهم من أجل القتال، إلّا أنكم لستم كذلك رعتم النعمة العظيمة التي من الله بها عليكم بان جعل لكم إماماً عادلاً مقتدرًا... لقد أربعتكم إمكاناتهم حتى انتهى بكم ذلك إلى الذل والهوان. يا للاسف أن يتلى زعيم مثلى برعية مثلكم.

نعم دواؤهم كان فيهم كما ورد ذلك في الشعر الذي يتسب إلى الإمام عليه السلام:

دواؤك فيك وما تبصرو دواؤك منك وما تشعر

ثم يختتم عليه السلام خطبته بالقول

«أقولاً بغير علم؟ وغفلة من غير ورع؟ وطمعا في غير حق؟».

أجل هذه هي العناصر التي تقف وراء بؤسكم وتعاستكم، فأنتم ترسلون الكلام على عوايته دون أن تستندوا إلى علم أو معرفته، ثم وليتم ظهوركم للورع والتقوى وانهمكتم في الدنيا وغفلتم عن الآخرة، وأخيراً فأنكم تحلمون بالنصر دون أن تعدوا له عدته. هذه هي العوامل الثلاث (القول دون العمل والجهل المشوب بعدم التقوى والأمل بالنصر دون إعداد مقدماته) التي تهدد بالفشل والهزيمة كل أمة وقوم.

### أسباب الهزيمة والفشل

لاشك أن جيش الإمام عليه السلام وبفضل زعيمه الرباني المعروف بالجهاد والشجاعة في ميدان الحرب كان يمتلك كافة أسباب الانتصار على العدو من جميع النواحي، إلّا أنه وللأسف قد شهد حالة من الضعف سلبته زمام المبادرة وزعزعت عوامل النصر، والمفروغ منه ان ذلك الضعف والوهن إذا دبّ في أمة فأنها لن تنتظر مصيراً أحسن من ذلك المصير الذي ساد جيش الكوفة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٤٩

وقد أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة التي نحن بصدرها إلى عناصر هذا الضعف والتي كان في مقدمتها تركهم للعمل وتمسكهم بالقول.

فقد كانت مجالسهم عامرة بالكلام ولا سيما عن القتال والحرب دون أن يعدوا العدة اللازمة و يأخذوا للحرب اهبتها، يكتفون من الكلام خلف الجبهات دون أن يجرأ أحدهم على الاقتراب من الخطوط الأمامية.

وكأنّ قدرة الأفراد الضعاف العجزة تتركز عادة في الأقوال والمزاعم، ولعل الإمام عليه السلام أشار إلى هذا المعنى بقوله:

«أقولاً بغير علم؟»

سواء كان هذا العلم يعنى المعرفة أو الاعتقاد أو العمل، فالنتيجة واحدة لكل من هذه التفاسير الثلاثة، لأنّ المعرفة بالشىء والاعتقاد به تدعو إلى العمل، أما ضعف العمل فانما يستند إلى عدم المعرفة والاعتقاد، الأمر الذي صرح به الإمام عليه السلام بقوله

«العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل» [٢٣٣]

العامل الآخر هو الغفلة وفقدان الورع، وبعبارة أخرى فإنَّ عدم الالتفات إلى الحقائق والواقعات - الذى تفرزه حالة عدم التقوى. إنّما يؤدي إلى إختراق الصفوف من قبل العدو، فى حين لا تصيب سهام هذا العدو اذا ما تحلت الامية بالفطنة والذكاء المشوب بالتقوى بدلاً من الغفلة والتحلل من الورع والتقوى.

والعامل الاخير هو الطمع فى ما لا يستحقون، أو بعبارة اخرى الطمع فى الشيء دون توفير أسبابه.

فاننا نعلم بأنَّ هنالك الأسباب التى ينبغى توفرها لتحقيق بعض الأهداف.

فقانون العلة والمعلول إلى جانب الإرادة الإلهية هى التى تحكم الوجود برمته، وإن ظن بعض الجهال ببعض الاوهام والخيالات والمعادلات الساذجة كمقدمة لتحقيق الاهداف.

وقوله عليه السلام

«طمعاً فى غير حق»

يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى، فإنهم كانوا يطمعون فى شئ لا يستحقونه، إلّا أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة ذهبوا إلى أن المراد بهذه العبارة أنّهم كانوا يطمعون بالمزيد من عطائهم فى بيت المال، ويتمنون على الإمام عليه السلام أن يعطيهم من بيت

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٠

المال أكثر من إستحقاقهم، فلما لم يلب الإمام عليه السلام طلبهم غير المشروع صابهم الضعف والوهن فى القتال.

ومن الطبيعى أن يكون هذا التفكير المادى أينما كان عاملاً من عوامل الفشل والهزيمة، كما فشل الجيش الإسلامى فى معركة احد إثر انهماك الجنود فى جمع الغنائم واهتمامهم بالجوانب المادية فى ذلك الميدان الجهادى العظيم.

على كل حال فإنَّ هذه العوامل التى تؤدى إلى الهزيمة والفشل لا تقتصر على جيش الكوفة فحسب، بل تهدد كافة الجيوش على مدى الدهور والعصور وأخيراً فالخطبة تصور مدى لوعه الإمام عليه السلام.

وذروة إستيائه، وهى كافية فى توضيح عمق الظروف العصبية التى عاشها الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥١

## الخطبة [٢٣٤] الثلاثون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى معنى قتل عثمان وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه.

### نظرة إلى الخطبة

نعلم بأنَّ الآراء قد اختلفت فى قتل عثمان، فهناك من ذهب إلى تقصير عثمان وأنه كان مستحقاً للقتل؛ فقد سلط بطانته على بيت المال وأغدق عليهم المناصب الحساسة فى الحكومة، حتى قام الناس ضده دون أن يهب أحد من المسلمين لنجدته فكان الجميع راضياً بقتله.

بينما هناك من يعتقد بعدم صوابية قتله وكان ينبغى أن يمنح فرصة التوبة ليتدارك بعدها ما فرط منه، وإن كان ولا بدّ يخلعونه من الخلافة، أمّا قتله بتلك الصورة العلنية إنّما هو بدعه، أضف إلى ذلك فإنَّ قتله أصبح ذريعة للمنافقين من أجل بث الفرقة والشقاق فى

صفوف المسلمين.

و أخيراً هناك طائفة ضيقة النظر ممن لا تكلف نفسها عناء التحقيق والتفكير في سيره

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٢

الخليفة الثالث تراه الخليفة المظلوم الذي قتل شهيداً، كما تنزه ساحته من كل نقص وعيب.

الإمام عليه السلام من جانبه وفي خضم هذه الآراء المتضاربة يكشف النقاب عن الحقيقة ويعرض بالتحليل للمسائل المرتبطة بقتل عثمان.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٣

«لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: «خَدَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» وَمَنْ خَدَلَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ:

«نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي» وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَاسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَاسَأْتُمْ الْجَزَعَ وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأْثَرِ وَالْجَزَاعِ».

الشرح والتفسير

### عوامل قتل عثمان

كما ذكر في بداية الخطبة فأنها تعالج قضية قتل عثمان والتعرض إلى العوامل التي دفعت إلى هذا القتل. فكلنا نعلم بان لقتل عثمان جذور معلومة نابعة من طبيعة أعماله وأفعاله، فقد أجمع المحققون على أن سوء تدبير عثمان في ادارة دفة الحكم وتبديل الحكومة بموروث قبلي والتطاول على بيت المال والظلم والاضطهاد الذي مارسه أقربائه وبطانته بحق الناس قد أدى إلى غضب عام حتى انبرت طائفة مؤلفة من بضعة مئات لتحصره في داره وتهجم عليه وتقتله، وقد وقف ذلك الجيش الجرار الذي فتح مصر وبلاد الروم متفرجاً دون أن يحرك ساكناً؛ فقد كان ذلك الجيش ساخطاً عليه ويرى ضرورة قتله، غير أن الناس إنقسموا طائفتين بعد قتله:

طائفة- لعلها كانت تشكل الاكثرية- كانت راضية بهذا القتل أو على الأقل غير مكترثة له بينما ترى الطائفة الثانية أنه قتل مظلوماً. وفي ظل هذه الظروف إنتهز المنافقون الفرصة لبث بذور الفرقة في صفوف المسلمين وحرف مسير الخلافة عن محورها الأصيل أمير المؤمنين على عليه السلام- والذي كان يخطى بتأييد كافة أفراد الامة- واستغلوا قضية قتل عثمان كذريعة لتحقيق أطماعهم وآربهم، وبعبارة اخرى فأنهم أحوالوا قميص عثمان إلى مناورة سياسية هدفها إغفال الامة وصددها عن الحق.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٤

وبالطبع فإن أفراد من كلا الطائفتين كانوا من ضمن صحب الإمام عليه السلام واتباعه، وإن كانت الطائفة الثانية وعلى ضوء تصريحات بعضى المؤرخين تشكل الأقلية، وعليه فمن الطبيعي أن تكثر هذه الطائفة من سوالها لعلى عليه السلام عن قتل عثمان، فلم يكن أمام الإمام عليه السلام من بد سوى الاجابة التي تتضمن عكس الحقائق التاريخية من جانبه وعدم منح هذا وذاك الفرصة بغية إستغلالها ضد الدين.

فالخطية رد على مثل هذه الاسئلة الذي يتطرق فيه الإمام عليه السلام إلى بيان الحقائق التاريخية دون منح العناصر الفاسدة الحجج والذرائع فقد قال عليه السلام:

«لو أمرت به، لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه، لكنت ناصراً».

فمفهوم هذه العبارة هي أنى كنت محايداً فلم ألتخ يدى بدمه ولم أدافع عن زلاته، فالأمران ينطويان على محاذير.

وهنا يبرز هذا السؤال: كيف يمكن التوفيق بين مضمون هذه العبارة والوقائع التاريخية؟

لأننا نعلم جميعاً (و قد ذكر ذلك أغلب المؤرخين) أن الإمام عليه السلام نهى الناس عن قتل عثمان و قد بعث بالحسن والحسين عليه

السلام إلى دار عثمان ليحولاً دون زحف المعترضين، بل دخل عليه الإمام عليه السلام بالماء حين منعه منه. وقد أورد الشراح جوابين على السؤال المذكور:

فقال البعض المراد من عدم النهي هو النهي العملي؛ أي أنني لم أشهر السيف عملياً ولم أقتحم الميدان دفاعاً عنه، وهذا لا يتنافى ونهيه اللفظي عليه السلام وبعثه بالحسنين عليه السلام هناك.

بينما يرى البعض لآخر أن هذا الكلام يفيد أن الإمام عليه السلام لم يأمر قط بقتل عثمان، وإن كان يراه مستحقاً للعقاب على أعماله، وعليه وبغية عدم تردى الأوضاع لأسوأ مما كانت عليه فقد دعا الناس إلى ضبط النفس والتخلي عن العنف، إلّا أنه لم يفعل ما من شأنه توفير الدعم الصريح لعثمان وأعماله وما يدر منه؛ وذلك لأنه كما أن سفك دمه يخلق بعض المشاكل في المجتمع الإسلامي، فإن توفير الدعم له والدفاع عن أعماله هو الآخر يسبب مشاكل لا تقل عن سابقتها، وعليه فإن الإمام عليه السلام لم ير في أي من الأمرين (الأمر بالقتل والنهي عنه) ممّا تمليه عليه وظيفته الإسلامية.

وقد أراد الإمام عليه السلام أن يعلن موقفه الصريح ويحول دون تفاقم الخلافات بشأن قتل عثمان من قبل الطائفتين التي تذهب إحداهما لضرورة قتله وتلك التي لا تراها مستحقاً للقتل.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٥

ثم قال عليه السلام:

«غير أن من نصره، لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني»،

فالعبارتان تبيان موضوعاً واحداً وهو إتفاق الجميع على أن حماة عثمان آنذاك كانوا من طلحاء الأمة، بينما كان الأفراد الذين لم يمدوا له يد العون من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار.

فالشواهد التاريخية تفيد تواجد كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار حين هجم الناس على بيت عثمان، ولو كانوا يرتضون عثمان وأعماله لحالوا دون وصول الناس إليه، الأمر الذي يدل على تخليهم عنه وعدم تقديم أي دعم أو إسناد له. أمّا الأفراد الذين هبوا للدفاع عن عثمان آنذاك فقد كانوا يمثلون أراذل المجتمع الإسلامي، وما ذلك الدفاع إلّا للمنافعهم اللامشروعة التي كانوا يحظون بها آنذاك.

وعليه فقد كانت هذه المسألة واضحة في أنّ حماة عثمان من أمثال مروان لم يجرأوا على الزعم أنّهم خير من المهاجرين والأنصار الذين لم يدعموا عثمان.

ومن المسلم به أن أولئك الذين تخلوا عن دعم عثمان لم يكونوا يرووا أن حاشية عثمان وبطانته أفضل منهم، ومن هنا فقد إتفقت الآراء على أن حماة عثمان لم يكونوا من أختيار الأمة.

فالعبرة غاية في الروعة وقد أماطت اللثام عن أعمال عثمان بالشكل الذي أثار حفيظة كافة المسلمين.

ومن ذلك توزيعه أموال بيت المال على قرابته وبطانته وتسليطهم على رقاب الناس إلى جانب الظلم والجور والاضطهاد وتضييع العدل والقسط.

وقد صرح بعض شراح نهج البلاغة [٢٣٥] بان الكلام هو ردّ الإمام عليه السلام على من قال بحضرته أنّ الفتنة من أولئك الذين لم ينصروا عثمان، فلو نصره كبار الصحابة لما اجتراً جهال الأمة على سفك دمه، ولو رأى كبار الصحابة وجوب قتله لكان عليهم إعلان ذلك وإزالة الشبهات عن أذهان الأمة.

فعلم الإمام عليه السلام أنه المقصود بذلك الكلام، فأورد هذه الكلمات.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٦

على كل حال فإنّ الخطبة تبين أنّ الإمام عليه السلام إذا لم ينصر عثمان فانه لم يكن وحيداً في هذا الأمر، بل كان هذا موقف كبار

الصحابه، فلم الإشكال على الإمام عليه السلام؟ ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بتحليل دقيق عن قتل عثمان، فقال عليه السلام: «و أنا جامع لكم أمره، استأثر [٢٣٦] فأساء الاثره، و جزعتم فأسأتم الجزع، والله حكم واقع فى المستأثر والجازع». لقد صرح أحد الادباء العرب المشهورين بأن عبارات الإمام عليه السلام إتصفت بقله الألفاظ وسعه المعانى، فالعبارة على قلها لفظها جامعها شامله حيث أوضح الإمام عليه السلام فيها أن عثمان ارتكب خطأ جسيماً وأتم كذلك. فقد انتهج اسلوب الاستبداد والحكم الفردى وسلط بنى اميه على رقاب الناس وأغدق عليهم بيت المال فلما تعالت أصوات المعارضة وقام المسلمون لم يعرفهم آذانا صاغية، فحاصروه وهجموا عليه فتركه كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرون، من جانب آخر فإن الناس لم يكتفوا بهذا الحد، وبدلاً من خلعه من الخلافة وطرد أزلامه من مواقع الحكومة عمدوا إلى اراقه دمه فخلقوا فتنة إمتدت لسنوات فى التاريخ الإسلامى، إلى جانب استغلالها من جانب المنافقين الذين تذرعو بالمطالبة بدم عثمان ليسفكوا كثيراً من الدماء. وبناءً على ما تقدم فإن الفريقين قد سلكوا الافراط، وعليه فإن الله جازى كل منها بأعماله. لقد كثر الكلام بشأن خلافة عثمان وآثارها: إلا أن كلام الإمام عليه السلام ورغم قصر عباراته إلا أنه أوجز كبد الحقيقة إلى جانب اصداره الحكم العادل بشأنه وشأن الجماهير التى قتلتها. كما يستفاد من العبارة أن الاستبداد- رغم إنه سيئ مهما كان- على أنواع بعضها أسوأ من البعض الآخر، واستبداد عثمان كان من النوع الاخير.

كما أن التعبير بالجزع عن الناس يشير إلى مدى الغضب والاستياء الذى سيطر على الناس إثر الأعمال الشائنة لعثمان وبطانته.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٧

## الخطبة [٢٣٧] الحادية والثلاثون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل.  
«لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّه تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ، يَزْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ «هُوَ الدَّلُولُ» وَلَكِنَّ الْقَ الرَّبِيبَ فَإِنَّهُ أَلَيْنَ عَرِيكَهَ فَقُلْ لَهُ: «يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ»».  
الشرح والتفسير

### السعى لانقاذ الخاطئين

نعلم أن المعركة الاولى التى فرضت على أمير المؤمنين عليه السلام كانت معركة الجمل، حيث إتحد أنصار عثمان ومعارضيه بعد أن إصطحبوا معهم زوج رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة فنقضوا البيعة واشعلوا فتيل واقعه الجمل طمعاً فى الخلافة. ثم انتهت المعركة بهزيمتهم وقتل مؤججى تلك النار طلحة والزبير.

وتفيد كافة الشواهد التاريخيه أن الإمام عليه السلام كان حريصاً على عدم وقوع القتال ليس فى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٨

الجمل فحسب، بل فى صفين والنهروان، وكان يسعى جاهدا لاطفاء نار الحرب.

والخطبة التي نحن بصددنا تعد أحد تلك الشواهد، فقد بعث الإمام عليه السلام قبل نشوب القتال برسوله عبد الله بن عباس إلى الزبير بهذه الكلمات، فأثرت عليه وانسحب من المعركة، حتى أدركه ابن جرموز في صحراء البصرة فقتله.

فقد خاطب الإمام عليه السلام ابن عباس قائلاً:

«لاتلقين طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً [٢٣٨] قرنه، يركب الصعب ويقول: هو الذلول».

تشبيهه لطلحة بالثور الذي يعقص قرنه إما أن يكون أراد به طغيانه وسوء خلقه، أو عدم سماعه للحق بفعل طاعته لهوى نفسه. فالواقع أن العبارة تفيد تحليله لنفسية طلحة ويأسه من تأثير الكلام فيه بشأن الكف عن القتال وإلا فانسحاب من المعركة، إلا أنه لم يقطع أمله من الزبير (و قد دلت الحوادث اللاحقة أن الإمام عليه السلام كان محققاً في أمله) فأضاف عليه السلام قائلاً:

«ولكن الق الزبير فإنه ألين عريكة». [٢٣٩]

فالعبرة: «ألين عريكة» واستناداً إلى «عريكة» التي تعنى الطيبة، تفيد تسليم الزبير للحق إذا سمعه، ولا سيما إذا كان قد صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله، على العكس من طلحة الذي كان يتصف بالأنانية واللجاج والطغوى وحب الجاه والمقام الذي أعمى بصره وبصيرته وأصم سمعه عن سماع الحق.

ومن هنا ذكر المؤرخون أن الزبير أخذته رعدة شديدة حين دخل البصرة وعلم أن عمار في جيش الإمام عليه السلام حيث تذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار:

«ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية».

فخشى أن يقتل عمار في المعركة، فيكون هو جزءاً من الفئة الباغية.

على كل حال قال الإمام عليه السلام لابن عباس:

«فقل له يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق؟ فما عدا ممّا بدأ؟».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٥٩

فالعبرة إشارة إلى التاريخ الجهادى العظيم للإمام على عليه السلام على عهد النبي صلى الله عليه وآله والذي لم يكن خافياً على أحد بما فيهم الزبير الذي كان يقاتل إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد ورد في الاخبار أن علياً عليه السلام برز بين الصفيين حاسراً، وقال: ليرز اللى الزبير، فبرز إليه مدججاً، فقيل لعائشة: قد برز الزبير إلى علي عليه السلام، فصاحت: وزيراها!

فقيل لها: لا بأس عليه منه، إنه حاسر والزبير دارع.

فقال له عليه السلام: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان، قال: أنت وطلحة وليتماه، وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلمها إلى ورثته، ثم قال له: نشدتك الله أتذكر يوم مرتت بي ورسول الله صلى الله عليه وآله متكى على يدك، وهو جاء من بنى عمرو بن عوف، فسلم عليّ وضحك في وجهي، فضحكت إليه، لم أزد على ذلك، فقلت: لا يترك ابن أبى طالب يا رسول الله زهوه!

فقال لك

«مه إنه ليس بذى زهو، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم»

فقال الزبير: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد كان كذلك، ولكن الدهر أنسانيه، ولانصرف عنك. فانصرف من المعركة [٢٤٠].

فالعبرة السابقة قد تكون إشارة إلى هذا الأمر. جدير بالذكر أن الزبير كان من محبى علي عليه السلام وقد هب للدفاع عنه حتى فى حادثه السقيفة وشهر سيفه، فقام له القوم وكسروا سيفه، إلى جانب ذلك فقد منح رأيه لعلي عليه السلام فى الشورى التى شكلها عمر لانتخاب الخليفة من بعده.

على كل حال فان هذه العبارة أثرت في الزبير وكان شكه يتزايد يوماً بعد آخر. بمشروعية الطريق الذي سلكه حتى إتخذ قراره باعتزال القتال فاتجّه الصحراء ليكمن له أحد الظلمة- ابن جرموز- فارداه قتيلاً ولم يسعه تدارك ما فرط منه.

أمّا قوله عليه السلام: «ابن خالك» فهو تعبير لطيف جداً، وهو من باب الاستمالة والاذكار بالنسب والرحم، فقد كان الزبير ابن صفيّة أخت أبي طالب، وعليه فالزبير ابن عمّة على عليه السلام وعلى عليه السلام ابن خاله.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٠

والعبارة تهدف إلى بيان كافة الامور التي سمعها الزبير من رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن على عليه السلام ومن هنا فقد كان شديد الحب لعلى، إلّا أنّ حب الجاه- الذي كان الدافع الرئيسي لحرب الجمل- كالحجاب الذي حال دون رويته لتلك الحقائق، فكان لهذه العبارة فعلها في نفسه حيث أزالته عنه ذلك الحجاب وجعلته يعود إلى الحق.

قال المرحوم السيد الرضى في ذيل هذه الخطبة:

«وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الثلمة؛ أعنى فما عدا ممّا بدا».

وهى عبارة بعيدة المعنى، تشير إلى مسألة وهى: ما الذى صرفك عن الحق بعد أن اتضح لديك إلى الباطل [٢٤١]. والعبارة من الروعة واللطافة بحيث أصبحت مثلاً فى الادب العربى.

## تأملات

### ١- رد فعل الزبير تجاه رسالة الإمام عليه السلام

ورد فى بعض الروايات أنّ ابن عباس قال: حين أبلغت الزبير رسالة الإمام عليه السلام أجبني:

قل لعلى عليه السلام إنى اريد ما تريد. [٢٤٢]

أى إنك تبتغى الحكومة، فلم لا أطلبها أنا. فقد بلغ به الطمع وحبّ الجاه درجة جعلته يعتقد بأنّ علياً عليه السلام إنّما نهض بالأمر طلباً للحكومة- ولكن وكما أوردنا سابقاً فإنّ الزبير لم يستطع الوقوف بوجه الحق، فما كان منه إلّا أنّ إعتزل القتال وانصرف وإن كانت خطوته متأخرة.

### ٢- قطوف من سيرة طلحة والزبير

طلحة من قريش وأبوه عبد الله بن عثمان من السابقين فى الإسلام وقد شهد غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يشهد يدرا حيث وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله حينها إلى الشام فلما عاد طالب بسهمه من الغنائم.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦١

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لك سهمك وأجرى. وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وآله فى مكة بين طلحة والزبير، وآخى بين طلحة وأبى أيوب فى المدينة. وروى عن طلحة أنّ النبى صلى الله عليه وآله أسماه يوم أحد طلحة الخير. أمّا قتاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى حروبه فمما لا شك فيه مع ذلك فقد كان محباً للجاه والمقام حتى تغيير نهجه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما كانت تسمع منه بعض الكلمات ومن ذلك قوله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر بنات أعمامنا بالاحتجاب منا، ويتزوج بنسائنا بعد انفصالهن عنا: فما الذى يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غدا فننكحهن، وهنا نزلت آية التحريم بالزواج من نساء النبى صلى الله عليه وآله [٢٤٣] فقد ذكر الفخر الرازى فى سبب نزول الآية أنّ طلحة قال:



«سأتزوج من عائشة إذا مات رسول الله صلى الله عليه وآله»

. فنزلت آية تحريم الزواج من نساء النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته. [٢٤٤]

وورد في قصة الشورى التي شكلها عمر أنه أقبل على طلحة وقال: أقول أم أسكت؟ فقال طلحة: قل، فأنك لا تقول من الخير شيئاً.

فقال عمر: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب. [٢٤٥]

على كل حال كان من أشد الناقلين على عثمان، ومن هنا كان يراه مروان من قتلة عثمان، وقد رماه بسهم في الجمل فقتله، وقال: الآن أدركت دم عثمان من طلحة. وقد دفعه حب الجاه لاشعال فتيل الجمل وسفك دماء المسلمين ولم يظفر بالخلافة حتى قتل في معركة الجمل. وذكر البعض أن الإمام عليه السلام حدثه ببعض الكلمات عى غرار الزبير فندم وانصرف من المعركة فرماه مروان بسهم فقتله. إلّا أن الخطبة تفند هذا الكلام، فهي تفيد بأس الإمام عليه السلام من هدايته وعودته إلى الحق. وفي رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام مر يقتلى الجمل فقال بشأن طلحة هذا من نكث بيعتى وأشعل نار الفتنة وألب الناس على قتلى وأهل بيتي» ثم خاطبه عليه السلام: يا طلحة إني وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعد ربك حقاً، ثم انصرف. فقال له بعض أصحابه: أتكلّمه بعد الموت يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام والله لقد سمعني كما سمع الكفار كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وهم قتلى في قلب يدري [٢٤٦].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٢

وهنا يبرز هذا السؤال وهو أن النبي صلى الله عليه وآله كان يثنى أحيانا على طلحة، حتى ذهب البعض إلى أنه من العشرة المبشرة بالجنة، فكيف يصح هذا الثناء؟ ونقول في الجواب على فرض أن هذا الكلام صحيح، فإن الإنسان يعيش بعض المراحل المتألفة في سنى حياته بحيث يكون يوماً إلى جانب الحق ويستحق الجنة، ويوماً يخرج من هذا الحق ويلتحق في صفوف الباطل فيستحق غضب الله وسخطه. فالتاريخ الإسلامى حافل بالأفراد الذين كانوا على الحق وهجروه إلى الباطل أو بالعكس، وإلّا فمن يسعه القول بأحقية من أجاج نار الحرب ضد إمام زمانه وسفك كل هذه الدماء؟ فهل من انسجام بين هذا الكلام والمنطق؟ والشاهد على ما قلنا ما صرح به القرآن الكريم بشأن السابقين في الإسلام من المهاجرين والأنصار والتابعين، الذين وعدهم بالجنة «وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا ذَلِكِ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». [٢٤٧]

فالآية تشمل جميع المهاجرين والأنصار، بينما نعلم هنالك من انحرف منهم عن الحق كعبد الله بن أبي سرح [٢٤٨] وثعلبة ابن حاطب الأنصارى [٢٤٩] فاستحقوا غضب الله وسخطه، وقد كانوا من المهاجرين والأنصار الذين وقفوا إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله من تقييم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على ضوء أعمالهم حتى آخر أعمارهم، وإلّا شهدنا حالة من التناقض لا يمكن الخروج منها بتبرير وأما الزبير فهو الزبير بن العوام وامة صفيّة عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله اسلم في الخامسة عشرة من عمره وهو رابع أو خامس من أسلم، هاجر إلى الحبشة ثم قدم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٣

المدينة، وقد أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين عبدالله بن مسعود. شهد غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر وأحد والخندق وحين وقد ابلى فيها بلاءً حسناً حتى أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان أحد أعضاء الشورى الذى بايع علياً عليه السلام ولم يبايعه طلحة. وللأسف فإن حب الجاه وتأثير طلحة قد دفعه للانحراف عن الحق فاشترك مع طلحة في تأجيج نار الجمل التي فرقت صفوف المسلمين وأراقت دمائهم بعد أن نقض البيعة. وقد ذكر المؤرخون انه إستمع لمواعظ على عليه السلام قبل بدء المعركة فعاد إلى الحق وانسحب من الميدان فاتجه صوب صحراء تعرف باسم «وادي السباع» فلما وقف للصلاة تقدم نحوه ابن جرموز فقتله حين الصلاة وانتزع خاتمه وسيفه فأتى بها إلى الإمام عليه السلام.

فاستاء الإمام عليه السلام وقال:

«هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله»

وقيل إن الإمام عليه السلام لم يأذن لابن جرموز بالدخول عليه وقال:

«بشر قاتل ابن صفيّة بالنار»

وقال البعض أن ابن جرموز غضب غضباً شديداً فقتل نفسه. وقد صرحت بعض المصادر التاريخية أن معاوية هو الذي شجع طلحة والزبير على نقض البيعة والقيام ضد علي عليه السلام [٢٥٠].

لا شك إن قضية طلحة والزبير ينبغي أن تكون لنا درساً وعبرة فلا ننغر بأعمالنا، وكيف أن الإنسان يعيش مع الحق ويجاهد في سبيله ثم يستل حب الدنيا والحياء إلى قلبه فيقوده إلى الباطل اللهم إجعل عاقبة أمرنا خيراً.

### ٣- شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد تضمنت رسالة الإمام عليه السلام الإشارة إلى أحد الشروط المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ألا وهو احتمال التأثير. فقد قال عليه السلام:

«لا تلقين طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه، ولكن إلق الزبير فانه ألين عريكه»

فمن الطبيعي أن طاقة الإنسان وقدرته محدودة ولا بد له من استهلاكها في محلها الذي يتوقع فيه التأثير.

فاذا أحتمل عدم التأثير فلا ينبغي له أن يصرف جهده عبثاً، وبالطبع فقد قلنا احتمال التأثير وليس اليقين فيتعلل بعدم الأمر لعدم وجود اليقين في التأثير! كلا إلى جانب ذلك

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٤

ينبغي معرفة المعروف والمنكر وعدم وجود الخطر آنذاك تبرز وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويفهم من رسالة الإمام عليه السلام أن لبعض الناس طباع كطباع الحيوانات فالبعض كالثعلب أو الذئب وبعضهم شجاع كالأسد وآخر من أهل الشهوات كالخنزير وبعضهم جاهل كالبقرة و ...

وقد شبه الإمام عليه السلام طلحة بالبقرة العاقص القرن حيث يستكبر في التسليم إلى الحق ويخطى في إدراك الواقع وتمييزه، وإذا اتجه صوب الأعمال العصية ظنها سهلة حتى تؤدي به إلى الفشل.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٥

### الخطبة [٢٥١] الثانية والثلاثون

#### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهده في الدنيا.

#### نظرة إلى الخطبة

تتألف الخطبة من أربعة أقسام:

القسم الأول يتحدث عن الوضع المأساوي للمجتمع على عهد الإمام عليه السلام والمشاكل التي كانت تعترض سبيل الصالحاء

والأتقياء. ويصنف الإمام عليه السلام الناس في القسم الثاني آنذاك (ولعله في كل عصر ومصر) إلى أربعة أصناف:

أ- الصنف الأول من يقعد به عن طلب الإمرة قلّه ماله، وحقارته في نفسه. فهو مغتم في الواقع لعدم إمتلاكه الامكانيات.

ب- الصنف الثاني من يشمر ويطلب الامارة ويفسد في الأرض ويكاشف

ج- الصنف الثالث من يتظاهر بالدين ويطلب به الدنيا لا الآخرة

د- الصنف الرابع من لامال له أصلاً، ولا يكاشف، ويطلب الملك ولا يطلب الدنيا بالرياء والناموس، بل تنقطع أسبابه كلها فيخلد إلى

القناعة، ويتحلى بحلية الزهادة في اللذات الدنيوية، لاطلباً للدنيا، بل عجزاً عن الحركة فيها، وليس بزاهد على الحقيقة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٦

ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى بيان خصائص كل صنف من هذه الأصناف الأربعة- التي تعيش في كل مجتمع، ويتحدث القسم

الثالث عن صنف آخر ذكره الإمام عليه السلام بصورة مستقلة وهم الأبرار الأتقياء الذين أراق دموعهم خوف الآخرة.

ثم يقسمهم الإمام عليه السلام إلى عدّة أقسام ويذكر صفات كل قسم منهم، أما القسم الرابع والأخير من الخطبة فيدعو فيه الإمام عليه

السلام الناس إلى الزهد وعدم الاعتزاز بالدنيا الذي يقود إلى الذنوب والمعاصي. وقد بين حق الكلام بعبارات قصيرة.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٧

## القسم الأول: الدهر وضياح القيم

### إشارة

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسَيِّئًا وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُودًا. لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا».

الشرح والتفسير

إستهل الإمام عليه السلام الكلام بخطاب عامة الناس ثم أشار الإمام عليه السلام في الخطبة إلى الزمن الذي كان عليه الناس فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ».

طبعاً ليس المراد بالزمن الأيام واليالي والشهور والسنين بحيث توصف بالقبح والحسن والبغض والتنكر، بل أهل العصر والزمان الذين

يتصفون بهذه الصفات، فاذا ما ذكر الزمان بالحسن والقبح فالمراد الناس، وإلّا فليس هنالك من تغيير في شروق الشمس أو القمر ولا

في حركة القمر حول نفسه أو حول الشمس.

فالشمس تشرق والمطر ينزل والأرض تخرج بركاتهما للبشر ولا من تغيير، إلّا أنّ الناس هم الذين يوصفون بسوء الأعمال وحسنها.

فقد عاش الإمام عليه السلام في عصر لم يسع أغلب أفراده- سوى النزر اليسير- إدراك عظمة روحه وسعة فكره والاحاطة بفضائله

ومناقبه، وقد أدت بهم الثروات العظيمة التي أفرزتها الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة البلاد إلى التكالب على الدنيا والتهافت على

زينتها والحرص على جمع الأموال وحب الجاه والمقام وتناسي القيم والمبادئ.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٨

ثم تناول الإمام عليه السلام بعض خصائص الزمان آنذاك والذي يتصف بعناد الناس وجحودهم ليصفه في خمس عبارات فقال:

«يَعْدُ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسَيِّئًا وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُودًا»

أو يمكن أن يتهم المحسن بالاثم ويشتم على الظالم؟ بلى إذا تغيرت قيم المجتمع عد المحسن مسيئاً والمسيء محسناً.

فإذا كان المال والثراء والقوة هي القيم ومعايير الشخصية، فستكون الصدارة في ذلك المجتمع للظلمة والطغاة والجبابرة، بينما تميم في هذا المجتمع شخصية المحسنين الذين يمدون يد العون إلى الفقراء والضعفاء وينفقون عليهم الأموال ويعتقونهم بالحمافة والبلاهة. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض نماذج الفساد الذي طال المجتمعات البشرية بفعل فساد التعامل مع القيم والتكبر لها ومن ذلك ما أورده بشأن قوم لوط الذين عزموا على إخراج نبيهم ومن معه من المؤمنين الصالحين ولا- ذنب لهم سوى الطهر والعفاف «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» [٢٥٢].

كما اعتبر الظلمة من قوم نوح تلك التلة الخيرة التي آمنت بالله والنبي بأنها من أراذل القوم والسذج الذين ليس لهم من مزية على من سواهم «مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ يَلِيلُ نَنُكُّكُمْ كَاذِبِينَ» [٢٥٣].

نعم إذا فسد الناس وازداد حجم الظلم والاضطهاد تغير وجه المجتمع وغيبت فيه القيم، وازداد الظالم طغياناً وتجبراً وعدّ المحسن مجرماً فيقصي من ذلك المجتمع.

وليس هنالك من نتيجة سوى ما أشار إليها الإمام عليه السلام:

«لانتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا».

والواقع أنّ هذه أسوأ حالة يعيشها الفرد أو المجتمع، أي أنّه لا يستثمر علومه ومعارفه في حل مشاكله ولا يهتم بالقضاء على الجهل و الاقبال على العلم، وليس هنالك من نتيجة لهذين الأمرين سوى العوم في بحر الجهل والجريمة، وهذا هو حال كافة الأفراد الذين يغضون الطرف عن مفاسد المجتمع ولا يرون لأنفسهم من مسؤولية في ردعها سواء من خلال اليأس من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٦٩

الإصلاح أو التعود على هذا الفساد والتكيف معه.

ثم قال:

«ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا».

الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام أورد العبارات الأخيرة بصيغة التكلم مع الغير وينسبها إلى نفسه ومن حوله؛ مع القطع بأنّه مبرأ من ذلك بفضل عصمته وورعه وتقواه، ولعل العبارة تهدف عدم جرح مشاعرهم وإثارة حفيظتهم فيجعل نفسه كأحدهم في مثل هذه الامور.

## تأملان

### ١- ما مفهوم فساد الزمان؟

ذكرنا أنّنا أن الزمان لا يراد به هنا المدة الزمنية لحركة الشمس والقمر (أو دوران الأرض حول نفسها والشمس) فالأزمنة متشابهة ذاتاً، والأشخاص هم الذين يتغيرون والحوادث والوقائع التي تجعل العصر والحياة حلوة أو مرّة.

و عليه فإذا قيل بفساد الزمان فالمراد فساد الناس.

ويصدق هذا الأمر على المكان أيضاً، فإذا قيل أنّ المنطقة الفلانية أو البلد الفلاني فاسد فالمقصود فساد أهل تلك المنطقة أو ذلك البلد.

وبالطبع فإن هنالك من يحاول استغلال هذه العبارات ليجعل من فساد الزمان أو المكان ذريعة لفساده وانحطاطه.

فإذا سئل عن سبب فساد وانحرافه، إنبرى للجواب: وماذا أفعل فقد فسد العصر أو البيئة التي أعيش فيها، والحال هو ومن حوله مصدر

الفساد. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى الاشعار التى تنسب إلى عبدالمطلب جد النبى صلى الله عليه و آله حيث أنشد قائلاً:  
و يعيب الناس كلهم زمانا وما لزماننا عيب سوانا  
نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان بنا هجانا  
وان الذئب يترك لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا [٢٥٤]

و من البديهي أن زوال فساد الزمان مرهون بتغيير الناس فيشملوا بلطف الله وعنايته «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» [٢٥٥]. وبذلك فالإنسان هو المقصر الأصلي على كل حال.

## ٢- التنكر للقيم

المسألة التى تلعب دوراً مهماً فى مصير المجتمعات البشرية والتى قد يغفل عنها الأعم الأغلب من الناس إنما تتمثل بنظام القيم والمبادئ التى تسود المجتمع.  
فالمجتمع إنما ينطلق فى مسيرته نحو المثل والقيم التى يلهمها لأفراده والمقررة من قبلهم، وعليه فالمجتمع يتجه نحو التآكل والزوال إذا ما شهد تغييب القيم والمبادئ.  
ونقصد بالمجتمع حركة جميع أفراد ولا يقتصر ذلك على بعض الأفراد الذين يتحلون بالايمان والتقوى فيقفون دائماً ضد حالات الفساد والانحراف.  
وبناءً على ما تقدم فإن القيم المقررة فى المجتمع إذا كانت تتجسد فى المال والثروة فإن كافة الأفراد سيتجهون نحو الشراء كهدف دون الإكتراث لمسائل الحلال والحرام.  
والإنسان يتجه بوحى من طبعه إلى صنع الشخصية ولا يأل جهداً فى السعى لتحقيق هذا الأمر، فإذا كانت القيم السائدة تتمثل بالشخصية الكاذبة فإن الأفراد سيتحركون لامحالة لمثل هذه الشخصية.  
والشباب عادةً يلهثون خلف السمعة والشهرة ويعشقون الابطال، و عليه فلا يبدو غريباً تقليد الشباب لهؤلاء الابطال حتى فى الثياب واسلوب المشى، ولو كان هؤلاء الابطال هم العلماء والمفكرين فمن الطبيعى أن ينطلق الشباب نحو العلم والمعرفة.  
بالمناسبة هنالك قصة طريفة مشهورة بشأن العلامة الكبير الشيخ البهائى، حيث قرر الشاه عباس الصفوى مكافئة جهوده العلمية وخدماته العمرانية بتقديم هدية تليق بشأنه، فطلب الشيخ أن يستقل مركبه الخاص ويمشى الشاه خلفه لمسافة معينة فى الشوارع والازمة-

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧١

فالواقع أراد الشيخ بهذا العمل أن يثبت بأن القيم والمثل التى تسود المجتمع ينبغى أن تتمحور حول العلم والمعرفة.  
وقد قيل أن إقبالاً منقطع النظر قد حدث للعلم بما لم يشهده أبداً فى السابق. جدير بالذكر أن القيم والمثل التى كانت تحكم المجتمع الجاهلى قبل الإسلام مصداقاً لقوله عليه السلام:

«بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم» [٢٥٦]

حيث أبطالها هم أبوسفيان وأبوجهل وأمثالهما، حتى انبثق الإسلام ليرفع شعار التقوى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ» فيقضى على اولئك الابطال الكاذبين ويستبدلها بالابطال من قبل أبى ذر وأمثاله. ومما يؤسف له أن هناك بعض الأعمال الخاطئة التى وقعت فى عصر الخلافة الراشدة فادت إلى تغييب تلك القيم الإسلامية المثلى لتعود النعرة الجاهلية من جديد فتصدر المجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري بدلاً من مالك الاشر وأبى ذر وعمار بن ياسر؛ الأمر الذى كان يدمى قلب الإمام عليه السلام، وأدنى ذلك ما

أورده عليه السلام بقوله «يعد فيه المحسن، مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتواً».

ومن هنا كان هدف الإمام عليه السلام في أغلب خطبه في نهج البلاغة يكمن في إحياء القيم والمثل التي كانت سائدة في صدر الإسلام.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٣

### القسم الثاني: الناس أربعة أصناف

إشارة

«فَالنَّاسُ عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيضٌ وَفَرِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُضْمِلُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلَنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجَلِّبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحَطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مَقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعُهُ. وَلِبَسِ الْمَتَجَرِّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ تَمَنًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمُلْكِ ضَمُولَةً نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعَ سَيِّبِهِ فَقَصَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِإِسْمِ الْقِنَاعِيَّةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاجٍ وَلَا مَعْدَى».

الشرح والتفسير

يعرض الإمام عليه السلام- في هذا القسم من الخطبة- بالتحليل لطلاب الدنيا الذين يصنفهم في أربعة أصناف وبالطبع فإن هذه الأصناف لا تختص بمجتمع دون آخر ولا زمان دون آخر بل هي عامة شاملة فقال عليه السلام:

«فالناس على أربعة أصناف، منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا المهانة نفسه،

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٤

وكلاله [٢٥٧] حده ونضيض [٢٥٨] وفره».

فالمشكلة في عدم وجود الماء والافهم سباحون ماهرون، فباطنهم مفعم بالشر والفساد الا أنهم يفتقرون للالة التي يمارسون بها الظلم والفساد، ومن الطبيعي أن مثل هؤلاء الأفراد إنما يتربصون بظواهرهم الوديع الذي لا يشوبه أذى.

كما يتوجب على قادة المجتمع إذا ما تعرفوا على هؤلاء الأفراد الحذار من تزويدهم بالا مكانات فيعيشوا في الأرض فسادا، وقد أشار القرآن إلى ذلك «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَإِى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» [٢٥٩]

ثم تطرق عليه السلام إلى الصنف الثاني

«و منهم المصمت [٢٦٠] لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله»

فقد أعد هذا الصنف من الناس باطنه للظلم والفساد ومحقق دينه

«قد أشراط [٢٦١] نفسه وأوبق [٢٦٢] دينه».

ولكن ما هدف هؤلاء؟ لا- شك أن هدفهم ما أشار إليه الإمام عليه السلام وليس ذاك سوى الحصول على شى من متاع الدنيا أو الأمرة على بعض الأفراد او إرتقاء المنبر ليظهر نفسه للناس بمظهر الخطيب الواعظ

«لحطام [٢٤٣] ينتهزه [٢٤٤]، أو مقتب [٢٤٥] يقوده، أو منبر يفرعه [٢٤٦]».

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٥

فالعبارة رغم قصرها فقد أشارت إلى أعمالهم الظاهرية إلى جانب فسادهم الباطني واهدافهم الرخيصة، فهؤلاء الأفراد يستفرغون ما في وسعهم ليصبحوا على غرار فرعون أو قارون أو السامري. وما اولئك الذين أججوا نيران الجمل وصفين إلامصاديق بارزة لذلك الصنف من الأفراد، فالبفض اندفع من أجل المال وآخر من أجل المقام والمنصب والآخر من أجل الخلافة. ثم تطرق عليه السلام إلى نتيجة أعمال هؤلاء فقال

«و لبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا، وممالك عند الله عوضا»

، ومن الطبيعي أن هذا الصنف من الناس الفاسد والشريـ الذي يخطب خبطا عشواء من أجل الظفر بالمال والمقام- لا يقيم لأحكام الله وزنا ولا يصغى لصوت الضمير والوجدان ولا ينقاد لدليل العقل، فقد باع هذا الخزين الثمين بذلك الثمن البخس، باع الدين بالدنيا «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» [٢٤٧].

بينما تظافت الروايات التي تؤكد على قيمة الإنسان وأنه لا ينبغي له بيع نفسه إلابثمنها وثمرتها الجنة. كما صرحت الآية القرآنية بأن بيع النفس بغير الجنة ورضى الله لا- يستبطن سوى الخسران المبين «ومِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» [٢٤٨].

فآلية تفيد أن بعض الناس (كعلي عليه السلام الذي نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة) يبيعون أنفسهم من أجل رضى الله سبحانه. وقد ورد عن الإمام على عليه السلام أنه قال:

«إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلابها» [٢٤٩].

ثم تعرض عليه السلام للصنف الثالث الذي يتصف بالتزوير- وأوضح صفاته

«و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا».

فهدف هذا الصنف هو ذات الهدف الذي ينشده الصنف الثاني المذكور مع فارق بسيط هو أن اولئك يجنون حطام الدنيا من خلال المنطق الغاشم والظالم والجور، بينما يعتمد هؤلاء على التزوير والخداع والغرور.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٦

فالصنفان وإن كانا ضالين ظالمين وخاطئين، إلا أن حال هذا الصنف أسوأ من الصنف الذي سبقه؛ وذلك لأنه جعل دين الله جسراً لدنياه، وعليه فقد أهلكوا دنيا الآخرين إلى جانب إهلاك دينهم.

آنذاك خاض الإمام عليه السلام في صفات هذا الصنف

«قد طامن [٢٧٠] من شخصه، وقارب من خطوه، وشم [٢٧١] من ثوبه، وزخرف من نفسه للامانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية.»

فالعبارة تشير إلى ظاهر متواضع وسكين ووقار وعدم إلتفات إلى الدنيا وحطامها والتزين بشعار الصالحين واستغلال ستر الله سبحانه للعيوب في حين هنالك حركة نحو الذنب والمعصية.

وقد يؤمن هذا الصنف بالله واليوم الآخر على مستوى الظاهر، إلا أن هذا الإيمان يقتصر على الظاهر ولم يخترق قلوبهم أبداً، وإلا فكيف إرتضوا لأنفسهم هذه المعاملة المجحفة بحيث باعوا آخرتهم بدنياهم ومن هنا وردت الروايات التي تصرح بأن هؤلاء الخاسرين يوم القيامة- حين تطرح الحجب وتتضح حقيقة كل فرد كما هي- ينادون يا كافر!

يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! وينادون

«حبط عملك وبطل أجرك فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له» [٢٧٢].

ومما لاشك فيه أن هذا الصنف- كسائر الأصناف الأربعة- لا يقتصر في وجوده على عصر الإمام عليه السلام، بل هو موجود في كل

عصر و مصر وأنه لأعظم خطراً من سائر الأصناف على دين المجتمع وديناه.

وعليه فلا بدّ لاتباع الحق من مراقبة هؤلاء والحدار من الوقوع في فخهم ولحسن الحظ فإن أغلب هؤلاء الأفراد يفتضحون عملياً فاذا بلغوا مفترق طرق بين الدين والدنيا ولوا ظهورهم للدين وتهافتوا على الدنيا وآثروا سخط الله على رضى خلقه طمعاً في الدنيا  
نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٧

وحطامها، فأفكارهم منحطة وهمتهم وضيعه وروحهم ملوثة وباطنهم قبيح والازدواج هو الغالب على شخصيتهم.

وأخيراً يتعرض الإمام عليه السلام للصنف الرابع - أهل التقى الكاذب والزهد الفارغ - فيقول

«ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة [٢٧٣] نفسه، وإنقطاع سببه فقصرته الحال على حاله، فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس أهل الزهادة وليس من ذلك في مراح [٢٧٤] ولا مغدى». [٢٧٥]

فهم أفراد ضعفاء عجزه لا كفاءة لهم يحاولون التستر بالزهد للتغطية على عجزهم وانعدام جدارتهم والتظاهر بالقوة لاختفاء ضعفهم، والحال ليس لديهم شمة من الزهد والقناعة باطنهم وهم على قسمين: فمنهم من يتستر لخداع النفس ومنهم يخدع نفسه محاولاً إقناع نفسه بأنه من أهل الزهد والتقوى لا الضعف والعجز يدفعه للتظاهر بذلك. أما المراح والمغدى فقد ذهب أغلب أرباب اللغة وشراح نهج البلاغة إلى أنها اسم مكان لاستقرار الماشية في الصباح والمساء بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها اسم زمان بمعنى الذهاب والاياب ليل نهار.

كيفما كان فان المفردتين تعبران عن حماقة هؤلاء الأفراد وبلاهمتهم التي تجعلهم بهيئة الزهد والقناعة. هناك كلام كثير بين بين المفسرين بشأن فارق الصنف الرابع والأول من جهة والصنف الرابع والثالث من جهة اخرى.

ويبدو أن الصنف الأول الذى ينشد الدنيا قد قبع في زاوية إثر ضعفه وعجزه ولم ينطلق نحو المال والحياه والمقام، وهو لا يصر على ابراز ضعفه وعجزه على أنه قوة وإقتدار، في حين يحاول الصنف الرابع أستغلال ضعفه وعجزه بغية الظفر بمكانته في المجتمع على أن ذلك الضعف زهد وقناعة. أما فارق الصنف الرابع مع الصنف الثالث هو أن الصنف الثالث يعتمد النفاق والتزوير لتحقيق أطماعه ومآربه، بعبارة اخرى ما يجنيه الظلمة من حطام الدنيا بواسطة الظلم والجور يحصل عليه هؤلاء من خلال الرياء وخداع الناس.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٨

فهم يبيعون دينهم بدنياهم ويحصلون على الدنيا ومتاعها من خلال الدين، أما الصنف الرابع فهو لا يحصل على جاه ومقام، ويكتفى بأن المجتمع ينظر إليه كزاهد قانع.

وأخيراً يشترك الصنف الأول والرابع في أنه ليس أقل تكالباً من الصنفين الآخرين إذا ما توفرت الأرضية الخصبة أمامهما للظلم والفساد.

### الأصناف الأربعة في كل مجتمع.

لقد أماط اللثام عن حقيقة هذه الأصناف الأربعة ولفت إنتباه المجتمع إلى الأخطار التي تفرزها حركتها في المجتمع بفعل فسادها وظلمها وريائها وزهداها الكاذب، ثم خاض عليه السلام في صفات كل صنف ليتعرف عليه أفراد المجتمع فلا يقعون في شباكهم.

وتشترك هذه الأصناف جميعاً في الفساد العقائدى والتعلق بالدنيا والجاه والمقام، إلا أنها تختلف في إعداد الأسباب والمقدمات التي تمكنها من الوصول إلى أهدافها، وعبارة اخرى فإن الأصناف الأربعة يمكن تقسيمها إلى طائفتين:

طائفة تحقق أهدافها الرخيصة عن طريق الرياء والتزوير: وطائفة لا تحقق أهدافها إلا لأنها تخفى هذا الفشل في الزهد والقناعة، ولو تأملنا التأريخ لرأينا هذه الأصناف في كل عصر ومصر.

ومما يؤسف له اليوم أن المجتمعات الإسلامية هي الاخرى تشهد تغلغل هذه الأصناف؛ الأمر الذى جر عليها الويلات والمصائب.



والحق ليس هنالك من وسيلة للحد من أخطار هذه النماذج سوى فى اتباع كلام الإمام عليه السلام وتشخيص هؤلاء الأفراد وفضح مخططاتهم وموامرتهم وتحذير الامة من الوقوع فى شباكهم أو الاغترار بزهدهم الكاذب.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٧٩

### القسم الثالث: الصنف الخامس: أولياء الله

«وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمُحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَثُكْلَانَ مَوْجِعٍ قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ التَّيِّبَةَ وَشَجَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ أَفْوَهِمُ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَطُوا حَتَّى مَلُّوا وَقَهَرُوا حَتَّى ذُلُّوا، وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا».

الشرح والتفسير

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من ذكر الأصناف الأربعة، تطرق إلى الصنف الخامس، وهم أولياء الله وجنود الحق وأخيار الامة الذين اقصوا عن المجتمع وعادوا غرباء فيه بفعل تسلم زمام الامور من قبل الأصناف الأربعة المذكورة.

وقد لفت الانتباه إلى عظمتهم بالتعبير عنهم بالرجال، بينما عبر عن الأصناف الأربعة بالناس.

والحق أن الإمام عليه السلام يرى الصنف الخامس هو محور المجتمع ويحث أتباعه لان يكونوا ضمن هذا الصنف. فقد قال عليه السلام:

«وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر».

وقوله:

«غض أبصارهم»

لا يراد به إغماض العين، بل النظرة الشمولية والشعور بمسؤوليتهم تجاه الله سبحانه ويوم القيامة، الشعور الذى إرعى قلوبهم وأراق دموعهم.

فليس هنالك أكثر خشية من ذلك اليوم لمن آمن بالله واليوم الآخر ومحكمه العدل الإلهي،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٠

كيف لا- وهو اليوم الذى تطرح فيه الحجب وتبلى فيه السرائر وتمثل الأعمال التى صدرت من الإنسان طيلة عمره فتنتظر الحساب والجزاء.

ويرى بعض شراح نهج البلاغة [٢٧٦] أن المرجع فى العبارة المذكورة بمعنى القبر والمحشر القيامة، ولكن بالاستناد إلى التعبيرات القرآنية فإن المفردتين وردتا بمعنى واحد، وعليه فيبدو الفارق فى عدم تكرار اللفظ لا المعنى.

والواقع أن هذه التعبيرات قد اقتبست من الآية القرآنية الشريفة «رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» [٢٧٧]

ثم تطرق عليه السلام إلى مصير هذا الصنف فى المجتمعات التى تسودها الأصناف الأربعة، بحيث لا ينجو كل فرد فيه من خمس: النزوح من البلد والتشريد والتغريب، الخوف واللواذ فى زاوية، السكوت والصمت، الاشتباك بفعل عدم إعارتهم الاذان الصاغية

وسماع كلماتهم الحق أو الدعوة إلى الله باخلاص بعيون باكية وقلوب حرى أملا فى التأثير

«فهم بين شريد [٢٧٨] ناد [٢٧٩] وخائف مقموع [٢٨٠] وساكت مكعوم [٢٨١] وداع مخلص وثكلان [٢٨٢] موجع».

وبالالتفات إلى «شريد» وناد من مادة فد بمعنى المنفرد الهارب من الجماعة إلى الوحدة [٢٨٣] فإن العبارات المذكورة إشارة إلى أن هؤلاء الأفراد ليسوا مع بعضهم حتى فى المنفى، وكل واحد منهم قد قذف فى بقعة؛ فالطغاة يخشون حتى اجتماعهم فى المهجر

والعبارة «خائف مغموع» إشارة إلى أن الطغاة لا يكتفون بتهديد هؤلاء الأفراد وإرعابهم، بل لا يتورعون عن التضيق

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨١

عليهم واستئصال شأفتهم واجتثاث جذورهم.

والعبارة «ساكت مكعوم» أن الظلمة لا يقتنعون بصمت هؤلاء الأفراد وسكوتهم، بل يسعون دائما لكم أفواههم دون أن ينبسوا ببنت شفة.

والعبارة «داع مخلص» لا تفيد دعوة الناس من أجل نيل المقام والثروة أو ليست هي دعوة دنيوية، بل الدافع من هذه الدعوة هو رضى الله وقيل بل المراد بالعبارة والداعي المخلص من يدعو الناس إلى الله والارتقاء بالمجتمع.

وأخيراً تشير العبارة «ثكلان موجه» إلى أن الحزن والآسى يخترق ظاهرهم ليعيشوه فى قلوبهم وأرواحهم. ثم عرض عليه السلام إلى سائر صفاتهم بعبارات قصيرة بعيدة المعانى يتخللها الآسى والأسف فقال عليه السلام:

«قد أحملتهم [٢٨٤] التقيّة».

فهؤلاء وإن كانوا مجاهدين أشداء، ولكن لما كان جهادهم لا ينطوى سوى على أبادتهم فلم يعد أمامهم من سبيل اللجوء إلى التقيّة؛ التقيّة التى تؤدى بهم فى خاتمة المطاف إلى العزلة والانطواء ليراهم الأعداء على أنهم أفراد جبناء، كما يراهم الأصدقاء خاملين ليسوا بذات قيمة، والحال أن الظروف تجعل من تقيتهم جهاداً ونهوضاً بالوظيفة

«وشملتهم الذلّة» هم أعزّه عند الله وفى أنفسهم إلماً أن غياب القيم والمثل فى المجتمع جعله يراهم ضعفاء أذلّة «فهم فى بحر أجاج» [٢٨٥]

كيف لا يعومون فى بحر مالح لا يسعهم شرب ماء والامّة لم تقف إلى جانبهم وتدعم نهضتهم

«أفواههم ضامرة» [٢٨٦]، وقلوبهم قرحة».

ليس هنالك من قلق لدى الأفراد الذين يعيشون اللابالية فى مثل هذه المجتمعات، ولا يقلقهم سوى منافعهم الشخصية، أما المجاهدون الذين تكف أفواههم بالقوة، إنّما يتحرقون الماً وقلوبهم تشعر عمق الفاجعة ذهب بعض شراح نهج البلاغة [٢٨٧] إلى أن المراد بقلوبهم قرحة أنّها تخاف الله، بينما تشير قرينة الكلام إلى أن قروح قلوبهم إنّما تعزى الى الفساد الذى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٢

لا يستطيعون القضاء عليه ولعل هناك من ينسب هذه المفردات من قبيل الضعف والعجز والسكوت والتقيّة إليهم كنتيجة لأعمالهم وعدم قيامهم فى الوقت المطلوب، ومن هنا نبه الإمام عليه السلام إلى إزالة هذا الظن فقال عليه السلام:

«قد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قتلوا».

فقد خاضوا الجهاد على كافة المستويات وبشتى الطرق والاساليب، من خلال الوعظ باللسان إلى جانب النهضة المسلحة وتقديم الضحايا حتى كثر القتل فى صفوفهم فقل عددهم، وذلك لأنه لم يكن لهم نصير و لم يكن هنالك من توازن فى القوى مع أعدائهم الذين يفوقونهم عددا وعدة. فقد قاتلوا على أمل تحقيق النصر واجتثاث جذور الفساد ولم تبق منهم إلّا قلّة لم يكن أمامها سوى التقيّة حفظاً لنفسها ودينها.

والعبارة «قتلوا حتى قتلوا» لا- تعنى أنهم تروا ولم يبق منهم إلّا القليل، بل تعنى أستشهد فريق منهم وبقي فريق آخر، والعبارة من قبيل إسناد أوصاف الجزء إلى الكل.

وهنا يطرح هذا السؤال: الاستضعاف المذكور يتعلق بأى زمان، والإمام عليه السلام كان هو الذى يحكم المجتمع؟ وتأمل تأريخ عصر الإمام عليه السلام يوضح الاجابة على هذا السؤال، كما ورد ذلك فى بعض كلماته من أن الفساد الاجتماعى كلمة فى عصره بلغ درجة بحيث خفت شعاع شمس حكومه الإمام عليه السلام فى الكوفة وأطرافها، وقد اجتمعت لكمه سائر المناطق من قبيل الشام ومصر

التي عاشت ذروة الشر والفساد والانحراف على إقصاء الصالحين عن مرح الأحداث.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٣

### القسم الرابع: الاتعاظ بالماضين

«فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصِغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَقَرَاضَةَ الْجَلْمِ وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبِيلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ».

الشرح والتفسير

يدعو الإمام عليه السلام الناس في ختام هذه الخطبة بعبارات مقتضبة بعيدة المعاني إلى الزهد في الدنيا بصفته مفتاح سعادة الإنسان بعد أن ذكر صفات الأصناف الأربعة الأثيمة والصنف الخامس الذي يمثل الاتقياء من أولياء الله، مؤكدا على أن البؤس والشقاء الذي طال الأصناف الأربعة إنما يستند إلى حب الدنيا والتعلق بزخارفها.

فقال عليه السلام:

«فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة [٢٨٨] القرظ وقراضة [٢٨٩] الجلم [٢٩٠]».

والتشبيهاً رائعة غاية في الدقة، فالقرظ (على وزن مرض) بمعنى ورق الأشجار الذي يستفاد منه لدبج الجلود حتى يشدها ويجعلها أكثر فائدة، وبالطبع فإن الحثالة التي تطرح بعد الاستفادة تكون قدرة ومتعفنة ومدعاة للنفرة، وكذلك حين تقص أصواف الحيوانات تطرح بعض القطعات الصغيرة منه على الأرض دون أن يكون لها أدنى فائدة. فالتشبيه الأول

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٤

استبطن النفرة والثاني التفاهة وعدم القيمة والاعتبار، والإمام عليه السلام يوصي بأن تكون الدنيا أهون من هذا في الأعين، الدنيا التي أدى عشق أموالها إلى ظهور القوارين، وعشق مناصبها إلى ظهور الفراعنة والطواغيت الظلمة، وأن حبها رأس كل خطيئة.

من جانب آخر فقد أشار عليه السلام إلى قصر مدة الدنيا وضرورة الاتعاظ بها

«واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم».

لقد جمعوا لها وجهوا من أجلها وانصرفوا، ولم تعد قصورهم الخاوية وتيجانهم البالية وقدرتهم الجوفاء التي خلفوها هنا وهناك سوى عبرة لمن اعتبر، فان اعتبر بها فهو المطلوب، وإلا ستكونون أنتم عبرة يعتبر بكم من يأتي بعدكم.

القرآن الكريم من جانبه لم ينفك عن دعوة الناس للاعتبار بالماضين، فقد أورد عبارات توقظ الضمير وتهز الاعماق بشأن الفراعنة وضرورة الاتعاظ بهم «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» [٢٩١]

غير أنه من المؤسف أن بنى إسرائيل لم يعتبروا بهذه الدروس حتى أصبح مصيرهم عبرة لغيرهم.

ثم قال عليه السلام: وارفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف [٢٩٢] بها منكم».

ومن الطبيعي أن يكون مراد الإمام عليه السلام بهذه الدنيا المذمومة هي الدنيا التي تقود صاحبها إلى الظلم والطغيان والهوى والفساد لا الدنيا التي تشكل الجسر لعبور أولياء الله إلى الآخرة.

كلام السيد الرضى

قال الشريف الرضى: وهذه الخطبة ربما نسبها من لاعلم له إلى معاوية، وهي كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام، وأين العذب من الاجاج! وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد الباصر عمرو بن بحر الجاحظ، فإنه ذكر هذه الخطبة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٥

في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها، جملة أنه قال: وهذا الكلام بكلام على عليه السلام أشبهه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقيّة والخوف، أليق. قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذهب العباد. الدنيا في عين أولياء الله.

ماورد في الخطبة بشأن الأصناف الخمسة في عصر الإمام عليه السلام (من يقعد به عن طلب الإمرة قلّه ماله، ومن يطلب الامارة ويفسد في الأرض، ومن يظهر ناموس الدين ويطلب به الدنيا، ومن لا مال له أصلاً ويطلب الملك ولا يطلب الدنيا، وأولياء الله الاتقياء الأبرار) لا يقتصر على عصر الإمام عليه السلام وزمانه، وهم متواجدون في كافة المجتمعات الماضية والمعاصرة والآتية، وإن كافة المشاكل التي تعاني منها المجتمعات إنما تنشأ من الأصناف الأربعة المذكورة، التي سفكت الدماء وأحرقت الأخضر واليابس وجرعت اتباع الحق صنوف الأذى والعذاب.

مع ذلك فان الدنيا لم تف لهم وقد أتت عليهم حتى آخرهم ليكونوا عبرة لمن بعدهم.

أما العبارات التي أوردها الإمام عليه السلام بشأن كل صنف وعلاماته وصفاته جعلت من السير التعرف عليهم.

ولما كان حبّ الدنيا والتعلق بحطامها هو مصدر الشر والفساد الذي سلكته هذه الأصناف، فإن الإمام عليه السلام إختتم خطبته بتصوير حقيقته الدنيا بما يجعل العاقل لا يعيرها أدنى أهمية، فقد وصفها بادي ذى بدء بانها اتفه من حثالة القرظ (و هو ما يسقط من ورق السلم أو ثمر السط يدبغ به ممّا لا-خير فيه ولا-قيمته له)، ثم أشار إلى تقلب حال الدنيا وعدم دوامها وكيف قضت على الماضين وجعلتهم عبرة للآخرين.

فقد ورد في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بجثّة حيوان متعفنّة ملقاة على الطريق فأوماً إليها قائلاً: أترون هذه هنية على أهلها؟ فوالله الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» ثم واصل صلى الله عليه وآله حديثه عن الدنيا قائلاً: الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وشهواتها يطلب من لافهم له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له» [٢٩٣].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٦

وجاء في حديث أن الدنيا مثلت للمسيح عليه السلام كعجوز شمطاء فسألها: كم تزوجت.

قالت: كثير. كلهم طلقت. قالت: بل كلهم قتلت. قال عليه السلام: يا ويح أزواجك الباقيين، ألا يتعظون بازواجك الماضين [٢٩٤].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٧

## الخطبة [٢٩٥] الثلاثة و الثلاثون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة، وفيها حكمه مبعث الرسل، ثم يذكر فضله ويذم الخارجين.

قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بنى قار وهو يخصف [٢٩٦] نعله فقال لى:

«ما قيمة هذا النعل؟».

فقلت:

«لا قيمة لها!»

فقال عليه السلام:

«والله ليهي أحب إلي من أمرتكم [٢٩٧] إلّا أنت أقيم حقاً أو أَدْفَعِ باطلاً»

. ثم خرج فخطب الناس.

### نظرة إلى الخطبة.

أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة في ظل ظروف دعا فيها أصحابه للتعبئة وإطفاء نار الفتنة التي

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٨

أشعلها طلحة والزبير في البصرة.

وقد أطلق الإمام عليه السلام- قبل إيراد الخطبة- تلك العبارات التاريخية الخالده لابن عباس؛ العبارات التي تتحدث عن سمو روح

الإمام عليه السلام ومقامه الشامخ ومدى معرفته بالله سبحانه، فقد قال عليه السلام

«والله ليهي - النعل - أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أَدْفَعِ باطلاً».

هذه هي أهداف الإمام عليه السلام من الامر والخلافة. ثم ينتقل الإمام عليه السلام إلى بيان خصائص العصر الجاهلي وانبثاق الدعوة

الإسلامية، في إشارة إلى بروز مبادئ العصر الجاهلي ثانية وانه لا بد أن يقتفى آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ويقتدى بهديه فيقبر

الفتن ويقر الباطل ليخرج منه الحق.

ثم إختتم عليه السلام الخطبة بدم طائفه من قريش ممن أشعلوا نار الجمل ولم تكن دوافعهم من تلك المعركة سوى الحسد والبغض

وحب الدنيا.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٨٩

### القسم الأول: دحر الباطل

#### إشارة

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةَ فَسَاقِ النَّاسِ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ

مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَيْقَمَتْ قِنَاتُهُمْ وَأَطْمَأَنَّتْ صِيَفَاتُهُمْ - أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحِذَائِهَا مَا عَجَزْتُ وَلَا جُبْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي

هَذَا لِمِثْلِهَا: فَلَا تَنْقَبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- كما ذكرنا- إلى بعثه النبي الإكرم صلى الله عليه وآله وظهور الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية وكيف

كانت حياة الناس في العصر الجاهلي وكيف أصبحت إبان انطلاقة الدعوة، ومدى السعادة التي ظفروا بها، فقال عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةَ».

أثار بعض شراح نهج البلاغة هذا السؤال: كيف يقال لم يكن لاحد من العرب كتاباً سماوياً ولم يكونوا يتبعون نبياً من الأنبياء، والحال

كانت طائفه من اليهود والنصارى تعيش هناك ولديها التوراة والانجيل؟ ثم أجابوا على السؤال من خلال الإشارة إلى تحريف التوراة

والانجيل، وعليه فلم يكن لديهم كتاباً بالحق، كما أن اليهود والنصارى كانوا أتباعاً كاذبين، ثم إستدلوا على ذلك بالاية الكريمة «قُلْ

مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا». [٢٩٨]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٠

كما إحتمل البعض أن يكون المراد بذلك العرب الذين كانوا يشكلون الأكثرية وكانوا على الشرك والوثنية. الإجابة الأخرى التي يمكن الرد بها على ذلك السؤال أن اليهود لم يكونوا من سكنة الجزيرة العربية بمعنى المواطنة، بل تفيد السير التاريخية أنهم حين قرأوا في كتابهم البشارة بظهور نبي الإسلام وأن ظهوره بات وشيكا قدموا هناك لدركه، وإن شعروا في ما بعد بالخطر على مصالحهم فسلكوا سبيل النفاق وعادوا النبي صلى الله عليه وآله، النصرى أيضاً كانوا من المهاجرين ويشكلون الاقلية هناك.

على كل حال فإن الإمام عليه السلام أشار إلى إبتعاد الأقوام الجاهلية عن أجواء الوحي والنبوة، الأمر الذى يصور مدى غرقهم فى وحل الشرك والفساد.

ثم تطرق عليه السلام إلى الأوضاع التي بلغوها فى ظل إبتناق الدعوة والاستضاءة بنور الوحي وبزوغ شمس الإسلام «فساق الناس حتى بواهم محلثهم وبلغهم منجاتهم» [٢٩٩]

فهو لم يخلصهم من الشرك والكفر والانحراف العقائدى وينقذهم من الفساد الأخلاقى والظلم والجور وسوء العدل فحسب، بل أخذ بيدهم إلى حيث القوة والعزة والحكومة والحضارة والمدنية، ومن هنا قال عليه السلام «فاستقامت قناتهم [٣٠٠] واطمأنت صفاتهم [٣٠١]».

وعليه فقد ظفروا بالنصر المعنوى إلى جانب شمولهم بالنعم المادية وما ذلك إلا ببركة النبي صلى الله عليه وآله ونزول القرآن الكريم والتعبير بمحلثهم إشارة إلى المنزلة الراقية التي ينبغى أن يبلغها الإنسان الفاضل، ومنجاتهم إشارة إلى نقطة النجاة التي ليس معها خوف وخشية ولا قستبطن سوى الفلاح والصلاح.

والعبارة «إستقامت قناتهم» وعلى اضواء الاستقامة التي تعنى الاستواء والثبات والقناة بمعنى الرمح تعنى القوة والقدرة والانتصار على العدو.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩١

أما بعض شراح نهج البلاغة فقد ذهب إلى أن الاستقامة هنا تشير إلى الرمح كناية عن أنتظام الامور ونظم الحكومة والدولة والمجتمع والقوة والمنعة، ولكن لما كان الرمح عادة مستقيم وإذا أعوج كسر ولا يمكن تسويته (لأنه يصنع عادة من الخشب لا الفزات)، فإن العبارة يمكن أن تكون إشارة إلى اطمينان البال واستقرار الذهن؛ لأن الجنود يغرسون حراهم فى الأرض وتبقى مستوية مستقيمة حين الهدوء والاستقرار؛ الأمر الذى يفيد أنهم كانوا آمنين من حملات العدو.

أما العبارة «إطمأنت صفاتهم» فهى تشير إلى إستحكام منزلتهم فى ظل ظهور الإسلام ونهضة رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث إستقرت حياتهم الفردية والاجتماعية.

فالسحارى التي كانت تردد عليها العرب، كانت مليئة بالرمال والحصى المتحركة بحيث يصعب إجتيازها، بينما تسهل حركته وذهابه واياه وجلوسه إذا إستقر على حجر كبير واسع ومحكم ومستقيم.

ثم قال عليه السلام:

«أما والله إن كنت لفى ساققتها [٣٠٢] حتى تولت بحذا فيرها [٣٠٣]».

ففى الاوضاع التي يكون فيها الجيش مستجد أو العدو قوى بحيث يحتمل التقهقر والانسحاب، فان أمر الجيش يجعل بعض مساعديه الشجعان فى المؤخرة ليسوقوا الجيش إلى الإمام ويحثونهم على التقدم كما يحولوا دون تراجعهم.

وكأن الإمام عليه السلام أشار إلى هذه المسألة فى أن النبي صلى الله عليه وآله قلدى مسئولية فى سوق الجيش إلى الإمام وتجاوز المخاطر والمشاكل التي تواجهه، أو المراد أتى النبي صلى الله عليه وآله فى مؤخرة هذا الجيش ونسوقه إلى الإمام وقرينه ذلك قوله

فساق الناس» على كل حال فإن كل هذه إشارات إلى عصر نهضة النبي الإكرم صلى الله عليه وآله والدور الهام الذي لعبه الإمام على عليه السلام في إنتصار الجيش الإسلامى على معسكر الكفر والشرك.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٢

وفى إشارة إلى قيامه بوظيفته على أحسن وجه وبلائته الحسن قال «ما عجزت ولا جنت» فمن البيهقي أن الانسحاب إنما يستند إلى الضعف والعجز أو الخوف والرعب، فقله عليه السلام «ما عجزت ولا جنت» يتضمن نفيه لعوامل الضعف والتقهر.

ثم يربط عليه السلام هذه المقدمة بذى المقدمة فالإمام عليه السلام أشار إلى نقطة مهمّة وهى أن الأئمة الإسلامية آنذاك بدأت تعود إلى الافكار والسنن الجاهلية وهى تبتعد كل يوم أكثر من ذى قبل عن مسيرة النبي صلى الله عليه وآله والقرآن والإسلام، ونموذج ذلك الحركة الظالمية لمشعل نار الجمل من أجل الحصول على المناصب من خلال نكث البيعة وسفك دماء المسلمين. فقد أراد الإمام عليه السلام الوقوف بوجه هذه العودة إلى الجاهلية وتجديد رسالته ووظيفته التاريخية فى الحفاظ على المسيرة الإسلامية.

ومن هنا قال

«فلا نقب [٣٠٤] الباطل حتى يخرج الحق من جنبه.»

وبالالتفات إلى أن «أنقبن» من مادة «نقب» بمعنى ثقب الشئ وشقه، فإن العبارة تشير إلى حقيقة هى أن الحق لا يظهر ما لم تتبدد حجب الباطل، بعبارة اخرى فإن الباطل يسعى على الدوام ليغطي على الحق وبكتمه، فاذا شقت حجب الباطل، تنفس نور الحق واتضح عياناً للجميع. ويمكن أن تكون العبارة إشارة الى قيام أساس العالم على الحق، وإن الحق كامن فى باطن كل موجود، ولاسيما فى الفطرة البشرية، بينما الباطل أمر عارض طارىء على الإنسان.

فاذا زال هذا العارض ظهر الحق من باطن الأشياء. وقد ورد مثل هذا المعنى فى الخطبة ١٠٤ «وآيم الله لابقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته.»

## تأملات

### إشارة

نقحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ١٩٢

### ١- من أخبار يوم ذى قار

كما ورد فى شرح الخطبة فان «ذى قار» موضع بين البصرة والكوفة شهد معركة قبل

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٣

الإسلام بين العرب والجيش الساسانى الذى هزم فى المعركة وانتصر فيها العرب. [٣٠٥] وقيل فى تسميته أنه كان فيها بئراً ماؤه أسود كالقير.

عن ابن عباس، قال: لما نزلنا مع عليّ عليه السلام ذا قار، قلتُ: يا أمير المؤمنين، ما أقلّ منْ يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ! فقال: واللّه

ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً؛ لا يزيدون ولا ينقصون.

قال ابن عباس: فدخلني والله من ذلك شكٌ شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدتّهم.

ثم نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً. أقام عليّ بذي قار خمسة عشر يوماً، حتى سمع سهيل الخيل وشحيح البغال حوله. قال: فلما سار بهم منقله، قال ابن عباس: والله لأعدتّهم، فإن كانوا كما قال، وإلّا أتمتّهم من غيرهم؛ فإنّ الناس قد كانوا سمعوا قوله. قال: فعرضتّهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً، فقلت: الله أكبر! صدق الله ورسوله! ثم سرنا.

لعل كلام ابن عباس إشارة إلى أن الإمام عليه السلام سمع هذه الأمور من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أخبر بها.

قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: فلما قدم أهل الكوفة على علي عليه السلام، سلّموا عليه، وقالوا: الحمد لله يا أمير المؤمنين، الذي اختصنا بموازرتك، وأكرمنا بنصرتك؛ قد أجبناك طائعين غير مكرهين، فمّرنا بأمرك.

قال: فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال:

مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشدّ العرب مودة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته. [٣٠٦]

## ٢- جاهلية العرب

مهمل قليل ويقال بشأن عظمة الإسلام وانبثاقه وسط امّة متخلفه ومتعصبه فهو قليل. فقد

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٤

إنطوت الامّة في العصر الجاهلي على سلسلة من الانحرافات والصفات الرذيلة، ونكتفي هنا بالاشارة فقط إلى التعصب الذي كان سائداً آنذاك والذي لم يكن يسمح لأفكار الآخرين باختراقه.

ويعتقد أحد المحققين المسيحيين بالارتباط الوثيق بين التعصب الجاهلي ومناخ الحجاز، فيقول:

«تتصف تلك المنطقة بالجفاف، فكانت طبيعة الناس هي الاخرى الصلابه والشده، وكان من الاعجاز تسلل الأفكار الإسلامية إليه».

وإذا أضفنا إلى ذلك الجهل والابتعاد عن العلم وهبوط المستوى الفكري والضحالة الثقافية والتلوث بأنواع الخرافات التي تدعو إلى التعصب والعناد لأدركنا حجم الاعجاز في هدايتهم وانتشالهم من تلك الدوامه.

وقد تعرض القرآن الكريم إلى جانب من تلك العصبية، ومن ذلك قوله «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ» [٣٠٧] وقوله «وَإِذِ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّا كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَاقْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا...» [٣٠٨]

وتشير أسباب نزول مثل هذه الآيات إلى عمق التعصب الذي كان يحكمهم بحيث كانوا مستعدين للتضحية بانفسهم تعصبا حقا إن هداية مثل هذه الاقوام تبدو من المعاجز الكبرى؛ الأمر الذي أشير له في الخطبة المذكورة، وإن عادت تلك الامّة للأسف بعد رحيل النبي الإكرم صلى الله عليه وآله بمدّة قصيرة إلى جاهليتها الاولى وتسلمت بعض المناصب الحساسة في الحكومة الإسلامية لتذهب جهود النبي صلى الله عليه وآله أدارج الرياح، ومن هنا فقد سعى الإمام عليه السلام جاهداً لاعادة الامّة إلى عصر الرسالة.

## ٣- حديث خاصف النعل

لقد ورد في بداية الخطبة عبارة «يخصف نعله» التي تذكرنا بحديث النبي صلى الله عليه وآله بشأن فضائل علي عليه السلام خاصف النعل. حيث جاء في سنن الترمذي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكلم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٥



مشركي قريش فخطبهم قائلاً:

«لتنتهن أو ليعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد إمتحن الله قلبه للايمان»

فسأله من حضر: ومن ذاك؟ وسأله أبوبكر: من هو؟

وسأله عمر: ومن هو؟ فقال صلى الله عليه وآله: هو خاصف النعل: حيث كان على عليه السلام يخصف نعلى رسول الله صلى الله عليه وآله

و آله ... ثم نقل الترمذى عن أبى عيسى أنه حديث صحيح. [٣٠٩]

ومن الطبيعى أن ذلك العمل الذى صدر من الإمام عليه السلام على عهده وعهد النبى صلى الله عليه وآله إنما يفيد تواضع الإمام عليه السلام للناس وانصرافه عن الدنيا.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٧

### القسم الثانى: مالى ولقريش؟

إشارة

«ما لى ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين ولقاتلتهم مفتونين وإنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم! والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم فى حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المخصص صابحاً وأكلك بالزبد الممشرة البجرا  
ونحن وهبناك الغلاء ولم تكن علينا وحطنا حولك الجرد والسمر».

الشرح والتفسير

يشير الإمام عليه السلام هنا إلى طبيعة علاقته فى السابق والحاضر بقريش، لأنه أورد هذه الخطبة على هامش موقعة الجمل: حيث نعلم بأن مؤججى نار الجمل هم طلحة والزبير وسائر الأفراد من قريش الذين خططوا لهذه المعركة بدافع من أحقادهم تجاه الإمام عليه السلام. فقد كانوا يديرون هذه المعركة علانية أو خفية ومن هنا فإن كلمات الإمام عليه السلام تضمنت تحذير الامة من عدم الوقوع فى شباكهم إلى جانب تنيبها إلى الدوافع الأصلية لهذه المعركة، فاستهل عليه السلام كلامه قائلاً:

«مالى ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلتهم مفتونين [٣١٠]»

نعم فهؤلاء كانوا على الشرك، وقد التحقوا بالمسلمين بسيف على عليه السلام ودعوة النبى صلى الله عليه وآله، إلا أنهم وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وبدافع من حب الجاه قد إبتعدوا عن الحق حتى هبوا لقتال وصى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن بايعوه طواعية.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٨

مفتون من مادة فتن بمعنى الانحراف كما تأتى بمعنى الشرك والكفر، ولعلها تشير فى العبارة إلى انحرافهم عن الإسلام نحو الكفر وقد ورد فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعلى عليه السلام:

«يا على حربك حربى وسلمك سلمى» [٣١١]

. وعلى ضوء هذا الحديث فقد خرج من ربة الإسلام من قاتل علياً عليه السلام فى الجمل وصفين ونهروان؛ لأن مما لاشك فيه هو كفر من قاتل النبى صلى الله عليه وآله. وهنا يمكن أن يطرح هذا السؤال: لو كان الأمر كذلك لوجب على جيش على عليه السلام فى الجمل أن يأسر من هب لقتاله ويستولى على أموالهم كغنائم، بينما لم يعاملهم الإمام عليه السلام كذلك؟

قيل في الجواب لقد كان للإماماً عليه السلام الحق في أن يفعل هكذا، إلماً أن بعض الامور من قبيل شرائط الزمان والمكان جعلته ينصرف عن هذا الأمر. أضف إلى ذلك فإنه ليس هنالك من ضرورة في تكافى أحكام جميع الكفار، فمممكن أن يستثنى من حكم الأسر ومصادرة الأموال كغنائم حربية هذه الطائفة من المسلمين التي خرجت على إمام زمانها ودخلت الكفر. فقد جاء في بعض الروايات أن مروان بن الحكم.

قال: إنَّ علياً عليه السلام أعاد الأموال إلى أهلها لما غلبنا في البصرة، فكان يعيد أموال كل من أقام البيئة أو يأتي بالشهود، ويحلف من ليس له بيئة. ولما سئل عن توزيع الغنائم سكت ثم قال:  
أيكم يأخذ أمه في سهمه [٣١٢].

وتفيد بعض الروايات أنه عفى عن أهل البصرة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله حين فتح مكة. كما يستفاد أنه لم يرد أن تكون هذه المسئلة سنة، لأنه كان يعلم بان شيعته ستخضع لضغوط الظلمة ولعلها تعاملهم بهذه المعاملة [٣١٣].  
نفحات الولاية، ج ٢، ص: ١٩٩

على كل حال فان مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة أنه لا يكن أى بغض أو عداة لقريش، أما بذور حسدهم للإمام عليه السلام فسيبها وقوف الإمام عليه السلام بوجههم في ميادين صراع الحق ضد الباطل إبان إنبثاق الدعوة الإسلامية، ولم يكن ذلك سوى إمتثالا لأوامر الله. ثم قال عليه السلام:

«وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»

فما زال السيف الذى جندلت به الابطال فى بدر وأحد والاحزاب بيدي، فالواقع هذا تهديد صريح لمؤججى نار الجمل. وتساءل البعض أن مثل هذا الكلام يصدق على معاوية وعمر بن العاص ومروان وأمثالهم الذين هبوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله، إلماً أنه لا يصدق على طلحة والزبير، فقد وقفا إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله فى معاركه. وقد أجيب على هذا السؤال بأن الإمام عليه السلام لم يرد شخصاً معيناً، إلماً أن الهدف بيان حقيقة أنه كان يقاتل فى سبيل الحق ضد الباطل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ومازال بعد النبى صلى الله عليه وآله يقاتل فى هذا السبيل (ونعلم أن قريشاً كانت تقاتل آنذاك ضد المسلمين). أضف إلى ذلك صحيح أن طلحة والزبير كانا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلماً أن أغلب أصحابه الجمل ومنهم مروان كانوا من قريش. ثم أشار عليه السلام إلى أحد دوافع أصحاب الجمل فقال

«والله ما تنقم منا قريش إلماً أن الله إختارنا عليهم، فأدخلناهم فى حيزنا»

ثم وصفهم بأنهم أصبحوا كما قال الشاعر [٣١٤].

أدمت لعمرى شريك المحض [٣١٥] صابحا

وأكلك بالزبد [٣١٦] المقشرة [٣١٧] البجرا [٣١٨]

ونحن وهنالك العلاء ولم تكن عليا وحطنا حولك الجرد [٣١٩] والسمرا [٣٢٠]

نعم فهؤلاء يحسدوننا ويبغون علينا، إلماً أن إرادة الله هى التى إختارتنا للنبوة والإمامة،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٠

مع ذلك لم نعاملهم بالمثل فقد عفونا عن أخطائهم وحفظناهم من الاعداء، إلماً أنهم لم يتنكروا لهذه النعمة فحسب، بل شهروا سيوفهم علينا وهبوا لقتالنا، فقد قطعوا الرحم وقابلوا الاحسان بالجحود وأشعلوا نار حرب الجمل فسفكوا الدماء وزرعوا الفرقة فى صفوف المسلمين.

فقريش تشبه بعملها هذا ذلك الحسود الذى يعترض على حكمه الله، فقد قال سبحانه «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» [٣٢١].

وقال «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» [٣٢٢].

وقال «قَبْلِ اللّٰهِمَّ مَا لِحِكِّ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [٣٢٣].

ومن الطبيعي أن الإنسان المؤمن بالمفاهيم القرآنية والاصول الإسلامية لا يشعر بالحسد تجاه من يشمله الله على ضوء حكمته بالنبوة والإمامة، فلا يرى نفسه سوى مسلمهم لهذه الحكمة.

### الحسد مصدر الاضطراب الاجتماعي

قلما نجد صفة رذيلة كالحسد كانت السبب وراء هذه الأحداث الأليمة والفجائع المأساوية التي شهدتها المجتمعات البشرية طيلة التاريخ. فأغلب الناس إثر قلّة العلم وهبوط المستوى الثقافي وضعف الإيمان وعدم الثقة بالنفس ما إن يرى بعض النجاحات التي يحققها أقرانه أو أمثاله حتى تشتعل في قلبه فتائل الحسد فلا يهتم سوى في كيفية تحطيم نفسية المقابل عن طريق الاتهام والتحقير والذم ومحاوله الانتقاص أو إيجاد بعض الموانع والمعوقات في طريقه، بدلاً من الشعور بالفرح والسرور والاحتذاء به من أجل تحقيق النجاح والتغلب على الصعاب

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠١

والانفتاح على تجاربه وارشاداته. وقد يشتد هذا الحسد حتى يبلغ درجة تدعو إلى إراقة دم المحسود من قبل الحاسد. ولا ننسى هنا أن أول دم إريق كان سببه الحسد، الذي دفع بقايل لقتل أخيه هايل حيث قبل قربان الثاني ولم يقبل قربان الأول، الأمر الذي تكرر كثيرا في التاريخ حتى قتل الأخ أخاه والابن أباه وبالعكس.

وهكذا تعود أغلب الحوادث الأليمة التي وقعت في صدر الإسلام ولا سيما في عصر خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام إلى الحسد؛ الأمر الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في هذه الخطبة. وقد تعرضت أغلب الروايات إلى ذم هذه الرذيلة التي لا تجر سوى الفساد على المجتمع، فقد قال على عليه السلام:

«إذا أمطر التحاسد نبت التفاسد» [٣٢٤]

. أما النقطة المهمة التي أرشدت إليها الخطبة فتكمن في ضرورة عدم مقابلة المحسود للحاسد بالمثل، بل يسعى جاهدا لاطفاء نار الحسد من قلبه من خلال شكر النعمة ومداراة الحاسد وإطفاء حسده بمعاملته بالحب والإحسان، وما أحسن ما قال الشاعر:

إصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله [٣٢٥].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٣

### الخطبة [٣٢٦] الرابعة والثلاثون

#### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

في إستنفار الناس الى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج. وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد.

#### مناسبة الخطبة

خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة كما ورد أنفا بعد فراغه من معركة النهروان. ويستفاد من ظاهر كلام ابن أبي الحديد أن الإمام

عليه السلام خطبها في النهروان، بينما نقل عن نصر بن مزاحم أنّها أول خطبة خطبها بعد قدومه من النهروان لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان، وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطبهم [٣٢٧].  
 وصرح البعض من شراح نهج البلاغة أن الإمام عليه السلام كان حريص في النهروان على الحركة إلى الشام دون ضياع الفرصة، لأنه كان يرى أن العودة إلى الكوفة تعنى إسترخاء الجيش وصعوبة تجهزه ثانية، إلا أنهم كانوا يتعللون ببرودة الجو ووجود الجرحى وعدم كفاية الأسلحة فلم يطيعوا أوامر الإمام عليه السلام. فاضطر الإمام عليه السلام إلى دخول الكوفة ليجهزهم للقاء نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٤  
 العدو، ولكن (وكما تكهن سابقاً) تشبوا بالحجج، فتأثر الإمام عليه السلام وخطب الناس بهذه الخطبة [٣٢٨].

## نظرة إلى الخطبة

تعالج هذه الخطبة ثلاثة مواضيع وهى:

- ١- التأكيد على جهاد العدو والعواقب الوخيمة لترك الجهاد. والذي يمثل أطول جانب من الخطبة فالإمام عليه السلام يعرض باللوم لأهل الكوفة- فى هذا القسم من الخطبة الذى يشكل معظمها- ويذمهم بمختلف العبارات الشديدة القسوة. وبالطبع فإن ذلك جاء بعد عدم جدوى كافة الأساليب عن طريق الاستدلال والبرهان والمنطق والمجبة لتعيتهم للجهاد ومواجهة العدو، فلم يكن أمامه سوى هذا الاسلوب، فقد كان يشبههم أحياناً بالمجانين الذين فقدوا شعورهم وأحاسيسهم فلم يعودوا يدركوا ما يضرهم وينفعهم، وأحياناً اخرى يشبههم بالابل التى ضل رعاتها، ثم يسعى لتعيتهم من خلال تنيبهم إلى قسوة عدوهم.
  - ٢- عزمه الراسخ فى مجابهة العدو سواء كان هناك من يهب لنصرته أم لم يكن.
  - ٣- الحقوق المتبادلة بين الإمام والائمة، فيعرض بادىء ذى بدء إلى حقوق الائمة على الإمام، فيلخصها فى أربع عبارات، ثم يبين بآربع عبارات اخرى حقوق الإمام على الائمة.
- وكان الإمام عليه السلام أراد أن يختم الخطبة بما يحيل مرارة ذمه حلاوة عل ذلك يجدى نفعاً فى علاج ضعفهم وتقاعسهم.  
 نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٥

## القسم الأول: لم الخشية من الشهادة؟

### إشارة

«أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَيِّئْتُ عِتَابَكُمْ! أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ عَوْضًا وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسِ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرٍ عَزَّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ».

الشرح والتفسير

يستهل الإمام عليه السلام خطبته بامطار أهل الكوفة بوابل عتابه ولومه وذمه لتجاهلهم المخاطر التى كانت تهدد البلد الإسلامى وعدم إكترائهم لها، لعل قصبتهم تهتز فيحولوا دون تفاقم تلك المخاطر. فقد كان أهل الشام يشنون الغارة تلو الغارة على مختلف المناطق الإسلاميه ويسفكون دماء المسلمين وينهبون أموالهم وثوراتهم. فقد قال الإمام عليه السلام  
 «أف لكم [٣٢٩] لقد سئمت [٣٣٠] عتابكم»

ودليل ذلك واضح، فالعتاب ولاسيما من شخص كعلى عليه السلام لا بد أن يكون له تأثيراً واضحاً فى نفس المعاتيين ودفعهم لاعادة

النظر في أعمالهم الطالحة، إمّا إذا لم يحصل هذا

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٦

التأثير بسبب غفلة المقابل فان تكراره لا ينطوى سوى على الملل والتعب. ثم قال عليه السلام:

«أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟»

إنّ هذا سكوتكم المميت وفراركم من الجهاد يدل على أنكم أوبقتم آخر تكم واستبدلتموها ببضعة أيام من الدنيا من جانب، ومن جانب آخر فقد أفرتم دنياكم، وذلك لأنكم استبدلتم العزة والرفعة بالذلة والضعف؟ والحال إن موتاً بعزة أشرف بكثير من حياة بذلة؛

الرسالة التي لقنها أولياء الله والزعماء الربانيين أتباعهم على مدى العصور والدهور. فقد قال على عليه السلام في نهج البلاغة

«فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين» [٣٣١]

وقال سيد الشهداء

«ألا وإنّ الدعى بن الدعى قد ركزنى بين إثنين بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة»

ثم خاطب جيش الكوفة

«إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخشون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم»

فالواقع أنّ عبارات الإمام عليه السلام كانت تمثل دليل سئمه عتابهم وكأنّهم عقدوا العزم على إثارة الذلة والحقارة وغضب الله على

العزة والشرف ورضى الله، ومن هنا لم يعد للعتاب من أثر عليهم، حتى سئم الإمام عليه السلام عتابهم. أمّا في العبارة اللاحقة فيشير

الإمام عليه السلام إلى ضعفهم ليلتفتوا إلى أنفسهم فيزِيلُوا ذلك الضعف فقال عليه السلام:

«إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، فأنتكم من الموت في غمرة» [٣٣٢] ومن الدهول في سكرة. يرتج عليكم حوارى [٣٣٣]

فتعمهون [٣٣٤]

. قوله عليه السلام «يرتج عليكم حوارى» - بالنظر إلى الحوار الذى يعنى الكلام المكرر ويرتج من مادة (رت ج) بمعنى يغلق - له

معنيان: الأول ما ذكر سابقاً، أى أنّ كلامى المكرر لا يؤثر فيكم فأنتكم لا تدركوه، لأنّ باب الفهم أغلق بوجوهكم. والثانى أنّ لسانكم

عقد عن جوابى، وذلك لأنّكم لا - تمتلكون الرد المنطقى على كلامى - على كل حال فإنّ نتيجة المعنيين واحدة تضمّنتها العبارة

اللاحقة وهى حيرتهم وضلالهم

«وكان قلوبكم مألوسة» [٣٣٥] فانتم لا تعقلون».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٧

ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة

«ما أنتم لى بثقة سجيس [٣٣٦] اللبالي»

. وبالنظر إلى أنّ سجيس اللبالي»

تعنى ظلمة الليل فإنّ معنى العبارة مادامت اللبالي بظلامها فليس لى من ثقة بكم، وهى كناية عن الأبدية والخلود، لأن الظلمة لا تفارق

الليل أبداً. أما اختيار ظلمة الليل فينطوى على منتهى البلاغة إستناداً إلى أفكار أهل الكوفة وأعمالهم السوداء المظلمة. ثم أكد ذلك

بقوله

«وما أنتم يركن يمال بكم ولا زوافر» [٣٣٧] عز يفقر إليكم»

وهكذا أعلن الإمام عليه السلام بهذه العبارات عدم ثقته واعتماده على هذه العناصر الضعيفة بعد أن تطرق لنقاط ضعفهم، أملا في

إثارتهم وتعبثهم لتوحيد الصف ومجابهة العدو. ودخولهم الميدان بكل قوة وشجاعة.

نرى أنفسنا مضطرين مرة أخرى لملاحقة هذا السؤال: لم كل هذا العتاب واللوم من قبل الإمام عليه السلام - وهو ما هو عليه من العلم والحكمة في إدارة شؤون الناس - لأهل الكوفة وامطارهم بوابل من الكلمات القاسية العنيفة؟ أفلا يؤدي هذا الكلام الذي ينطوي على العتاب والذم وانعدام الثقة إلى نفرتهم وشدّة تعصّبهم وابتعادهم عن الحق؟ ولا بدّ من القول في الجواب أنّ الإمام عليه السلام قد خبر نفسه وروحية أهل الكوفة، وقد أثبت التاريخ أن أهل الكوفة لم يكونوا يتحركون إلّا إذا داهمهم الخطر وعرضهم للزوال بالمرّة، بعبارة أخرى فإنّ العتاب لا يجدى معهم نفعا ما لم يجرح مشاعرهم ويثير أحاسيسهم.

ويبدو أنّ المجتمعات البشرية إنّما تشتمل دائما على طائفة - وإن كانت ضئيلة - لا تفيق إلى نفسها ما لم تلتق ضربات موجعة متتالية. ولا يفهم من كلام الإمام عليه السلام إننا ينبغي أن نعتمد هذا الاسلوب تجاه من عاش الغفلة وتخلّى عن وظيفته ومسؤوليته؛ لأنّ الأفراد على أنواع: بعضهم يعود إلى نفسه بأدنى إشارة فيستقيم

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٨

على الطريق، وبعضهم لا يتحرك ما لم توخزه بارة.

وبناءً على هذا فإن ذلك الاسلوب إنّما يختص بتلك الجماعة بفضلها العلاج الأخير لدائهم.

وقد أثبت التاريخ أن ذلك الاسلوب كان قد أثر في أغلب أهل الكوفة فاندفعوا إلى النخيلة وتأهبوا لقتال أهل الشام، غير أنّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام على يد عبدالرحمن بن ملجم أشقى الآخرين حالت دون ذلك.

والشاهد الآخر على ذلك أنّ الإمام عليه السلام كان كثيراً ما يثنى على أهل الكوفة أوائل حكومته [٣٣٨]، إلّا أنّهم حين ضعفوا واستقوى عليهم أهل الشام فكانوا يهجمون كل يوم على منطقة من مناطق البلاد الإسلامية، لم ير عليه السلام بدأ من مخاطبتهم بهذا الاسلوب.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٠٩

## القسم الثاني: بقطعة العدو وسيات النصير

### إشارة

«ما أنتمم إلّا كابل ضلّ رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سِعْرُ نارِ الحزبِ أنتم! تُكادون ولا تكيّدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون!

لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! وإيّم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوعى، واشتحرّ الموت، قد انفرجت عن ابن أبي طالب انفراج الرأس».

الشرح والتفسير

يواصل الإمام عليه السلام عتابه وذمه لعسكر الكوفة

«ما أنتمم إلّا كابل ضلّ رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر»

فالمراد أنّ إرادتكم ضعيفة وأفكاركم مشتتة ولا تميزون مصالحكم، فقد شبههم عليه السلام بالابل لضيق أفقهم وضحالة أفكارهم، وقوله «ضلّ رعاتها» إشارة إلى عدم طاعتهم لانتمهم وأوليائهم.

ومن البديهي أن هؤلاء الأفراد لا يسعهم أن يكونوا قوة أمام العدو ولذلك قال عليه السلام:

«لبئس لعمر [٣٣٩] الله سعر [٣٤٠] نار الحرب أنتم».

فالحرب ظاهرة ممجوجة غير محببة وآثارها خراب البلدان وقتل الإنسان والفقر والجهل

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٠

والبؤس والشقاء والتخلف، إلّا أنّ نفس ظاهرة اللوم هذه قد تكون دواءً حيويًا للمجتمع وذلك حين ينهض العدو ليهضم حقوق الأمة وينشر في ربوعها الذعر والفساد والانحراف.

فلا يمكن إعادة الأمن والسلام والعدل إلى المجتمع إلّا من خلال الحرب. ومن هنا صرح القرآن الكريم قائلاً: «إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» [٣٤١] وقال في موضع آخر «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» [٣٤٢].

وعليه فإنّ الإمام عليه السلام إذا أشار إلى الحرب، فإنّما ذلك لتكرّر إعتداءات وحملات أهل الشام وسفكهم للدماء ونهبهم للأموال بل هبوا في الواقع لمحاربة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله من بايعته الأئمة برمتها.

ومن هنا خاطبهم

«تكادون ولا تكيدون، وتتقض أطرافكم فلا تمتعضون، [٣٤٣] لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون».

ومن الواضح أنّ من لا يستعد لمواجهة العدو ويتأهب لخطئه التدميرية فإنّ قراه ومدنه الحدودية إنّما تكون على الدوام مسرحاً لعمليات العدو ليمارس بحق أهلها القتل والدمار ونهب خيراتهم وثوراتهم، وليس هنالك من مصير بأفضل من هذا المصير ينتظر أولئك الذين يعيشون الغفلة عن عدوهم.

وما أعظم قساوة إصدار الأحكام بشأن الإمام على عليه السلام واتهامه بالضعف وقلة التدبير في الحروب إذا لم يحط بحقيقته أهل الكوفة والضعف والوهن الذي كان سائداً لديهم إلى جانب عدم الطاعة والتمرد الذي طبعت عليه سجيتهم.

بعد ذلك يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة أعمالهم فيقول

«غلب والله المتخاذلون»

نعم فالفشل والهزيمة لا تقتصر على هؤلاء الذين تصدعت وحدتهم وتخلوا عن مجابهة العدو، بل الهزيمة من القوانين الثابتة التي يمني بها كل من يعيش هذه المفردات من قبيل الفرقة والنفاق والضعف والوهن وعدم الطاعة.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١١

ثم قال عليه السلام:

«وآيم الله [٣٤٤] اني لاظن بكم أن لو حمس [٣٤٥] الوغى [٣٤٦] واستحر [٣٤٧] الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب إفرج الرأس».

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى عدّة أمور بهذا التشبيه: الأول إنّ مكانته وإن كانت بمثابة الرأس من الجسد، ولكن هل للرأس - الذي يعتبر مركز الفكر ويضم العين والاذن واللسان - أن يفعل شيئاً دون سائر الأعضاء؟ والثاني: هل من حياة ووجود لهذا الجسد إن فصل عنه الرأس، وإن كان فيه فهل له فعل شيء دون معونة العقل والفكر والسمع والبصر.

وأخيراً يتعذر التثام الرأس بالجسد إذا ما فصل عنه، بينما ليست هنالك مثل هذه الصعوبة في إلتئام سائر أعضاء البدن.

وعليه فإن مراد الإمام عليه السلام هو أنّكم تنفرون عنى وليس لكم العودة إلى إذا حمى الوطيس وأخذكم الخوف فهربتم منى كما احتل بعض الشراخ أنّ المراد بقوله:

«أنفراج الرأس»

هو فلق الرأس بضربة السيف التي تأبى الالتئام. [٣٤٨]

### عوامل اخرى للضعف والهزيمة

يتطرق الإمام عليه السلام بفضله زعيماً إنسانياً وسياسياً وعسكرياً - في هذا القسم من الخطبة - إلى العوامل التي تقف وراء الضعف

والفشل والهزيمة، فيجملها بعبارات قصيرة بعيدة المعاني وفي مقدمتها التشتت والفرقة وعدم إمتلاك الزعيم الأوحد، الأمر الذي يشاهد بوضوح اليوم في

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٢

البلدان الإسلامية، حيث تؤدي الفرقة والانقسام إلى هذه الفوضى والانفلات في صفوف الامة. والطريف في الأمر أن الجميع يتحدث عن الوحدة، بينما يسهم كل حسب قدرته بتأجيج نيران الفرقة والاختلاف. والثاني عدم وجود الخطط والمشاريع الصحيحة التي يمكنها مواجهة مخططات العدو الخبيثة والتي أشير إليها بالعبارة «تكادون ولا تكيدون». الثالث الاستهانة ببعض الحوادث الصغيرة- وهي كبيرة في الواقع- والتي تعرض لها الإمام عليه السلام بقوله «وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون»

فاغلب الحوادث الصغيرة تكشف عن عمق بعض المسائل المهمة الخفية، فتغيير بسيط في البدن قد يعكس حالة مستعصية في باطنه، وهذا ما عليه الحال بالنسبة للقضايا الاجتماعية والسياسية والعسكرية. فاذا رأينا العدو قد هجم على منطقة حدودية صغيرة، أو إغتال شخصيه من البلد، لابد أن نعلم بأنه إنما يعد نفسه لمعركة أكبر وأعنف، وإلا لما تجاسر وارتكب ذلك العمل.

وعليه لابد من الالتفات إلى الأعمال في بداياتها وعدم الغفلة عن القضايا العضال التي تستبطنها وتختزنها. الرابع يقظة العدو وغفلتنا، فالعدو منهمك على الدوام في إعداد العدة والعُدّة، بينما ننظر بكل سذاجة إلى الاوضاع القائمة على أنها تمثل السلام العادل والمشرف، فاذا قدر لنا أن نفيق من غفلتنا، رأينا زمام المبادرة قد سلبت من أيدينا. الخامس خوف الموت والفرار من الشهادة في سبيل الله والتي أشار إليها الإمام عليه السلام بقوله «وآيم الله! اني لأظن...».

والواقع إن الإنسان ليغفل عن حقيقة مفادها أن خشية الموت سبب الموت: والاستعداد للتضحية والفداء يعد من أسباب حفظ النفس. كانت هذه بعض النقاط المهمة المرتبطة بالضعف والهزيمة التي أوردها الإمام عليه السلام في هذه الخطبة وستتابع تفاصيل هذه المسألة في الابحاث القادمة ذات الصلة. فقد تطرق الإمام عليه السلام في الخطبة الخامسة والعشرين إلى سائر عوامل الضعف والفشل والهزيمة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٣

### القسم الثالث: الانفراد في مجابهة العدو

#### إشارة

«وَاللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ وَيَفْرِى جِلْدَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا، فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَتَطْبِخُ السَّوَاعِدِ وَالْأَقْدَامِ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ».

الشرح والتفسير

يتحدث الإمام عليه السلام عن العناصر الضعيفة والهزيلة التي تمكن عدوها من نفسها فيقول «والله إن امرء يمكن عدوه من نفسه يعرق [٣٤٩] لحمه ويهشم [٣٥٠] عظمه و يفري [٣٥١] جلده لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح [٣٥٢] صدره»



فالعبرة تبين بصراحة أنّ الضعف والوهن بلغ ذروته في جيش الكوفة بحيث اندفع العدو بكل ما اوتى من قوة ليسدد له الضربات التي تحز اللحم وتطحن العظام، وهي أروع عبارة تجسد تسلط العدو وتحكمه في مصير الضعفاء العجزة، كما تضمنت قمة الفصاحة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٤

والبلاغة بحيث تكفى لا ثارة من بقى لديه ثمّة إحساس وشعور.

نعم هكذا كانت سيطرة أهل الشام ومعاملتهم لأهل العراق، لم يرعوا إلّوا ذمّة في أحد، فكانوا يقتلون الأبرياء ولا يرحمون الضعفاء وينهبون الأموال والثروات ويخربون البيوت.

فالواقع عمل هؤلاء أشبه بفعل القصاب بالذبيحة يسلم جلدتها ويحز لحمها عن عظمها ويعدها لقمّة سائغة للأكل. أمّا بعض المفسرين فقد ذهبوا إلى أنّ كل عبارة من هذه الجمل الثلاث مستقلة، فقول «يعرق لحمه» تعنى نهب الأموال و «يهشم عظمه» قتل الناس و «يفرى جلده» إشارة إلى الاخلال بنظام المجتمع [٣٥٣]، وبالطبع ليست هنالك من قرينة واضحة على هذا التفسير. أمّا الشيخ المرحوم مغنية قد علق في شرحه على هذه العبارة في أننا سمعنا كثيراً عن المقاومة السلبية تجاه الطواغيت والظلمة كأن ينتحر الفرد أو يحرق نفسه إلّا أننا لم نسمع من يستسلم للعدو إلى الحد الذي يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده دون أن يدافع عن نفسه، فليس هنالك أربع وأشنع من هذا الخوف بحيث يلقي الجبان الضعيف بنفسه إلى قصابى البشرية ليذبحوه بهذه الطريقة ويجعلوه لقمّة سائغة لهم [٣٥٤].

كما يحتمل إلّا تكون العبارات الثلاث المذكورة بشأن فرد واحد، بل يفعل العدو هذه الامور بشأن عدة أفراد كأن يعرق لحم البعض ويهشم عظم الآخر ويفرى جلد الثالث وعلى ضوى هذا التفسير يمكن حل السؤال الوارد بشأن ترتيب العبارات في أنّ الإمام عليه السلام لم جعل فرى اللحم في آخر العبارة. فكأنّ جواب الإمام عليه السلام أنّ جنایات العدو تجاهكم في مرحلة هي فصل اللحم عن العظم، ثم يتقدم في مرحلة اخرى ليهشم العظم وأخيراً لا- يبقى أمامه سوى فرى جلد البدن. وذهب بعض المفسرين إلى أنّ هذه العبارات إشارات إلى بعض الحوادث التي وقعت بعد شهادته عليه السلام وسيطرة معاوية وأهل الشام على العراق ولم يرحموا صغيراً ولا كبيراً ولا صحيحاً ولا مريضاً ولا فقيراً ولا غنياً ولا رجلاً ولا نساءً [٣٥٥]. ولكن يبدو أنّها ليست مختصة بذلك الزمان، وإن كانت أشد وأقسى آنذاك.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٥

أمّا العبارة

«ما ضمت عليه جوانح صدره»

- بالالتفات إلى أن الجوانح جمع جانحة بمعنى الاضلاع- فالمراد بها القلب، وهدف الإمام من قوله

«ما ضمت عليه جوانح صدره»

بيان روحية جيش الكوفة ومدى عجزه. ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة وأساسية يكشف فيها عن إتخاذ القرار الحاسم بشأن المستقبل وما يحمله من أحداث

«أنت فكن ذاك إن شئت فأمرًا أنا فوالله دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه قراش [٣٥٦] الهام، وتطيح [٣٥٧] السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء».

وأمرًا من المخاطب بقوله عليه السلام أنت فكن ذاك؟ هنالك احتمالان: الأول أن إنّما خاطب من يمكن عدود من نفسه كائنا من كان، غير معين ولا مخصص، والاحتمال الاخر أنّه خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه روى أنّه عليه السلام قال وهو يخطب ويلوم الناس على تشيبتهم وتقاعدهم:

هلاً فعلت فعل ابن عفان! فقال له:

«إن امرأ مكن عدوه من نفسه، يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده. أنت فكن ذاك...»

فالواقع هو أن الإمام عليه السلام فصل نفسه عنهم بعد أن يأس منهم، فافهمهم أنكم إن آثرتم الاستسلام للعدو فسبيلي غير سبيلكم وليس للعدو عندي إلما السيف وسأقاتله بمفردى، فلكل وظيفة وليس أنا من يتقاعس عن إداء وظيفته، فان تخليتكم عن وظيفتكم ورضيتم لأنفسكم الذل والهوان والاستسلام للعدو وعرضتم البلد الإسلامي للدمار والابتزاز وخليتكم وأهل الشام لينهبوا الأموال ويعتدوا على الاعراض، فليس لى إلأ أن أقاتلهم وحدى وأنا مستعد للشهادة التي لا أؤثر عليها شيئاً ولن أشعر بالضعف أبداً. وكأن الإمام عليه السلام أراد أن بهذه الكلمات أن يشد أزر ذلك النزر اليسير من الأفراد الشجعان الذين لا يخلو منهم جيش الكوفة، كما يزيل الشك عن قلوب بعض المترددين ليلتحقوا به، ويرشد التأريخ إلى مدى الأثر الذي لعبه كلام الإمام عليه السلام فيهم. فقد شعروا بقوتهم من جديد وتأهبوا لمنازلة العدو.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٦

### العزم النهائي للزعيم الشجاع

قد تشهد الحياة الاجتماعية والسياسية بعض اللحظات الحساسة التي تجعل الزعماء في موضع لا يحسدون عليه، وتتفعل هذه اللحظات حين يشتد الضعف والخلاف والترديد في إتخاذ القرار؛ الأمر الذي يمنح العدو بعض عناصر القوة في المباغته. وهنا لا بد أن ينبرى الزعيم الشجاع ليعلن قراره الحاسم بهذا الشأن ليفهم الجميع بأنه مستعد للقتال وخوض غمار الحرب بمفرده سواء كان هناك من يقف إلى جانبه أم لا، فليس هنالك سوى الشهادة التي تأبى المقارنة بالخضوع والاستسلام. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في الخطبة، وقد وقفنا على مثيله من أبي الضيم والأحرار الإمام الحسين عليه السلام. فقد إنفقت كلمة الأصحاب ليلة عاشوراء في مواكبة إمامهم عليه السلام ولا سيما حين رفع الإمام عليه السلام بيعته عن الجميع وأذن لهم بالانصراف، حيث انصرف أغلب الضعفاء والعجزه وانفجروا عن الإمام عليه السلام وهربوا من خوض الجهاد، ولم يبق معه إلأقله قليله، لينهض كل واحد منها ويعبر عن موقفه ومساندته للإمام عليه السلام وان قتل سبعين قتله، وآخر قال لو اقتل واحرق ثم اقتل ويفعل بي ذلك سبعين مرة لما تركتك، وما شابه ذلك من المواقف التي عبر عنها صحبه الاوفياء [٣٥٨].

وقد أشار أمير المؤمنين على عليه السلام- في الرسالة ٣٦ من رسائله في نهج البلاغة- إلى هذا المعنى، حيث قال لأخيه عقيل «وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال: فان رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عنى وحشة ولا تحسبن ابن أبيك- ولو أسلمه الناس- متضرعاً متخشعاً ولا مقراً للضيم واهناً» . كما نصطدم في قصة موسى عليه السلام بقومه الذين أعربوا عن خوفهم من مجابهة العمالقمة لما بلغوا بوابة بيت المقدس فضعفت إرادتهم وترددوا في إتخاذ القرار، حتى تمردوا على نبيهم موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام واعلنوا موقفهم. المخزي بكل صراحة «قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون» [٣٥٩].

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٧

فما كان من موسى عليه السلام إلأ أن أعلن موقفه منهم وانفصاله عنهم «قال رب إني لا أملك إلأ نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين» [٣٦٠].

وهذا هو موقف نبي الله نوح عليه السلام «وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون» [٣٦١].

ولا- شك إن لهذا الموقف الصادم الذي يتخذه الزعيم أثره الكبير في نفوس أتباعه، حيث يشعر الأفراد بارتفاع معنوياتهم وقوة شوكتهم إلى جانب عودة الضعفاء إلى الحق والشعور بالقوة والافتدار ويضطرها لاتخاذ ذات الموقف.

وأدنى معطيات ذلك الموقف أنه يشكل وثيقة تاريخية حية في سيرة هؤلاء الزعماء الأبطال والذي يلهم الأجيال العزم والإرادة والقوة، وهذا ما نلمسه بوضوح في الملحمة الحسينية في كربلاء والتي مازالت تلهم الامم والشعوب كل عناصر القوة والافتدال في مواجهة الظلم والاضطهاد والطغيان.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢١٩

### القسم الرابع: حقي عليكم وحقكم على

إشارة

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ وَتَغْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُّكُمْ».

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالتعرض لاهم القضايا المرتبطة بالحكومة والتي تكمن في حق الإمام على الأمة وحق الأمة على الإمام، فيوجزها بعبارات مقتضية عظيمة المعاني، حيث يشير إلى أربعة متبادلة لكل منهما. فقد تحدث بادي زى بدء عن حقوق الأمة، ومن شأن تقديم حقوق الأمة على الإمام على العكس، أنه مدعاة للتأثير في نفوس السامعين، إلى جانب كشفه عن البعد الشعبي والجماهيري للحكومة الإسلامية، كما يفيد عمق فارق هذه الحكومة مع الحكومات المستبدة الغاشمة والحكام الطغاة الذين يرون أنفسهم ما لكي رقاب الأمة فيعاملونها معاملة المالك والمملوك أو الاقطاع والمزارع.

فقد قال عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ».

والحق وإن ذكر بصورة مفردة إلا أنه يفيد معنى جنس الحق الذي ينطوي على مفهوم عام، أما تنكيهه فيشير إلى عظمة هذه الحقوق، لأن الاتيان بالنكرة قد يفيد التعظيم أحياناً.

فيتطرق الإمام عليه السلام إلى الحق الأول للأمة فيقول

«فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ».

النصيحة تعني الخلوص ومن هنا يصطلح على العسل الخالص بالناصح.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٠

كما وردت بمعنى الخياطة، ولذلك يطلق الناصح على الخياط، ثم اطلقت على كل عمل خير خالص خال من الغل والغش.

وتستعمل هذه المفردة بشأن الله والنبى والقرآن وأفراد الأمة والإمام والأمة، حيث تتمتع بالإشارة إلى أحد مصاديقها الواسعة حسب مقتضى الحال ومورد الاستعمال.

وقد ورد في بعض المصادر اللغوية أن النصيحة تشتمل على معان متفرقة، فمثلاً النصيحة لله تعني الاعتقاد بوحدانيته واخلاص التية له في العبادة ونصرة الحق، والنصيحة للقرآن تعني التصديق به والعمل بأحكامه والدفاع عن آياته، تجاه تأويل الجهلاء وتحريف الغلاة، والنصيحة للنبي هي التصديق بنبوته ورسالته وطاعة أوامره.

ومن هنا يبدو أن المراد بالنصيحة في العبارة العمل من أجل الارتقاء بالجوانب المادية والمعنوية للأمة من خلال البرامج والمشاريع الصحيحة، حيث تشكل هذه المشاريع الخطوة الأولى لتحقيق خير الأمة، وعليه فلا بد أن يكون للإمام والولى والزعيم مشروعاً صحيحاً

وجامعاً يتضمن تأمين المصالح المادية والمعنوية لأفراد الامة وبأخذ بأيديهم إلى الكمال المنشود.

والحق إن هذه المسألة لمن المسائد الحيوية المهمة في عالمنا المعاصر والتي تحظى بأهمية فائقة، حيث يعتقد أغلب العلماء والمنكرين أن العراقيل التي تنطوي عليها المسيرة الاجتماعية إنما أفرزتها بالدرجة الأساس مشكلة عدم وجود المشاريع والخطط الصحيحة. ثم يشير عليه السلام إلى الحق الثاني - ذات الصلة بالجانب الاقتصادي - فيقول «وتوفير فيئكم عليكم».

فالعدالة الاجتماعية في المجال الاقتصادي تعد من أهم مشاكل المجتمعات البشرية، فأغلب الحروب والنزاعات الدموية ومعظم المفاسد الاجتماعية إنما تعزى إلى تغييب العدالة الاجتماعية.

ومن هنا فإن إعادة الأمن والسلام والنظام والاستقرار والوقوف بوجه المفاسد الاخلاقية ومختلف الانحرافات إنما تتطلب بادىء ذى بدء إحياء العدالة الاجتماعية وتفعيلها في المجتمع.

وإستناد إلى أن المفردة «فيء» حسب أرباب اللغة أنها العودة والرجوع إلى حالة الخير

نقمة الولاية، ج ٢، ص: ٢٢١

والاحسان، فأنها تطلق أيضاً على الظل حين يرجع من طرف الغرب إلى الشرق.

وتطلق هذه المفردة في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية على الأموال التي تصل المسلمين من الكفار، فقد تطلق على الأموال التي تصل دون القتال، وحتى على مثل هذه الأموال والانفال التي تعني الثروات الطبيعية للحكومة الإسلامية التي ليست لها ملكية شخصية.

والفيء في العبارات المذكورة تعني جميع أموال بيت المال، فقوله عليه السلام توفير فيئكم تعني أن وظيفة الحاكم الإسلامي تعني إداء الأموال العامة إلى المحتاجين والمعوزين وأصحاب الحق، أي تنظيم الامور الاقتصادية والمعاشية للامة أما الحق الثالث الذي أشار إليه الإمام عليه السلام فيرتبط بالتعليم والشؤون الثقافية

«وتعليمكم كيلا تجهلوا».

نعم فالإمام لا بد أن يعتمد الاسلوب التعليمي الصحيح ويهب لمكافحة الجهل والامية ويرفع المستوى الثقافي لدى الناس ويستأصل جذور الجهل التي تقود الامة إلى التخلف والانحطاط. وأما الحق الرابع والأخير فهو

«وتأديبكم كيما تعلموا».

فالواقع أن الإمام عليه السلام أوجز الحقوق المهمة للامة في أربع هي:

١- المشاريع والخطط الصحيحة

٢- العدالة الاجتماعية في المجال الاقتصادي

٣- التعليم

٤- التربية والتهذيب والقضاء على الفساد الاخلاقي

جدير بالذكر أن الإمام عبر عن الحق الثالث بقوله

«وتعليمكم كيلا تجهلوا» والحق الرابع «وتأديبكم كيما تعلموا».

والحال أن نتيجة التعليم هي العلم والمعرفة، بينما يقود التأديب إلى تربية الخصال الأخلاقية لا العلم والمعرفة، إلّا أن مراد الإمام عليه السلام:

لا بد أن تقفوا على آثار الفضائل وأضرار الرذائل، لتتحلوا بالاولى وتواجهوا الثانية - فالحق الثالث يشير في الواقع إلى العقل النظري بينما يشير الحق الرابع إلى العقل العملي ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى حقوق الإمام على الامة الإسلامية وأجزائها هي الاخرى في

أربع

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٢

فقال عليه السلام:

«وأما حقى عليكم: فالوفاء بالبيعة».

والبيعة هى العهد بين الامية والإمام؛ العهد الموثق الذى يجب العمل به، وعلى ضوء هذا العهد فإن الإمام والحاكم لابد أن يأخذ بنظر الاعتبار مصالحه الامية ويرسى دعائم الأمن والاستقرار ويقاوم العدو ويمهد السبيل أمام الامية للسمو والتكامل، كما يجب على الامية أن تشد أزره وتقف إلى جانبه وتتجنب كل ما من شأنه تشد أزره وتقف إلى جانبه وتتجنب كل ما من شأنه المساس بهذا العهد والميثاق الحق الثانى الذى ذكره الإمام عليه السلام:

«والنصيحة فى المشهد والمغيب»

فلا يكونوا منافقين يظهرن المحبة والاخلاص فى حضوره، فان غاب عاثوا الفساد وسلوكوا الخيانة.

فقد لا يكون الإمام حاضراً بينهم على الدوام، إلا أن الله حاضراً لا يخفى عليه شئ ولا ينبغي أن يعيش المومن الغفلة عن هذا الأمر أما الحق الثالث الذى ذكره الإمام عليه السلام:

«والإجابة حين أدعوكم»

فلا ينبغي أن تتعللوا ببعض الذرائع فراراً من مواكبتى، لابد أن تطيعوا أوامرى وتقتفوا أثرى، والحق الرابع والاخير «والطاعة حين آمركم» فلعل البعض يلبى دعوة الإمام، إلا أنه لا يطيع ما يصدره من أوامرى، وعليه فاجابة الدعوة لابد أن تكمل بطاعة الاوامر. وبالطبع فإن حقوق الإمام على الامية إنما تعود بالنفع مباشرة على الامية، وعليه فلا ينبغي لهم أن يمتنوا على الإمام، بل الإمام يمن على الامية بانه يعتمد هذه الحقوق لاعادة الأمن والاستقرار إلى الامية واعمار بلادها. وقد صرح بعض شراح نهج البلاغة بأن هذه الحقوق المتبادلة إنما تختص بالإمام العادل المنصوب من جانب الله سبحانه، لا لكل إمام صالح كان أم طالح، ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«إن لى عليكم حقاً» [٣٦٢].

لكن يبدو أن عبارة الإمام شاملة عامة وهذا ما يفهم من قوله عليه السلام

«لابد الناس من أمير بر أو فاجر» [٣٦٣]

فكل من تزعم أمور المجتمع وأراد أن ينهض بالامية لابد أن يحترم الحقوق الأربع التى ينبغي أن تتمتع بها الامية والتى أشار إليها الإمام عليه السلام ويبدو أن العقل والمنطق يرشد إلى ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٣

## تأملان

### ١- الحقوق المتبادلة للإمام والامة

إن الحكومة رابطة بين الإمام والامة على غرار رابطة الرأس بالجسد، حيث يتعذر القيام بالوظائف دون تظافر جميع الجهود، بعبارة اخرى فإن أولياء الله فى الوقت الذى يكوتون فيه خلفاء الله فى الخلق، فهم خلفاء الامية من أجل ضمان مصالحها، ومن هنا كانت الحقوق المتبادلة بين الإمام والامة من أثقل الحقوق وأعظمها.

وقد وردت الأبحاث المسهبة فى الروايات بشأن هذه الحقوق، والتى تفيد مدى إهتمام الإسلام بهذا الموضوع الحيوى.

فقد افرد المرحوم الكلينى باباً فى المجلد الأول من كتابه أصول الكافى بهذا الخصوص وقد نقل أول حديث فيه عن أبى حمزة انه سأل الإمام الباقر عليه السلام:

«ما حق الإمام على الناس»؟

قال عليه السلام:

«حقه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوه»

قال فقلت له:

«وما حقهم عليه».

قال:

«يقسم بينهم بالسوية ويعدل في الرعية».

ولا يستبعد أن تكون الجملة الاولى إشارة إلى المسائل الاقتصادية والثانية إلى القضايا الاجتماعية والسياسية. ثم قال عليه السلام آخر الحديث:

«فاذا كان ذاك في الناس فلا يبالي من أخذ هاهنا وهاهنا» [٣٦٤]

في إشارة إلى أن الناس على كل حال إنما يحصلون على حقهم. سواء كان مصداقه هنا أم هناك.

حقاً أن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام انموذج مهم لا بد من اعتماده كقدوة في الحكومة الإسلامية.

فقد كان عليه السلام شديداً في أمر العدالة حتى وقف نفسه وضحي بها من أجلها. قال ابن أبي الحديد:

روى علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني عن فضيل بن الجعد، قال: أكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يُفْضَلُ شريفاً على مشروف، ولا عربياً على عجمي، ولا يُصانع الرؤساء وأمراء القبائل، كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه. وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية؛ فشكى علي

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٤

عليه السلام إلى الأشر تخاذل أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشر: يا أمير المؤمنين؛ إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة، ورأى الناس واحد، وقد اختلفوا بعد، ووضعفت التية، وقل العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتُصَفِّف الوضيع من الشريف؛ فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتأقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يجتوي الحق ويشترى الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال، وتصف نصيحتهم لك، وتشتخيص ودهم؛ صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت أعداءك، وفض جمعهم، أو هن كيدهم، وشئت أمورهم، إنه بما يعملون خبير.

فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل؛ فإن الله عزوجل يقول:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»؛ وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلادنيا زائله عنهم كان قد فارقوها؛ ولئسألن يوم القيامة: ألدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

وأما ما ذكرت من يذل الأموال واصطناع الرجال؛ فإنه لا يسعدنا أن نوتى أمراً من الفئ أكثر من حقه، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق: «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلْبَاهُ غَلَبَتْ فِيهِ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»، وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وخرده؛ فكثره بعد القلة، وأعزفته بعد الذلة؛ وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزوجل رضاً؛ وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، أو تقهم في نفسي إن شاء الله.

## ٢- تعارض الحق والمصلحة!

عادة ما يحدث تعارض بين الحق والمصلحة ليكون أحدهما مقابل الآخر. وغالباً ما يميل

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٥

ساسة الدنيا في هذه الحالة إلى المصلحة ويقدمونها على الحق. والتأريخ مليء بنماذج هذا التعارض وما أكثره في عصرنا الراهن حيث نشاهده كل يوم- أما أولياء الله والقادة الربانيين فهم لا يترددون في إثارة الحق. وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي سلك الحق مع أعدائه فضلاً عن أصحابه فقد قيل بأن العدل في تقسيم بيت المال حقاً لكنه لا يتفق مع المصلحة ولا بد من تقديم الأشراف والأثرياء على غيرهم في مقابل الحد من سهم الضعفاء، بينما كان الإمام عليه السلام لا يتهاون في إجراء العدل وإن شق على صحبه وإنفجروا عنه وإلتحقوا بعده، ولعلنا نلمس ذلك في هذه الخطبة وسائر خطب نهج البلاغة. ولعل أغلب هذه المشاكل لم تكن لتظهر على السطح لو تسلم الإمام عليه السلام ذمام الأمور بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله كما أمر الله ورسوله بذلك، إلا أن قضية التمييز في العطاء قد ظهرت على عهد الخلفاء وبلغت ذروتها على عهد عثمان الذي كان ينفق المال على بطانته وقرابته دون حساب، حتى طبعوا على هذه الإمتيازات فصعب إعادتهم إلى الحق وجادة الصواب. أضف إلى ذلك فإن إزدیاد حجم الغنائم وكثرة أموال بيت المال هي الأخرى كانت سبباً لأن يضحي البعض كطلحة والزبير- وهما من السابقين إلى الإسلام وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله- بالحق من أجل مصالحهم الشخصية، ومن هنا تعقدت المشاكل التي إعتضت حكومة الإمام عليه السلام- إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام ورغم علمه بظهور ما لا يحصى من المشاكل إن هو أشر الحق على المصلحة، لكنه لم يتخل عن سياسته المعهودة لعلمه بأن الهزيمة والخذلان تكمنان في إثارة المصلحة على الحق، ناهيك عن كون نفس هذا الإيثار يعني تعطيل أحد القيم الإسلامية، في حين إحيائها ونقلها للأجيال المستقبلية يفوق أهمية تحقيق بعض الانتصارات الوقيية ولعل هذا الأمر يشكل رداً على أكثر الأسئلة التي تطرح بشأن حكومة علي عليه السلام- وهذا ما سنتحدث عنه في حينه في الأبحاث القادمة إن شاء الله.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٧

## الخطبة [٣٦٥] الخامسة والثلاثون

## إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكيمين وفيها حمد الله على بلائه، ثم بيان سبب البلوى.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدِيثِ الْجَلِيلِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرَبِ

تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْرُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرًا!

فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجَفَاءِ، وَالْمُنَابِغِينَ الْعَصَاةِ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصِيحِهِ، وَضَنَّ الرَّئِدُ بِقُدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو

هَوَازِنَ:

أَمْرُتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللّٰوِي فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْعُدَى»

## نظرة إلى الخطبة: نتيجة العصيان

كما ذكرنا سابقاً فقد أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة بعد إنتهاء قضية التحكيم. فقد كانت نتيجة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٨

التحكيم شاقه على العالم الإسلامي. وقد دلت على أن الإمام عليه السلام نهى عن التحكيم وحث على مواصلة القتال خشية تلك النتيجة- ومن هنا شدد الإمام عليه السلام في ذمه لأهل الكوفة وحملهم مسؤوليه تلك النتيجة بسبب تمردهم وعدم طاعتهم. الشرح والتفسير

خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة في ظل ظروف عصيبة ومأساة عظيمة، فقد أثمرت مؤامرة معاوية وعمرو بن العاص إثر استغلال جهل أبو موسى الأشعري ومن وقف إلى جانبه، فقد تمكن ابن العاص من حسم التحكيم لصالحه، ظاناً أنه عزل الإمام على عليه السلام عن الخلافة ونصب معاوية مكانه!

طبعاً الإمام عليه السلام كان قد شعر ببالغ الآسى والحزن لأنه تكهن بهذه النتيجة وقد أطلع أهل الكوفة عليها، إلا أن الجهل والعصية والأناية والتخاذل حال دون الاعتاز بإرشادات الإمام عليه السلام ومواعظه الحكيمه.

على كل حال إستهل الإمام عليه السلام الخطبة- كما درج عليه في سائر الخطب- بحمد الله والثناء عليه، الحمد والثناء الذي يستبطن نكهة خاصة، فقد أورده الإمام عليه السلام حتى في ظل هذه الحادثة الأليمه والبلاء العظيم «الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب [٣٦٦] الفادح [٣٦٧] والحدث الجليل».

فالطريف أن الإمام عليه السلام أولمّا يحمد الله على هذه الحادثة ليعلم أن حمد الله والثناء عليه لا يقتصر على الحوادث المسرة والتوفيقات والنجاحات والفيوضات المعنوية والمادية، بل يجب حمده على كل حال في السراء والضراء والعافية والبلاء والغلبة والفشل، حتى الحوادث المريرة تشتمل على فلسفة لو سبر غورها لتبين أنها جزء من النعم الإلهية.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٢٩

ثانياً: أنه ينسب هذه الحادثة المريرة إلى الدهر، ونعلم أن الدهر لا يعنى سوى أهله، وإلا فبزوغ الشمس والقمر وهطول المطر وهبوب الرياح وسائر الظواهر الطبيعية ليست على شئ حتى تخلق مثل هذه الحوادث فالناس وبفعل أعمالهم الشائنة هم الذين يكونون السبب لمثل هذه الحوادث!

ولا شك إن هذه الحادثة لم تكن لتقع لو طاع أهل العراق الإمام عليه السلام والتفتوا إلى تحذيراته واتعظوا بنصائحه. والمراد بالخطب الفادح قضية التحكيم التي جرت الولايات على العالم الإسلامي.

صحيح أن قضية التحكيم- كما سيمر علينا في البحث القادم- لم تغير من حقيقة الأمر شيئاً، إلا أنها كانت ذريعة كبرى لمعاوية ورهطه من أجل إغواء الجهال وتحريف الأفكار، كما أدت إلى ظهور البدع في العالم الإسلامي.

وقوله عليه السلام

«حدث جليل»

هو تأكيد آخر لآثار السوء لتلك البدعة المشؤومة.

ثم يردف عليه السلام الحمد والثناء بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالعبودية والنبوة

«وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، ليس معه إله غيره، وأن محمداً عبده ورسوله»

فالإتيان بالشهادتين في مطلع الخطبة وأن تضمن التأكيد من جديد على لزوم تقوية دعائم التكامل الإنساني وإحياء الاصول العقائدية الإسلامية، إلا أن يشير إلى قضية الحكمين، وذلك أن الأمة قد تجاوزت أصل التوحيد واتجهت صوب أفعال الشرك وتجاهلت التأسى برسول الله صلى الله عليه وآله فاستسلمت لاهوائها.

ثم تطرق عليه السلام إلى الهدف الأصلي من الخطبة

«أما بعد، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب [٣٦٨] تورث الحسرة وتعقب الندامة».



فالعبرة بمنزلة الكبرى وبيان قاعدة كلية في أن المستشار إذا تحلى بأربع صفات فإن مخالفته توجب الندامة والحسرة لا محالة. الأولى صفة النصح وإرادة الخير ومقتضى ذلك السعى لاحقاق الحق.

الثانية القلب المنعم بالعطوفة والرافة والحب وإرادة السعادة والخير النابعة من أعماق

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٠

القلب لمن يطلب الاستشارة. الثالثة العلم والوقوف على كافة جوانب الأمر وتحليل جميع الملابسات ودراسة الحوادث والنتائج المتمخضة عنها الرابعة التجربة الكافية في القضايا الفردية والاجتماعية المهمة؛ أي التحلى بالعقل العملي إلى جانب العقل النظري فاذا كان هنالك مثل هذا الفرد يتمتع بمثل هذه الصفات فإنه يبلغ بالإنسان واقع الأمر لا محالة، كما أن مخالفته لا تقود سوى إلى الحيرة والضلال والندم والخسران الذي يفرزه الجهل والغرور.

وما إن يفرغ الإمام عليه السلام من بيان الكبرى (القاعدة الكلية) حتى يتطرق إلى الصغرى والمصداق المطلوب فيقول

«وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى، ونخلت [٣٦٩] لكم مخزون رأبى، لو كان يطاع لقصير أمر!»

فقد كشف الإمام عليه السلام عن مخالفته لاصل التحكيم فضلا عن كفيته والطريقة التي تم فيها.

ولقد أخيرهم عن آثار هذه القضية المشؤومة، إلا أن تعصبهم ولجاجتهم حالت دون سماعهم لرأى الإمام عليه السلام فاصروا على باطلهم والآن يجنون ثمار جهلهم والعبرة

«لو كان يطاع لقصير أمر»

مثل مشهور عند العرب، فهو قصير صاحب جذيمة، وحديثه مع جذيمة ومع الزياء مشهور فضرب المثل لكل ناصح يعصى بقصير، ويطلق على الأفراد الذين لا يصغون إلى الناصح المجرب الشفيق والذي لا يعقب سوى الندم.

فالإمام عليه السلام يشبه نفسه بقصير وأهل الكوفة بجزيمة الجاهل ومستشاريه البلهاء، حتى وقعوا في شباك عمرو بن العاص ومعاوية. ثم قال عليه السلام:

«فأيتهم على إباء المخالفين الجفأة والمنابذين [٣٧٠] العصاة، حتى إرتاب الناصح بنصحه، وذن [٣٧١] الزند [٣٧٢] بقده [٣٧٣].»

لقد حذرتكم من أن رفع المصاحف على الحراب مكر وخديعة، فقد بلغ القتال مرحلة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣١

خطيرة وأوشك على نهايته وقد لاحت بوادر النصر، إلا أنكم لم تسمعوا كلامى وتركتم القتال وإذ عنتم للتحكيم. وقد قلت لكم إن كان ولا بد فابعثوا ابن عباس حكما، فلم تقبلوا، ثم أشرت عليكم بما لك الأشر فلم تستجيبوا وأبيتم إلا أبى موسى الأشعري الاحمق الجاهل الذى لا يقوى على ابن العاص فلم تكن النتيجة سوى خيبتكم وخسرانكم وندمكم [٣٧٤].

والعبرة

«المخالفين الجفأة»

ان مخالفتكم لى لم تقتصر على سوء تشخيصكم، بل كان ذلك بدافع من جفائكم وعصيانكم وطغيانكم. وقد أكد هذا المعنى بقوله

«المنابذين العصاة».

وأما قوله

«ضمن الزند بقده»

فهو مثل أيضاً يقال لمن يكف عن الافصاح بالحقايق لعدم وجود من يسمع، فقد إراد عليه السلام خالفتمونى حتى ظننت أن النصح الذى نصحتكم به غير نصح، لا طباقكم واجماعكم على خلافى، وتعنى العبارة الأخيرة أنه لم يقدح لى بعد ذلك رأى صالح لشدة ما لقيت منكم من الاباء والخلاف والعصيان. ثم قال عليه السلام فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستينوا النصح إلأضحى الغد

وأخو هوازن صاحب الشعر هو دريد بن الصمة، وأبياته مذكورة في الحماسة. وكان من خير هذا الشعر أن عبد الله وهو اسم آخر لعارض وهو أخو دريد - كان أسود إخوته، فغزا بنى جشم وبنى نصر إبنى معاوية بن بكر بن هوازن؛ وغنم مألأ عظيماً بمنعرج اللوى فمنعه دريد عن اللبث، وقال: إن غطفان ليست بغافلأ عنا، فحلف أنه لا يريم حتى يقسم، وأوقعوا بعبد الله وقتلوه فهرب دريد بعد أن نجى منهم، فانشد هذا البيت الذى إستشهد به الإمام عليه السلام فى الخطبة [٣٧٥].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٢

## تأملان

### ١- قصة التحكيم

إن الذى دعا إليه طلب أهل الشام له وإعتصامهم به من سيوف أهل العراق، فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت، ودلائل النصر والظفر وضحت. وفى هذه الأثناء رفع أهل الشام المصاحف على الرماح. فسأل مالك الإمام عليه السلام مواصلة القتال. فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال - فقال عليه السلام: هذا أمر ينظر فيه.

فنادى الناس من كل جانب: المواءعة. فقال عليه السلام: أيها الناس إنى أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وصحبهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنى أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، فكانوا شر صغار وشر رجال، ويحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيده، أعيرونى سواعدكم وجماجكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين فى الحديد، شاكى سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود فنادوه باسمه لا بأمر المؤمنين: يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم. فقال لهم: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجب إليه. إنى إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنى أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وإنهم ليس العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فإبعث إلى الأشتر ليأتينك - فقال الأشتر:

قل لعلى عليه السلام ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى عن موقفى. فارتفع وهج القوم وعلت الأصوات وقالوا لعلى عليه السلام: والله ما نراك أمرته إلا - بالقتال، فابعث إليه يأتيك وإلا فوالله إعتزلناك. فبعث له الإمام عليه السلام ثانية. فقال الأشتر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم. قال:

ألأتى إلى الفتح. ثم أقبل الأشتر حتى إنتهى إليهم فصاح فيهم أمهلونى فواقا فإنى قد أحسست بالفتح. فلم يجيبوه. فلما إنتهى الأمر إلى الحكيم قال عليه السلام هذا ابن عباس أولئيه ذلك فهو لابن العاص. فلم يوافق الأشعث ورهطه. فقال عليه السلام: فإنى أجعل الأشتر. فقال الأشعث:

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٣

وهل سعى الأرض علينا إلا الأشتر. ثم إضطر الإمام عليه السلام لقبول أبو موسى. فاتفق معه عمرو بن العاص على أن يخلع كل صاحبه ويدعون الناس للشورى. فتقدم أبو موسى ثم قال: أيها الناس أجمع رأيى ورأى صاحبى على خلع على معاوية ويكون الأمر شورى بين المسلمين.

فقام عمرو بن العاص وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلعه كما خلعه، وأثبت صاحبى معاوية فى الخلافة، فإنه ولى

عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه. [٣٧٦]

## ٢- الاستفادة من آراء الآخرين

لاشك أن الشورى تشكل أحد أسس التعاليم الإسلامية التي حظت بأهمية فائقة في الآيات القرآنية والروايات والأخبار. فالقرآن يرى أن المشورة من علامات الإيمان، ويجعلها في مصاف الصلاة والزكاة- التي تعد من أركان الإسلام- «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ». [٣٧٧]

كما أمر الله سبحانه صراحة باستشارة المؤمنين في الأمور المهمة، رغم إتصال رسول الله صلى الله عليه وآله بالوحي وكونه العقل الكامل «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» [٣٧٨] والمهم في قضية المشورة إنتخاب المستشار الذي يتحلى ببعض خصائص الصفات التي وردت في الخطبة التي نحن بصدددها:

«الناصح الشفيق العالم المجرب»

، والحق أن مخالفة الفرد الذي يتصف بهذه الصفات لا تفضى سوى إلى الحسرة والندامة.

صحيح أن المتعصبين في صفيين لم يستشيروا الإمام عليه السلام إلا أن الإمام عليه السلام أبدى رأيه الذي يمثل رأى الناصح الشفيق والعالم المجرب، إلا أنهم وللأسف الشديد لم يستجيبوا لرأى الإمام عليه السلام وهبوا لمجاوبته وهددوه بالقتل، فلم تتمخض النتيجة سوى عن ندمهم التاريخي الذي جر الولايات على العالم الإسلامي.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٥

## الخطبة [٣٧٩] السادسة والثلاثون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان

«فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصِرُّوا صِرْعَى بَأْتِنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبَاهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّارَ وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَيْدَةِ الْحُكُومَةِ فَأَيَّبْتُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صِرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرٌ أَخِفَاءُ الْهَامِ، سَفَهَاءُ الْأَخْلَامِ؛ وَلَمْ آتِ- لَا أبا لَكُمْ- بُجْرًا وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا».

### نظرة إلى الخطبة

واضح أن الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة في النهروان جنب النهر في يوم القتال عام ٣٧ هـ.

وقد أشار عليه السلام إلى ثلاثة أمور:

١- عدم خوض القتال دون قيام الدليل الشرعي والبينة من الله، وإلا فأنهم يقضون على أنفسهم.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٦

٢- أن القوم تذرعوا بقضية التحكيم، والحال أن الإمام عليه السلام كان يرفضها منذ البداية.

٣- أنهم يقاتلون الإمام عليه السلام دون أن يصدر عنه ما يدعو لذلك من معصية، فإن كان هنالك من خلاف فقد صدر منهم ومن بعض الأفراد، ومن الجهل تحميل الإمام عليه السلام مسؤولية ذلك الخلاف، وهكذا أتم عليهم الإمام عليه السلام الحجّة.

الشرح والتفسير

## إتمام الحجّة على الخوارج

كما أشرنا سابقاً فإن الإمام عليه السلام خطبها قبل بدأ معركة النهروان التي أفرزتها قضية التحكيم. فقد خرجت تلك الطائفة الجاهلة على الإمام بعد التحكيم لتعتبره هو المسؤول عنه، في حين كان الإمام عليه السلام يعارض أصل التحكيم من الأساس إلى جانب رفضه الحكم. فالواقع أنّ الخطبة إتمام الحجّة عليهم. فقد إستهل خطبته بالقول «نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة- نحن أفق الحجاز، بنا يلحق البطيء وإلينا يرجع التائب» [٣٨٠] ثم خاطبهم قائلاً:

«فانا نذير لكم أن تصبحوا صرعى [٣٨١] باثناء هذا النهر، وبأهضام [٣٨٢] هذا الغائط [٣٨٣] على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبین معكم»

. فعبارة الإمام عليه السلام نبوءة صريحة بشأن عاقبة معركة النهروان حيث أخبرهم بأنهم سيصرعون دون النهر، والافضع من ذلك موقفهم العسير يوم القيامة واسوداد وجوههم، حيث ليس لهم من دافع للقتال سوى العصبية والجهل دون وجود أية بينة. شرعية يمكنهم الاستناد إليها وعليه فهم يهلكون أنفسهم في الحياة الدنيا وليس لهم في الآخرة إلا النار. ثم قال عليه السلام «قد طوحت [٣٨٤] بكم. الدار وأحتلکم [٣٨٥] المقدار» والمفردة (دار) إشارة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٧

إلى دار الدنيا أو عبارة اخرى الاغترار بالدنيا والعبودية لها و «احتيل» من مادة حيل بمعنى الفخ، والمراد بالمقدار حسب بعض شراح نهج البلاغة الفكر الخاطيء والتحليل العبثي لمختلف الحوادث، وقال البعض الآخر تعنى القدر الإلهي. وإذا تأملنا تأريخ الحادثة سيتضح لدينا الأثر البالغ الذي لعبه كلام الإمام عليه السلام في هذه الطائفة، فقد كانت طائفة متعصبة لجوجه جاهلة هزيلة. ثم أشار عليه السلام إلى قضية التحكيم فقال

«وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فايتم على إباء المخالفين المنابذين، حتى صرفت رأبي إلى هواكم»

إنكم لتحملوني مسؤولية عمل أنتم إرتكبتموه، بل أبعد من ذلك جعلتم تهددوني بالقتل على قبوله، والآن بعد أن تبين لكم فداحة خطأ العمل تحاولون إلقاء تبعته على «وأنتم معاشر أخفاء الهام [٣٨٦] سفهاء الأحلام»

. يمكن أن تكون هذه العبارة تأكيد لسفاهة وبلاهة أصحاب النهروان.

كما يمكن أن تكون العبارة السابقة- كما ذكر ذلك بعض شراح نهج البلاغة- إشارة إلى خفة أهل النهروان الذين تتغير أفكارهم وحركتهم لأدنى شئ، فهم يتعصبون يوماً للتحكيم، وآخر يعادونه أشد العدا، أميا العبارة الأخيرة فهي تشير إلى ضحالة فكرهم، وذلك لأن مؤامرات العدو كانت تتكشف يوماً بعد آخر ولم تكن خافية على أهل البصائر إلا أنهم لم يكونوا يرونها أو يدركونها؛ الأمر الذي جعلهم يخدعون أكثر من مرة بحيل معاوية وبطانته، فيرتكبون ما يؤدي إلى بؤسهم وشقائهم وجر الولايات والمصائب على المسلمين. ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالتأكيد على هذه الحقيقة بأن كل ما يصيبكم من بلاء مما إرتكبته أيديكم ولست طرفا فيه أبداً، بل خالفتموني وشهرتم سيوفكم لتهددوني بالقتل «ولم آت- لا أبا لكم!- بجرا ولا أردت لكم ضراً».

العبارة لا أبا لكم يمكن أن تكون سباً ولعناً، تشير إلى أنكم لم تحظوا بتربية أسرية إسلامية صحيحة، ومن هنا فأنكم تفعلون الأفعال الشائنة وتنسبونها إلى الآخرين، ويمكن أن تكون دعاء عليهم؛ أي أمات الله آبائكم وهي في الواقع كناية عن ذلتهم وهوانهم؛ لأن فقدان الأب في ريعان الشباب تدعو إلى الذلة والهوان.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٨

### قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج

ذكرنا حين شرحنا للخطبة الشقشقية في المجلد الأول أن الخوارج فئة متعصبة وجاهلة قد ظهرت من بطن صفيين وقضية التحكيم. فقد أقرت مسألة التحكيم (عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري) وفرضوها على الإمام عليه السلام. ولم يصفوا إلى قول الإمام عليه السلام أنها خدعة ولم يبق إلا القليل على ختم فتنه أهل الشام وزعيمهم معاوية. لكنهم تدموا بعد نتيجة التحكيم وتابوا لكنهم أفرطوا هذه المرة حيث حكموا يكفر قبول التحكيم وشعارهم الحكم لله فلا بد أن يتوب على عليه السلام من هذه المعصية. قال الإمام عليه السلام أن التحكيم ليس كفراً، فقد أشار القرآن إلى هذه المسألة في حل الخلافات العائلية «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» وفي كفارة الإحرام «يحكم به ذوا عدل منكم» لكن التحكيم الذي أقرتموه كان خاطئاً- على كل حال إقنع هؤلاء- وكان من بينهم بعض المتظاهرين بالعبادة والإتيان بالمستحبات- بقشور الإسلام وتركوا جوهره فاجتمعوا ضد أمير المؤمنين عليه السلام في منطقة قرب الكوفة تدعى الحروراء قرب النهروان. فبالغ الإمام عليه السلام في وعظهم ونصحهم حتى عاد أكثرهم إلى رشده بينما بقي أربعة آلاف منهم فلما ثبت المعركة صرعوا جنب النهروان ولم ينج منهم إلا القليل كما أخبر الإمام عليه السلام.

وقد شهدت حياة الخوارج وسيرتهم العديد من التناقضات العجيبة ومن ذلك:

١- لقيهم عبدالله بن الخباب في عنقه مصحف، على حمار، ومعه إمرأته وهي حامل، فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك، فقال لهم: ما أحياء القرآن فأحيوه، وما أماته فأميتوه، فوثب رحيل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً. وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، ثم قالوا لابن الخباب: حدثنا عن أبيك. فقال: إني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

ستكون بعدى فتنه يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسى مؤمناً ويصبح كافراً، فكن عبدالله المقتول ولا تكن القاتل- قالوا: فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة؟ قال: إن علياً أعلم بالله وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة- فقالوا: إنك لست تتبع الهدى، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبجوه. [٣٨٧]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٣٩

٢- قال قيس بن سعد بن عباد: إستنطقهم الإمام عليه السلام بقتل عبدالله بن الخباب فأقروا به، فقال: إنفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة. فأقروا جميعاً بقتله. فقال علي عليه السلام: «والله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم». [٣٨٨]

٣- حين هجم الخوارج على جيش الإمام عليه السلام إلتفت إلى أصحابه فقال: والله لا ينجو منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة. والعجيب أنه لم يقتل من أصحاب الإمام عليه السلام سوى تسعة ولم ينج من الخوارج إلا ثمانية.

٤- كانت قضية الخوارج قد فعلت فعلها في الإمام عليه السلام وقد إنعكست سلبي على الوسط الإسلامي، فكان عليه السلام لا ينفك عن التحدث عنها ليبين للناس كيفية إنحرافهم فيعتبروا بهم، ولا غرو فمثل هذا التفكير السطحي المشوب بالجهل والعناد لا يخلو منه عصر ومصر. والخطب التي تحدث فيها الإمام عليه السلام عن الخوارج هي الخطبة: ٤٠، ٥٩، ٦٠، ٦١، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٧، ١٨٤، والرسالة ٧٧، ٧٨ والتي سنعرض لشرحها جميعاً إن شاء الله.

الجدير بالذكر أن خط الخوارج- كما ذكرنا- تيار يتواجد على مدى التاريخ ولا يقتصر على عهد على عليه السلام- فهم فئته لا تعرف من الدين سوى ظاهره ولا- تعتد إلا- بأفعالها وأعمالها وترى إنحراف كل من سواها وقد ملئت سيرتها بالتناقضات، فهي بلاء وآفة تصيب المجتمع.

والغريب في الأمر أن الإمام عليه السلام أشار إلى هذه الفئة كظاهرة فوصفهم في الخطبة ٦٠ قائلا: «كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلايين.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤١

## الخطبة [٣٨٩] السابعة والثلاثون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام

يجرى مجرى الخطبة وفيه يذكر فضائله عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان.

### نظرة إلى الخطبة

بناءً على ما ذكره ابن أبي الحديد فإن هذه الخطبة تشتمل على أربعة فصول لا يمتزج بعضها ببعض: الفصل الأول: يشير فيه الإمام عليه السلام إلى خدماته الجليلة التي أسداها للإسلام إبان انبثاق الدعوة الإسلامية فقد أوجز ذلك بقوله: «فقد قمت بالأمر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعنعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا، كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف. لم يكن لأحد في مهمز ولا لقائل في مغمز».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٢

الفصل الثاني يشير إلى وقوفه الصلب على الدوام بوجه الظلمة من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل. الفصل الثالث يشير إلى استحالة الكذب عليهم لأنه أول من صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وعليه فلا ينبغي أن يستسرب الشك إلى إخباره عن المغيبات التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفصل الرابع يختتم الخطبة بعذره في البيعة لمن سبقه من الخلفاء، وأنه فعل ذلك طاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وخشية الفرقة والتشتت في صفوف المسلمين واستغلال ذلك من قبل خصوم الدعوة الإسلامية.

### ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٣

## القسم الأول: الصمود أمام العواصف

«فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَعُوا وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْنَعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا- وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ قُوَّةً فَطَرْتُ بِعِزَّتِهَا وَاسْتَبَدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تَزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَزٍ وَلَا لِقَائِلٍ فِي مَغْمَزٍ».

الشرح والتفسير

ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن الفصل الأول من الخطبة يتضمن ذكر الإمام عليه السلام لمقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان، وكون المهاجرين والأنصار كلهم لم ينكروا ولم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه إلا أن

سياق الكلام يشير إلى الحوادث التي وقعت على عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا سيما في بداية انطلاق الدعوة الإسلامية. فقال عليه السلام

«فقلت بالأمر حين فشلوا وتطلعت [٣٩٠] حين تقبعوا [٣٩١] ونطقت حين تعتصوا [٣٩٢] ومضيت بنور الله حين وقفوا. وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم صوتاً [٣٩٣]»

ثم أضاف عليه السلام أنه تألق تلك المدة وحاز السبق على الآخرين  
«فطرت بعنانها واستبددت برهانها [٣٩٤]، كالجبل لا تحركه  
نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٤

القواصف ولا تزيله العواصف، لم يكن لأحد في مهمز [٣٩٥] ولا لقائل في مغمز [٣٩٦].  
فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أمور هي:-

الأول: أن الآخرين كانوا آنذاك يعانون من الضعف والعجز، وأنا الذي نهضت بالأمر وقلت بوظيفتي.  
الثاني: أن الخوف دفع الآخرين آنذاك لأن يقبعوا في جحورهم وأنا الذي إنبريت للأمر وكنت أتطلع إلى العدو.  
الثالث: أنا الذي نطق لساني بالحق وبيان الحقائق الدينية والتعاليم الإسلامية حين عجز الآخرون عن الكلام.  
الرابع: لم يعتريني الشك آنذاك كما إعتري الآخرين فواصلت سبيلي على هدى من ربي ونور إيماني ويقيني بالوحي.  
ورغم كل ما تقدم لم أكن لأنفأخر على أحد  
«كنت أخفضهم صوتاً»

ثم يخلص عليه السلام من كل ذلك إلى نتيجة مؤداها  
«فطرت بعنانها واستددت برهانها»

. ثم يعود عليه السلام للتأكيد على ما مضى من حوادث وكيف واجهها فقال  
«كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف»

مع ذلك فقد خضت ما خضت و

«لم يكن لأحد في مهمز ولا لقائل في مغمز».

كما أوردنا آنفاً فإن المراد بهذه العبارات ما حدث في بداية إنبثاق الدعوة الإسلامية؛ لأننا نعلم جميعاً بأن علياً عليه السلام كان أول من أسلم حين كان الإسلام غريباً ولم يكن هناك من يهب للدفاع عن الإسلام والقرآن والنبي صلى الله عليه وآله؛ المعنى الذي يلمس بوضوح في يوم الدار حين انطلقت الدعوة الإسلامية للعلن بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية.

ولم يجب النبي صلى الله عليه وآله ويعلن دعمه له ووقوفه إلى جانبه سوى على عليه السلام وفي ليلة المبيت نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لينجو من مؤامرة قريش التي استهدفت قتله، ناهيك عن فتح خيبر حين عجز الآخرون، وبروزه لعمرو بن عبدود العامري في الأحزاب حين لم يكن غيره من انبرى لقتاله.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٥

كما يحتمل أن يكون المراد بالقيام بالأمر والجمل اللاحقة الدفاع عن الإسلام على عهد الخلفاء، لأن أغلب المورخين المسلمين يقرون بان علياً عليه السلام كان المفزع في حل المشاكل والمعضلات التي تواجه المسلمين.

فقد وردت العبارة المعروفة عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

«اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن» [٣٩٧].

أو ما تناقلته كتب الفريقين والتي تؤكد هذا المعنى، حتى صرح بعض أرباب اللغة أن العبارة

«مشكلة ليس لها أبو الحسن»

أصبحت مثلاً لدى العرب. وهنالك احتمال ثالث في أن يكون المراد قيامه عليه السلام بأمر الخلافة بعد انهيار حكومة عثمان وإثر تلك العواصف التي عصفت بالمسلمين بعد مقتل الخليفة الثالث، فقد تصدعت آنذاك عرى المجتمع الإسلامي، وقد تأهبت عناصر النفاق ومن تبقى من أسلاف الجاهلية ومشركي العرب، فلم يكن للامة من أمل سوى على عليه السلام، أجل لقد نهض الإمام عليه السلام بالأمر في ظل تلك الظروف وحفظ وحدة المسلمين.

أما قوله

«كنت أخفضهم صوتاً»

نفحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ٢٤٥

عله إشارة إلى تواضع الإمام عليه السلام إلى جانب كل تلك الانتصارات والنجاحات، أو إشارة إلى أن الإمام عليه السلام لم يكن من أهل الظاهر وإثارة الصخب والضوضاء فهذه معاني الأفراد الضعفاء العجزة.

ومن هنا أردفها بقوله

«وأعلاهم فوتاً»

التي تعنى السبق على الآخرين، السبق في الإيمان والهجرة، والسبق بالجهاد والقتال، وأخيراً السبق في كافة الفضائل الأخلاقية.

وقوله عليه السلام

«فطرت بعنانها واستبددت برهانها»

هو الآخر تأكيد لهذا الأمر، ولا سيما أن فاء التفرغ وردت في البداية كنتيجة للبرامج السابقة، أي أتى ركب النصر وسبقت الآخرين، وذلك لأنني لم أشعر بالضعف طرفة عين ولم أهب الحوادث المرعية وأفقد الفرص المواتية، ومع ذلك لم أثير أية ضجة أو صخب وضوضاء.

ثم يشبه نفسه عليه السلام بالجبل العظيم الذي لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف. والطريف في الأمر أن الإمام عليه السلام ذكر القواصف ثم أردفها بالعواصف، وذلك لان القواصف تعنى الرياح

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٦

العاتية الكاسرة، والعواصف الرياح السريعة الجارفة، في إشارة إلى أن الحادثة كانت من الشدة بحيث تقضى على الإنسان في موضعه، وأحياناً تكون أكثر شدة فتجرفه كما تجرف أوراق الشجر وتقذف به في مكان سحيق.

ثم قال عليه السلام:

«ولم يكن لأحد في مهمز ولا لقاتل في مغمز»

. فالمعروف أن من يعمل يخطئ ومن يرد الميدان الاجتماعي ويمارس الأنشطة والفعاليات فإنه يتعرض إلى بعض الانتقادات من هنا وهناك، فما ظنك بالإمام عليه السلام الذي كان سباقاً في كل الميادين. وبالطبع فإن العيوب والمطاعن في غيره لم تحص رغم ندرة

إقتحامه للميدان الاجتماعي. [٣٩٨]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٧

**القسم الثاني: القوى عندى ضعيف**

إشارة



«الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقوى عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ».

الشرح والتفسير

لما كانت عدالة الإمام عليه السلام هي السبب الذي يقف وراء أغلب الحوادث الأليمة والحروب الدامية، واعتياد الناس لسنوات على الظلم والجور والاضطهاد على عهد الخلفاء الثلاث ولاسيما عصر عثمان، فإنهم لم يكونوا مستعدين بهذه السهولة لقبول منطق المساواة أمام القانون وفي العطاء من بيت المال.

فالإمام عليه السلام يؤكد في هذه الخطبة أنني سأواصل سيرتي في العدل وإحقاق الحق وانتزاعه من القوى، بل هذا هو هدفي من الحكومة، وبناءً عليه فالقوى عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه والضعيف قوى حتى أخذ الحق له

«الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقوى عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه»

ومن هنا كان لا ينفك عليه السلام عن تأكيده على الحديث المعروف عن رسول الله صلى الله عليه وآله والذي ضمنه عهده إلى مالك بعد أن أوصاه قائلاً: واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ... فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لن تقدرس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوى غير متتبع». [٣٩٩]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٨

كان الإمام عليه السلام شديد الحرص على العدالة لا يؤثر عليها أي شئ وقد وردت عدة أحاديث بهذا الشأن في أن الإمام عليه السلام كان يقسم عطاء بيت المال فقدم رجل من الأنصار فاعطاه ثلاثة دنانير، ثم دخل عليه عبد أسود فاعطاه ثلاثة أيضاً، فقال له الأنصاري، يا أمير المؤمنين سويت بيني وبين عبدى الذي عتقته بالأمس. فقال عليه السلام لم أرفى الكتاب فضلاً لولد اسماعيل على ولد اسحاق «إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة إن الناس كلهم أحرار» [٤٠٠].

ثم قال عليه السلام:

«رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له أمره»

تنطوى هذه العبارة على معنيين:

الأول أن الله أمرنا بنصرة المظلوم ومقاتلة الظالم، وإني مسلم لهذا الأمر ولا بد من التسليم والرضى قبل الآخرين شاءوا أم أبوا.

### نصرة المظلوم ومجابة الظالم

لقد شحن نهج البلاغة بوصاياهم عليه السلام التي تؤكد على الحكومة الإسلامية في أن تكون للمظلوم عوناً وللظالم خصماً. ومن ذلك ماورد في خطبته المعروفة بالشقشقية من أن الحكومة وسيلة للانتصاف للمظلوم

«وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم»

، أما آخر وصية لولده الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام

«كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً». [٤٠١]

وقال في موضع آخر من نهج البلاغة

«وآيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ولأفودن الظالم بخزامة حتى اورده منهل الحق وإن كان كارهاً» [٤٠٢].

ولا- غرابة فالقرآن الكريم قد أكد هذا الأمر ليحث المؤمنين على نصرة المظلومين ولو تطلب ذلك القتال «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً» [٤٠٣].

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٩

جدير بالذكر أن الفلسفة الأصلية لتشكيل الحكومة وتشريع القوانين (سواء القوانين الإلهية أو الوضعية التي تسنها الأنظمة البشرية) هو حفظ حقوق الضعفاء وتوفير الدعم والاسناد لهم، لأن الطغاة والجبابرة يعتمدون منطلق القوة الغاشم من أجل هضم حقوق الآخرين، وعليه فلو تخلت الحكومة والقانون عن دعم المظلومين والمستضعفين فأنها ستفقد فلسفة وجودها لتتحول إلى وسيلة بيد الظلمة لتبرير ظلمهم وجورهم. ومن هنا كان قبول الإمام عليه السلام للحكومة كما ذكر ذلك في خطبته الشقشقية يكمن في الوقوف إلى جانب المظلوم ومجابة الظالم.

ومن هنا أيضا فإن القانون يعطى نتيجة معكوسة في المجتمعات التي تغير مسار القانون بالرشوة، لأن الراشى هو الظالم لا المظلوم- وفي هذه المجتمعات يتحول القانون إلى مصدر دخل غير مشروع للظلمة وأداة لتوجيه ظلم الآخرين. لكن ينبغي العلم بأن تحمل العدل ومجابة الظلم ودعم المظلوم إنما يشق على الأعم الأغلب. فمن الصعب قبول العدل من قبل من يرى مراعاته تشكل خطرا على مصالحه اللامشروعة، أو الأسوأ من ذلك من يرى لنفسه إمتيازاً في المجتمع ولا يمكنهم أن يتساوى مع الآخرين ويرى أن من الإساءة إليه أن يتساوى معهم، فيعمد إلى عرقلة مسيرة الحكومة العادلة ولا يتورع عن ممارسة الأعمال. وهؤلاء هم الأفراد الذين وقفوا بوجه الإمام عليه السلام وأثاروا الفتن والإضطرابات وحرفوا الوسط الإسلامى.

وأخيرا فقد ورد أن سبب إنفراج العرب عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إنما يكمن في الأموال وكيفية توزيعها، فلم يكن عليه السلام يرى من فضل لشريف على غير شريف أو عربى على أعجمى، كما لم يكن يستن بسنة السلاطين في معاملته زعماء القبائل، ولم يستميل أحدا عن طريق المال أبداً، بينما كان معاوية يمارس العكس تماماً. [٤٠٤]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥١

### القسم الثالث: أول من أسلم

#### إشارة

«أترانى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لأننا أول من صدقته! فلا أكون أول من كذب عليه. فنظرت في أمرى. فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيرى».

الشرح والتفسير

كما أشرنا سابقاً يبدو أن ما ورد في هذه الخطبة فصول مختلفة من خطبة طويلة فصلها السيد الرضى (ره) عن بعضها البعض، ولذلك قد لا يكون هناك من ترابط وثيق بين هذه الفصول. على كل حال فإن هذا الفصل من الخطبة يتناول أمرين: الأول إخباره عليه السلام عن الحوادث الآتية مصرحاً بأن ذلك مِمَّا علمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ذلك إخباره عن وقائع الجمل وصفين والنهران، أما بعض ضعاف الإيمان كانوا يشككون في أخبار الإمام عليه السلام، فرد عليهم بالقول «أترانى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لأننا أول من صدقه! فلا أكون أول من كذب عليه».

لقد صدقته حين كذبه الناس، وكنت أول من صدق به فشمرت في الدفاع عنه، كنت أقيه بنفسى في الحروب والمواقف التي تنكص فيها الابطال، أيمكن أن أنحرف عن طريقتى وأكذب عليه محال ذلك. الاحتمال الآخر في تفسير هذه العبارة أن الإمام عليه السلام أراد أن يقول: بايعت من سبقنى من الخلفاء لا- لأنهم أجدر بها منى، بل دفعاً للخلاف والفرقة في صفوف المسلمين طاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، أفترون أنى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الكلام، أم تعتقدون أنى أنقض وصية النبى صلى الله عليه وآله؟ وعليه فقد بايعت من بايعت وتنازلت عن

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٢

حتى طاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله. ويبدو أن هذا التفسير هو الأنسب لأنه ينسجم والعبارة اللاحقة. ثم قال عليه السلام: «فنظرت في أمرى، فإذا طاعنى قد سبقت بيعتى وإذا الميثاق فى عنقى لغيرى»

والتفسير وإن اختلفت بشأن هذه العبارة- التى تعد من عبارات نهج البلاغة المعقدة- إلا أن التفسير الذى أوردناه آنفا هو الأنسب من جميع التفسيرات. كأن العبارة تجيب على سؤال قد يقتدح إلى الأذهان فى أن الإمام عليه السلام لم يبايع الخلفاء الثلاثة وهو يرى أنه أجدر بالخلافة منهم وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامته؟ وجواب الإمام عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى السكوت حفظاً للإسلام إن خالفنى القوم، ولا بد لى من البيعة من أجل حفظ المصالح التى يجب على مراعاتها. وعليه فقد جعلت طاعنى لرسول الله صلى الله عليه وآله أولى من بيعتى، كانت عهداً من النبى صلى الله عليه وآله فى عنقى وليس أمامى سوى الوفاء بالعهد، كما ذهب بعض شراح نهج البلاغة، كما أوردنا سابقاً إلى أن المراد أن طاعة النبى صلى الله عليه وآله مقدمة لدى على بيعة الخلفاء، لقد عهد إلى النبى صلى الله عليه وآله بالسكوت فى ظل مثل هذه الظروف، وذكر بعض الشراح إن المراد بقوله «فنظرت فى أمرى ..»

أن هذه الكلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان معهوداً إليه ألا ينازع فى الأمر، ولا يثير فتنة، بل يطلبه بالرفق، فان حصل له وإلاً أمسك، فالمراد: فنظرت فإذا طاعنى لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ أى وجوب طاعنى، قد سبقت بيعتى للقوم، أى وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وامتنال أمره سابق على بيعتى للقوم، فلا سبيل إلى الامتناع من البيعة لأنه صلى الله عليه وآله أمرنى بها، «وإذا الميثاق فى عنقى لغيرى»

أى رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ على الميثاق بترك الشقاق والمنازعة، فلم يحل لى أن أتعدى أمره، أو أخالف نهيه. [٤٠٥] وقال البعض أن العبارة تنسجم وما قال الإمام عليه السلام فى الخطبة الشقشقية «أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر ... لألقيت حبلها على غاربها».

ويبدو أن هذا التفسير هو الآخر مستبعداً، لأن القوم تمردوا على طاعة الإمام عليه السلام قبل البيعة، واعلنوا بيعتهم فلم يكن هناك من ميثاق، إلا أن نفس الميثاق مجازياً. نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٣

### عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى العهد الذى عهدته إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويفهم من العبارة أن النبى صلى الله عليه وآله عهد لعلى عليه السلام بمماشاة الخلفاء، وإن لم تستند حكومتهم إلى الموازين الشرعية. وقد صرحت بعض الروايات بمضمون ذلك العهد، ومنها ما أورده المرحوم السيد ابن طاووس فى كشف المحجبة فى رواية عن على عليه السلام: «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى عهداً، فقال: «يا بن أبى طالب! لك ولاء امتى. فان ولوك فى عافية واجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه فان الله سيجعل لك مخرجاً».

فالواقع أن الإنسان قد يقف أحياناً على مفترق طرق كلاهما مرير، إلا أن أحدهما أمر من الآخر، فالعقل فى مثل هذه الحالة يحكم باجتنب الأمر وتقبل المرير؛ القاعدة التى يصطلح عليها فى الفقه بقاعدة الأهم والمهم، كما يعبر عنها أحياناً بدفع الأفسد بالفسد، وهذا ما سلكه أمير المؤمنين عليه السلام بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد كان أمامه عليه السلام سيلان لاثالث لهما، إما إن يترك حقه المسلم فى الخلافة حفظاً للإسلام والمصالح الإسلامية، أو أن ينهض بالأمر فيطالب بحقه، دون الإكترار لوحدة المسلمين وتربص الاحزاب الجاهلية بالإسلام والفرصة التى كان ينتظرها المنافقون بفارغ الصبر أملاً فى إقتتال المسلمين وتسللهم إلى

الحكومة، الأمر الذي تكهن به رسول الله صلى الله عليه وآله فعهد لعلى عليه السلام ذلك العهد، ولم يكن من على الذي أوقف نفسه للإسلام سوى الالتزام بذلك العهد.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٥

## الخطبة: الثامنة والثلاثون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
وفيها علّة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها. [٤٠٦]

### نظرة إلى الخطبة

إن أدنى تأمل للخطبة سيفيد أن هذا الكلام فصل من كلام طويل إختاره السيد الرضى (ره)، ومن هنا نرى الكلام عبارة عن فصلين، أحدهما غير منسجم مع الآخر، بل مبتور عنه.

أما الفصل الأول فهو الكلام فى الشبهة ولماذا سميت شبهة، وسبيل الخلاص من الشبهات.

والفصل الثانى بيان حال الناس إزاء الموت، حيث لا ينجو منه من خافه، ولا يمنح البقاء من طلبه فكلاهما ميت. وتدل القرائن على أن الرضى (ره) كان يلتقط الكلام إلتقاطاً، ومراده أن يأتى بفصيح كلامه عليه السلام وما يجرى مجرى الخطابة والكتابة، ويؤيد هذا العبارة

«من كلام له» و «من خطبة له»

ونعرف أن من هنا تبعيضه، فلم يقل ومن خطبته أو ومن كلماته، فقد أراد أن ما ورد هنا جزء من خطبته عليه السلام. على كل حال فإن الخطبة ورغم قصرها تناول موضوعين أحدهما؛ الشبهة والآخر الموت.

### ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٧

«وَأِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضَعِ يَأْوُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَدَلِيلُهُمْ سَمَتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ».

الشرح والتفسير

### النجاة من الشبهة

يستفاد من بعض المصادر أن هذا الفصل من الخطبة يتعلق بقصة طلحة والزبير ومعركة الجمل؛ لأنهما خلقا شبهة لدى الناس ودعواهم لنكت البيعة والقيام ضد الحق. ومن عناصر تلك الشبهة زج زوج النبى صلى الله عليه وآله فى تلك المعركة والمطالبة بدم عثمان وما شا كل ذلك. قد تحدث الإمام عليه السلام عن الشبهة قائلاً:

«وَأِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ»

ومن هنا كانت سببا لخداع السذج وذريعة بيد الشياطين للفرار من الحق. فالواقع أن الامور التى تواجه الإنسان فى حياته الفردية والاجتماعية لا تخرج عن ثلاث؛ فقد يكون الحق ظاهراً جلياً كأن نقول من يعمل الخير يحصد الخير ومن يعمل الشر يحصد الشر؛ أو

يكون الباطل واضحاً، كأن نقول الفوضى وغياب القانون أفضل من النظام وسيادة القانون، فمن البدهة القول ببطلان هذا الأمر. غير أن هنالك بعض الحالات التي ليست من قبيل القسم الأول ولا الثاني، حيث يتلبس الباطل أحياناً بثوب الحق، أمر ظاهره حق وباطنه باطل، كتلك الامور الجوفاء التي تمسك بها أصحاب الجمل وصفين من أجل إشعال نيران تلك المعارك. ويبدو أن هذه هي مشكلة المجتمعات البشرية، وقد إتسعت في مجتمعاتنا المعاصرة، حيث نرى أغلب الأهداف الباطلة والسلطة الخبيثة التي تلبست ثياب حقوق الإنسان والدفاع عن الحرية والديمقراطية وحفظ القانون وإعادة السلام والاستقرار إلى المنطقة. ثم أشار عليه السلام إلى طرق النجاة من

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٨

الشبهات التي يعتمدها أولياء الله

«فأما أولياء الله فضيأؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت [٤٠٧] الهدى».

فالعبرة قد تكون إشارة لأحد أمرين: الأول أن أولياء الله الذين يؤمنون بالله والغيب إنما يلوذون بالقرآن وكلمات أئمة العصمة لمواجهة ظلم الشبهات والخلاص منها بدافع من يقينهم بالوحي، وعليه فاليقين في العبارة هو الإيمان بالله ورسوله «وسمت الهدى» إشارة إلى هدى الوحي، كما قال القرآن «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَازِبٌ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» [٤٠٨]. وقيل المراد باليقين الاستفادة من المقدمات القطعية والامور اليقينية التي من شأنها إنارة الطريق والقضاء على الشبهة، وبعبارة اخرى فإن أولياء الله الذين لا يكثر ثون للاهواء ويحكمون العقل إنما يسعهم في ظل هذا لعقل أن يجتازوا الشبهات ويهتدوا إلى السبيل، ولو كان للاهواء من سبيل إلى العقل لما وسع هذا الفرد تمييز الحق من الباطل إذا لبس عليه الأمر. والتفسيران لا يتعارضان، ويمكن الجمع بينهما في مفهوم العبارة المذكورة. قد يقال أن بعض الآيات والروايات قد اشتملت على المشتبه الذي يتضمن مختلف التفاسير، فما العمل في هذا الحالة؟

لقد أجاب القرآن الكريم صراحة عن هذا السؤال وذلك بالرجوع إلى الآيات المحكمة والروايات الصريحة التي تفسر تلك المتشابهة حتى يتمكن الفرد من اجتياز هذا الامتحان الإلهي بالآيات والروايات المتشابهة. والحياة الإنسانية على غرار الآيات القرآنية قد تنطوي على محكمات ومتشابهات، فقد ترى مثلاً حركة مريبة من أحد الأصدقاء تحتمل الوجهين في التفسير، وقد أرشدت مختلف الحوادث إلى نزاهته وعفته خلال كل هذه المسيرة، فلا شك أن حسن السيرة هذا من المحكمات وتلك الحركة المريبة من المتشابهات التي يمكن تفسيرها من خلال المحكمات. ثم تطرق الإمام عليه السلام لأعداء الله في كيفية التعامل مع الشبهات فقال:

«وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى»

فكل سبيل يتطلب دافعاً ودليلاً من أجل الحركة، وهنا يفترق الأفراد إلى أولياء الله وأعدائه، فليس لأولياء الله من دافع سوى اليقين بالله واليوم الآخر ودليل سوى الوحي والنبوة، بينما دافع أعداء ودليلهم الضلال وهوى

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٥٩

النفس ووساوس شياطين الانس والجن وعمى البصر والبصيرة. ومن هنا فإن الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة هي مصير الطائفة الاولى «ألا- إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون... لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» [٤٠٩] بينما ليس لأعداء الله سوى الظلمات «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» [٤١٠]. أما ما ورد في خطبة الإمام عليه السلام فهو صادق على الحياة الفردية وكذلك الحياة الاجتماعية، بل إن أبعاده لأعظم وأخطر في الجانب الاجتماعي وقد تجسد النموذج الكامل لذلك في الطائفة الثانية (أعداء الله) من قبيل الفرق الثلاث التي خاضت معركة الجمل وصفين والنهروان من خلال الشبهات الواهية والادلة الجوفاء الأضعف من بيت العنكبوت لتهد لقتال الإمام عليه السلام وتوجه ضرباتها الماحقة لكيان الإسلام والمسلمين. جدير بالذكر ما أورده صحيح البخاري عن أبي بكر- أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله- أنه قال سمعت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله نفعني أيام

الجمال، فقد كدت أن ألتحق بمعسكر أصحاب الجمل، حيث بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن طائفة من الإيرانيين قد ولوا عليهم بنت كسرى فقال صلى الله عليه وآله «لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة».[٤١١]

### تأثير الشبهة في تحريف الحقائق

لو ظهر الباطل كما هو لما خفى على أحد، ولما قبله الوجدان والطبع السليم، ولا يستجيب له سوى مرضى القلوب ومنحرفى الأفكار إلماً أن المشكلة تتعقد حين يتزين الباطل بلباس الحق، فيقبل عليه بعض طلاب الحق بعد أن يغترون بحسن ظاهره، وهذه فى الواقع إحدى شعب الشبهة. الشبهة الأخرى أن يمزج مقدار من الحق بمقدار من الباطل فتختفى صورة الباطل القبيحة فى ظل الحق. وأخيراً فقد يزيّف الباطل ويجمال حتى يبدو بصورة حق دون أن

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦٠

يمتزج به. وقد حفل تاريخ البشرية بما لا يحصى من الفتن والويلات التى طالته من خلال الشبهات والوساوس الشيطانية، حتى مارس الطغاة والمخادعون سلطتهم على الناس بواسطة تلك الشبهات. وأفضل نموذج على ذلك المعارك الثلاث المعروفة- الجمل وصفين والنهروان- التى أودت بحياة تلك الجماعة العظيمة من المسلمين وما ذلك إلماً من خلال الشبهات التى إعتدها أصحاب الباطل من أجل تحقيق أطماعهم ومآربهم؛ فالبكاء ليل نهار على قتل الخليفة المظلوم (عثمان) والطواف بقميصه الملطخ بالدم من أجل تعبئة الناس، حتى من قبل أولئك الذين ساهموا فى قتله وتلطخت أيديهم بدمه، ومن ثم الإتيان بام المؤمنين وركوبها الجمل و ... كلها نماذج حية من الشبهة. رفع المصاحف على أسنة الرماح وشعار التسليم الحكم القرآن والحيلولة دون إراقه دماء المسلمين هى الأخرى من شبهات معركة صفين. بل أشبع صورة للشبهة فى محاولة تحميل الإمام على عليه السلام مسؤولية قتل عمار بن ياسر فى معركة صفين حيث إحتج الإمام عليه السلام بقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية»

فاحتج عليه بأن الفئة الباغية من أتت بعمار إلى المعركة. أما أصحاب النهروان ممن كانوا يتظاهرون بصلاة الليل وقراءة القرآن التى لا تتجاوز تراقيهم، فقد رفعوا شعارهم المعروف «لا حكم إلأالله» وقد انطوت هذه الشبهة على فئة عظيمة من الناس التى أدت فى الختام إلى قتلهم وخلودهم فى جهنم وبئس المصير. ويشهد عالمنا المعاصر اليوم أسوأ أنواع الشبهات، فما أكثر الشعارات البراقة الساحرة، من قبيل شعار الحرية والديمقراطية والمساواة وتفعيل حقوق الإنسان والحضارة والمدنية وتطوير البشرية التى ترتكب باسمها أعتى الجنايات وأقبح الجرائم.

وسنسلط مزيداً من الضوء على هذا الموضوع حين نصل إلى الخطبة الاربعين والخمسين الواردة بهذا الشأن، كما أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر فى الحكمة ١٩٨ من قصار كلماته فى نهج البلاغة.

### عشبة الخوف من الموت

يرى أغلب شراح نهج البلاغة عدم وجود آية رابطة لقوله عليه السلام:

«فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه»

وما ورد فى أول الخطبة، وأن السيد الرضى (ره) إنما يلتقط

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦١

كلام الإمام عليه السلام من أكثر من خطبة. ولعلنا نستطيع تصور رابطة بين الفصلين من الخطبة وذلك أن الأفراد قد يستسلمون

للشبهات خوفاً من الموت، فأشار عليه السلام إلى أن خوف الموت لا ينجي من الموت أبداً. على كل حال فإن هذا الفصل من الخطبة يشمل على عبارتين تعالج كل منها قضية الموت. فقد قال عليه السلام «فما ينجو من الموت من خافه».

بل إنَّ هذا الخوف قد يكون من العناصر المقربة للموت. فالموت هو القلادة التي خُطت على جيد ابن آدم وسائر الكائنات الحية والقانون الذي لا يعرف الشواذ والاستثناء، فليس هنا لك من خلود سوى لله سبحانه. فجميع الكائنات محدودة وأنها ستنتهي لامحالة وتؤول إلى الفناء. وليس من بقاء سوى للذات الإلهية المقدسة، وعليه فخوف الموت لن يغير من حقيقته شيئاً، كما أن السعي من أجل البقاء والحياة الخالدة لن يكفل بالنجاح أبداً. ومن هنا قال الإمام عليه السلام في العبارة الثانية «ولا يعطى البقاء من أحبه».

قد تطول مدة الحياة أو تقصر إلّا أنها سائرة للزوال في خاتمة المطاف ومن الوهم الساذج والباطل التفكير بالبقاء والخلود. فقد صرح القرآن الكريم «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» وقال «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ». والعبرة هنا في أن يستعد الإنسان للموت ويتزود له، فالموت لا يعنى الفناء المطلق بقدر ما يعنى الانتقال من دار صغيرة محدودة إلى أخرى كبيرة واسعة تشمل على مختلف النعم واللذائذ، وإذا أصلحنا عملنا فليس هنالك ما يدعو إلى الخوف من الموت.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦٣

## الخطبة [٤١٢]: التاسعة والثلاثون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير، صاحب معاوية لعين التمر، وفيها يمدى عذره ويستنهض الناس لنصرته.

### نظرة إلى الخطبة

### أمر النعمان بن بشير مع عليّ ومالك بن كعب الأرحبيّ

وردت هذه الخطبة كما ذكرنا سابقاً حين غزا النعمان بن بشير عين التمر الموضع المعروف في العراق. وقد كان معاوية قال قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة: أما من رجل أبعث به بجريدة خيل؛ حتى يُغِيرَ على شاطيء الفرات! فإنَّ الله يُرْعِبُ بها أهلَ العراق! فقال له النعمان: فابعثني؛ فإنَّ لي في قتالهم تية وهوى - وكان النعمان عثمانياً: قال: فانتدب على اسم الله، فانتدبَ وندب معه ألفي رجل، وأوصاه أن يتجنَّب المدن والجماعات، وألَّا يُغِيرَ إلَّا على مَسْلَحَهُ، وأن يعجِّل الرجوع. فأقبل النعمان بن بشير؛ حتى دنا من عين التمر، وبها مالك بن كعب الأرحبيّ الذي جرى له معه ما جرى، ومع مالك ألف رجل؛ وقد أذن لهم، فرجعوا إلى الكوفة، فلم يبق معه إلَّا مائة أو

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦٤

نحوها، فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أما بعد؛ فإنَّ النعمان بن بشير، قد نَزَلَ بي في جمع كَثِيف، فَرَأَيْكَ، سَدَدَكَ اللهُ تعالى وثبتك. والسلام. فوصل الكتابُ إلى عليّ عليه السلام؛ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم، فإنَّ النعمان بن بشير قد نَزَلَ به في جمع من أهل الشام؛ ليس بالكثير، فانهضوا إلى

إخوانكم، لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً.

ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلثمائة فارس أو دونها، فقام عليه السلام، فخطب الخطبة. [٤١٣]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٥

### القسم الأول: سكوت الإمام عليه السلام

«مُنِيَتْ بِمَنْ لَا - يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا - يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا - أَبَالُكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ؟ أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَصْرِحاً وَأُنَادِيكُمْ مُتَعَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنِّ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ نَارٌ، وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامًا».

الشرح والتفسير

أشرنا سابقاً إلى أن الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين بعث معاوية النعمان بن بشير ليرعب إحدى مناطق العراق ويضعف معنويات أهلها، فدعا الإمام عليه السلام الناس لقتالهم، غير أن عجز أهل العراق وضعفهم جعلهم يردون بالسلب على دعوة الإمام عليه السلام، فخطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة لغرضين: الأول: تحمیل أهل العراق المسؤولية التامة للمصائب والويلات التي تتعرض لها البلاد بفعل هذا الضعف والذلة تجاه العدو، الثاني: لعل هذه الكلمات تؤثر في تلك الأرواح الهامدة فتلتفت إلى عظم الأخطار التي كانت تبرص بها فتهم بموا جبتها. فقد قال عليه السلام:

«مُنِيَتْ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ»

فمن الطبيعي أن أعظم القادة والامراء وأشجعهم لايسعهم فعل شيء إذا ما ابتلوا بمثل هؤلاء الأفراد، وما من فشل أو هزيمة تصيبهم إلا ويتحملون مسؤوليتها كاملة. ثم قال عليه السلام:

«لَا أَبَا لَكُمْ: مَا تَنْظُرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟»

إن جميع الظروف متوفرة لديكم من أجل القتال، فعندكم العدة والعدد، كما تعلمون مؤامرات عدوكم وقد أحرق الخطر بكم، فماذا تنتظرون؟ أتتلعون لقتلكم بهذه الذلة والهوان؟ وقد

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٤٦

أشرنا سابقاً إلى أن قوله عليه السلام:

«لَا أَبَا لَكُمْ»

إما يفيد عدم تربيتهم التربية الاسرية الإسلامية الصحيحة بحيث يبدون كل هذا الضعف والعجز، أو أنه دعاء عليهم بان يميت الله آبائهم، وهو الآخر كناية عن الذلة والهوان الذي يستشعره الإنسان لفقد والده. ثم قال عليه السلام:

«أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ» [٤١٤]؟

فالواقع من شأن أي من هذين الأمرين دواء دائهم، فالدين حلقة إتصال يمكنها إستقطاب الفئات والطوائف المختلفة حول هدف مركزي واحد، فاذا غاب الدين الذي يجمعهم، فإن الغيرة الاجتماعية وحبّ الاهل والوطن إنما تسوقهم للاتحاد أمام العدو ومواجهته، غير أن المؤسف له هو أن أهل العراق آنذاك قد فقدوا هذين الدافعين، فلم يكن دينهم محكماً راسخاً، كما لم تكن لهم حمية تجعلهم يغضبون ويواجهون العدو. ولا شك أن مثل هؤلاء القوم يعتبرون عقبه كؤوداً في طريق الحاكم. ومن هنا خاطبهم الإمام عليه السلام مصوراً حجم ضعفهم والذل الذي سيطر عليهم



«أريد أن اداوى بكم وانتم دائى كناقش الشوكه بالشوكه». [٤١٥]

ومن هنا قال عليه السلام:

«أقوم فيكم مستصرخاً» [٤١٦] وأناديكم متغوّثاً، [٤١٧] فلا- تسمعون لى قولها، ولا- تطيعون لى أمراً، حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة» [٤١٨]

فهل هناك أعظم من هذه المأساء، فى أن يتلى مثل هذا الإمام عليه السلام الشجاع العالم العادل المجرب بمثل هؤلاء القوم الذين لا يكثر ثون لصراخه ولا يطيعون أوامره. ويفيد التأريخ أن هذا الأمر لم يقتصر على أمير المؤمنين عليه السلام وقد مارست الامه نفس هذا الموقف مع الإمام الحسن والحسين عليهما السلام فقد وقعت حادثه كربلاء ليقتل الإمام وصحبه بتلك الشاعه، آنذاك ندم أهل الكوفه وهبوا للمطالبه بدم الحسين عليه السلام ولكن بعد أن وقع ما لم يكن ينبغى أن يقع، فقد تخلوا آنذاك عن دعم نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦٧

سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل ونكتوا بيعته ولزموا بيوتهم، فبقى مسلم وحده يقاتل الأعداء حتى استشهد. وأخيراً خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة «فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام». نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٦٩

## القسم الثانى: الضعف أمام العدو

### إشارة

«دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَّجْتُمْ جَزَجَةً [٤١٩] الْجَمَلِ الْأَسْرَ [٤٢٠] وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النَّضْوِ [٤٢١] الْأَذْبَرِ [٤٢٢] ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ [٤٢٣] مُتَذَائِبٌ [٤٢٤] ضَعِيفٌ «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام ذمه لأهل الكوفه على ما أبدوه من ضعف وعجز تجاه الهجمات المبرمجة للعدو فقال عليه السلام:

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجزجرتهم جرجرة الجمال الأسر، وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر»

أى أنكم أعريتكم عن عجزكم فى الكلام كما فعلتم ما يفشلكم فى الدنيا والآخرة ويمكن العدو من تكبيدكم الخسائر فى أموالكم وأرواحكم، فقد دعوتكم لنصر إخوانكم (مالك بن كعب وصحبه ممن تعرضوا لغارات اهل الشام فى منطقة عين التمر) فكانت حركتكم كحركة الجمال وتثاقل النضو الادبر

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجزجرتهم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٠

جرجرة الجمال الأسر، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر»

ولعل تشبيههم بالحيوانات المريضة إشارة إلى ضعفهم الفكرى وعجزهم فى إتخاذ القرار، لأن الإنسان العاقل لا يدع العدو يهجم عليه بهذه الطريقة بحيث يضرب أينما شاء دون وازع أو رادع. ثم أشار عليه السلام إلى تلك الفئة القليلة التى لبت دعوته، بينما كان الخوف والهلع يسيطر عليهم

«ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون».

وقد أورد السيد الرضى (ره) فى آخر الخطبة قائلاً: قوله عليه السلام متذائب؛ أى مضطرب، من قولهم: تذائبت الريح، أى اضطراب

هبوبها.

ومنه سمى الذئب ذئباً، لاضطراب مشيته. ومن هنا فإن هذه الفئة القليلة لم تكن مصداقاً لقوله سبحانه «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة»

بل كانت فئة ضعيفة قلقلة مضطربة كأئهم يساقون إلى المذبح وهم ينظرون إلى موتهم، فهي فئة عدمها خير من وجودها والوثوق بها مخجل، فما أعظم محتته الإمام عليه السلام وابتلائه بهؤلاء القوم طبعاً قوله عليه السلام كأئما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. إنما اقتبسه عليه السلام من الآية السادسة من سورة الانفال التي وردت بشأن بعض المؤمنين الضعفاء على عهد النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا يتشبثون بمختلف الذرائع والحجج للفرار من الجهاد إلى جانب جدالهم للنبي صلى الله عليه وآله حول موقعة بدر، غير أن حوادث بدر أثبتت لا حقاً مدى خطأهم وتزايد خوفهم عبثاً حتى إنتهت الموقعة بالنصر المؤزر للمسلمين، والعجيب أن هؤلاء كانوا من المعترضين على كيفية توزيع الغنائم بعد انتهاء المعركة. ولعل المراد بالعبارة أن هذه الفئة القليلة لو كانت تمتلك العزم الراسخ والقوة والصلابة من شأنها الانتصار على العدو، غير أن المؤسف ...

### عاقبة الضعف أمام العدو

رغم أن التعاليم الإسلامية تستند إلى ارساء قواعد السلام مع كافة الأمم والشعوب- باستثناء تلك الحالات التي يشهر فيها السلاح ضد الإسلام والمسلمين- إلا أنها توصى بالشدة والصلابة في بعض الحالات الطارئة، ونموذج ذلك ما ورد في هذه الخطبة وسائر خطب نهج البلاغة بشأن العتاة المردة من أهل الشام من جيش معاوية. فقد كان معاوية يستغل الفرص من أجل إضعاف أهل العراق وزعزعة روحياتهم، فقد كان يجهز بعض الجماعات

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧١

ويعبئها لشن غاراتها على بعض المناطق الإسلامية فتنتشر فيها الذعر والخراب والدمار وتذبح من فيها دون الإكتراث للشيوخ والنساء والصبيان إلى جانب نهب الأموال والثروات وقد تكررت مثل هذه الحادثة لأكثر من مرة على عهد الإمام عليه السلام، فكان الإمام عليه السلام يستصرخ أهل الكوفة لمواجهة هذه الأخطار فكانوا يردون عليه بكل ضعف وفخور وكأنهم لم يعلموا بما يجري حولهم وقد غطوا في نوم عميق: الأمر الذي جعل إعتداءات أهل شام تتصاعد يوماً بعد آخر، حتى أصبح العراق بعيد شهادة الإمام عليه السلام لقمة سائغة لمعاوية ورهطه بحيث لم يتمكن الإمام الحسن عليه السلام من الوقوف بوجه ذلك الظالم، ولا عجب في الأمر فلم تكن لديه القوة الكافية من الأفراد التي يستطيع بواسطتها قتال معاوية. ونلمس اليوم هذه الحقيقة بوضوح في عالمنا المعاصر، وإذا لم نلتفت إلى تحرشات العدو وتقبرها في المهد فإنها ستستع شيناً فشيناً، آنذاك لم يمكن المواجهة والصمود. وعليه فلا بد من الانتباه إلى أدنى حركة عسكرية أو إعلامية أو إقتصادية والتعامل معها فوراً بمنتهى الصلابة ليضطر العدو للدفاع بدلاً من الهجوم.

فعادة ما تحاول العناصر الضعيفة التي تميل إلى الدعة والراحه لحمل مثل هذه الحركات على البراءة بعيد عن حملها محمل الجد وإساءة الظن بها، والحال أنها إنما تبدر من العدو الذي لا ينبغي الغفلة عن إتهامه ريثما تتكشف الحقائق. ونختتم البحث بالعبارات الواردة في خطبة الجهاد حيث قال عليه السلام:

«ألا- وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وأعلاناً وقلت لكم: إغزوهم قبل أن يغزوكم: فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا». [٤٢٥]

### سؤال

لعل هنالك من يتساءل لم كل هذه الشدة من الإمام عليه السلام مع أصحابه ومخاطبتهم بهذه اللكمات وتحقيرهم إلى هذا الحد،

أفليس من الأفضل أن يرفق بهم ويتلطف معهم؟

الجواب: بينا الإجابة على ذلك كراراً في الخطب السابقة، وقلنا أن ذلك يمثل آخر الدواء، وكأنه عملية لاستئصال مرض عضال.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٣

## الخطبة الأربعون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم الا الله»

### نظرة إلى الخطبة

خطبها عليه السلام بعد موقعة صفين حين إعترض عليه الخوارج بقبول التحكيم وانتخاب ممثلين أحدهما من أصحاب الإمام والآخر من أصحاب معاوية لهذا الأمر ليحكمما بشأن عاقبة موقعة صفين وخلافة المسلمين، بينما يصرح القران «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» [٤٢٦] فاقبستوا من الآية قولهم «لا حكم إلا لله» ليحتجوا بها على الإمام عليه السلام، وبالطبع فان هنالك مغالطة كبرى وقعوا فيها ولم يدركوا حقيقة الامر. فلما سمع الإمام عليه السلام هذا الشعار، رد بهذه الخطبة وأشار فيها إلى أربعة أمور:

الأول: كشف النقاب عن مغالطتهم في هذا الشعار، وأن القول «لا حكم إلا لله» كلمة حق يريدون بها باطلاً.

الثاني: حاجة الأمة إلى الحاكم، وبعبارة اخرى ضرورة الحكومة.

الثالث: شرح وظائف الحاكم العادل وایجازها في سبع.

الرابع: نتيجة وجود الحكومة العادلة.

وقد نقل المرحوم السيد الرضى (ره) آخر هذه الخطبة نفس هذا المضمون طبق رواية أخرى بعبارات أقصر.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٥

«قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ.

فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ: حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وَقَالَ: أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبُرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَبِيَّتُهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى الشعار الذي رفعه الخوارج

«لا حكم إلا لله»

بقوله

«كلمة حق يراد بها باطل»

ثم بين عليه السلام بطلان ما أراده الخوارج من تحريفهم لهذا الكلام الحق بقوله

«نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله»

خطأ الخوارج في هذا الشعار الحق الذي إقتبسوه من القرآن أنهم أرادوا به أن الحكومة بين الناس لله، ومن هنا فقد إعترضوا على مسألة التحكيم ورأوا نوعاً من الشرك، وذلك لأنها منحت الحكومة لغير الله من الأفراد! فمن البديهي أن يكون الحاكم بين الناس هو الله إذا كان الحكم مقتصراً على الله، وعليه لابد من إزالة أصل الحكومة، لما وعليه من إزالة القضاء والمحاكم بالتبع فهي من قبيل الحكومة التي يمارسها الأفراد. لقد خيل لتلك الفئة أنها تريد أن تعيش توحيد الله على مستوى الحاكمية والتخلص من الشرك في هذا المجال، إلا أنهم إثر جهلهم وتعصبهم سقطوا في مستنقع الفوضى والهرج والمرج ورفض الحكومة في أوساط المجتمعات البشرية، واصيبوا بالهلوسة التي

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٦

جعلتهم يعتقدون بأن رعاية التوحيد تتطلب نفى كافة ألوان الحكومة والامرة، غير أنهم سرعان ما وقفوا على بطلان مذهبهم في الحكومة لما شعروا بحاجتهم إلى من يتزعمهم ويحكم بينهم، رغم عنادهم الذي أفرزه جهلهم والذي لم يدعهم يفيقون إلى أنفسهم. مع ذلك فقد قضت كلمات الإمام عليه السلام مضاجعهم واستطاعت أن تفعل فعلها في ميدان القتال فجعلت الكثير منهم يعودون إلى رشدهم فيعلنوا توبتهم بعد أن وقفوا على عمق إنحرافهم، على كل حال فإن الإمام عليه السلام يؤكد في هذه الخطبة أن الحاكم و لمشروع الاصلى هو الله سبحانه؛ حتى الحكم بين الناس لابد أن يستند إلى تخويل منه، إلا أن هذا لا يعنى أن الله ينبغي أن يحضر بنفسه في المحاكم ليقتضى ويحكم بين الناس، أو أن يأخذ بزمام الامور فيمارس وظيفته كرئيس للبلاد أو والياً وعاملاً على منطقته، أو أن يوكل هذه المهمة إلى الملائكة فيبعثهم إلى الأرض. فهذا كلام عبثي ولغو فارغ لا يرتضيه من كان له أدنى فهم وإدراك، إلا أن المؤسف هو أن هذه الفكرة كانت متأصلة في أفكار الخوارج، ومن هنا خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام واعترضوا عليه: لم قبلت التحكيم؟! وصرح بعض شراح نهج البلاغة بأن الخوارج يزعمون أن الحكم يتطلب الاذن الإلهي ولا بد أن يصرح القرآن بهذا الأمر، بينما لم يأذن القرآن لأحد. ولعل هذا هو الذي دفع بعض الاعلام [٤٢٧] لأن يستدلون على نفى عقيدة الخوارج بالآية القرآنية الشريفة الواردة بشأن الحكم في الاختلافات العائلية «وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً» [٤٢٨]. فاذا كانت هذه المسألة الصغيرة تحتاج إلى الحكم فما ظنك بالمسائل المهمة التي يدعو الاختلاف فيها إلى تفشى الهرج والمرج في صفوف المجتمع، أفلا ينبغي فصل هذه الاختلافات وحلها عن طريق الحكم؟! ومن هنا يرى البعض أن الإمام عليه السلام لم يكن مخالفاً لمسألة التحكيم في بعض الحالات، إلا أنه لم يكن يوافق شخص الحكيم وكان يعترض عليهما بشدة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه في ضرورة تشكيل الحكومة، لأن لخوارج. كما أشرنا سابقاً- لم

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٧

يخالفوا مسألة التحكيم في صفتين فحسب، بل شككوا في أصل الحكومة وزعموا عدم الحاجة إلى الحاكم، إلا أنهم رجعوا عن ذلك لما أمروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي [٤٢٩]. ثم علل الإمام عليه السلام ضرورة تشكيل الحكومة والحاكم «وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر»

ليذكر سبعة فوائد تترتب على قيام الحكومة بعضها يتصل بالجانب المعنوي والبعض الآخر بالجانب المادى وهي: أولاً:

«يعمل في إمرته [٤٣٠] المؤمن». [٤٣١]

ثانياً:

«ويستمتع فيها الكافر»،

ثالثاً:

«ويبلغ الله فيها الاجل»،

رابعاً:

«ويجمع به الفيء»

خامساً:

«ويقاتل به العدو»

سادساً:

«وتأمن به السبل»

سابعاً:

«ويؤخذ به للضعيف من القوى».

ثم تفضى هذه الوظائف السبع إلى هذه النتيجة النهائية المترتبة على الحكومة «حتى يستريح بر ويستراح من فاجر».

ويدل التأريخ السياسي أن فئة قليلة جداً في الماضي وحتى في الوقت الراهن هي التي لا ترى ضرورة تشكيل الحكومة - مستدلة ببعض الأدلة الجوفاء التي سنشير لها في البحث القادم - والخارج مصداق لهذه الفئة. وقد رد التأريخ بصراحة على هذه الفكرة الساذجة فقد رأينا بأم أعيننا وسمعنا بملئ آذاننا مدى الأخطار الجسام التي يواجهها المجتمع إبان إنهيار الحكومة ولو لساعات من قبيل قتل الأنفس وإراقة الدماء وعمليات السرقة والسلب والنهب التي تتعرض لها المؤسسات بل حتى بيوت الناس وانتهاك الاعراض والنواميس وانعدام الامن والاستقرار وسيادة الفوضى والهرج والمرج الاضطراب وشل حركة كافة النشاطات الاجتماعية؛ كما تصبح البلاد لقمة سائغة للاعداء الذين يعيشون في الأرض فساداً فلا يسلم المؤمن من شرهم ولا الكافر فتهمز جميع الحقوق ويعيش الناس الخوف والذعر فمما لا شك فيه أن الف باء الحياة إنما يكمن في إستتباب الأمن والنظام، ثم وجود العناصر المقتدرة التي تقف كالطود الشامخ بوجه العدو الخارجي وعملائه في الداخل، ولا يتيسر مثل هذا الأمر إلا في ظل الحكومة. وهنا يبرز هذا السؤال: هل يسع الحاكم الفاجر أن يقوم بالوظائف السبع المارة الذكر التي يقوم بها الحاكم البر والعادل؟ فقد

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٨

ذكرها الإمام عليه السلام لكليهما، بحيث يقوم كل منهما بهذه الوظائف. وللإجابة على هذا السؤال لابد من الالتفات إلى هذه النقطة وهي أن الحاكم البر إنما يقوم قطعاً بمثل هذه الوظائف، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة للفاجر بصورة مطلقة نعم يمارسها بصورة نسبية، فهو مضطر لاستمرار حكومته أن يراعى النظام، ويقف بوجه العدو الخارجي ويحول نسيباً دون ظلم الظلمة، وان كان في حد ذاته ظالماً؛ وأما فان الناس ستخرج عليه وتترزل دعائم حكومته فيطيح به الأعداء، ومن هنا فإن أغلب الحكومات مهما كان تتسعى فهي جاهدة للقيام بتلك الوظائف المذكورة. ونخلص مما سبق أن أية حكومة تتساهل في الوظائف المذكورة إنما تكون قد مهدت السبيل إلى تصدع كيانها وإنهيارها. السؤال الآخر هو أن الإمام عليه السلام قد فرق بين المؤمن والكافر. فقال عليه السلام بشأن المؤمن «يعمل» والكافر (يستمتع) فما علة ذلك؟ والجواب هو أن المؤمن لا يهدف في حياته إلى الاستفادة من الامكانات المتاحة من أجل التمتع العابر، بل هدفه الأصلي الفوز برضى الله، وما إستفادته من متع الدنيا إلا بالتبع وكونها مطلوباً ثانوياً، وليس الحال كذلك بالنسبة للكافر، فهو ليس فقط لا ينشد رضى الله، بل يقصر همه على هذه الحياة الدنيا ليتمتع فيها وإن كان ذلك من خلال الحرام والطرق اللامشروعة، ومن هنا صرح الإمام عليه السلام بأن الحكومة ضرورة للطرفين المؤمن والكافر، يعمل فيها هذا ويتمتع فيها ذاك، ولولا الحكومة لما وسع المؤمن العمل ولا الكافر الاستقرار والتمتع.

ج ج

قال السيد الرضى (ره) في ذيل هذه الخطبة، وفي رواية أخرى أن الإمام عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

«حكم الله أنتظر فيكم»

فالعبرة يمكن أن تكون إقتباساً من كلامهم للرد عليهم فأنتم تقولون الحكم لله، وأنا أنتظر هذا الحكم فيكم، فإنه سيحكم فيكم بالعقاب الشديد لهذه اللجاجة والجهل وتفريق صفوف المؤمنين. أو أنى انتظر اتمام الحجة عليكم فمن بقى على جهله وتعصبه أجريت عليه حكم الله. ثم أضاف السيد الرضى (ره) - على ضوء هذه الرواية - وقال عليه السلام «أما المرأة البرة فيعمل فيها التقى، وأما المرأة الفاجرة فيتمتع فيها الشقى، إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته».

ولكن بالاستناد إلى مفهوم هذه العبارة في أن الفجار يحرمون من التمتع المباح في حكومة البر، ولا يستشعر المؤمنون الاستقرار والسكنية في

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٧٩

ظل حكومة الفاجر (وهذا يتناقض وهدف الخطبة في أن الحكومة ضرورة بره كانت أم فاجرة) يبدو أن الرواية الأولى أصح وأنسب وأدق.

هذا وقد ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ما يوضح العبارة المذكورة «حكم الله أنتظر فيكم»:

لما رجع على عليه السلام من صفين إلى الكوفة، أقام الخوارج حتى جموا (جموا بمعنى إستراحوا وكثرُوا) ثم خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء، فنادوا: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون: ألا أن علياً ومعاوية أشركا في حكم الله. فدخل واحد منهم على علي عليه السلام بالمسجد، والناس حوله، فصاح: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، فتلقت الناس فنادى لا- حكم إلا لله ولو كره المتفتون، فرفع على عليه السلام رأسه إليه. فقال: لا- حكم إلا لله ولو كره أبو حسن. فقال علي عليه السلام: إن أبالحسن لا يكره أن يكون الحكم لله، ثم قال: حكم الله أنتظر فيكم. فقال له الناس: هلا- ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنتهم! فقال: إنهم لا يفنون، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة. [٤٣٢]

## تأملان

### ١- بلاء التحريف

لم يقتصر تأويل الحقائق وتحريف الآيات القرآنية على الخوارج بغية الوصول إلى مآربهم وأهدافهم المشبوهة، بل إذا تصفحنا تاريخ البشرية لوجدنا قضية تحريف الحقائق من الحراب والوسائل الفعالة التي إعتدها الظلمة والطواغيت على مر العصور. فقد مارس هؤلاء أبشع تحريف لكلام الله وكلام الأنبياء والأولياء وفسروها حسب أهوائهم وهم ينشدون هديين:

الهدف الأول خداع الناس والآخر خداع أنفسهم. وما قضية النمروذ مع نبي الله إبراهيم عليه السلام وفرعون مع موسى عليه السلام والتي تطرقت لها أغلب الآيات القرآنية في سورة البقرة وطه وسائر السور منك ببعيد فقد كانوا يقولون كلمات حق ولا يريدون بها سوى الباطل من أجل خداع من حولهم والتغريب بهم. ونشاهد اليوم أبشع صور هذا التحريف وكلمات الحق التي يراد بها

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٠

الباطل من قبيل كلماتهم في الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان والثقافة والحضارة والمدنية ومكافحة الارهاب وما إلى ذلك من الشعارات التي تلتق بها أسنة الطواغيت والجبابرة، ولا يريدون بها سوى الباطل، بل هنالك منافسة كبرى بين هؤلاء الطغاة في إنتخاب الشعارات البراقة الأكثر تأثيراً وخداعاً من أجل نيل أهدافهم المشؤومة.

ومن هنا تشتد وظيفة العلماء الاعلام في ضرورة تنبيه الأمة إلى عظم الأخطار المحدقة وضرورة التحلى باليقظة والوعى وعدم الانزلاق

وراء هذه الشعارات الزائفة ليرفعوا من مستوى الامة الثقافية فلا تنطلى عليها خدع الاستكبار وألعيه.

## ٢- ضرورة تشكيل الحكومة

### إشارة

إن مسألة تشكيل الحكومة تعد من المسائل التي كثر الحديث فيها الأوساط العملية على المستوى النظري دون أن يتسرب الشك إليها على المستوى العملي قط. فقد شهدت البشرية طيلة التاريخ قيام الحكومة سواء كانت قبيلة يتزعمها رئيس القبيلة أو هذه الحكومات الطبيعية التي يرأسها الملك والسلطان والحاكم، حتى تجلت اليوم بهذا الشكل الجماهيري فأصبح يقودها رئيس الجمهورية، ولا يحتاج قيامها إلى دليل فالمجتمع مهما كان حجمه إنما يحتاج إلى الأمن والاستقرار ورعاية الحقوق والحيولة دون نشوب النزاعات والخلافات، ولا- تيسر مثل هذه الامور إلا في ظل الحكومة ووجود الحاكم. وقد أتضح هذه المسألة اليوم أكثر في المجتمعات المعاصرة، فهناك الفعاليات والأنشطة الثقافية والاقتصادية والسياسية التي لا يكتب لها النجاح لولا الاشراف المباشر من قبل الحكومة، بل الحكومة هي تبلور هذه الأنشطة أن تركت ممارستها وتنفيذها لأبناء المجتمع، إلا أن هنالك بعض الأفراد والنزعات في الماضي والحاضر التي تتبنى شعار غياب الحكومة وعدم الحاجة إليها وأن الشعب قادر على إدارة شؤونه دون قيام الدولة، بل ذهب الماركسيون أبعد من ذلك ليصرحوا بأن فلسفة قيام الدولة إنما تنبع من فكرة حفظ المصالح الطبقية! والرأسماليون هم الذين ينهضون بهذه المهمة، فاذا ما أزيلت الفوارق الطبقة فإن فلسفة تشكيل الحكومة ستنتفي ولا تعد هناك ضرورة لقيامها، إلا أن الماركسية وسائر النزعات عجزت حتى الآن عن طرح

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨١

نموذجها العملي في الميدان؛ الأمر الذي يؤكد خواء هذه النزعات وإقتصارها على الجوانب النظرية، لقد تناسى أصحاب هذه النظريات أن وظيفة الدولة والحكومة- ولو سلنا لما ذكره- لا تقتصر على حفظ المصالح الطبقية، بل هنا لك سلسلة من البرامج الاجتماعية والمشاريع والمخططات المرتبطة بكافة الأفراد في جميع المجالات والتي تنهض بعبء الدولة. فالتربية والتعليم ضرورية لجميع الطبقات، فهل يمكن القيام بهذه الوظيفة دون برمجة وإختيار من ينهض بمسؤولية هذا العمل؟ الامور الاقتصادية في المجتمع في القطاع الزراعي والصناعي والتجاري والتي يتطلب كل حقل منها تخطيط شامل وكامل وتحتاج إلى إدارة صحيحة ووزير، قطاع الصحة المرتبط بكافة أبناء الشعب والذي يحتاج بدوره إلى مشاريع وبرامج تخصصية وإشراف تام، فهل يمكن قيام مثل هذه الامور في حالة غياب الدولة ناهيك عن النزاعات والخصومات والحاجة إلى البت في الدعاوى من قبيل الجهاز القضائي والمحاكم، وكل هذه الامور هي الاخرى لا تحقق إلا في ظل تشكيل الحكومة، والتي تتقوم برئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية وما شابه ذلك. ومن هنا كانت الامم والشعوب رغم اختلاف أفكارها وعقائدها، إلا أنها تتبنى نوعاً من أنواع الحكومة. وهذا هو الأمر الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في الخطبة كما تطرق إلى ذكر الوظائف الملقاة على عاتق الحاكم، كما قال في موضع آخر بهذا الشأن

«سلطان ظلوم خير من فتنه تدوم» [٤٣٣]

حيث أشرنا سابقاً إلى أن الحكومات مهما كانت ظالمة متجربة الا أنها تسعى لأن تراعى جانب الأمن والعدل وما إلى ذلك، مع العلم أنها قد تظلم إلا أنها على الأقل لا- تدع الآخرين يمارسون الظلم، فالحكومة عادلة كانت أم ظالمة لن تدوم في ظل الفوضى والاضطراب، وأنها تؤول لا- محالة إلى السقوط الانهيار، ومن هنا فإن كافة الحكومات تسعى للحيولة دون الهرج والمرج وتقديم مشاريعها من أجل البناء والعمران، ولعل هذا المعنى يتجسد في ما أشار إليه الحديث المعروف «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٢

**خطأ ابن أبي الحديد**

قال ابن أبي الحديد في تعليقه على هذه الخطبة: هذا نص صريح منه عليه السلام بأن الإمامة واجبة وقد اختلف الناس في هذه المسألة فقال المتكلمون: كلمة الإمامة واجبة؛ إلّا ما يحكى عن أبي بكر الأصم من قدماء أصحابنا أنّها غير واجبة؛ إذا تناصفت الأمة؛ ولم تتظالم.

وقال المتأخرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة؛ لأنه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم؛ فقد قال بوجود الرئاسة على كلّ حال؛ اللهم إلّا أن يقول: إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس؛ وهذا بعيد أن يقوله: فأما طريق وجوب الإمامة ما هي؟ فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشرع، وليس في العقل ما يدل على وجوبها.

وقال البغداديون وأبو عثمان الجاحظ من البصريين، وشيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى:

إنّ العقل يدل على وجوب الرياسة؛ وهو قول الإمامية؛ إلّا أنّ الوجه الذي منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذي توجب الإمامية منه الرئاسة، وذاك أنّ أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين، من حيث كان في الرياسة مصالح دنيوية، ودفع مضار دنيوية. والإمامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى، من حيث كان في الرئاسة لطف وبعث للمكلفين عن مواقع القبائح العقلية.

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يطابق ما يقوله أصحابنا، ألا تراه كيف علل قوله: «لا بدّ للناس من أمير».

فقال في تعليقه: يُجمع به الفیء، ويقا تل به العدو وتؤمن به السبل، ويؤخذ للضعيف من القوى! وهذه كلّها من مصالح الدنيا. فإن قيل: ذكرتم أنّ الناس كافة قالوا بوجوب الإمام، فكيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن الخوارج إنهم يقولون: «لا إمرة».

قيل: إنهم كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك، ويذهبون إلى أنّه لا حاجة إلى الإمام، ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي.

ويبدو أنّ خطأ ابن أبي الحديد نابع من حصره الوظائف السبع التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام كهدف للحكومة بالمصالح المادية، والحال أنّ العبارة «يعمل في إمرته المؤمن»

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٣

إنّما تعالج المسائل المعنوية، لأنّ عمل المؤمن يهدف الآخرة- على كل حال وعلى فرض أنّ لكافة هذه الامور صبغة مادية، فإنّ كلام الإمام عليه السلام يدور حول محور إمارة الناس وحكومتهم التي تشكل أحد الأبعاد الوجودية للإمام المعصوم، لأنّ عقيدة علماء الإمامية ومتكلميهم في الإمام أنّه الحاكم في امور الدين والدنيا والهادي إلى الله ومفسر القرآن ومبين أحكامه وأعماله حجة على الناس، ومن هنا لا بدّ أن يكون معصوماً، ومعلوم أن المعصوم لا يعرف سوى الله، ولذلك يعتقدون أن الإمام ينصب من جانب الله وقد أجاز بعض شراح نهج البلاغة على كلام ابن أبي الحديد بأنّ الخطبة تعالج قضية نصب الأمير وليست لها صلة بنصب الإمام من الله ولذلك قال عليه السلام

«لا بدّ للناس من أمير بر أو فاجر»

ونعلم أن الامير الفاجر لا يمكن أن يكون إماماً. الا ان ما أوردناه هو الجواب في أن الامارة جزء من مسؤوليات الإمام (لا بدّ من الدقة



في الأمر،) والشاهد على ذلك أن متكلمينا ذكروا في كتبهم العقائدية المصالح الدنيوية وما ورد في هذه الخطبة حين ذكرهم لأدلة وجوب نصب الإمام. بعبارة أخرى فإن الشيعة لا ترى الامرة منفصلة عن الإمامة، أما الادعاء لامرة الفاجر فليست على أساس أنها هدف نهائي، بل يدفع إليها الاضطرار حين تتعذر حكومة الإمام المعصوم.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٥

## الخطبة [٤٣٤] الحادية والاربعون

إشارة

ومن خطبة له عليه السلام  
وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه

### نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى ثلاثة أمور مهمّة: الأول: أهمية الوفاء وصدق الحديث، وذم ناقضى العهد، الثاني: أن الخداع والغدر والخيانة ليست من العقل والذكاء كما يظن ذلك الغدر الفجرة. والعقل والفتنة في الصدق والوفاء بالعهد. الثالث: ضرورة إغتنام الفرص من أجل المبادرة إلى الآخرة والوفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٧

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصُّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعُدْرِ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَا بَعْدَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهَزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ».

الشرح والتفسير

لم يذكر شراح نهج البلاغة- حسب علمنا- سبب إيراد هذه الخطبة، إلّا أنّ الرابطة المعنوية بين هذه الخطبة والخطبة رقم ٣٥ وسائر القرائن تشير إلى أنّ هذه الخطبة ناظرة لمعركة صفين وقضية التحكيم، لأنّ مسألة التحكيم المأساوية إتخذت أبعاداً واسعة في البحث والنقاش بين صفوف المسلمين- ولعل بعض الجهال نسب مكر عمرو بن العاص وخيانتة وغدره إلى الكياسة والفتنة؛ الأمر الذي قد يشجع الآخرين لممارسة مثل هذه الأعمال الشائنة البعيدة عن الإسلام وتعاليمه الحقّة، ومن هنا خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة ليقبر هذه الأفكار المنحرفة ويحد من شياعها بين الناس، ثم عرض بالذم إلى المكرو والخديعة ونقض الميثاق وأشار إلى العواقب الوخيمة التي تفضي إليها هذه الأعمال ثم أثنى على الوفاء والصدق فقد إستهل الخطبة بخطاب الجميع «أيها الناس إن الوفاء توأم الصدق».

التوأم بمعنى الذي يولد مع الآخر في حمل واحد، ويستعمل بشأن كل شيئين يرتبطان معا برابطة وثيقة، ومن هنا فقد شبه الإمام عليه السلام فضيلتي الوفاء والصدق بالتوأم ولعل التمعن في مفهوم هاتين الصفتين ومصدرهما الفكري

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٨

الروحي يفيد أنّ الأمر كذلك، فالوفاء يعنى الالتزام بالعهد، وهو في الواقع نوع من الصدق، كما أنّ الصدق نوع من الوفاء. والصدق

ذو معنى واسع وشامل لا يقتصر على الحديث، بل يشمل العمل أيضاً، ومن هنا صرح القرآن قائلاً: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» [٤٣٦] فمن الواضح أن المراد بصدق العهد في الآية هو الصدق في العمل، ولذلك أردفت بالقول «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ». ومن هنا تتضح عمق الرابطة بين الوفاء والصدق، فلو أبرم شخص عهداً ونقض عهده فقد كذب، ومن هنا يمكن اعتبار نقض العهد كاذباً، ولما كان حسن الصدق وقبح الكذب ظاهر لكافة الناس، فإن الإمام عليه السلام قرن بهما الوفاء بالعهد ونقضه ليتضح حسنهما وقبحهما. ثم تطرق الإمام إلى الآثار الايجابية للوفاء بالعهد فقال:

«ولا أعلم جنّة [٤٣٧] أوقى منه»،

فهذه في الواقع من أهم آثار الوفاء بالعهد وبركاته الدنيوية في أنه جنّة وثيقة؛ لأنّ أساس الحياة الاجتماعية يتمثل بالتعاون والتكافل والثقة المتبادلة والالتزام بالعهود والمواثيق الفردية والاجتماعية، بعبارة اخرى فإنّ الثقة المتبادلة تذلل كثيراً من المصاعب، بينما يتعذر حل هذه المصاعب إذا ما انعدمت الثقة وسلب الاعتماد بين الناس، ولذلك كانت الدعامة الأصلية للدين تتجسد في الوفاء بالعهود والمواثيق، حتى ورد في الحديث النبوي المعروف

«لادين لمن لاعهد له» [٤٣٨]

كما ورد أيضاً

«إذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم» [٤٣٩]

جدير بالذكر أن الجنّة بمعنى الدرع الذي يقي أخطار العدو في ميدان القتال.

تشبيه الوفاء بهذا الدرع يفيد كونه يشكل الوسيلة الدفاعية تجاه الأخطار الاجتماعية التي تفرزها حالة الفوضى وعرقله القوانين والمقررات. ثم أشار عليه السلام إلى أبعاده المعنوية والاخروية فقال

«وما يغدر من علم كيف المرجع»؛

الأمر الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في نهج البلاغة بقوله

«لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفره ولكل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٨٩

غادر لواء يعرف به يوم القيامة» [٤٤٠]

. ولما كان انحراف المجتمع عن المبادئ الأخلاقية يقود إلى تنكّر القيم وتبدلها، حتى يعدد العهد والمكر والخداع كياسة والالتزام بالعهود سذاجة وبلاهة فقد قال الإمام عليه السلام

«ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كياساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحلية!»

نعم فإنّ قيم المجتمع إذا تنكرت بفضلها المعيار والمحك للحسن من القبيح فإنّ ظهور مثل هذا الخلط لا يبدو مستغرباً، فمن الطبيعي أن يصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والملك شيطاناً والشيطان ملكاً وقديساً. ومما يؤسف له أنّ هذه الظاهرة قد تفتت وبشكل واسع في عالمنا المعاصر فقد ينظر إلى الثعالب المكورة في السياسة العالمية على أنهم الساسة المهرة، بينها يرمون بالسذاجة وانعدام التجربة من يلتزم بالعهود والمواثيق ويراعون القيم الإنسانية والإلهية في سياستهم، وما أصعب العيش في مثل هذا العالم، وبالطبع فإنّ نقض العهود واعتماد الكذب والخداع قد يجر على صاحبه بعض المنافع على المدى القريب ويحظى بمدح هذا وثناء ذاك، إلّا أنّ المفروغ منه أن عرى المجتمع إنّما تؤول إلى التصدع والانهيال على المدى البعيد. ومن هنا فإن الأفراد من أهل الإيمان والوفاء إنّما يسعون لتحسين أموالهم وحفظ ثرواتهم من خلال الامانة وإحترام العهد في المعاملة، والدولة هي الاخرى مدعوة لرعاية هذا الأمر من أجل كسب ثقة سائر البلدان واستقطابها لضمان مصالح البلاد الاقتصادية. ومن هنا صرحت الرواية

«الأمانة تجلب الغنى والخيانة تجلب الفقر» [٤٤١]

ولا شك أن هناك رابطة حميمة بين الأمانة والوفاء، رغم كونهما مفهومين منفصلين، ولذلك قال أمير المؤمنين على عليه السلام:  
«الأمانة والوفاء صدق الأفعال» [٤٤٢]

. قال أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ويدعى عبدالرحمن بن سبابة: ساءت حالي بعد وفاة أبي فلما حججت البيت رأيت الإمام الصادق عليه السلام فقال لي: أعظك؟ قلت بلى جعلت فداك، قال:

«عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة تشرك الناس في أموالهم هكذا- وجمع بين أصابعه- قال فحفظت ذلك عنه، فزكيت ثلاثمائة ألف درهم». [٤٤٣]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٠

ثم رد عليه السلام على من إتهمه بعدم العلم بالسياسة فقال:

«ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول [٤٤٤] القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأى العين بعد القدرة عليها»  
أما ذلك الذي لا يتورع عن الذنب والمعصية وعدم الإكتراث للدين فإنه ينتهز الفرصة ليفعل ما يشاء فيراه البلهاء سياسياً ناجحاً  
«وينتهز [٤٤٥] فرصتها من لاجريته [٤٤٦] له في الدين»

فالإمام عليه السلام يقول إنَّ عدم استغلالى للفرص الغدرة من أجل التفوق على العدو لا يعنى عدم علمى بالامور، بل ذلك يعنى أنى أخاف الله، وإنى لا اعتمد الورع والتقوى والعدل حتى مع أعدى أعدائى، ولا أرى الغاية تبرر الوسيلة، بل لا أومن بالنصر كيفما كانت قيمته وثمنه، إنما أن أعدائى لا- يراعون أى من هذه المبادئ، فهم يقارفون كل جناية ولا يتورعون عن أية جريمة، فلا يقيمون وزناً لدماء الأبرياء، ولا- يتخرجون من الظلم والعدوان، ولا- يلتزمون بالعهود والمواثيق، نعم ليس لهم من هم سوى تحقيق أهدافهم اللامشروعة بأية وسيلة. فاذا رأى الناس تصرفاتهم وتحرجى عدوهم ساسة أكفاء، والحال ما هم ساسة وأنهم لحفنة من الظلمة الذين يفتقرون إلى الورع والتقوى.

### السياسة الإلهية والشيطانية

إن الاختلاف فى الاساليب السياسية إنما تفرزه الرؤى بشأن الحكومة، فالسياسة التى ينتهجها اولئك الذين ينشدون الحكومة من أجل ضمان مصالحهم الشخصية أو الفئوية، تختلف عن السياسة التى يتبعها اولئك الذين لا يرون فى الحكومة سوى وسيلة لحفظ القيم والمثل.

فالحكومات السابقة كانت تتصف بالدكتاتورية المقيتة التى تنكسر فى فرد واحد مستبد غاشم يسعى جاهداً لتحقيق مآربه وإشباع رغباته وضمان مصالح بطانته معتمداً منطق القوة والعنف من أجل ترسيخ دعائم حكومته فلا يرى من حرمة لقيم ومثل سوى تلك التى تخدم

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩١

مصالحه أما اليوم فالحكومات وإن تغيرت شكلاً، إلا أن جوهرها وماهيتها لم تختلف كثيراً عن تلك التى كانت سائدة فى الماضى، وإن كان المعروف عن هذه الحكومات إقتحامها الميدان كفتات وأحزاب. على سبيل المثال فإن الأحزاب هى التى تمسك بزمام الامور فى البلدان الصناعية المعاصرة، بحيث يسعى كل حزب لضمان مصالح فئه معينه، ثم يعتمد كافة الوسائل من أجل الحصول على أكثر عدد من الآراء بغية الوصول إلى الحكومة، فاذا تسلموا الحكومة، أتوا بالأفراد الذين يعملون على ترسيخ دعائم حكومته وبالطبع فإن مثل هذه الحكومات قد تتبنى بعض الشعارات من قبيل حقوق الإنسان وحرية المرأة وأحياناً يطرحون بعض المسائل الأخلاقية، إلا أنهم يعلمون كما يعلم الآخرون أنهم ليسوا جادين فى ما يقولون، فاصواتهم عادة ما تتعالى بحجة أن البلد الفلانى- إذا كان من أعدائهم- قد إنتهك حقوق الإنسان، وإن كان من أصدقائهم فقد يحظى بتأييدهم ودعمهم وإن إنتهك تلك الحقوق الف مرة كل يوم- وفى

مقابل هذه الحكومات، هنالك حكومة الأنبياء والأولياء التي لا تعرف المصالح الفردية ولا الفتوية، وهي قائمة على أساس القيم والمثل. فالحكومات السابقة تصرح علنا بتعذر الجمع بين السياسة والأخلاق، وعليه فالحاكم الذي يراعى المبادئ الاخلاقية إنما يفتقر في الواقع حسب ظنهم إلى العقل السياسي؛ وسوف لن يكتب لحكومته الدوام والاستمرار، فالغاية تبرر الوسيلة، وكل ما يقرب من الهدف فهو حسن ومطلوب. بينما ترى الحكومة الأخيرة ان شعارها يتكرس في

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [٤٤٧]

أو

«لو لا ... ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ...» [٤٤٨]

أو

«وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدى صلى الله عليه وآله» [٤٤٩]

ومن الطبيعي أن يكون هناك بوناً شاسعاً بين سياسة الحكومات بالمعنى الأول والحكومات الإلهية، بل هناك تعارض وتضارب بينهما فالطائفة الاولى تضحي بكل القيم وتذبحها من أجل الوصول إلى دفة الحكم، بينما تخلت الطائفة الثانية بشهادة التأريخ عن الحكومة من أجل الحفاظ على القيم والمثل. وهذا ما وضحه الإمام عليه السلام في الخطبة

«والله ما معاوية بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٢

أدهى الناس» [٤٥٠]

وقال عليه السلام:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؛ والله لا أطور به، ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً» [٤٥١]

والاختلاف بين هاتين الرؤيتين في السياسة الإلهية والسياسة الشيطانية هو الذي يجعل بعض الأفراد يشكلون أحياناً على الساسة الربانيين ويحملون أعمالهم على السذاجة وعدم المعرفة بفنون السياسة، بينما يغفلون عن حقيقة كبرى وهي أن هؤلاء الأفراد إنما يحثون السير إلى عالم آخر لا تجيز مبادئه وضوابطه التشبث بأي أسلوب وطريقة. فمثلاً لما غلب معاوية أهل العراق على الماء منعهم منه، فلما حمل أهل العراق إنكشف أهل الشام عن الماء، وملك أهل العراق المشرعة - فقال أصحاب على عليه السلام: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك - فقال: «لا، خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون» [٤٥٢] وألاً عجب من ذلك عدم إلتفات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه الذين أشاروا عليه بمنع اليهود الماء حين محاصرة قلاع خيبر فلم يجبههم صلى الله عليه وآله [٤٥٣] ويتعجب أولئك الغافلون حين يسمعون مسلم بن عقيل وقد إمتنع عن قتل ابن زياد غيلة في دار هاني بن عروة قائلاً:

«الإيمان قيد الفتك» [٤٥٤]

. أضف إلى ذلك فإن علياً عليه السلام إمتنع عن قتل عمرو بن العاص في صفين حين كشف عن عورته. فكل هذه الامور لا يرونها تنسجم والسياسة، بل السياسي الفذ في نظرهم من يدافع عن العهدو والمواثيق ويلتزم بالمبادئ إذا كانت تجرى لصالحه، وإلاً فلا بد أن يضر بها جميعاً عرض الحائط. فالسياسي الورع والتمتقي يرى النصر على الأعداء إنما يحتل الدرجة الثانية، والدرجة الاولى تتمثل بحفظ المبادئ ورعاية القيم والمثل. والجدير بالذكر ما أورده ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة حين تحدث عن مروءة ووفاء أحد أحفاد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام هو إبراهيم بن عبدالله فقال: «وكان لغير إبراهيم عليه السلام من آل أبي طالب من هذا النوع أخبار كثيرة، وكان القوم أصحاب دين ليسوا من الدنيا بسبيل، وإنما يطلبونها ليقموا عمود الدين بالامرء فيها، فلم يستقم لهم، والدنيا إلى أهلها أميل».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٣

## الخطبة [٤٥٥] الثانية و الاربعون

## إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل فى الدنيا.

## نظرة إلى الخطبة

أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة على ضوء نقل نصرين مزاحم فى كتاب صفين بعد موقعة الجمل حين ورد عليه السلام الكوفة، وهى تعالج غرور الأفراد وطمعهم بعد تحقيق النصر ولا سيما إن كانت هناك غنائم؛ الأمر الذى يثير حفيظة البعض للتكالب على الدنيا وبالتبع يتطلع إلى المزيد من كان له دور أكبر فى المعركة والحصول على الغنائم. فههدف الإمام عليه السلام تحذير الناس وتذكيرهم بالأهداف المعنوية التى قاتلوا من أجلها، كما يحذرهم من رذيلتى إتباع الهوى وطول الأمل الذان يصدان عن الحق وينسيان الآخرة. ثم يؤكد الإمام عليه السلام على قصر عمر الدنيا وضرورة إغتنام الفرص فيها من أجل العمل الصالح والترود للآخرة، حيث يوجز هذا الأمر الحيوى بعبارات قصيرة بليغة المعنى.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٥

## القسم الأول

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصِيدُ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ».

الشرح والتفسير

أوردنا سابقاً أن الإمام عليه السلام خطبها بعد الجمل حين ورد الكوفة، بهدف الحد من الغرور الذى تفرزه طبيعة النصر والتنافس على غنائم المعركة، فقال عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصِدُ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ».

والعبارة الآخرة مهمّة ذات أثر بالغ فى مصير الامّة، بحيث ورد التأكيد عليها فى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله، كما أشار إليه الإمام عليه السلام سابقاً فى الخطبة الثامنة والعشرين [٤٥٦] ويتضح من معنى مفردة الهوى التى تشير إلى أهواء ورغبات النفس الأمارّة بالذات الدنيوية دون الحدود والقيود مدى صدها الإنسان عن الحق ومنعه من بلوغه، لأنّ الهوى حجاب على العقل يحول دون إدراك الحقائق ومشاهدتها، بينهما يزين له هذا الهوى الباطل ليبيده له أنصع من الحق، فى حين يشوه له الحق ويظهره له كاشع صورة للباطل، وقد لمست هذه الحقيقة كثيراً خلال تجربتى ومطالعتى لسيرة الماضيين فى كيفية تبرير أتباع الهوى لبعض صور الحق والباطل وتغيير هويتهم. وأما طول الأمل فيستقطب جميع طاقات الإنسان وقواه حتى ينسيه الآخرة، ولما كانت قوى الإنسان محدودة فأنه يستهلكها فى الآمال الكاذبة اللامتناهية بحيث لا يبقى لنفسه من قوة يدخرها للآخرة، ولا سيما أن الآمال لا تعرف للنهاية

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٦

من معنى، وتقضى طبيعتها أن يتجه الإنسان إلى الاخرى فور ظفره بالاولى حتى يجند نفسه على الدوام بغية الظفر بها جميعاً، بل إن

تحقيقه لأمل ربما يدفعه لآخر، لأن الآمال عادة مترابطة مع بعضها البعض، وعلى هذا الضوء فسوف لن يبقى لديه من وقت كما لا تبقى له من قوة، وبالتالي سوف لن يمتلك الدفاع نحو الآخرة. وبالطبع فإنه لن يفيق من غفلته حتى يصفعه الموت، وقد ولى العمر وتصرفت أيامه وفرصه فلم يظفر بأماله ولم يدرك آخرته. وما أروع ما قال أبو العتاهية حين دعى لإنشاد الشعر بحضرة هارون حين أراد أن يفتح له قصرًا جديدًا في مصر:

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهقة القصور يهدى إليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي الكبور حتى إذا تزعزت النفوس ودحرجت فهناك تعلم موقنًا ما كنت إلأفي غرور. [٤٥٧]

فشعر من حول هارون بالامتعاض من هذه الأبيات على أنها لا تنسجم والمناسبة، إلأن هارون مدحه وأثنى عليه. وقد علق بعض شراح نهج البلاغة على أن طول الأمل ينسى الآخرة وذلك لأن هذا الفرد يغتر بمظاهر الدنيا ويرى في الموت الوسيلة التي تقطعه عن هذه الدنيا، فينسى المعاد ويوم القيامة جدير بالذكر أن للأمل دور إيجابي في حياة الإنسان والذي عبر عنه القرآن بالرجاء، ولاسيما إذا كان مقرونًا بالتوكل على الله.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٧

## القسم الثاني

### إشارة

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا ضِيبَابَةٌ كَصِيبَابَةِ الْإِنَاءِ اضْطَبَّهَا صَابُهَا. أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بُنُونٌ. فَكُونُوا مِنْ أَوْلَادِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَوْلَادِ الدُّنْيَا. فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ.»

الشرح والتفسير

واصل عليه السلام خطبته التي ابتدأها بدم إتباع الهوى وطول الأمل الذان يصدان عن الحق وينسيان الآخرة، وبالتالي يحولان دون سعادة الإنسان وفلاحه، ليقدم تحليلًا رائعًا عن أوضاع الدنيا والآخرة فقال

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً [٤٥٨]، فلم يبق منها إلأصباة كصباة [٤٥٩] الإناء اصطبها صابها.»

فقد شبهت الدنيا هنا بالكائن الذي يعود بسرعة إلى مسيرته، الأمر الذي يفيد حقيقة الحركة السريعة لعمر الإنسان، الحركة الخارجة عن إرادة الإنسان وتشمل كافة الكائنات الحية سوى الذات الإلهية المطلقة، ولا يستثنى من تلك الحركة الكواكب والمجرات والسموات والأرضين لتنتهي إلى الفناء والزوال الدنيوي ليكون نافذة على عالم الخلود والبقاء. فالطفولة تتحرك نحو الفتوة والشباب، والفتوة تنطلق نحو الكهولة التي تنتهي بالموت، هذا إذا جرت الأمور وفق القانون الطبيعي والأقد يتساقط بعض الاطفال والشباب من هذه القافلة لتنتهي

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٨

أعمارهم دون بلوغ الكهولة. فالإمام عليه السلام يقول أن عمر الإنسان قصير قليل كبقية الماء واللبن في الإناء التي تعلق به عند قلبه، أو بعبارة أخرى فإن الإنسان حين يقبل إناءً مملوءاً بسائل ثم يعيد الإناء إلى وضعه الأصلي إنما يتبقى فيه مقدار من الماء يطلق عليه الصباة وهذه في الحقيقة هي عمر الإنسان ثم قال عليه السلام

«أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ»

فكلما قصر عمر الدنيا اقتربت الآخرة، فالواقع إننا نركب قطار الزمان الذي يسير بسرعة نحو الآخرة، والدقائق والساعات والأيام والأسابيع والأشهر والسنوات إنما تكشف عن سرعة مسيرة قطار الإنسانية بأجمعها، ثم أوضح عليه السلام وظيفة الناس

«ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة»

نعم هناك خطان: خط عبدة الدنيا وخط عشاق الآخرة، وإن كانت هنالك بعض الجماعات المتمددة بذه بين الخطين. ولا يعرف أبناء الدنيا سوى النوم والأكل والشرب والشهوة والطرب والعيش والملذات، فهم متعلقون بظاهر الدنيا دون أن يكفوا أنفسهم عناء التفكير في الآخرة، بل هم عنها عمون «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» [٤٦٠]. فكأنهم مخلدون في الدنيا وليس هنا لك من آخرة، فوثقوا بأموالهم وثوراتهم على أنها تخلدهم في دنياهم «يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ». أما أبناء الآخرة فقد نظروا بعين العقل والبصيرة إلى الدنيا وأدركوا أنهم مفارقوها ومرتلون عنها فلم يطمأنوا إليها. لقد طلقوها كما طلقها الإمام عليه السلام ثلاثة لارجعة فيها. فقد إتعلوا بالقرآن الذي أوقفهم على طبيعة خسرتها «وَالْعَصِيرِ\* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ\* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ». أما التعبير عن عبدة الدنيا بأبناء الدنيا وعن المؤمنين الصالحين بأبناء الآخرة، وذلك لأن الابناء إنما يشبهون إلى حد كبير آبائهم وامهاتهم بفعل الصفات الوراثية التي تنتقل إليهم عن طريق الجينات، وهو الشبه الذي يدعو إلى المحبة والإرتباط. نعم عبدة الدنيا أبناؤها، ومن هنا أحاط حب الدنيا بقلوبهم بحيث أصبحوا لا يرون سوى الدنيا ولا يجنون سواها، وشعارهم فيها «إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» [٤٦١] وإن كانوا ظاهرا يحملون الإسلام. أما أبناء الآخرة فقد سيطر حب الله على

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٢٩٩

قلوبهم، فهم يتزودون من الدنيا إلى الآخرة دون أن يغرقوا فيها.

وقال بعض شراح نهج البلاغة أن المراد بالعبارة هو أن المؤمنين سيكونون في الآخرة بمثابة الأبناء الذين يهتمون بأحضان آبائهم، بينما سيكون أبناء الدنيا كاليتامى إلا أن هذا التفسير لا ينسجم والعبارة «إن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة»،

بل يفيد هذا التعبير أن الحياة الدنيا المادية ليست سوى الجحيم الذي يرمى فيه أبناء الدنيا إذا افتقرت إلى الإيمان والتقوى، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله «فَأُمَّهَ هَاوِيَّةً». [٤٦٢]

أما إن كانت هذه الحياة مقرونة بالإيمان والتقوى والصبغة الآخروية فتتجسم يوم القيامة على هيئة جنه سيرتمى في أحضانها المؤمنون. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلا:

«وإنّ اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»

فالعبارة تفيد من جهة وجود الفرصة من أجل إستزادة العمل الصالح، وإذا ما شوهد المحسنون والمسيئون، والصالحون والظالمون، واولياء الله وأعداء الله، وحزب الله وحزب الشيطان إلى جانب بعضهم البعض الآخر في هذه الحياة الدنيا فذلك لأن الدنيا دار عمل لاحساب فيها ولاجزاء وعقاب. ومن جهة أخرى تحذير بأن نهاية العمر في الدنيا تعنى إغلاق صحيفة الأعمال وليس هنالك من سبيل للعودة والعمل وتدارك ما فرط، كما ليس للندم من أثر أو فائدة، فقد قال على عليه السلام

«لا عن قبيح يستطيعون إنتقالاً ولا في حسن يستطيعون إزدياداً» [٤٦٣]

كما ليس هناك من جدوى لصراخهم «رَبِّ ازْجِعُونِ\* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا» [٤٦٤] كما لا تفيدهم الآمال والأمانى «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». [٤٦٥]

### الموت يعنى إغلاق صحيفة الأعمال

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٠

ما ورد في الخطبة بهذا الخصوص ممّا أكدته الآيات القرآنية، حتى صرحت بعض الآيات أن أبواب التوبة تغلق حين نزول عذاب الاستئصال (من قبيل العذاب الذي إستهدف إجتثاث جذور الأقوام السابقة حين طغت في الأرض) بحيث لم يعد هناك من مجال

لتدراك الأعمال، لأنَّ الإنسان في ظل هذه الظروف إنَّما يودع الدنيا وينتقل إلى الآخرة مروراً بالبرزخ، ومن ذلك قوله سبحانه: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَرَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ\* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ».[٤٦٦]. كما نعلم بأنَّ فرعون لما أدركه الغرق وشعر بالموت أظهر الإيمان ولكن أغلقت بوجهه كافة أبواب التوبة فاتاه النداء «الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ».[٤٦٧]. ونستج من هذه الآيات وسائر الآيات الواردة بهذا الشأن أنَّ هناك سنة إلهية تفيد إغلاق صحيفة الإنسان وانقطاع أعماله حين يكون على أبواب الموت المحتم، فليس هنالك من سبيل للعودة والإصلاح. وهنا يبرز هذا السؤال وهو أنَّ أغلب الروايات صرحت بأنَّ آثار الأعمال الحسنه والسيئه تصل الإنسان بعد موته بحيث تثقل صحيفة أعماله خيرا أم شرا، فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«سبعة أسباباً يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته، رجل غرس نخلاً أو حفر بئراً أو أجرى نهراً أو بنى مسجداً أو كتب مصحفاً أو ورث علماً أو خلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد وفاته».[٤٦٨]

ومن الواضح أنَّ ما جاء في هذا الحديث نموذج باراز لأعمال الخير، أفلا يتنافى هذا الأمر وما ذكر سابقاً؟ والجواب على هذا السؤال واضح فليس هنالك من عمل جديد يقوم به الإنسان بعد الموت، لا- إنَّ آثار الأعمال السابقة لا تصل إليه. نعم صحيفة الأعمال الجديدة مغلقة ولا يضاف إليها شيئاً، أما صحيفة أعماله السابقة قبل الموت فهي مفتوحة دائماً وإن الإنسان يقطف ثمار عمله الصالح في البرزخ ويوم القيامة، وتصله حتى الأعمال الصالحة فيما إذا خلف ولداً صالحاً يدعو له ويستغفر له.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠١

## الخطبة [٤٦٩] الثالثة الاربعون

### إشارة

من كلام له عليه السلام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته.

### نظرة إلى الخطبة

تشتمل الخطبة على قسمين يختلف كل منهما عن الآخر، ويبدو أنَّ كل منهما قد ورد مستقلاً في موضعه، إلا أنَّ السيد الرضى (ره) جمعهما لمناسبة- فالقسم الأول يتعلق بقضية جرير بن عبدالله البجلي الذي كان عاملاً لعثمان على ثغر همدان. فأما خبر جرير بن عبدالله البجلي وبعث أمير المؤمنين عليه السلام إياه إلى معاوية، فقد ورد في الأخبار: لما قدم عليه السلام الكوفة بعد إنقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبدالله البجلي. فلما قرأ جرير الكتاب، قام فقال:

أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وقد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان، ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقه بها. فقال الناس سمعاً وطاعة. فكتب جرير إلى على عليه السلام جواب كتابه بالطاعة وكتب على عليه السلام إلى الأشعث وكان عامل عثمان على أذربيجان يدعو إلى البيعة والطاعة. وكتب جرير بن عبدالله البجلي إلى الأشعث يحضه على طاعة أمير المؤمنين على عليه السلام وقبول كتابه. فقبل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٢

الأشعث البيعة وسمع وأطاع، وأقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتى ورد على عليه السلام الكوفة فبايعه. ولما أراد على عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً، قال له جرير: إبعثنى يا أمير المؤمنين إليه؛ وأدعوا أهل الشام إلى طاعتك وولايتك فجلهم قومي وأهل بلادى



وقد رجوت ألا يعصوني.

فبعثه على عليه السلام. فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية ودفع إليه كتاب على عليه السلام. فقال معاوية أنظر وتنظر؛ واستطلع رأى أهل الشام. فكتب له الإمام عليه السلام: إنما أراد معاوية ألا يكون لي في عنقه بيعة، وأراد أن يريثك ويبيطك، فان بايعك الرجل، وأما فاقبل. قيل ولما أبطأ جرير عند معاوية إتهمه الناس، فلما سمع جرير ذلك فارق علياً عليه السلام فلحق بقرقيساء (بلد بالخابور عند مصبه) ولحق به ناس من قسر من قومه، واقام فيها حتى توفي. [٤٧٠] على كل حال مكث جرير عدة شهور في الشام، حتى اقترح أصحاب الإمام عليه السلام عليه قتال أهل الشام، إلا أن الإمام عليه السلام لم يجبههم إلى ذلك وجرير هناك، وأنه قد وقت وقتاً لجرير، فلا بد من إنتهاء، ذلك الوقت ومعرفة النتيجة.

القسم الثاني يتناول إصرار الإمام عليه السلام على قتال أهل الشام، حيث اورد نصر بن مزاحم في كتاب صفين أن الإمام عليه السلام قال هذا الكلام لما كلمه أحد جنود الشام اثناء معركة صفين بالهدنة وترك القتال على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام، فرد عليه الإمام عليه السلام رداً قاطعاً بمواصلة القتال ثم تطرق إلى أسباب ذلك. وأخيراً فالقسمان يوضحان بجلاء أن الإمام عليه السلام رجل الصلح والسلام في ظروف الأمن والاستقرار، فاذا نشبت الحرب كان بطلها المجرب وليثها الغاضب.

ونتجه بعد هذه المقدمة إلى شرح الخطبة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٣

## القسم الأول: رجل الحرب والسلام

### إشارة

«إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٍ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَن خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِي وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرُودُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ».

الشرح والتفسير

كما أوردنا سالفاً فإن الخطبة بشأن قضية جرير بن عبدالله حين كان عاملاً لعثمان على همدان، ثم قدم الكوفة فوجهه الإمام عليه السلام إلى الشام لأخذ البيعة من معاوية، إلا أن فجاج مهممة جرير كان يبدو ضيعفاً، ومن هنا رأى أصحاب الإمام عليه السلام قتالهم. فأجابهم الإمام عليه السلام قائلاً

«إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم، إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه»

فالعبرة تفيد أن الإمام عليه السلام بصفته زعيم الدولة الإسلامية لا يرى في الحرب والقتال من وسيلة صحيحة لحل الاختلافات، ولا بد من إبقاء باب السلام مفتوحاً لاتمام الحجة، فان لم تجد نفعاً، آنذاك تكون الحرب هي العلاج. والطريف في الأمر أن الإمام عليه السلام لا يأبه بمعاوية وإنما يفكر بأهل الشام، فقال

«إغلاق للشام»،

ثم أضاف قائلاً

«وصرف لأهله عن خير إن أرادوه»

في إشارة إلى عبثية جر أهل الشام للقتال وصددهم عن الصلح والسلام وإن كانت لكبيرة على بعض الأفراد المتحمسين، إلا أن الزعيم العالم لا ينبغي أن تستميله العواطف والأحاسيس، فلا يتصرف إلّا من خلال ضبط النفس والعقل والمنطق بما يرتضيه الحق

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٤

سبحانه وتعالى. ثم أزال الإمام عليه السلام الإبهام الذى قد يتسرب إلى عقول هؤلاء الأفراد باستمرار هذه الحالة القلقة فقال  
«ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً»

فالواقع هو أن الإمام عليه السلام عين مدة بغية الحفاظ على مصالح المسلمين وعدم فوات الآوان ومرور الفرصة، فقد كان يعلم أن معاوية قد يماطل فى الوقت ويشغل جرير، وأقصى ذلك هو الابهة والاستعداد للقتال، ثم يرد بالسلب على دعوة الإمام عليه السلام بالبيعة فى الوقت الذى تسلب الفرصة والمبادرة من الإمام عليه السلام وصحبه. إما لماذا حصر الإمام عليه السلام بقاء جرير عند معاوية باحتمالين؛ الخداع أو العصيان، بينما يمكن أن تكون عرضت له بعض الوقائع من قبيل المرض وما شاكل ذلك، وذلك لأن سائر الاحتمالات تبدو ضعيفة لا يكثر بها إزاء هذين الاحتمالين، أو على حد تعبير علماء الاصول أن الاصل فى مثل هذه الامور السلامة، فلا ينبغي ترتيب الأثر على سائر الاحتمالات. ثم حاول تهدأة خواطر صحبه والتسكين من روعهم فقال  
«والرأى عندي مع الأناة [٤٧٢] فأرودوا [٤٧٣]».

من جانب آخر فإن الإمام عليه السلام بغية عدم غفلة أصحابه فى ظل تلك الظروف الحساسة المصيرية، وضرورة الابقاء على عزمهم الشديد والراسخ فى مجابهة العدو وعدم إطفاء جذوة الحماس للقتال فقال عليه السلام:  
«ولا أكره لكم الإعداد»؛

أى أنى لا أعلن حالة التأهب فهذا الأمر يتعارض والصلح والسلام. وفى نفس الوقت لا أحول دون وظيفتكم فى التعبئة الطوعية، والحق أن هذا لأعظم وأنجع اسلوب منطقي وعقلاني فى مثل تلك الظروف العصبية؟ أى لا تغلق أبواب السلام، ولا يعيش الجميع حالة الانفعال والغضب، ولا ينبغي أن تقع بعض الأعمال التى تفرزها طبيعة النفاق، وأخيراً لا ينبغي فوات الفرص دون جدوى!

### الهدف من الدعوة إلى الصلح والبيعة

إن الإمام عليه السلام وخلافاً لما يعتقد البعض لم يقاتل معاوية، إلّا حين أتم الحجة عليه من كافة الجهات، بحيث لم يكن يلجأ إلى القتال إلّا حين يكون السبيل الأخير الذى اغلقت جميع السبل  
نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٥

دونه. تفيد هذه الخطبة أن علياً عليه السلام لم يستجب للضغوط التى مارسها أصحابه من أجل شروع القتال، وأنه بذل قصارى جهده بهدف إرساء الصلح والسلام. والرسالة التى بعثها الإمام عليه السلام إلى معاوية بواسطة جرير لتؤكد هذا المعنى. فقد جاء فيها:  
«إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإتّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فان إجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى. ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبر الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنى كنت فى عزلة عنه إلّا أن تتجنى، فتجن ما بدا لك» [٤٧٤]

والواقع كان معاوية يعتمد ذريعتين لترك البيعة، الاولى أنه كان غائباً حين تمت البيعة لعلى عليه السلام، والثانية أن الإمام عليه السلام مطالب بدم عثمان، فلا يمكن مبايعته، إلّا أن الإمام عليه السلام فند هاتين الذريعتين بالدليل والبرهان فى الرسالة المذكورة، فلم يستجب معاوية بغية تحقيق أهدافه وأطماعه. على كل حال وكما ذكرنا أنفاً فإن جرير عامل عثمان على همدان أعلن بيعته للإمام عليه السلام ومعه الناس إثر وصول كتاب الإمام عليه السلام. ثم ورد الكوفة وطلب من الإمام عليه السلام أن يوجهه إلى الشام لأخذ بيعة معاوية، لأنّ جل أهل الشام كانوا من قومه وأهل بلده ويطمعون بإلّيعصون أمره. فاعترض الأشر وقال للإمام عليه السلام: لا تبعته ولا تصدقه، فوالله إننى لأظن هواه هواهم، ونيتته نيتهم. إلّا أن الإمام عليه السلام إختاره لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه:

«إنك من خير ذى يمن»

كما لم يبدر منه خلافاً حتى ذلك الحين، ولعله لم يكن هناك من هو أفضل منه.

فدفع إليه الإمام عليه السلام كتابه، وقال له: «إنت معاويةً بكتابى، فان دخل فى ما دخل فيه المسلمون، وإلّا فانبذ إليه واعلمه أنى لا أرضى به أمراً، وأنّ العامة لا ترضى به خليفة». فانطلق جرير حتى أتى الشام، ونزل بمعاوية وأخبره باجتماع مسلمى أهل الحرمين وأهل المصرين والحجاز واليمن ومصر وأهل العروض على بيعه الإمام عليه السلام ثم قال: فلم يبق إلّا هذه الحصون التى أنت فيها فبايع لعلى عليه السلام. ثم سلمه كتاب الإمام عليه السلام. فلم يستجب معاوية الذى كان شغفاً بالحكومة

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٦

فقام فخطب الناس مطالباً بدم عثمان وأخذ البيعة من أهل الشام للقيام والمطالبة بدم عثمان.

فاستحته جرير بالبيعة. فقال: يا جرير، إنّه ليست بخلسة، وإنه أمر له ما بعده فابلغنى ريقى.

فأشار عليه أخوه بعمرو ابن العاص. وقد وعده النصيحة بعد أن اشترط عليه ولاية مصر. ثم دخل شرحبيل - رئيس اليمينية وشيخها والمقدم عليها - فتحدث إلى جرير، فأقنعه جرير باتباع على عليه السلام. إلّا أنّ معاوية كتب له كتاباً ودس إليه الرجال يغرونه بعلى عليه السلام ويشهدون عنده أنه قتل عثمان، حتى ملئوا صدره وقلبه حقداً وترةً وإحنته على على عليه السلام وأصحابه، ثم دعاه فى الكتاب لمطالبة بدم عثمان. فتاهب شرحبيل للطلب بدم عثمان، ثم وجهه معاوية إلى الشام لدعوة الناس للمطالبة بدم عثمان وجعل لا يأتى على قوم إلّا قبلوا ما أتاهم به وهنا شعر جرير باليأس من معاوية، ثم إلتفت معاوية إلى جرير فقال له: إنى قد رأيت رأياً، قال: هاته، قال: اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام ومصر جباية، فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده فى عنقى بيعه، وأسلم له هذا الأمر، واكتب إليه بالخلافة. فقال جرير: اكتب ما أردت اكتب معك.

فكتب الإمام عليه السلام إلى جرير: إذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل، ثم خيره وخذه بالجواب بين حرب مخزية أو سلم محظية

«ولم يكن لله ليرانى اتخذ المضلين عضداً»

فتأخر جرير مدّة ولعله كان يطمع فى عودة معاوية إلى رشده، فكثرت فيه الكلام. [٤٧٥]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٧

## القسم الثانى

### إشارة

«وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْمَأْمُرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِ أَحَدَتْ أَحْدَاثًا، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا، فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا».

الشرح والتفسير

يقابل هذا القسم من الخطبة القسم المذكور تماماً، أو بعبارته اخرى يمثل المرحلة الثانية من مراحل المجابهة. فقد كان الإمام عليه السلام يؤكد فى القسم المذكور على ضرورة ضبط النفس واجتناب القتال، واللجوء إلى منطق السلام والصبر والتحمل. بينما يتحدث هذا القسم بصورة قاطعة حادة عن القتال واللجوء إلى القوة؛ ولا غرو فقد أغلقت جميع السبل والأساليب، وثبت بالضررس القاطع أنّ معاوية لا- يستسيغ أى منطق واستدلال، ولا- يفهم سوى تحقيق مطامعه فى الحكومة التى يضحى من أجلها بالغالى والنفيس. ومن الطبيعى ألا يكون هنالك من سبيل لمواجهة هذا الشخص سوى الاستسلام وتفويض المقدرات الإسلامية إليه، أو شهر السلاح بوجهه

وقتاله. ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر لى إلّا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله». العبارة «ضربت أنف هذا الأمر وعينه»

مثل تقوله العرب فى الاستقصاء فى البحث والتأمل والفكر. والعبارة «وقلبت ظهره وبطنه»

هى الأخرى كناية عن دراسة كافة جوانب الموضوع: لأنّ الإنسان إذا أراد أن يشتري بضاعة قلب ظهرها وبطنها ليتعرف على كافة مميزاتها. أما قوله عليه السلام «فلم أر لى إلّا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله»

فذلك لأنّ الإمام عليه السلام إذا سكت وترك الأئمة لحالها لقاد ذلك إلى انحراف الناس عن الإسلام واستتباب الحكومة الجاهلية الأموية والسفانية وإحياء نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٨

مبادئ الشرك والوثنية، وهذا يعنى تجاهل كافة القيم والمثل التى جهد رسول الله صلى الله عليه وآله مدة ثلاث وعشرين سنة فى إرسالها وتحمل صنوف العذاب من أجل ترسيخها، وأصبح على عليه السلام خمسة وعشرين عاماً جليس البيت من أجل الحفاظ عليها، وعليه فلم يبق من سبيل أمام الإمام عليه السلام سوى القتال بصفته الأمين على الإسلام وقيمه، وهذا هو الرد الصريح على كافة من يشكك فى قتاله عليه السلام لمعاوية. ثم أشار عليه السلام إلى مسئلة قتل عثمان واستغلالها من قبل معاوية وزبائنه بغية الوصول إلى أغراضه ومآربه، فقال

«إنّه قد كان على الأئمة وال أحدث أحداثاً، وأوجد الناس مقالا، فقالوا ثم نقموا فغيروا»

فمراد الإمام عليه السلام أن العامل الرئيسى لقتل عثمان هو نفس عثمان، الذى أتى بالأعمال المخالفة للعدل والسنة النبوية، التى أوجت غضب الناس فحاصروه ثم قتلوه، ولذلك لم يتحرك أى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله للدفاع عنه، حتى قتل وبقى ثلاثاً على الأرض لم يدفنه أحد من المسلمين [٤٧٦] وهذا بدوره يكشف عن مدى غضب الأئمة ونقمتها عليه. وعليه فقتل عثمان لم يكن ذريعة تدعو للخروج على أمير المؤمنين عليه السلام.

وبالطبع فإن أصحاب تلك الذريعة كانوا يعلمون هذا الأمر أكثر من غيرهم، إلّا أنّهم لم يروا أفضل من هذه الذريعة لتعبئة أهل الشام ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

### أعمال عثمان وأسباب قتله.

ذهب أغلب شراح نهج البلاغة إلى أن عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الناس عليه وأهم هذه الأحداث:

١- تأمير بنى أمية ولا سيما الفساق منهم وأرباب السفه وقله الدين ومنهم الوليد الفاسق وشارب الخمر الذى ولاه الكوفة. [٤٧٧] وقرب الحكم بن أبى العاص عمه الذى طرده رسول الله صلى الله عليه وآله فألبسه جبة من الخز وأعطاه زكاة قبيلة قضاة التى بلغت ثلاثمئة درهم- وذكر ابن قتيبة وابن عبد ربه والذهبي- من مشاهير علماء العامة- أن من الأحداث التى نقمها الناس

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٠٩

على عثمان تقريره للحكم بن أبى العاص الذى لم يقربه أبوبكر ولا- عمر فى خلافتها. [٤٧٨] كما عين ابن عمه مروان بن الحكم مستشاراً له وأعطاه غنائم أفريقيا التى بلغت خمسمئة ألف درهم.

٢- أذاه لكبار صحابة النبى صلى الله عليه وآله كأبى ذر الذى نفاه للربذة حين كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعترض على

أعماله [٤٧٩] وضربه الشديد للصحابي الجليل عمار بن ياسر ولم يكن ذنبه سوى مواجهة عثمان باعتراضات الناس [٤٨٠] وما فعله بالصحابي عبدالله بن مسعود بسبب إعتراضه على التطاول على بيت المال فجعل يضربه حتى كسر ربايعته [٤٨١].  
سئل الصحابي زيد بن أرقم كيف حكمت بكفر عثمان؟ قال: لثلاث: تقسيمه لأموال بيت المال بين الأغنياء ومحاربتة لصحابة النبي صلى الله عليه وآله وعمله بغير كتاب الله [٤٨٢].

٣- توزيعه لأموال بيت المال على بطانته وقرابته دون حساب وحرمان المؤمنين منها.  
وللمؤرخين والمحدثين شروحا وافية بالنسبة لهذه الأمور لايسعها المقام. كل ذلك أرى إلى نعمة الأنصار والمهاجرين ولا سيما صحابة النبي صلى الله عليه وآله على عثمان فلم يروه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله كما قدم الناقمون من مصر والكوفة والبصرة، وحيث لم يكثر لهم، بينما لم ينصره أهل المدينة وهذا يدل على نعمتهم عليه أيضا. أما معاوية الذي كان واقفا على كل هذه الأمور فقد إستغلها ليحرض أهل الشام ضد أمير المؤمنين على عليه السلام بحجة المطالبة بدم عثمان.  
نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١١

### الخطبة [٤٨٣] الرابعة والاربعون

#### إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد إبتاع سبي بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام.  
سبب الخطبة

#### قصة الخريت بن راشد الناجي وخروجه على علي عليه السلام

كما ورد سابقا فالكلام يرتبط بقصة قبيلة بنى ناجية: كان الخريت بن راشد الناجي، أحد بنى ناجية، قد شهد مع علي عليه السلام صيفين، فجاء إلى علي عليه السلام بعد انقضاء صيفين، وبعد تحكيم الحكيمين في ثلاثين في أصحابه، يمشى بينهم حتى قام بين يديه، فقال: لا والله لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإنني غداً لمفارق لك؛ فقال له: ثكلتك أمك! إذاً تنقض عهدك، وتغصبي ربك، ولا تضرر لآلئفسك، أخبرني لم تفعل ذلك! قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعت عن الحق إذ جد الجد، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك راد، وعليهم ناقد، ولكم جميعا مباين.

فقال له علي عليه السلام: وَيْحَكَ! هلم إلى أدارشك وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٢

الحق أنا أعلم بها منك؛ فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر، وتبصر ما أنت الآن عنه عم وبه جاهل، فقال الخريت: فإني غاد عليك غداً. فقال علي عليه السلام: اغد ولا يستهوينك الشيطان، ولا يتقحم بك رأيي السوء، ولا يستخفك الجهلاء الذين لا يعلمون؛ فوالله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهدئك سبيل الرشاد.

فخرج الخريت من عنده مُصْرِفاً إلى أهله.

قال عبدالله بن قُعين: فعجلت في أثره مُشْرِعاً، وكان لي من بنى عمه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمه في ذلك، فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين، وأمر ابن عمه أن يشتد بلسانه عليه، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أن ذلك خير له في عاجل

الدنيا وآجل الآخرة. ثم بعث عليه السلام بمعقل بن قيس فقاتل الخريت حتى قتل وأسر أصحابه، فأطلق من كان منهم مسلماً وبقي غير المسلمين، وحين ورد الأسرى الكوفة اشتري مصقلة الأسرى بخمسمئة درهم من معقل وأعتقهم. فدفعت مئتي درهم وعجز عن دفع الباقي فخاف وهرب.

فخطب الإمام عليه السلام بهذه الخطبة. [٤٨٤]

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٣

«قَبَّحَ اللَّهُ مَصِقَلَةَ! فَعَلَّ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَتْهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لِأَخْذِنَا مَيْسُورَةً وَانْتَبَهَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَةً».

الشرح والتفسير

### فرار العبيد

قال الإمام عليه السلام بعد أن سمع خبر فرار مصقلة - عامل الإمام على منطقة أردشير حرّة من مناطق فارس - «قبح الله مصقلة فعل فعل السادة، وفر فرار العبيد».

لقد قام مصقلة بعمل إنساني كبير وذلك حين اشتري أسرى بنى ناجية وأعتقهم فلما طوب بالمال وإعادته إلى بيت مال المسلمين وبدلاً من سؤال المهلة للتسديد هرب بالمال إلى الشام حيث معاوية الذي عرف بخداعه للناس واستعبادهم وظاهر القضية أن مصقلة وخشيته دينه لبيت المال هرب إلى الشام، بينما يبدو أنه كان مستعد مسبقاً لهذه الخيانة العظمى، فلعله كان يخشى الفضيحة من بعض الأعمال الأخرى التي قارفها، ولعل شدة على عليه السلام في العدل والاصرار على إسترداد حقوق بيت المال قد شقت عليه كما شقت على الآخرين. ويؤيد ذلك ما قاله صاحب مصقلة زهل بن حارث أن مصقلة قال لم أكن لأغتم لو كنت مديناً لعثمان أو معاوية، فهما يتسامحان في بيت المال، وقد فعلا ذلك بحق الآلاف المؤلفة، إلا أن علياً عليه السلام شديد التعامل مع بيت المال. مع ذلك فليس هنالك من مبرر لفعل مصقلة، ولا سيما إثر ذلك التناقض الواضح، فقد تكرم من جانب ليقوم بذلك العمل الإنساني، ومن جانب آخر قام بتلك الخيانة وهرب! لذلك قال عليه السلام:

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٤

«فما أنطلق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته» [٤٨٥]

فقد فعل ما يدعو إلى مدحه من قبل كل من يسمعه، إلا أن خبر عتقه لسبايا بنى ناجية لم يكذب ينتشر بين الناس حتى إنتشر قبله نبأ فراره إلى الشام، فاصاب الجميع بالدهشة والذهول، فكيف يلجأ إلى معاوية من يقوم بهذا العمل النجيب، فيؤثر مجاورة معاوية والوقوف إلى جانبه على عليه السلام؟ نعم لايسع الجميع تحمل العدل! ثم إختتم كلامه بالقول

«ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره»

أجل هذا منطلق القرآن الكريم «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ» [٤٨٦].

ليس هنالك من يعتقد بأن علياً عليه السلام سيعامله على خلاف القرآن وأحكامه، وعليه فلا يقبل عذره في خشيته من الإمام عليه السلام في تسديد ما بذمته لبيت المال. وهنا يبرز هذا السؤال لم لم يهبه الإمام عليه السلام ذلك المال تقديراً لعمله الإنساني، فمصقلة لم يكن ليتحمل بذلك الدين لمصالحه الشخصية بل كان نتيجة طبيعة لذلك العمل الجبار الذي قام به؟ ونقول في الجواب على هذا السؤال أن الإمام عليه السلام لو فعل ذلك لأصبحت سنة في المستقبل، بحيث يقوم كل عامل وأمر بالطلاق سراح الأسرى الأمر الذي يفرز بعض المخاطر التي تهدد كيان المجتمع الإسلامي بينما يحظى الأمر بمدح الناس وثنائهم. أضف إلى ذلك فإن مثل هذا البذل يززع أسس ودعائم بيت المال ويعيد إلى الأذهان سياسة البذخ والاسراف التي إتبعها عثمان تجاهه، بينما كان الإمام عليه السلام قد

وعد الائمة بأنه سيتسرجع كل ما أخذ من بيت المال بغير حق وإن تزوج به النساء.

## تأملان

### إشارة

نفحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ٣١٤

#### ١- من بين الأسئلة التي تطرح بشأن هذه الخطبة

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٥

أو ليس بنى ناجية مسلمين، فكيف يسبون ويفادون؟ ويبدو أن الجواب قد ورد في قصة سبيهم، حيث خرج الخريت بن راشد الناجي ضد أمير المؤمنين عليه السلام واجتمع مع عدد من الأفراد، فلما بلغ الخبر الإمام عليه السلام. فوجه الإمام عليه السلام أحد أصحابه «معقل بن قيس» لقتال الخريت بن راشد فقتله وقتل جمعاً من أصحابه وأسر آخرين من مسلمين وغير مسلمين من النصارى ومانعى الصدقة، فجعل مسلميهم يمنة والنصارى ومانعى الصدقة يسرة، ثم خلى سبيل من كان مسلماً وأخذ بيعته، ومن كان إردتد عرض عليه الرجوع إلى الإسلام أو القتل.

فلما أتى بالأسرى إلى الإمام عليه السلام في منطقة أردشير حرّة التي كان مصقلة عاملها، فبكى إليه النساء والصبيان وتصايح الرجال. فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليهم، فاشترتهم بخمسمائة ألف درهم فاعتقهم. فبعث مصقلة بمقدار من المال وبقي آخر. وانتظر على عليه السلام مصقلة أن يبعث المال فإبطأ به فبعث إليه الإمام، فقدم الكوفة، فسأله الإمام عليه السلام المال، فأدى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي، على أن يهبه الإمام عليه السلام ذلك، فلم يقبل الإمام عليه السلام، ولو وافقه الإمام عليه السلام لكان ذلك الأمر بدعته بحيث يشتري الآخرون الأسرى ثم يعتقونهم ولا يؤدون المال إلى بيت مال المسلمين، إلى جانب كون تلك الموافقة تشيّر تداعيات سياسة عثمان إزاء بيت المال بحيث يساء الظن بحزم الإمام عليه السلام بالنسبة لبيت مال المسلمين. والعجيب أن أحد أصحابه قال له: لو شئت لم يمض عليك جمعة حتى تجمع هذا المال، فقال: ما كنت لأحملها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد. ثم قال: واللّه لو أن ابن هند مطالبى بها، أو ابن عفان، لتركها لى. فهذه الامور تشير إلى أنّه قد يكون منذ البداية قد عزم على عدم أدائها، كما تفيد الرسالة الثالثة والأربعون من نهج البلاغة أنّه كان عثمانياً، ولذلك كان قد بذل بعض أموال بيت المال لبطانته وقومه، وخلاصة القول فان بنيته الفكرية والعملية كانت قائمة على نهج معاوية لا أمير المؤمنين عليه السلام. ولعله كان رجلاً صالحاً قبل وصوله إلى الحكومة إلّا أنّ حب الدنيا والاعتزاز بالجاه قد غلب عليه. ومن هنا شقت عليه عدالة الإمام عليه السلام حتى إلتحق في خاتمة المطاف بمعاوية. فخطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة واختتمها بقوله

«ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره».[٤٨٧]

ويتضح ممّا ذكرنا أنّ الاسرى المذكورين لم يكونوا من المسلمين.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٦

#### ٢- فلسفة الحزم

السؤال الآخر الذى يمكن طرحه هنا: ما علّة كل هذا الحزم من الإمام عليه السلام فى هذه الحالات؟

ونقول في الجواب أن الإمام عليه السلام لم يتشدد في هذا الأمر، بل كان قد أمهله لتسديد الدين عند المقدرة أولاً، وثانياً لم يكن ذلك حقاً للإمام عليه السلام بحيث يهبه أموال بيت المال، بل هو حق المسلمین الذي لا يفرط فيه أمير المؤمنين عليه السلام قط. ورغم حزمه في هذا الأمر إلمائه أبقى باب الرفق مفتوحاً، ومن ذلك إقترح البعض على الإمام عليه السلام بعد فرار مصقلة إعادة السبايا والأسرى فلم يوافق الإمام عليه السلام على أن مصقلة قد إبتاعهم واعتقهم، فالمدين مصقلة لا هؤلاء. [٤٨٨]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٧

## الخطبة [٤٨٩] الخامسة والأربعون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها يحمده الله ويذم الدنيا

### نظرة إلى الخطبة

تتضمن الخطبة على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: أحدهما حمد الله والثناء عليه، والآخر ذم الدنيا وحث الناس على التزود للآخرة. ويبدو أن الرضى (ره) لم يذكر الخطبة كلها فهي طويلة جداً، ومن هنا لا يرى هناك من إرتباط بين هذين الفصلين، إلا أنها رغم قصرهما يشيران إلى معان ضخمة مهمة.

### ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣١٩

### القسم الأول: الرحمة اللامتناهية

«الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوفٌ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَا مَأْيُوسٌ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَلَا مُسْتَتَكِّفٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ».

الشرح والتفسير

تناول هذا الفصل حمد الله والثناء عليه، ثم أشار إلى ست من النعم الإلهية التي تستحق الحمد والشكر، فقال عليه السلام «الحمد لله غير مقنوط [٤٩٠] من رحمته».

كيف اليأس من رحمة الله الواسعة وهو القائل سبحانه «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» [٤٩١] كما قال على لسان نبيه يعقوب عليه السلام «لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» [٤٩٢] وعلى لسان خليله إبراهيم عليه السلام «وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» [٤٩٣] وعليه فلا بد للإنسان من الانابة إلى الله مهما كانت ذنوبه ومعاصيه، ولا ينبغي له اليأس من رحمة الله، بل إن هذا اليأس كفر وضلالة وهو من أعظم الذنوب ثم قال عليه السلام «ولا مخلو من نعمته».

كما ورد في القرآن الكريم «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» [٤٩٤] وأضاف عليه السلام «ولا مأیوس من مغفرتة»



كيف لا وهو القائل «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٠

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [٤٩٥].

بل ورد في الحديث النبوي الشريف أن هذه الرحمة لمن السعة بحيث يتناول عليها ويطمع بها حتى إبليس

«ليغفر الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إبليس يتناول إليها» [٤٩٦]

كما جاء في الرواية: «أن لله مئة رحمة وقد أنزل واحدة منها إلى الأرض وقسمها بين مخلوقاته، وإستأثر بتسع وتسعين إدخرها لعباده

يوم القيامة» [٤٩٧]. ولما كانت هذه الامور تسوق الناس إلى العبادة، قال عليه السلام:

«ولا مستنكف» [٤٩٨] عن عبادته»

وذلك لأن الاستنكاف عن العبادة لا يؤدي سوى إلى العذاب، فقد قال القرآن بهذا الخصوص «وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً» [٤٩٩]. ثم عد نعمتين اخريين عليه السلام فقال

«الذين لا تبرج منه رحمة، ولا تفقد له نعمة»

فقد تكررت الرحمة والنعمة وكان السابقة أشارت إلى أصل الرحمة والنعمة الإلهية، بينما تحدثت العبارة اللاحقة عن دوام هذه النعمة

وعدم إنقطاعها، وهذا ما ورد تأكيده في القران «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» [٥٠٠]. والطريف في الأمر أن هذين الوصفين في

الواقع ذكرا كدليل على عدم استنكاف الناس عن عبادة الله؛ الأمر الذي تناوله علم الكلام تحت عنوان

«شكر المنعم من دوافع معرفة الله».

أما المفردات الرحمة والمغفرة والنعمة فهي وإن كانت مرتبطة مع بعضها إلا أن مفاهيمها مستقلة، فللرحمة معنى واسع يشمل كل فضل

ولطف من الله للعباد سواء عن طريق إفاضة النعم أو مغفرة الذنوب، وبعبارة اخرى فإن نسبة الرحمة إلى النعمة والمغفرة هي نسبة

العموم والخصوص المطلق، بينما لكل من النعمة والمغفرة مفهوم منفصل عن الآخر، فالنعمة تختص بالإمكانات الوجودية التي

تأخذ بيد الإنسان إلى السمو والكمال، أما المغفرة فهي إزالة آثار الذنب وتعييد الطريق بعد إزالة العراقيل.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢١

## القسم الثاني: الدنيا دار المنى

### إشارة

«وَالدُّنْيَا دَارٌ مَنِيٌّ لَهَا الْفَنَاءُ وَلَا أَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَهِيَ حُلُوهٌ خَضِرَاءُ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا

بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ».

الشرح والتفسير

لقد عرض الإمام عليه السلام هنا بدم الدنيا على أن حُبها والتعلق بها يعد من أعظم آفات سبيل سعادة الإنسانية. كما أن الاغترار

بزخارفها وزينتها أساس الذنوب والمعاصي، فقال عليه السلام

«والدنيا دار منى لها الفناء» [٥٠١]

. نعم فدعائم الكون تحكى آثار الزوال والفناء، فالأشجار التي تتفتح في الربيع وتحمل الثمار إنما تذبل في فصل الخريف لتجف ثم

تساقط أوراقها على الأرض فتعيب بها الرياح هنا وهناك، وكأن حياة هذه الأشجار لم تشهد الربيع ولم تحمل الثمار. وهكذا حال

الإنسان فالفتى القوى بالأمس، هو العجوز الهرم اليوم، والكهل العجوز اليوم سيكون عظاما نخرة غداً. ثم قال عليه السلام

«ولأهلها منها الجلاء» [٥٠٢]

فكافة الأفراد دون إستثناء سيودعون عاجلاً أم آجلاً هذه الدنيا الفانية ليتجهوا نحو تلك الحياة الخالدة في عالم الآخرة. فهذا قانون إلهي مطلق لا يسع أحد إنكاره والخروج عليه. ومن هنا عبرت بعض الآيات القرآنية عن نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٢

الموت باليقين، وذلك لأنه يوقن به حتى من أنكر المعاد والحساب. ثم قال عليه السلام «وهي حلوة خضرة»

وتختص الحلاوة بالذائقة بينما ترتبط الخضرة بالباصرة، فخضرة الدنيا وجمالها تخطف بصر الفرد الغافل وتشده إليها، بينما تسوق حلاوتها ذلك الإنسان إلى المعصية والخطيئة، ومن المعلوم أن خداع الدنيا لا يقتصر على هذين الأمرين، بل لكل حاسة من حواس الإنسان ما يجذبها ويربطها بالدنيا. وأضاف عليه السلام «وقد عجلت للطالب والتبست [٥٠٣]

بقلب الناظر»

فطبيعة الدنيا خيرها العاجل ومنافعها المبكرة، وإذا أتت الإنسان فإنها تنفذ إلى قلبه حتى تكون جزءاً منه لأنها جميلة للناظر، كما أنها حلوة للمذاق، ولذلك كان التحرر منها صعباً. وما ان فرغ الإمام عليه السلام من بيان صفات الدنيا لتتطلع القلوب إلى أوامر السماء حتى قال

«فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ» [٥٠٤]

. لا ينبغي أن ينسى الإنسان أنه مسافر قد أقام هنا بصورة مؤقتة، والمسافر الفطن إنما ينهمك باعداد الزاد والمتاع في مثل هذا المنزل، فهو يتزود بأحسن الأمتعة والأشياء ولا يثقل كاهله بالردى منها أبداً «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ» [٥٠٥]. فالتقوى أفضل زاد الدنيا إلى جانب الحذر من نوم الغفلة.

## الكفاف والعفاف

لقد تضمنت الخطبة إشارات إلى مختلف أبعاد الحياة الدنيا رغم قلة عباراتها وألفاظها. فقد أشارت إلى طبيعة الحياة الدنيا والتي تكمن في الفناء والزوال ورحيل أهلها عنها شاءوا أم أبوا. كما تطرقت إلى ظاهرها الأنيق الذي يشد الأنظار إليه، ومن هنا يتجه نحوها من يخدع بالمظاهر، بينما يحذرهما من يتمعن في العواقب. وتناولت حب الدنيا الذي يقود بالتدرج إلى تربعها في قلب الإنسان حتى تصبح جزءاً من كيانه؛ الأمر الذي يجعل من المتعذر عليه نزع نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٣

حبها من قلبه ثم أرشده إلى النجاة من أخطارها وآفاتهما بالقناعة بالكفاف والعفاف، والمراد بالكفاف [٥٠٦] والعفاف (أو العفاف والكفاف) أن يقنع الإنسان في الدنيا بقدر حاجته إليها ويدع الرغبة بالمزيد جانباً ويغض طرفه عن جمع الأموال؛ الأمر الذي يجعله يعيش الاستقرار والسكينة في حياته الدنيا ويحد من حملته في حياته الآخروية، وذلك لأن طامة الإنسان في الحرص والطمع وعدم القناعة. طبعاً إذا كان تطلعه للمزيد من أجل إغاثة الضعفاء والمحرومين فإن ذلك ليس فقط لا يتنافى والعفاف والكفاف فحسب، بل من شأنه أن يقود الآخرين إلى الكفاف. فقد ورد في القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» [٥٠٧]، كما ورد هذا المعنى في الروايات الإسلامية، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يدعو بهذا الدعاء:

«اللهم ارزق محمداً وآل محمداً ومن أحب محمداً وآل محمداً والعفاف والكفاف» [٥٠٨]

. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«قليل يكفى خير من كثير يردى» [٥٠٩]

فالفرد إذا قنع باللازم من حياته كان ذلك زينة له من الذنب وتحلى بالكفاف والعفاف:

«من اقتنع بالكفاف أداه إلى العفاف» [٥١٠]

أضف إلى ذلك وبغض النظر عن الجوانب المعنوية والأخلاقية للقناعة بالضرورة في الحياة فأنما مدعاة للسكينة والاستقرار الروحي والنفسي في الحياة الدنيا، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«ومن إقتصر على بلغة الكفاف فقد إنتظم الراحة وتبوأ خفض الدعء» [٥١١].

وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص فدعا له قائلاً:

«اللهم ارزقه الكفاف»

كما قال رسول الله:

«إن ما قل وكفى خير مما أكثر وألهى؛ اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٥

## الخطبة [٥١٢] السادسة والاربعون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب.

### نظرة إلى الخطبة

تتضمن هذه الخطبة أو هذا الدعاء عدّة أمور عميقة ومهمّة، فقد بين الإمام عليه السلام جميع المشاكل المتوقعة في السفر في ثلاث، ثم إستعاذ منها بالله. ثم وصف الحق سبحانه بأنه الصاحب في السفر والخليفة في الأهل توكيداً لحضوره الذاتي المطلق لدى جميع الكائنات.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٧

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبِيَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسَيُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا، وَالْمُسْتَضْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا».

الشرح والتفسير

### الاستعاذة بالله من وعثاء السفر

لا شك أن أولياء الله يعيشون التضرع إلى الله في جميع الأحوال إلما أنهم يكونون أكثر تضرعاً حين إشتداد المحن والخطوب، فيستأنفون أعمالهم بدعاء الله والتوسل إليه ليفرج عنهم ويلهمهم القوة والصلابة والثقة بالنفس. الإمام عليه السلام من جانبه لما عزم على المسير لصفين تضرع بهذا الدعاء

«اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء [٥١٣] السفر وكآبة [٥١٤] المنقلب [٥١٥] وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد» فالواقع أن ما يشغل ذهن المسافر من جراء السفر أو جزه الإمام عليه السلام فى ثلاث؛ الأول (وعثاء السفر) والثانى كيفية العودة (وكآبة المنقلب) والثالث القلق على الأهل (سوء المنظر فى الأهل والولد). ويستعيد الإمام عليه السلام بالله من هذه الامور المقلقة ويسأله تذليلها، ثم قال عليه السلام:

«اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل، ولا يجمعها غيرك»

نعم الذات الإلهية فقط المنزهة عن الزمان والمكان، فهى محيطه بجميع الأمكنة والأزمنة، فليس هنالك من مكان أقرب إليها من آخر، ومن هنا فان الله معنا فى السفر ومع

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٨

أهلنا وولدنا فى الحضر، وما أروع أن نودع زمام أمور حياتنا إلى من يحيط بكل شى ولا يحيط به شى. ثم يقدم الدليل على ما قال: «لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً»

فالمكان يسود ويحكم جميع الكائنات المادية، ومن هنا فان وجودها فى مكان يعنى خلو الآخر منها، وما ذلك إلّا لوجودها المحدود، وليس هنالك من وجود لا محدود سوى الله سبحانه الذى لا يعرف المكان ولا الزمان ولا البعد ولا القرب، وهو كما قال: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّمَا كُنْتُمْ» [٥١٦] وقال: «فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» [٥١٧].

قال السيد الرضى (ره) آخر الكلام: وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فقهه أمير المؤمنين على عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام من قوله «لا يجمعهما غيرك»

إلى آخر الفصل.

### فلسفة الدعاء

من يتصفح المصادر الإسلامية يدرك أن للدعاء مكانة خاصة فى التعاليم الإسلامية، حتى عد الدعاء مخ العبادة. فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف

«أفزعوا إلى الله عزوجل فى حوائجكم، والجاؤوا إليه فى ملماتكم، وتضرعوا إليه، فإن الدعاء مخ العبادة» [٥١٨].

بينما وصفه حديث آخر بسلاح المؤمن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السموات والأرض» [٥١٩]

، وقال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«الدعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح» [٥٢٠]

والدعاء على درجة من الأهمية بحيث قال القرآن الكريم: «قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» [٥٢١]. مع ذلك هنا لك من إستشكال على الدعاء ولا سيما اولئك الذين غفلوا عن فلسفته:

١- فهم يقولون أحياناً: لا ينسجم الدعاء وروح الرضا والتسليم لإرادة الله، فالذى يجب

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٢٩

علينا هو التسليم لإرادة الله والرضى بما يرتضى!

٢- إن الدعاء يعدّ إحد العوامل المخدرة للإنسان فيصده عن السعى والعمل والنشاط، حيث ينصرف الإنسان عن هذه الامور ويلوذ بالدعاء لتأمين حاجياته.

٣- ناهيك عن كل ما تقدم، كيف يسعنا تغيير المقدرات الإلهية بواسطة الدعاء، فلو قدر الله أمراً، فإن ذلك الأمر سوف لن يغيره دعاؤنا، وبعبارة أخرى فإن الدعاء نوع من أنواع الفضول والتطفل على أفعال الله، فالله لا يفعل إلّا ما فيه المصلحة ولا داعي للدعاء. ولكن لا ترى هذا الكلام سليم إذا ما وقفنا على فلسفة الدعاء ومفهومه الواقعي. فالمفهوم الواقعي للدعاء هو أننا نعمل ما في وسعنا ونجهد أنفسنا وما فاق ذلك نوكله إلى الله ولطفه، ونتضرع إليه بالدعاء لحل المشاكل، وعلى ضوء «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ» [٥٢٢] نطرق بابه ونسأله بعد أن سعينا سعيًا ولم يبق إلّا توفيقه. ومن هنا صرحت بعض الروايات الإسلامية بعدم إستجابته دعاء من قصر في العلم وخلد إلى الكسل والراحة. فالله لا يستجيب دعاء من سأله الرزق وهو جالس في بيته دون أن يسعى ويعمل، كما لا يستجيب دعاء من أقرض مالمًا ولم يكتبه ثم أنكر عليه المدين ولم يعطه ماله! والخلاصة فإن الكسل والتعاس لا ينسجم واستجابة الدعاء. وعلى ضوء ما تقدم فإن الدعاء لا يعتبر عاملاً مخدرًا، بقدر ما بعد عاملاً محرّكاً. أمّا ما يقال من أن الدعاء لا يغير التقدير، فجواب ذلك واضح، وهو أن الدعاء سبب زيادة استحقاق الإنسان لأنه يتجه إلى الله وينور قلبه بمعرفة الله يتوب إليه من ذنوبه؛ لأن التوبة من شروط قبول الدعاء، وبذلك يتأهب أكثر لتلقى الفيض الإلهي والعناية الربانية، لأن الله قدر المزيد من لطفه وفضله لمن كان أكثر استعداداً وجدارة، بعبارة أخرى فإن لله نعم وخيرات وبركات للعباد مشروطة ببعض الشرائط، في مقدمتها التوجه إليه ودعاؤه والتقرب إليه. وبناءً على هذا فإن رحمة الله ولطفه متوقفة على الدعاء. ومن هنا يتضح الجواب على الإشكال الذي يفيد عدم انسجام الدعاء وروح الرضا والتسليم؛ لأن الدعاء تأكيد للتسليم والرضا، فالحق سبحانه أراد لعباده أن يعيشوا القرب منه بالدعاء، فإذا عاشوا القرب شملهم الله برحمته وفضله، الأمر الذي أكد الدعاء في أغلب الآيات والروايات. وزبدة الكلام فإن للدعاء آثاره التربوية الجمّة على حياة الإنسان، أدناها أنه يطهر قلبه

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٠

وروحه من الأدران ويزيل عنه صدأ الماديات ويوصله بمصدر الخير والاحسان والعطاء، كما يشكل السبيل للاستزادة من فضل الله ولطفه. ومن هنا فإن أولياء الله لا يستغنون في قضاء حوائجهم عن الدعاء، وبالدعاء يشعر العبد بالقوة، كما يشعر بالسكينة إثر التوكل على الله فيهب لمواجهة المشاكل وقلبه مفعم بالأمل في التغلب عليها، ولا غرو فهو يعلم بأنّها مدللة لإرادة الله تابعة لمشيئته وقدرته. كما تنأت الحاجة إلى الدعاء في الأسفار المخيفة المحفوفة بالمخاطر، أمّا دعاء الإمام عليه السلام حين عزمه على السير إلى صفين فقد إقتدى به بالنبي صلى الله عليه وآله ومن سبقه من الأنبياء العظام. فقد كلف نوح عليه السلام بالتضرع إلى الله حين ركب السفينة في ذلك الطوفان الهائل لينجيه الله من تلك المخاطر «فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» [٥٢٣] كما دعا موسى عليه السلام لما فرّ من أزلام فرعون حين خرج من مصر متوجهاً إلى مدين «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» [٥٢٤]. وقال حين لقي لبنات شعيب «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» [٥٢٥]. النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين هاجر من مكة إلى المدينة في ظل تلك الأخطار، كان يشعر بالتذمر لمفارقة مكة وبيت الله، وكان يتمنى الرجوع إليها فاتته البشارة «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا» [٥٢٦] وكان النبي صلى الله عليه وآله دعا الله أو كان يعيش حالة الدعاء فاستجيب له. ومن هنا حثت الروايات على الدعاء في السفر. [٥٢٧] وتختتم البحث بما ورد عن علي عليه السلام حين إنطلق من الكوفة إلى الشام، حيث وضع رجله على الركاب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما استوى على دابته قال:

«سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ \* وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» [٥٢٨]

ثم دعا بهذا الدعاء الذي فرغنا من شرحه.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣١

## إشارة

من كلام له عليه السلام  
في ذكر الكوفة

## نظرة إلى الخطبة

كلام الإمام عليه السلام يمثل نبوتين بشأن الكوفة، أو الكوفة والبصرة: الاولى الحوادث المبررة التي تعصف بالكوفة وأهلها من قبل الطواغيت الظلمة، والثانية العاقبة السيئة لأولئك الظلمة وعقابهم بما إقترفته أيديهم.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٣

«كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةَ تَمِيدِينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِي تَعْرَكِينَ بِالنَّوْازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ».

الشرح والتفسير

## نبوءة عن مستقبل الكوفة

ذكرنا أن الإمام عليه السلام خاطب بهذا الكلام الكوفة (وقيل البصرة والكوفة) فقال  
«كأنى بك يا كوفة تمدين مد الأديم [٥٣٠] العكاظي»

«عكاظ» [٥٣١] اسم سوق قرب مكة (وقال البعض بين مكة والطائف) تجتمع فيه العرب كل عام من مختلف المناطق لمدة عشرين يوماً كما صرح بذلك البعض، فكانوا يعرضون متاعهم، كما كانوا ينشدون الشعر وتتفاخر كل قبيلة على الأخرى، وبالطبع كان هناك كثيراً من المفاسد؛ الأمر الذي جعل الإسلام يردم ذلك السوق.

أما هل المراد بهذه العبارة الحوادث الأليمة التي ستقع في الكوفة، أم كبر الكوفة وإتساعها.

فقد صرح أغلب شراح نهج البلاغة بالتفسير الأول، بينما قال القليل منهم بالتفسير الثاني، ويبدو أن التفسير الثاني هو الأنسب، لأن دبع الجلد العكاظي لا يبدو منسجماً وكون العبارة كناية عن الحوادث الأليمة والمأساوية، بينما يمكنه أن يكون كناية عن إزدياد رقعة الكوفة وإتساع مساحتها. جدير بالذكر أن الجلد العكاظي واسع وجميل ومن أرغب الجلود لدى العرب، ولعل في هذا إشارة إلى جمال الكوفة وعمرانها في الأزمنة القادمة مقارنة بما عليها في

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٤

زمان الإمام عليه السلام. وذكر البعض أن العبارة إشارة إلى مستقبل الكوفة وتقسيمها إلى أجزاء متعددة، على غرار تقسيم الجلد العكاظي ودبعه وتوسيعه. ثم قال عليه السلام

«تعركين [٥٣٢] بالنوازل [٥٣٣] وتركبين بالزلزال»

وقد ورد مثل هذا المعنى في الخطبة ١٠٨ بقوله:

«تعرككم عرك الأديم»

أى يسلط عليكم بنى أمية فيسومونكم سوء العذاب. ونبوءته الثانية التي تمثلت بقوله عليه السلام:

«إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ».

ويمكن أن تكون العبارة

«ابتلاه الله بشاغل»

إشارة إلى الأمراض العضال والالام التي تشغل الظلمة وتصرفهم عن الناس، كما أن «ورماه بقاتل» الحوادث التي تهجم على الإنسان من الخارج فتقتله وتقضى عليه.

والحق أن ما تكهن به الإمام عليه السلام بشأن الكوفة قد حدث، حيث إتسعت إتساعاً كبيراً بعد الإمام عليه السلام وكانت على الدوام مركزاً للفتن والحوادث المريرة، وقد هب أغلب الجبابرة للسيطرة عليها، إلا أن الله كان يتليهم بأنواع البلاء ويدفع شرهم عنها، ولعل ذلك يعزى لكون الكوفة تشكل مركز استقطاب خلص المؤمنين من الشيعة الأوفياء لعلي بن أبي طالب عليه السلام وإن كان بينهم بعض المنافقين. ومن هنا صرحت بعض الروايات بفضل الكوفة. أما من بين الأفراد الذين هموا بالكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن أبيه. فقد ورد في بعض الروايات أن زيادا لما حصبه أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، فقطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يخرّب دورهم، ويحمر نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة، يعرضهم على البراءة من علي عليه السلام؛ وعلم أنهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استئصالهم وإخرا ببلدهم. فخرج خارج من القصر فقال:

إنصرفوا، فإن الأمير يقول لكم: إني عنكم اليوم مشغول؛ وإذا بالطاعون قد ضربه، فكان يقول: إني لأجد في النصف من جسدي حر النار حتى مات. [٥٣٤]

## رأبان في الكوفة

وردت عدة عبارات في نهج البلاغة بشأن الكوفة وأهلها، ومن ذلك الخطبة المذكورة التي

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٥

أشارت إلى المكانة المقدسة للكوفة وأنها ستشهد حوادثاً مريرة وأليمه، وأن الله حافظها من كل جبار عنيد. بينما وردت بعض الخطب التي تدم الكوفة، ومن ذلك الخطبة ٢٥ حيث خاطب الإمام عليه السلام الكوفة قائلاً

«إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله».

الروايات هي الاخرى صرحت بمدح الكوفة، فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال بشأن الكوفة

«هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا» [٥٣٥]

، كما جاء في رواية أن الإمام الصادق عليه السلام دعا للكوفة قائلاً:

«اللهم ارم من رماها وعاد من عادها»

وللجمع بين الروايات نقول إن الكوفة ذاتا مقدسة وأهلها من خلص شيعة أهل البيت عليهم السلام ممن يتحلون بالورع والتقوى، إلا أن أجواء الكوفة تلوثت بفعل سيطرة بني أمية ودس العيون والجواسيس فيها وأعان الظلمة وتسليط الفساق عليها وايداع بيت المال إلى عبدة الأهواء. فاذا مدحت الكوفة فالمراد أولئك النجباء من الشيعة، وان ذمت فلذلك الفساد الذي طالها من قبل بني أمية. ونكتفي بهذا القدر على أن نخوض في جوانب هذا الموضوع في الابحاث القادمة ذات الصلة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٧

## الخطبة [٥٣٦] الثامنة و الاربعون

إشارة

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام، قيل: إنّه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين.

### نظرة إلى الخطبة

تشتمل هذه الخطبة على قسمين: الأول وجريا على عادته في خطبه عليه السلام في الحمد والثناء والشكر للنعم الإلهية على العباد، والثاني يطلع الجيش على خطته فيمن بعثهم من المقدمة ويصف لهم المسير ليلتحقوا بهم، وتعبئة عدداً من القبائل التي كانت تسكن أطراف دجلة وتسييرهم لمقاتلة العدو، ويبدو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يذكر اتباعه في النخيلة الذين لم يكونوا كثيراً بانهم ليسوا وحدهم في صفين وأنه سيعبئ من كان في مسيرهم للقتال ليزدادوا عدداً وعدة.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٣٩

### القسم الأول: استحقاق الله للحمد والثناء

«الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ، وَلَا مُكَافِئِ الْإِفْضَالِ».

الشرح والتفسير

يعرض الإمام عليه السلام لله بالحمد والثناء في القسم الأول هذه الخطبة بعبارات جديدة عظيمة المعاني وقد أشار إلى قضايا جديدة فقال

«الحمد لله كلما وقب ٥٣٧] ليل وغسق ٥٣٨]، والحمد لله كلما لاح ٥٣٩] نجم وخفق» [٥٤٠]

فالعبرة تشير إلى نقطتين: الأولى أنّ حمدنا وثنائنا دائمى باقى مادام الليل والنهار متعاقبين دائمين، وهكذا هو مستمر إستمرار طلوع الكواكب وغروبها، النقطة الاخرى هي أنّ ظلمة الليل وطلوع الكواكب وغروبها من النعم الإلهية الكبرى فظلمة الليل تهب الإنسان الهدوء والسكينة بعد تعب النهار وعناء العمل فيه، فطبيعة الليل والظلمة تختزن الراحة والخلود إلى النوم ومن هنا كانت الليالي الظلماء الخالية من المصايح تعد أفضل الأوقات للنوم؛ الأمر الذى أشارت إليه الآية ٧٢ من سورة القصص «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٠

عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصِرُونَ» وقال «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٥٤١] وقد ورد هذا المعنى في عدة آيات قرآنية، كما دلت الأبحاث العلمية على أنّ اليقظة في الليل والنوم في النهار يشكل خطراً جدياً على صحة الإنسان، أما فائدة طلوع الكواكب وغروبها فليست بخافية على أحد وذلك لمعرفة الأوقات والاهتداء في البحار والصحارى بواسطة هذه النجوم والكواكب «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» [٥٤٢] وجاء في القرآن أيضاً «وَبِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ» [٥٤٣]. أمّا الروايات التي شبّهت أهل البيت عليهم السلام بالنجوم فواضح من أنّهم وسيلة الهداية في الظلمات والتمهات وعدم الانحراف عن الصراط المستقيم، ولعل إشارة الإمام على عليه السلام إلى ظلمة الليل وطلوع النجوم وغروبها من دون سائر النعم تهدف إلى بيان حقيقة وهي أنّ خروج أهل الشام على الإمام عليه السلام يمثل حلول عصر الظلمة التي لا يمكن النجاة منها إلّا بزوغ كوكب الولاية ثم خاض الإمام عليه السلام في نوع آخر من النعم التي تستلزم الحمد، فقال

«والحمد لله غير مفقود الانعام، ولا مكافئ الإفضال» [٥٤٤]

فالعبرة الاولى تعنى أنّ النعم الإلهية غير قابلة للاحصاء، أمّا الثانية فهي تشير إلى عجز العباد عن مكافئته هذه النعم وذلك لأنه أولاً عنى



عمن يكافئ نعمه، وثانياً: أن القدرة على شكره وحمده بحد ذاتها نعمة أخرى، لأن الشكر نعمة توجب المزيد، فقد ورد في مناجاة الشاكرين للإمام على بن الحسين عليه السلام:

«كيف لي بتحصيل الشكر؟ وشكري إياك يفتقر إلى شكر! فكلما قلت لك الحمد، وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد» [٥٤٥]. ومن هنا فإن أعظم شكرنا هو إذعاننا بالعجز عن الشكر. فقد ورد في حديث عن الصادق عليه السلام أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام ان اشكرني! فقال عليه السلام كيف أشكرك وشكري نعمة تحتاج إلى شكر. فجاءه الخطاب الآن أدت شكري. [٥٤٦].  
نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤١

## القسم الثاني: نعمة القوى لمواجهة العدو

### إشارة

«أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مَوْطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ، فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى برنامج وخطه حربيّه فقال

«أما بعد فقد بعثت مقدمتي وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط [٥٤٨] حتى يأتيهم أمرى»

فنهز الفرات يقع غرب دجلة، فيكون دجلة شرقه، وعليه فإن مقدمة جيش الكوفة تحرك من جانب الفرات إلى الشمال باتجاه الجانب الغربي للفرات، وقد أمر الإمام عليه السلام بمواصله هذا السير من قبل الجيش، بينما إتجه عليه السلام من الفرات إلى الشرق نحو المدائن لتعبئة أكبر عدد ممكن من الناس، ثم قال عليه السلام

«وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة [٥٤٩] إلى شردمة [٥٥٠] منكم موطنين أكناف [٥٥١] دجلة، فأنهضهم معكم إلى عدوكم وأجعلهم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٢

من أمداد القوة لكم».

وهكذا ورد الإمام عليه السلام شرق العراق والمدائن، وبينما كانت مقدمة جيش الإمام عليه السلام تواصل زحفها في غرب الفرات، ولما بلغهم قدوم معاوية نحوهم بجيش عظيم، عبروا الفرات واتجهوا إلى الشرق صوب الإمام عليه السلام حذراً من محاصرتهم من قبل العدو ولم يستعدوا بعد لخوض القتال، فاستحسن ذلك منهم الإمام عليه السلام فلما اكتمل الجيش سار به الإمام عليه السلام لمواجهة العدو. جدير بالذكر أن مفردة «ملطاط» من مادة ملط أو لظ هنا بمعنى شاطئ الفرات - نعم فقد دلهم الإمام عليه السلام المسير ليتقدموا من جانب شاطئ الفرات لأن الشام كانت في جهة الشمال، والفرات ينحدر من الشمال إلى الجنوب، وهكذا لا يكون الجيش في مشقة من حيث الماء والهواء وظلال الأشجار، ولا يضلون الطريق، إلى جانب سهولة الالتحاق بهم، وعليه فهذا المسير ينطوي على عدّة فوائد والتعبير بالنطفة عن ماء الفرات حسب ما قال السيد الرضى (ره) هو من غريب العبارات وعجيبها، فالمفردة على ضوء ما صرح به جمع من أرباب اللغة تعنى الماء الخالص، وقيل الماء الجارى، وكيفما كان فهي إشارة إلى عذوبة ماء الفرات وخلوه من الاملاح، وإن كان ظاهره قليل الكدورة.

قال السيد الرضى (ره): يعنى عليه السلام بالملطاط ها هنا السمت الذى أمرهم بلزومه، وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض، ويعنى بالنطفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها.

أخبار على عليه السلام في جيشه وهو في طريقه إلى صفين

ذكر بعض شراح نهج البلاغة في ذيل هذه الخطبة بعض القضايا التاريخية التي نشير إليها هنا:

#### ١- في قصر كسرى

سار عليه السلام حتى انتهى إلى المدائن وقصر كسرى وإذ رجل من أصحابه أشد:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد!

فقال له عليه السلام: ألا قلت:

«كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» [٥٥٢]

#### ٢- في الأنبار

مرّ عليه السلام بالأنبار (أحد المدن الغربية في العراق) فتقدم دهاقنتها إليه فلما استقبلوه، نزلوا عن خيولهم، ثم جاءوا يشترّدون معه، وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه، فقال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء؛ وأما هذه البراذين فهديّة لك، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً، وهيتاناً لدوابكم علفاً كثيراً.

فقال عليه السلام: أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء فوالله ما ينفع ذلك الأمراء؛ وإنكم لتشققون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له. وأما دوابكم هذه؛ فإن أحببتهم أن أخذها منكم، وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم. وأما طعامكم الذي صنعتم لنا؛ فإننا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بثمن.

#### ٣- قرب الدير

علّي عليه السلام في مسيره إلى الشام؛ حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس احتاجوا إلى الماء، فانطلق بنا علّي عليه السلام حتى أتى بنا إلى صخرة صخرية في الأرض؛ كأنها رُبضة عترة؛ فأمرنا فاقبلناها، فخرج لنا من تحتها ماء، فشرب الناس منه، وارتووا. ثم أمرنا فكفأناها عليه. وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً، قال عليه السلام: أمّنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فانطلقوا إليه، فانطلق منّا رجالاً ركبناً ومشاء، فاقطعنا الطريق إليه؛ حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه، فطلبناه، فلم نقدر على شيء، حتى إذا عيّل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا، فسألناهم:

أين هذا الماء الذي عندكم؟ قالوا: ليس قريبتنا ماء، فقلنا: بلى إننا شربنا منه، قالوا: أنتم شربتم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٤

منه! قلنا: نعم، فقال صاحب الدير: والله ما بيّني هذا الدير إلا بذلك الماء، وما استخراج الدير أو وصي نبي.

قال العلامة المجلسي فما كان من الراهب إلا أن أتى الإمام عليه السلام وأعلن إسلامه ولازم الإمام عليه السلام حتى إستشهد ليلة الهرير فصلى الإمام عليه السلام عليه وأنزله القبر وقال: والله إنى لأرى موضعه في الجنة.

#### ٤- في الرقة

ثم سار حتى أتى الرقة - وجل أهلها عثمانية، فزوا من الكوفة إلى معاوية - فأغلقوا أبوابها دونه، وتحصنوا، وكان أميرهم سماك بن مخرقه الأسدي في طاعته معاوية، وقد كان فارق علياً عليه السلام في نحو من مائة رجل من بني أسد، ثم كاتب معاوية، وأقام بالرقة حتى لحق به سبعائة رجل.

قال نصر: فروى حبة أن علياً عليه السلام لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلّي عليه السلام: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. الذين قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب: أنه باع في الأميين رسولاً منهم؛ يعلمهم الكتاب والحكمة،

ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ؛ ولا صيخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفوا ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر، وفي كل صيغ عود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، والتسبيح؛ وينصره الله على من ناوأه؛ فإذا توفاه الله، اختلف أمته من بعده؛ ثم اجتمعت، فلبث ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق ولا يركس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الرياح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الضمان. يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم؛ فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٥

ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أفرقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى عليه السلام، ثم قال:

الحمد لله الذى لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار.

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين ويتعشى، حتى أصيب يوم صفيح؛ فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام: اطلبوه، فلما وجده صلى عليه ودفنه. وقال: هذا من أهل البيت، واستغفر له مراراً. [٥٥٣]

### نزول على بكرلاء

فلما نزل بكرلاء صلى بنا، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: واها لك يا تربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. ثم قال

«هيها موضع رحالهم ومناخ ركابهم ثم أوما بيده إلى مكان آخر وقال: هيها مراق دماثهم».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٧

### الخطبة [٥٥٤] التاسعة والاربعون

#### إشارة

ومن كلام له عليه السلام

وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي

#### نظرة إلى الخطبة

تدور الخطبة حول صفات الربوبية والعلم الإلهي - كما ورد سابقاً - وتتضمن إشارات عميقة المعاني إلى جوانب من صفات الجلال والجمال وتنزيه الذات الإلهية المقدسة من مزاعم الملحدين والمشبهة التي تشبه الله بالمخلوقات

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٤٩

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ حَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أُثْبِتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ فَلَا.

استغلاؤه بأعده عن شئ من خلقه، ولا قزبه ساواهم في المكان به. لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً»

الشرح والتفسير

## المنزه عن الظن والخيال

ذكرنا سابقاً أن الخطبة وارده في صفات الجلال والجمال، حيث أشارت إلى عدد من أسماء الله الحسنی بعبارات قصيرة بعيدة المعنى، فقد استهل الخطبة بذكر خمس صفات من صفاته التي توضح كل واحدة منها الاخرى فقال «الحمد لله الذي بطن [٥٥٥] خفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور»

وليس للعين من سبيل إلى رؤيته

«وامتتع على عين البصير»

ومن هنا

«فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من أثبتته يبصره»

. وقد أورد شراح نهج البلاغة عدّة تفسيرات لقوله عليه السلام

«الذي بطن خفيات الامور»

فقال البعض: بطن هنا بمعنى علم، وقيل بطن هنا بمعنى الخفاء؛ أي الله الذي خفيت به الأسرار، إلّا أنّ التفسير الذي ذكرناه أنسب وهو أن

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٠

بطن بمعنى الخفاء ومفهوم العبارة أنّ الله مخفى في الأسرار، وعبارة أخرى فإنّ ذاته أعظم خفاءً من الخفاء، وزبدة الكلام فان مفهوم العبارة ما أنشده الفيلسوف في شعره:

وجوده من أظهر الاشياء وكنهه في غاية الخفاء

أمّا العبارة

«دلت عليه اعلام الظهور»

فتعنى أنّ آياته ظاهرة جلية في كل مكان، في السموات والنجوم والمجرات والمنظومات وفي الأرض في الصحارى والبحارى والجبال والأنهار وعلى جبين كافة الكائنات الحية في أوراق الأشجار والبراعم والثمار وفي باطن الذرات والجزئيات. وبالطبع كلما تقدم العلم وكشفت الأسرار ازدادت الأدلة والآيات على قدرة الذات الإلهية وعلمها المطلق. والعبارة الثالثة

«وامتتع على عين البصير»

تفيد تعذر رؤية جماله سبحانه على أحد العيون، وذلك لأنّ المشاهدة الحسية إنّما تختص بالجسم والجسمانيات ذات الجهة والمكان، بينما ذاته المطلقة ليست بجسم ولا جسمانية وليس لها من جهة أو مكان، بل هي مطلقة منزّهة عن كل هذه العوارض والنقائص «لا تُدرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الْخَبِيرُ» [٥٥٦]. ولما سأل موسى عليه السلام من جانب بنى إسرائيل ربّه «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» الشهود الحسى، خوطب «لَنْ تَرَانِي» [٥٥٧] ثم شاهد موسى عليه السلام قبسات من تجليات الله التي دكت الجبل فصعق موسى ومن معه فلما أفاق قال «سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ» والعبارة

«فلا عين من لم يره ...»

نتيجة طبيعته تشير إلى أنّ العاقل لا يسعه إنكار الذات الإلهية المقدسة بفعل وجود هذه الأدلة والآيات، رغم تعذر المشاهدة الحسية، أما المؤمنون بالله فلا ينبغي لهم أن يعتقدوا بمشاهدته حتى قلبياً، وبالطبع يمكن رؤيته قلباً كما ورد عنه عليه السلام

«لا تدرکه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدرکه القلوب بحقائق الإيمان» [٥٥٨]

، غير أنّ هذه المشاهدة تتعلق بالأسماء والصفات لا مشاهدة كنه الذات، وهنا يصدق حتى أولياء الله فضلاً عن عامة المخلوقات

«ما عرفناك حق معرفتك»

ثم قال عليه السلام:

«سبق في العلو فلا شيء أعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه»

ثم يخلص على عليه السلام

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥١

إلى هذه النتيجة

«فلا استعلاؤه [٥٥٩] باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به»

لعله يتصور بأن هذه الصفات تناقض مع بعضها فكيف يكون الشيء بعيداً عالياً وفي نفس الوقت قريباً ملازماً؟ كيف يكون بعيداً في القرب وقريباً في البعد؟ نعم إذا كان المقياس هو المخلوقات التي من حولنا فهناك تناقض، غير أن الالتفات إلى هذه النقطة يزيل مثل هذا التناقض ويرشد إلى معرفة صفات الله، وهي أن وجوده سبحانه لا منتهى وغنى ومطلق من جميع الجهات، وهو الوجود الذي لا يشوبه أية محدودية من حيث الزمان والمكان والعلم والقدرة، بل هو فوق الزمان والمكان فهو في كل مكان وكل زمان وفي نفس الوقت ليس له مكان ولا زمان. ومثل هذا الوجود قريب من جميع الأشياء وهو بعيد عنها جميعاً لأنه لا يشبهها، هو أظهر من كل شيء، لأن كل شيء متقوم بوجوده، وهو ابطن من كل شيء لأنه لا يشبه المخلوقات والكائنات التي نعرفها ونألفها. وبناء على هذا فالمراد بالعلو في العبارة المذكورة فوقيته للوجود وعلوه عليه لا- علوه في المكان، والمراد بالقرب قربه في الاحاطة الوجودية لا القرب في المكان. وهنا لا بد من الاذعان إلى أن فهم وإدراك هذه الصفات ليس سهلاً علينا بفعل تعاملنا مع صفات الممكنات؛ إلا أنه يمكن تقريبها إلى الأذهان من خلال التأمل والاستعانة ببعض الأمثلة وإن كانت ناقصة قاصرة. على سبيل المثال للرد على السؤال الذي يقول كيف يكون له وجود في كل مكان وزمان ولا يحويه مكان وزمان، يمكننا أن نستعين ببعض الأمثلة الناقصة من قبيل بعض المعادلات والقوانين الرياضية، فكلنا نعلم بأن  $(2 + \frac{4}{2})$  فهي صادقة في كل زمان ومكان في السماء والأرض، وفي نفس الوقت ليس لها من زمان أو مكان. فقولنا عليه السلام:

«فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به»

نتيجة واضحة لتلك الحقيقة المذكورة، فقد قال بعض شراح نهج البلاغة بعد أن استعانوا بمثال ناقص إلا أنه مناسب، في أن أمواج الضوء تنعكس على الزجاج وتنفذ إلى داخله فتضيئها، وهي في نفس الوقت أقرب إليها من كل شيء، وهي ليست مثلها، بل هي وجود لطيف وأعلى وأرفع، ولعل هذا المعنى هو المراد بالآية «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...» [٥٦٠] ثم

نقعات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٢

أشار عليه السلام إلى صفة أخرى

«لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته»

فكنه ذاته ليس واضح لأحد ولا- حقيقة صفاته، لأن ذاته وصفاته لا- متناهية، فأنى لعقل الإنسان المتناهي والمحدود أن يحيط باللامتناهي واللامحدود مع ذلك فإن آثاره الوجودية التي تجلت في كافة الوجودات جعلت الإنسان يلم على سبيل الإجمال بذاته وصفاته وإليك هذا المثال الناقص: كلنا نعلم بوجود الروح، وأن الزمان حقيقة واقعة، إلا أن إدراك حقيقة الروح والزمان ليس بالامر إلهين. وكلنا نعرف الفارق بين الكائن الحي والميت، ولكن ما كنه حقيقة الحياة؟ يبدو فهم ذلك صعباً، بعبارة أخرى لنا علم إجمالي بهذه الامور لاتفصيلي [٥٦١] ثم قال عليه السلام

«فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود» [٥٦٢]

الواقع أن جاحدى الله إنما يجحدوه لساناً بينما يقرون به قلباً «وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَيَّحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنْتَ يُؤْفَكُونَ\* ... وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْقُلُونَ» [٥٦٣]. كيف يمكن إنكار وجود الله وكل شى يهتف باسمه ويتقوم بوجوده. ثم إختتم عليه السلام كلامه بالقول «تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً»  
 والمشبهه على نوعين: من يشبه الله بعباده فيرى له جسماً ويداً ورجلاً، والآخر من يشبه الآخرين به فيرى له شريكاً وشيهاً فيعبده ويسجد له بدلاً من الله. وقد ذهب بعض الشراح إلى المعنى الأول هو المراد من العبارة، فى حين ذهب البعض الآخر إلى المعنى الثانى، ويبدو المعنى الثانى أصح إستناداً لقوله «المشبهون به»

وان كانت الطائفتان على خطأ، لأنه لايشتمل على صفات المخلوقين بحيث تتخلل الحوادث ذاته المقدسة، ولا يمكن لمخلوق أن يشمل مكانه لأنه لا يتحلى بأى من صفاته.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٣

### وجوده ظاهر وكنه ذاته خفى

لقد تضمنت الخطبة بعض الاشارات إلى عدّة جوانب فى مجال أسماء الله وصفاته: الاولى خفاء وكنه ذات الله فى نفس ظهور وجوده فى جميع عالم الوجود بحيث لا يستطيع أحد أن ينكر وجوده، بينما لا يستطيع أيضاً الاحاطة بكنه ذاته المطهرة. وهذا فى الواقع أحد الآثار اللامتناهيّة لوجوده المطلق، حيث كلما خطونا خطوة نحو معرفة ذاته تقهقرنا خطوات عن درك كنه هذه الذات، وكلما حلقتنا فى سماء معرفة صفاته إحترقت أجنحتنا وسقطنا فى عالم الجهل وعلى قول ابن أبى الحديد فى شعره:

فيك يا اعجوبة الكون غدا الفكر كليلا

أنت حيرت ذوى اللب وبلبلت العقولا

كلما قدم فكرى فيك شبراً فر ميلا

ناكصاً يخبط فى عمياء لا يهدى سيلا [٥٦٤]

وبالمقابل فإن آثاره قد تجلت فى كافة دقائق عالم الوجود، بحيث لا يسع من يلمس هذه الآثار أينما حلّ إلا أن يمزج مع نفسه بدعاء الإمام الحسين عليه السلام فى عرفه

«متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك، أو يكون لغيرك من الوجود ما ليس لك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفة عبد لم تجعل لها من حبك نصيباً».

والثانية الحديث عن قرب الله وبعده إلى جانب قربه وبعده منا، وأنه أبعد ما يكون عنا فى غاية قربه، وأقرب ما يكون فى غاية بعده، وهذا الأمر هو الآخر من آثار ذاته المطلقة اللامتناهيّة، وذلك لأن مثل هذه الذات فى كل مكان ولا يخلو منها مكان، وإلا كانت محدودة.

والثالثة نفى صفات المخلوقات والشبه عن ذاته المقدسة، وهذا أيضاً من آثار الذات اللامتناهيّة، لأن جميع المخلوقات محدودة ناقصة، وجودها متناهى وصفاتها مشوبة بالنقص والعدم، فاذا شبهناه بأحد مخلوقاته وقلنا بالشريك والشبيه وتصورنا له صفات المخلوقين نكون قد أخرجناه من حالة اللاتناهى وكونه واجب الوجود وجعلناه فى عداد الممكنات المحدودة وستعرض إلى هذه الامور فى الخطب القادمة إن شاء الله.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٥

## الخطبة [٥٦٥] الخمسون

## إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن

## نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى أهم عوامل فساد المجتمعات البشرية ولاسيما الانحراف الذي عصفت بالمجتمع الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم بين عليه السلام كيف تخلط الشياطين الحق بالباطل وتزينه للإنسان. فلو طرح الحق كما هو لاغلقت طرق نفوذ الشياطين، كما لو عرض الباطل على هيئته لما قبله أحد، ومن هنا فان الشياطين تخلط الحق بالباطل لاغواء الناس وإضلالهم. نعم فهؤلاء يدسون السم المهلك في كل طعام لذيد ليحثوا المغتلبين على تناوله. فهم يخفون الباطل في الحق دائما ليضلوا الناس عن طريق ذلك.

## ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٧

«إِنَّمَا يَدُءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُؤْتَدِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَارِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤَخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيُمَزَجَانِ فَهَنَالِكَ يَسْتَوِلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو «الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى».

## الشرح والتفسير

هناك كلام بين المفسرين والشرّاح بشأن زمان الخطبة والظروف التي رافقتها، فيرى البعض أنّه خطبها بعد ستّة أيام من خلافته، بينما يرى البعض الآخر أنّه خطبها بعد التحكيم، وبالطبع فإنّ الخطبة تنسجم والاحتمالين؛ أي أن تكون الخطبة في بدايه الخلافه أو بعد التحكيم. فقد إستهل الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى سبب ظهور الفتن في المجتمعات الإسلامية التي تشمل ما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض الحوادث كالجمل وصفين والنهروان فقال:

«إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ [٥٦٦] يخالف فيها كتاب الله».

نعم أساس الفتن أمرين: اتباع أهواء النفس والاحكام الموضوعه المخالفه لكتاب الله والسنة، فمما لا شك فيه أنّ الفتن ستقبر لو كانت التعاليم الإسلامية والاحكام القرآنيه هي السائدة وحفظت هذه القوانين والاحكام ومنعت البدع وابتعدت عن الأهواء في إجراء الأحكام الشرعية؛ وذلك لأنّ هذه القوانين تهدف بسط العدل والقسط وتضمن حقوق الناس وتعين وظائفهم. فالفتنة تفرزها

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٨

الأهواء وتحريف القوانين لصالح الأطماع الشخصية وغياب العدل وتضييع الوظائف والاقبال على البدع. فاصحاب الفتن يلجأون تارة إلى التحريف والتفسير الخاطي لاشباع أهوائهم ورجباتهم، وإذا تطلب الأمر وضع بعض الاحكام الجديدة، أقبلوا على البدع، صحيح أنّ تلك البدع تفرزها الأهواء، إلّا أنّ الأهواء والرجبات الشيطانية قد تتبلور أحيانا كتنفسير وإجراء للأحكام الشرعية واخرى كبدع واحكام موضوعه، ومن هنا فصلًا عن بعضها في كلام الإمام عليه السلام. على سبيل المثال يمكن الاشارة هنا إلى فتنة بنى أمية التي تعد من أكبر الفتن التي شهدها الإسلام فقد إستولى معاوية بواسطة المكر والخداع على الحكومه ثم ابتدع توريثها في ولده، وادعى أنّ زياد ابن أبي سفيان وأخذ البيعة ليزيد في حياته، وسن سب أمير المؤمنين على عليه السلام من على المنابر ثم اتهمه بقتل عثمان وطالب

بدمه. [٥٦٧] ثم قال عليه السلام

«ويتولى [٥٦٨] عليها رجال رجالاً على غير دين الله»

ثم أشار في العبارة اللاحقة إلى وسائل هذا العمل، التي استغلت من قبل الجناء والطواغيت طيلة التاريخ حتى أصبحت سنة، وهي أنهم يمزجون الحق بالباطل من أجل تحقيق أطماعهم وأغراضهم

«فلو أن الباطل خالص من مزاج الحق لم يحف على المرتادين [٥٦٩]، ولو أن الحق خالص من لبس الباطل إنقطعت عنه السن المعاندين»

فما أروع هذه العبارة، لو خالص الباطل من مزاج الحق لما كان هناك من يتبعه، ولو خالص الحق من لبس الباطل لخرست ألسن المتخرصين، ولذلك فمن البديهي ألا يحل الحق الخالص مشاكل عبدة الأهواء، لأن منافعهم كامنة في الباطل، ولا الباطل الخالص يحقق لهم أغراضهم، لأن الناس لا يقفون إلى جانبهم، وهنا يتجهون صوب خلط الحق بالباطل؛ الأمر الذي يجسد كافة السياسات المخربة في العالم. ثم قال الإمام عليه السلام بهذا الشأن

«ولكن يؤخذ من هذا ضعف [٥٧٠] و من هذا ضعف فيمزجان فهناك يستولى الشيطان على أوليائه، وينجو «الَّذِينَ سَبَقَتْ

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٥٩

لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى . فالعبارة تفيد أن خلط الحق والباطل لا يمنع من معرفة الباطل وان تطلب ذلك قدرا من البحث والتحري والرجوع إلى الآخرين، ومن هنا قال الإمام عليه السلام بأن خلط الحق بالباطل لا يؤثر في أولياء الله، بينما يؤثر على أولياء الشيطان فيقودهم إلى الغواية والظلال.

فالواقع هو أن مزج الحق بالباطل بمثابة الضوء الأخضر لعبدة الأهواء وذريعة لاتباع الشيطان لخداع أنفسهم فيستدلوا على الآخرين بأننا سلكنا هذا لطريق لأننا إعتدنا الدليل الفلاني (الذي يمثل الحق الممزوج بالباطل). نعم يمكن أن يقع بعض المستضعفين الفكريين والسذج جهلاً في حبال الشيطان، والحال لو كان لهم زعيم ومرشد لما شهدوا مثل هذا المصير وعليه فالامة إزاء مزج الحق بالباطل على ثلاثة طوائف:

الطائفة الاولى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى [٥٧١] وبعبارة اخرى المخلصون من اتباع الحق ينجون بلطف الله من هذه الفتنة. الطائفة الثانية عبدة الأهواء أتباع الحجج والذرائع الذين يقتحمون الباطل بذريعة الحق فيتجهون عن شبه علم إلى حبال الشيطان. الطائفة الثالثة السذج من الأفراد الذين يتعذر عليهم تمييز الحق من الباطل في ظل هذا المزج الخطير فيسقطون جهلاً في مصائد الشيطان، إلا أن يركنوا إلى زعيم عالم. وقد ورد مثل هذا المعنى في الخطبة ٣٨ حين عرض الإمام عليه السلام للشبهة وسبيل النجاة منها فقال عليه السلام

«وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق، فأما أولياء الله فضاؤهم فيها اليقين، ودليلهم سمت الهدى وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال...».

## تأملات

### ١- أساس الفتن

إن التاريخ الإسلامي ولا سيما إبان القرن الأول والثاني ملي بالفتن الغريبة والأليمة التي كادت تقضى على جهود النبي صلى الله عليه و آله وصحبه الميامين، ولو لا تلك الفتن التي عصفت بالإسلام لما

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٠



كنا نعيش مثل هذا العالم، والأنكى من ذلك الفتن التي وقعت بعد خمس وعشرين سنة من رحيل النبي صلى الله عليه وآله حين وصلت الخلافة عام ٣٥ هـ فاستهدفت تلك الفتن إعادة الإسلام إلى الجاهلية؛ أما السنوات الأخيرة لخلافة عثمان فقد شهدت غياب جميع القيم والمثل الإسلامية، في حين تجددت سنن الجاهلية وأعرافها المقيتة وانبرت طلائع الشرك والنفاق للتسلم مواقعاً حساسة في الحكومة؛ الأمر الذي كان يعقد وظيفة الإمام عليه السلام. صحيح أن الإمام عليه السلام تمكن بجهاده المرير أن يحيى القيم والمثل الإسلامية، ولكن المؤسف أن الفتن لم تسكن حتى أدت في خاتمة المطاف إلى قتل الإمام عليه السلام في محرابه من قبل تلك الطغمة الضالة. ثم إتسع حجم هذه الفتن على عهد معاوية ويزيد وسائر الشجرة الأموية الخبيثة، فقد سفكت الدماء، واستفحلت البدع، وسادت الأهواء، لتبلغ ذروتها على عهد بنى العباس حتى مثل الإسلام وجفت عروقه.

فلو نظرنا إلى هذه الفتن لوقفنا على عمق خطبة الإمام عليه السلام التي حصرت أساس الفتن في أمرين إتباع الهوى والبدع في دين الله؛ الأمران الذان يشاهدان في كل مكان، فقد تمسكت طائفة من أصحاب الفتن بالأمر الأول بينما لاذت طائفة أخرى بالأمر الثاني. ولا نرى البحث يسع الخوض في هذه التفاصيل ونوكلها إلى مكان آخر.

## ٢- السياسات الشيطانية

من عجائب الدهر أن مبادئ السياسة الاستبدادية تقريباً متكافئة طيلة التاريخ. فقد إعتد فرعون قبل ألف سنة - على ضوء المنطق القرآني - سياسة فرق تسد «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» [٥٧٢] وما زال هذا المبدأ باق على قوته في كافة نقاط العالم الاستكباري، فالحكومات تلجأ إلى أقدر الوسائل من أجل تفرقة الصفوف. ولما كانت السياسة الشيطانية آخذة في التعقيد في عصرنا الراهن أكثر من سائر العصور، فقد تعقد تبعاً لذلك مزج الحق بالباطل، حيث يمزج بعض الساسة الحق بالباطل بالشكل الذي يصعب تمييزه على الناس، وأدنى ذلك خداع الرأي العام ببعض العناوين كحقوق الإنسان والرفق

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦١

بالحيوان ويوم العامل وأطباء بلا حدود ومنظمة العفو الدولية وتأسيس المراكز الخيرية وإعانة المحرومين ومنح حق اللجوء السياسي لعدد من النازحين، فهم يتحدثون عنها بالشكل الذي قد يسيل له لعاب حتى بعض اليقظين والواعين. وناهيك عن كل ما سبق فالحكومات الاستكبارية تشدق بالديمقراطية وضرورة الرجوع إلى آراء الشعب فاذا تم ذلك وجرت الامور خلافاً لمصالحها اللامشروعة عمدت إلى الانقلاب أو إثارة الفتن؛ الأمر الذي لمسنه بوضوح في التجربة الجزائرية، فابقوا على تلك الحكومة التي فشلت في تلك التجربة لأنها تضمن مصالحها. بينما تغض النظر عن الحكومات التي تعيش عقلياً القرون الوسطى وتمد لها يد العون والمساعدة لأنها تحفظ مصالحها.

نعم هذه هي حقيقة عالم السياسة والتي يتضح منها عمق كلام الإمام عليه السلام في هذه الخطبة في أن أصحاب الفتن إنما يمزجون الحق بالباطل لخداع عوام الناس.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٣

## الخطبة [٥٧٣] الحادية والخمسون

إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين ومنعواهم الماء.

## نظرة إلى الخطبة

روى ابن أبي الحديد في إطار شرحه لهذه الخطبة أن نصر بن مزاحم قال: كان أبو الأعور السلمى على مقدمة جيش معاوية، وكان قد ناوش مقدمة جيش على عليه السلام وعليها الأشر النخعي مناوشة ليست بالعظيمة، فانصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين - موضع في الشام - إلى جانب صفين، فحال جيشه بين ماء الفرات وأهل العراق. فلما بلغ أمير المؤمنين على عليه السلام الخبر دعا صعصعة بن صوحان فقال: إئت معاوية وقل له: إنا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا كره لقتالكم قبل الإعدار إليكم، وإنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالحرب ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك؛ فحل بين الماء والناس حتى ننظر فيما بيننا وبينكم؛ وفيما قدمنا له وقدمتم له؛ وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له، وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فمضى صعصعة بالرسالة إلى معاوية، فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فأشار عليه بعض أصحابه بمنعهم الماء، غير أن عمرو بن العاص أشار عليه قائلاً: خل بين القوم وبين

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٤

الماء فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان. بينما كان معاوية يرجح الرأي القائل بمنع جيش الإمام على عليه السلام من الماء. فمكث أصحاب الإمام عليه السلام بغير ماء فاغتم عليه السلام فألقى هذه الخطبة التي تفيض عذوبةً وفصاحةً وبلاغةً، شاحداً هم أصحابه فكشفوا أصحاب معاوية عن الماء.

جدير بالذكر أن القسم الأول من هذه الخطبة يشير إلى هذه الحقيقة وهي أن الإنسان إذا لم يقدم بكل شجاعة لأخذ حقه لم يكن أمامه سوى النذل والاستسلام للظلم والجور. أمّا القسم الثاني من الخطبة فيصور خداع معاوية ومكره في تأليب الجهال وزجهم في المعركة بما يجعلهم يستمتتون من أجل الباطل!!

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٥

«قَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَيَّ مَدْلَةً وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوْوَا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَزَوُّوْا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَيِّتِ».

الشرح والتفسير

## أقربوا هذه الفتنة الخبيثة

أشرنا سابقاً إلى أن الإمام على عليه السلام ألقى هذه الخطبة في ظل تلك الظروف العصيبة التي ألمت بصحبه. وقد إختار الإمام - الذي يمثل مصدر البلاغة والفصاحة - هذه العبارات الحماسية من أجل تحقيق الهدف المنشود والذي جعل أصحابه يهبون مسرعين لطردها عن الشام ومردتها عن شريعة الفرات.

نعم ما زالت هذه العبارات - ورغم تقادم الزمان عليها - تفرع أسماع الجميع وتلهمهم الصمود والتصدي للأعداء إذا ما شكلوا خطراً على عزتهم وشرفهم. فقد استهل الإمام على عليه السلام خطبته بالقول:

«قد استطعموكم القتال»

. وهي كلمة مجازية تعني: طلبوا القتال منكم، وهي تستعمل حيث يطلب أحدهم الطعام من آخر، وكأن الحرب والقتال طعام يطلبونه من أصحاب الإمام على السلام. وما أشبه هذا الكلام بما تناقله ألسنة عوام الناس في حياتهم اليومية من قبيل تعبيرهم «هذا الفرد يحكه

جلده» في إشارة واضحة إلى أنه يأتي بالأفعال التي ستؤدي إلى ضربه. والحق أن هذا أبلغ تعبير أوردته الإمام عليه السلام بشأن منع أهل الشام للماء عن أصحابه عليه السلام. ثم يواصل الإمام عليه السلام خطبته بأن ليس أمامكم سوى سبيلين لا ثالث لهما تجاه نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٦

خسة هذا العمل الذي ارتكبه أهل الشام؛ فإما السلّة وإما الذلّة

«فأقروا على مذلة وتأخير محلة» [٥٧٤] أو رروا [٥٧٥] السيوف من الدماء ترووا من الماء».

أجل لم يكن لهم من سبيل ثالث، فلو وهنوا أمام العدو وغلب عليهم العطش بحيث أمات رهطاً من جندهم لكان ذلك وصمة عار في جبينهم ولفقدوا مكانتهم ومنزلتهم لدى العدو والصدق، إلا أنهم حين نهضوا بالأمر وحملوا على العدو قد حظوا بمكانتهم ومنزلتهم لدى العدو والصدق، كما كشفوا عن مروءتهم وعظمة خلقهم حين لبوا طلب مولاهم بالبقاء على شريعة الماء مفتوحة بوجه جيش الشام؛ الأمر الذي جعل جيش معاوية يشعر بخسة عمله، وهذا ما أدى بدوره إلى ارتفاع معنويات أصحاب الإمام على عليه السلام وضعف روحية جيش الشام في معركة صفين ولا سيما في أوائل تلك المعركة حين شهدت هذه الواقعة.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى مفهوم كلي ودائمي على أنه السر في انتصار وعزة ورفع كل أمّة، فيخاطب جنده قائلاً: «الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين».

نعم ليس هناك من قيمة لهذه الحياة المادية في قاموس الأفراد الصالحين، كما لا يعتبر الموت مناهضاً لهذه القيمة، بل القيمة في نظر الأحرار إنما تكمن في الحياة التي تسودها العزة والكرامة، ولذلك تراهم يؤثرون الموت مع العزة على الحياة مع الذلّة، وهذا هو السر في انتصار الفئة الإسلامية القليلة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وما تلاه من عصور - على الفئة الضالة الكثيرة العدد والعدة. أجل فالعزة في المجتمع الإسلامي مقدمه على كل ما سواها؛ ولا يتوانى مثل هذا المجتمع في التضحية بالغالي والنفيس من أجل تحقيقها. وهذا المعنى قد تجلّى بأروع صورة في كلمات شبلى على عليه السلام الإمام الحسين عليه السلام في حادثة كربلاء الدموية، فقد كان عليه السلام لا ينفك ينادي:

«لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد» [٥٧٦]

. ثم رد على الحر بن يزيد الرياحي - بعد أن جعجع بالحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء وسقاهم الحسين عليه السلام بعظمته المعروفة الماء

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٧

ورشف خيولهم - حين نصحه بعدم مقاتلة يزيد حفظاً لنفسه قائلاً: أقبال الموت تخوفني. ثم تمثل عليه السلام بالشعر الذي أنشده شاعر الأوس حين حذره ابن عمه من نصره النبي صلى الله عليه وآله فقال:

سأمضى فما بالموت عار على الفتى إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشوراً وباعد مجرماً  
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً [٥٧٧]

ولا غرو فهذا هو المعنى الذي أكدته القرآن الكريم «قُلْ هَلْ تَرَبُّونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ تَرَبُّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ» [٥٧٨].

ثم يشير أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته إلى مكر معاوية وسداجة أهل الشام. الذين انطلقت عليه الأعيب معاوية وحيله فقال عليه السلام:

«ألا وإن معاوية قاد لمه من الغواة وعمس عليهم الخبر، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية» [٥٧٩].

فالإمام عليه السلام يصور في هذه العبارات حكومة معاوية التي تستند إلى الحيلة والمكر والخداع واستغلال السذج من الناس، إلى جانب تصويره إلى أهل الشام الذين بلغوا حداً من الضلال والغواية ما جعلهم يضحون بأنفسهم باطلاً من أجل تحقيق مآرب معاوية وأهدافه المشؤومة.

ولعل العبارة الواردة في الخطبة تمثل إجابة على السؤال الذي قد يتبادر إلى أذهان أصحاب الإمام عليه السلام عن علّة دفاع أهل الشام عن مطامع معاوية إلى حد الاستماتة. فالإمام عليه السلام يكشف النقاب عن هذه الحقيقة وهي أن مكر معاوية في تزوير الواقع من جانب وجهل أهل الشام وغفلتهم من جانب آخر قد جعلتهم يظنون بأنهم يقاتلون في سبيل الله ونيل الشهادة. نعم لقد كان للدعاية الواسعة والأساليب النفسية التي إعتدتها معاوية وعمرو بن العاص بالغ الأثر في صفوف أهل الشام إلى درجة أن البعض منهم أيقن بأن عثمان قد قتل مظلوماً وإن قاتله هو الإمام على عليه السلام.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٨

وقد نهض معاوية للطلب بدمه إلى جانب الدفاع عن القرآن والإسلام وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه فليس القتل في هذا السبيل سوى الجنة والشهادة التي يتعطش إليها كل مسلم غيور! طبعاً حبل الكذب والخداع مهما طال قصير ولا يمكن للشمس أن تحجبها الغربان وسرعان ما تتضح الحقائق، غير أن ذلك لا يكون إلا بعد انجلاء الغبرة وإزهاق الأرواح ولات حين مناص.

## تأملات

### ١- ضرورة العيش في ظل العزة والكرامة

تتميز المدرسة الإسلامية عن سائر المدارس والمذاهب بمبادئها وركائزها الحيوية الأصيلة، ومنها المبدأ الذي ورد في الخطبة المذكورة والذي يكمن في ترجيح الموت الشريف على الحياة الوضيعة، وبعبارة أخرى ففي الوقت الذي تحذر فيه المدرسة الإسلامية عن ممارسة الظلم والجور فإنها تؤكد على عدم الركون إلى الظلمة والاستسلام للطواغيت، وقد تجسد هذا المعنى في رجالات الإسلام الذين استحقوا بحق لقب «أبائ الضيم» [٥٨٠]. والواقع أن القرآن هو الذي أكد هذا المبدأ «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» [٥٨١]. وكذلك تظافت روايات أهل البيت عليهم السلام بهذا الأمر، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا إِذْلالَ نَفْسِهِ» [٥٨٢]. وقال الإمام الحسين عليه السلام:

«موت في عز خير من حياة في ذل» [٥٨٣]

، كما قال عليه السلام:

«ألا وإن الدعى ابن الدعى قد تركنى بين السلة والذلة وهيئات له ذلك، هيئات منى الذلة أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون و حدود طهرت وحجور طابت أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» [٥٨٤].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٦٩

وأورد ابن أبى الحديد في شرحه لنهج البلاغة:

«سيد أهل الآباء الذى علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنيا أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل».

ثم تطرق إلى كلماته الحماسية فى يوم عاشوراء

«ألا وإن الدعى ابن الدعى ...»

وأنها على غرار ما أورده أمير المؤمنين على عليه السلام في خطبته المعروفة - ٣٤ -

«إنَّ امرءَ يمكنُ عدوه من نفسه، يعرق لحمه، ويفرى جلده، ويهشم عظمه، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه صدره، فأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرباً بالمشرفية...»

قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: عضضت بالجدل؛ إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقى أنفسها على الموت؛ لا- تقبل الأمان، ولا- ترغب في المال، ولا- يحول حائل بينها وبين الورد على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك؛ فلو كففنا عنها رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذافيرها؛ فما كنا فاعلين لا أم لك [٥٨٥]!

## ٢- غسل أدمغة المغفلين

النقطة المهمة الأخرى التي تضمنتها خطبة أمير المؤمنين عليه السلام، أن أئمة الباطل قد ينمقون كلامهم بالمكر والخداع بما يجعلهم ينفذون إلى أعماق أفكار السذج من الناس، وكأنهم يسوقونهم إلى الشهادة، حيث يقبلون على القتال بكل شدة وصرامة، في حين لا يزيدهم ذلك القتال سوى الطر من الرحمة والتغلغل في الدرك الأسفل من النار، وهذه طامة كبرى. ولم يكن معاوية يدعا من اولئك الطواغيت الذين ساروا على هذا النهج في غسل أدمغة أتباعهم وسوقهم للدفاع عن أهدافهم وآربهم المشؤومة، فقد سبقه وتلاه الكثير من الظلمة الذين اعتمدوا هذا الأسلوب. فعمر بن سعد قائد عسكر يزيد في كربلاء حين دفع بأهل الكوفة للهجوم على الإمام الحسين عليه السلام نادى بأعلى صوته:

«يا خيل الله اركبي، وبالجنة ابشري!» [٥٨٦].

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٠

كما كانت أجهزة الدعاية الفرعونية تصور موسى وهارون عليهما السلام ممن يسعى للسيطرة على مصر وإشاعة الفساد فيها، في حين تصف فرعون بالمدافع عن هذه الأرض وعزة واستقلال أهلها، فيخاطب الأمة قائلاً:

«إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا» [٥٨٧]

. وما زال هذا هو المنطق الغاشم الذي يمارسه الظلمة على مر العصور والدهور.

## ٣- المروءة والشهامة

قال نصر- في كتاب صفين- إن عمرو بن العاص قال لمعاوية لما ملك أهل العراق: ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعهم أمس؟ أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة. ويبدو أن عمرو كان بصدد تقيع معاوية ولومه على عدم قبول إقتراح ابن العاص بعدم منع أهل العراق من الماء. فقال معاوية: دع عنك ما مضى، فما ظنك بعلي؟ قال: ظني أنه لا- يستحل منك ما استحللت منه، وأن الذي جاء له غير الماء. فهو يعلم بخلق على عليه السلام وليس لاغلاق شريعة الفرات من انسجام وذلك الخلق. [٥٨٨]

وهذا هو الخلق الذي ورثه ابنه الحسين عليه السلام الذي سقى الحر بن يزيد الرياحي وجنده الماء في تلك الصحراء القافرة بينما كان خلق أعدائه أن ذبحوه عطشاً إلى جانب شط الفرات، وليتهم اكتفوا بذلك فقد منعوا الماء حتى عن رضيعه.

ملكنا فكان العفو مناسجياً فلما ملكتم سال بالدم أبطح وحسبكم هذا التفاوت بينا وكل إناء بالذي فيه ينضح

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧١

## الخطبة [٥٨٩] الثانية والخمسون

## إشارة

ومن خطبة له عليه السلام  
وهي في التزهيد في الدنيا وثواب الله للزاهد، ونعم الله على الخلق

## نظرة إلى الخطبة

تتضمن الخطبة في الواقع على ثلاثة أقسام: القسم الأول في الزهد وعدم التعلق بالدنيا وأن نعم الدنيا إلى زوال، وعلى المؤمنين أن يستعدوا لسفر الآخرة من خلال العمل الصالح، القسم الثاني ثواب الزهاد والأعمال الصالحة، والقسم الثالث الاقرار بعجز العباد عن إداء حق شكر المنعم، ولا سيما أعظم هذه النعم الإيمان.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٣

## القسم الأول: الدنيا الغرور

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَيَّرَمَتْ، وَأَذْنَتْ بِانْقِضَاءِ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَذْبَرَتْ حَذَاءِ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْتَفِعْ، فَأَرْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنِ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ.»

الشرح والتفسير

لقد تواترت خطبه عليه السلام في نهج البلاغة التي توصي بالزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها والتزود منها إلى الدار الآخرة، إلى جانب التحذير من مخاطرها وأنها متقلبة سريعة الزوال،

رغم أن الإنسان يطمح بالحياة مادامه في الدنيا ولا بد أن يعيش بعزة ورفعة ويصرف شؤون حياته المادية دون التبعية للآخرين وأن الإنسان لا بد أن يتأهب فيها إلى السفر الشاق الذي ينتظره، ومن هنا ورد التأكيد في هذا الخطبة على الزهد في عشر عبارات رائعة في الدقة والمعنى، فقال في العبارة الاولى

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، [٥٩٠] وَأَذْنَتْ [٥٩١] بِانْقِضَاءِ»

فالعبرة قد تكون إشارة إلى عمر الدنيا الايل للانقطاع والانهاء، ومن هنا يسمى زماننا آخر الزمان، أو إشارة إلى الحياة الدنيا لكل فرد من الأفراد في كل عصر وزمان في أنه قصير سريع الزوال، والمعنى الاخير أنسب. فمفهوم العبارة هو أن عمر الإنسان من القصر في هذه الحياة الدنيا وكأنه يخاطب بالاستعداد للرحيل منذ ولادته. فقولته عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ»

يتناول باطن الدنيا، بينما تناول قوله عليه السلام:

«وَأَذْنَتْ بِانْقِضَاءِ»

ظاهرها، وعبارة أخرى فإِنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ ذَاتًا،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٤

كما أن مختلف ملامحها في الحياة الإنسانية هي الاخرى قد أخبرت عن هذا الفناء، وبالتالي فلا ينبغي للإنسان أن يعتر بها ويعيش

الخسران.

وهي كما صورها الشاعر:

هي الدنيا تقول بمل فيها حذار حذار من بطشى وفتكى  
فلا يغرنكم حسن إبتسامي فقولى مضحك والفعل مبك  
ثم قال عليه السلام:

«وتنكر معروفها وأدبرت حذاء» [٥٩٢]

كيف لا وغضاضة الشباب وطراوة الفتوة ونظارة الوجه آيلة إلى الكهولة والعجز والشحوب، ثم وصف الدنيا عليه السلام بقوله:  
«فهي تحفز» [٥٩٣] بالفناء سكانها وتحذوا بالموت جيرانها»

فالعبرة تفيد حركة الإنسان نحو أجله ومصيره المحتوم شاء ذلك أم أبى. والحدى الصوت الذى يردد لتعجيل حركة الناقه، فما أروع هذا التعبير الذى يفيد توفر جميع العوامل التى تدعو الإنسان لحث الخطى والسرعة فى الحركة إلى الزوال والفناء. أما التعبير بالجيران بعد السكان فكأنه يفيد أن محل سكن الإنسان ليس فى هذا العالم، فهو جاره وليس بصاحبه، أى أنه مفارقه لامحالة! ثم قال عليه السلام:

«وقد أمر» [٥٩٤] منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا».

فما أسرع نهاية مرحلة الطفولة والشباب الحلوة العذبة لتستبدل بمرارة الشيخوخة والكهولة فيعد الاستقرار اضطراباً والحصه سقماً والراحة تعباً، وقيل فى تفسير هذه العبارة إنها إشارة إلى اختلاف ظاهر الدنيا وباطنها، فظاهرها حلو وباطنها مرّ، فظاهرها عذب وباطنها علقم، غير أن التمعن فى العبارات السابقة يفيد أن التفسير الأول أنسب. ثم يختتم عليه السلام حديثه عن الدنيا بالقول  
«فلم يبق منها الا سملة كسملة» [٥٩٥] الاداوة [٥٩٦] أو جرة كجرة المقله لو تمزها [٥٩٧] الصديان لم ينقع»

فالعبرة إشارة إلى حياة كل فرد من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٥

الأفراد وانها تقترب بمرور الزمان من نهايتها، وقد كان تعبيره بمنتهى الروعة لتصوير قصر عمر الدنيا وسرعة زوالها، فالسملة تعنى الشى  
الزهيد الذى لا قيمة له، وتطلق على ما يتبقى من الماء فى الاناء، و  
«جرة المقله»

تطلق على المسافر الذى يشكو من قلة الماء فيسعى للحصول على الماء لادخاره، أجل فعمر الدنيا قصير إلى درجة أنه لا يروى ظمأ من تعلق به، فما أحرى العاقل أن يفيق إلى نفسه وينأى بها بعيداً عن الاغترار به، فينهمك بالآخرة ويسرع فى السير إليها. ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى النتيجة الواضحة

«فازمعا» [٥٩٨] عباد الله الرحيل عن هذه لدار المقدور على أهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الأمل ولا يطولن عليكم فيها الأمد» [٥٩٩]

. إن الإنسان راحل عن هذه الدنيا شاء أم أبى، ومراد الإمام عليه السلام إرحلوا بعلم وعبرة واغتموا الفرصة وسيروا على النهج بالعمل الصالح والخلق الرفيع والمعرفة بالله لتنالوا سعادة الآخرة والخلود فى نعيمها. فقد نبه عليه السلام إلى الخطرين الكامنين فى الطريق فقال:

«ولا يغلبنكم فيها الأمل ولا يطولن عليكم فيها الأمد»؛

الأمر الذى أرشد القرآن الكريم إليه بقوله: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِتَذَكَّرِ اللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمِدُّ فَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ» [٦٠٠] ونؤكد مرة أخرى أن العبارات لتفيد ترك الدنيا والرهانية فيها وعدم الإكتراث إلى الحياة، بل تفيد عدم التعلق بزخا رف الدنيا والاعترار بها، وبعبارة أخرى فالمراد التعامل مع الدنيا

كما هي، لا على أساس الوهم والخيال وما تمليه علينا أهوائنا وشهواتنا.

لا أحد يعتقد بالخلود في هذه الدنيا، فهي آيلة إلى الزوال والفناء وأن الإنسان سيودعها يوماً ليودع خده التراب في تلك الحفرة، إلّا أنّ زينة الدنيا وزبرجها قد تلقى بحجابها على هذا الواقع بحيث قد ينسى الإنسان الموت بالمرّة، أو يتناسى تلك الحقيقة المرّة، فينطلق في نشاطاته

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٤

وفعالياته وكأنه مخلد في الحياة الدنيا. وقد يطرح هذا الحجاب مؤقتاً إذا ما مات أحدهم واشتركنا في مراسم تشييعه ودفنه لتتضح أمامنا الدنيا على حقيقتها، فإذا عدنا إلى حياتنا نسينا كل شى وعاد ذلك الحجاب، وكأنّ الموت لم يكتب علينا، وبالطبع فإنّ هذا الكلام لا يصدق على أولياء الله، فهم أرفع من أن تبعدهم هذه الحجب عن حقيقة الحياة والموت، فهم لا يرون الدنيا سوى قنطرة إلى الآخرة. والحق أنّ تحذير الإمام عليه السلام في هذه الخطبة من الدنيا لا يعنى أبداً أنّه يحث الناس على مقاطعة الدنيا وتركها، كيف وهو يراها مقدمة للآخرة

«الدنيا مزرعة الآخرة»

. والطريف أنّ بعض الشعراء من أولياء الله قد صوروا هذه الحقيقة في أشعارهم، ولا بأس هنا بالتعرض لهذه القضية.

فقد ورد في الحديث المعروف: سعى إلى المتوكل بعلى الهادي عليه السلام أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعة من أهل قم، وأنّه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى هو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكأس في يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده فقال: والله ما يخامر لحمي ودمي قط، فاعفني فاعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال عليه السلام: إنى قليل الرواية للشعر، فقال: لا بدّ، فأنشده عليه السلام:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزّلوا بعد عزم من معاقلمهم واسكنوا حفرا يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم أين الاساور والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل

فافصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرأ وقد شربوا وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد اكلوا [٦٠١]

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٧

### القسم الثاني: السعي القليل وإن كثر

«قَالَ اللَّهُ لَوْ حَسَبْتُمْ حَيْنَ الْوَلَّهِ الْعِجَالِ وَدَعَوْتُمْ بِهَيْدِيلِ الْحَمَامِ وَجَارْتُمْ جُؤَارَ مُبْتَلَى الرَّهْبَانِ وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ التِّمَاسِ الْقُرْبِيَّةِ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَيْتَهَا كُتْبُهُ وَحَفِظْتَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ».

الشرح والتفسير

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من تصوير حقيقة الدنيا وسرعة زوالها حتى تطرق إلى الثواب والعقاب في الآخرة ومصير الإنسان هناك



على أنها تمثل الهدف لهذه الدنيا. وبعبارة أخرى كان القسم الأول من كلامه مقدمة لهذا القسم الذى يشير فيه إلى الهدف الغائى وهو القرب من الله ونيل ثوابه واجتناب عقابه فقال عليه السلام:

«فو الله لو حننتم [٦٠٢] حنين الوله [٦٠٣] العجال [٦٠٤] ودعوتم

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٨

بهديل [٦٠٥] الحمام وجأرتم جوار[٦٠٦] متبتلى [٦٠٧] الرهبان [٦٠٨] وخرجتم إلى الله من الأموال والاولاد إلتماس القربة إليه فى إرتفاع درجة عنده أو غفران سيئه أخصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه وأخاف عليكم من عقابه» فقد إستعار الإمام عليه السلام ثلاثة تشبيهات للتضرع إلى الله واستفراغ الجهد فى الانقطاع إليه، التشبيه الأول: الصوت الذى تخرجه النوق الوالهة الفاقدة لأولادها، وهو الصوت الحزين الذى يرق له القلب حين سماعه، التشبيه الثانى: هديل الحمام حين إجتماعها، والهديل يطلق على فرخ الحمام كما يطلق على صوتها، وتعتقد العرب أن الهديل حمامة على عهد نوح عليه السلام بقيت وحدها وماتت عطشاً، ومنذ ذلك اليوم والحمام ينوح عليها، التشبيه الثالث: بكاء الرهبان المنقطعين عن الدنيا القابعين فى صومعاتهم، والذين ينوحون عند الطقوس الدينية وقد إشتد نياحهم بفعل إنقطاعهم عن الدنيا. ولم يكتف الإمام عليه السلام بهذا التضرع والنوح والبكاء فقال:

«وخرجتم إلى الله من الأموال والاولاد»

أى ولو تركتم أموالكم وأولادكم من أجل القرب إلى الله كان قليلاً.

والدليل واضح على ذلك فالدنيا وما فيها لاتعدل جناح بعوضة من الآخرة، وهى ليست سوى قطرة إلى بحر، ومن الطبيعى أن الإنسان لا يخرج من ماله وولده ما لم يقف على هذا المعنى. وقد وردت هذه المقارنة بين الدنيا والآخرة فى خطبة المتقين بقوله عليه السلام:

نفحات الولاية؛ ج ٢؛ ص ٣٧٨

«صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة» [٦٠٩]

ج ج .

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٧٩

### القسم الثالث: عظمة وسعة النعم الإلهية

«وَتَاللَّهِ لَوْ إِنَّمَاتُ قُلُوبِكُمْ انْمِيَانًا، وَسَالَتْ عَيْوُنُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ عَمَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بِأَقِيَّةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تَبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ».

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالحديث عن عظمة النعم الإلهية التى أفاضها الله على البشرية لإثارة حس الشكر لديه والتوجه إلى ربه بما يقوده إلى السمو والرفعة والكمال والقرب من الله. فقال عليه السلام:

«وتالله لو إنماتت قلوبكم انمياناً [٦١٠]، وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دمًا، ثم عمرتم فى الدنيا، ما الدنيا باقية، ما جزت

أعمالكم عنكم - ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم - أنعمه عليكم العظام، وهداه إياكم للإيمان»

فقد شرح الإمام عليه السلام بهذه العبارات البليغة أقصى جهود الإنسان كما وكيفا فى طاعة الله، فمن ناحية الكيفية أنه لو ذاب فى طاعة الله واصطرخت كافة ذرات جسمه وحلقت روحه فى سماء العبودية، ومن الناحية الكمية لو دام هذا العمل طيلة حياة ابن آدم، فمع ذلك لا يسعه أن يؤدى حق شكر النعم الإلهية، بل شكر نعمة واحدة، حيث صرحت بعض الروايات بان ذات الشكر نعمة ينبغى

للإنسان الشكر عليها. وما أروع ما قال الشاعر:

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٠

شكر الاله نعمته موجبة لشكره وكيف شكرى بره وشكره من بره [٦١١]

فالواقع أنّ الإمام عليه السلام أشار بتلك العبارة إلى عدم محدودية النعم الإلهية. وهو كالتعبير القرآني في الآية ٢٧ من سورة لقمان بشأن علم الله: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ». نعم ليس للعبد سوى الاعراب عن ضعفه وعجزه أمام النعم الإلهية. الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام يؤكد على نعمة الإيمان «وهدها إيتاكم للإيمان»

من قبيل ذكر الخاص بعد العام. فقد أشار في العبارة السابقة إلى الأنعم الإلهية ثم خص هنا منها نعمة الإيمان على غرار ما جاء في القرآن الكريم: «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ» [٦١٢]. ولا تتأتى أهمية الإيمان من كونها مفتاح سعادة البشر وجواز سفره إلى الجنة فحسب، بل لأنها الدافع لكافة الفضائل والأعمال الصالحة والرادع من الرذائل والأعمال السيئة، فالواقع هي أساس الدين والملفت للنظر في العبارة أنّه عليه السلام نسب الهداية لله، وان حصل عليها الإنسان باختياره وإرادته؛ وذلك لتعذرهما على الإنسان بمفرده ما لم تشمله العناية الإلهية ويرشده الأنبياء والأولياء والكتب الإلهية إليها، ومن هنا نسأل الله في صلواتنا اليومية ليل نهار الهداية.

ويبدو من الأهمية في نهاية الخطبة الإلتفات إلى هذه النقطة وهي أن القسم الأول لها بعد المقدمة حيث يعد القلوب من خلال تنبيهها إلى تقلب أحوال الدنيا وزوالها، بينما يوجهها في القسم الثاني والثالث إلى طاعة الله وكسب الفضائل ودفع الرذائل. مع هذا الفارق في تأكيد القسم الثاني على أهمية القرب من الله ومطلوبية كل سعي وجهد للوصول إلى هذا الهدف، أما القسم الثالث فيرد ساحة القدس الربوبي صاحب الفضل عن طريق مسألة شكر المنعم، فالوجدان هو الذي يشهد بضرورة هذا الشكر.

ج ج

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨١

## الخطبة [٦١٣] الثالثة والخمسون

### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

«في ذكرى يوم النحر وصفة الاضحية»

«وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَيِّالَمَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَسْكِ».

الشرح والتفسير

### تمام الاضحية

أشار الإمام عليه السلام في هذا الفصل من الخطبة إلى تفاصيل وجزئيات الاضحية، وقال:

«ومن تمام الاضحية [٦١٤] استشراف [٦١٥] أذنها وسلامه عينها، فاذا سلمت الاذان والعين سلمت

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٢

الاضحية وتمت»

ثم أضاف عليه السلام:

«ولو كانت عضباء [٦١٦] القرن تجر رجلها إلى المنسك»

ولا- يتتافى هذا الكلام مع ما تعارف بين الفقهاء وما ورد في سائر روايات المعصومين عليهم السلام من أن الاضحية يجب أن تكون سالمه الرأس، لأنّ غضب قرننها الداخلي يضر بسلامتها لا قرننها الخارجي، كما لا يضر العرج البسيط الذي لا يعيقها عن الحركة. وجاء في بعض النسخ قوله:

«فلا تجزى»

بعد العبارة

«تجر رجلها إلى المنسك»

وعليه يصبح مفهوم العبارة عدم أجزاء الاضحية إن كسر قرننها وكانت تجر رجلها على الأرض [٦١٧]. قال السيد الرضى (ره) في ذيل الخطبة:

«والمنسك هاهنا المذبح».

### عليّة سلامة الاضحية من النقص والعيب

رغم أن الهدف من الضحية هو إستفادة بعض المحتاجين منها كما صرح بذلك القرآن الكريم: «فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٦١٨] ومن المسلم به عدم وجود أى تأثير على هذا المعنى سواء كان قرننها سالمًا أم لا، ولكن الاضحية شعيرة إسلامية وعبادة، ولا يليق بالساحة القدسية للرب سبحانه إختيار الشاة المعيبة والمريضة، ولا بدّ من تقديم الخالصة فإنّ ذلك نوع من الادب والاحترام؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح فى صلاة المرأة بكامل الحجاب، وارتداء الثياب النظيفة حين الصلاة، والتعطر عند العبادة وغسل الميت وتكفينه وتحنيطه وما إلى ذلك من الامور.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٣

### الخطبة [٦١٩] الرابعة والخمسون

#### إشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيهما يصف أصحابه بصفين حين طال منهم له من قتال أهل الشام.

#### نظرة إلى الخطبة

هناك خلاف بين الشراح بشأن زمان الخطبة، فقد ذكر صاحب مصادر نهج البلاغة أنّ جماعة سألوا الإمام عليه السلام عن رأيه بمن سبقوه بالخلافة لما غلب عمرو بن العاص على مصر وقتل عامل الإمام عليه السلام عليها محمد بن أبى بكر. فأجابهم عليه السلام وهل خمدت فتنة ابن العاص لتسألوا هذا السؤال وقد غلبكم على مصر وقتلوا صحبى، ثم قال: سأكتب كتاباً واجب على أسئلتكم. بينما ذهب البعض إلى أن بداية الخطبة مرتبط بزمان البيعة وذيلها بواقعة صفين. كما احتمل أن تكون فى البيعة وموقعة الجمل إلّا أنّ كل

هذه الاحتمالات بعيدة، والظاهر أن الخطبة واردة بشأن صفين حين هم صحبه بالقتال، ويؤيد ذلك ما أورده المرحوم البحراني والشارح الخوئي من أنها ناظرة إلى حال أصحاب الإمام عليه السلام في صفين حين منعهم من قتال أهل الشام. [٦٢٠] وزبدة الكلام فإن الإمام عليه السلام قال لما استبطأ أصحابه القتال:

«وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٤

منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلقاءهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله، فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٥

«فَيَدَاكُوَا عَلَي تَدَاكُ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وَرَدَهَا وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخَلَعْتَ مَثَانِيهَا؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجِدْتَنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ».

الشرح والتفسير

### ليس هنالك سوى القتال

بغض النظر عن كون الخطبة بشأن بيعه الناس للإمام عليه السلام أو المسائل المرتبطة بصفين، فإنه استهلها عليه السلام بعدم انطلاقه نحو الناس بل الناس هم الذين إندفعوا إلى:

«فنداكوا [٦٢١] علي تداك الابل إلهيم [٦٢٢] يوم وردها [٦٢٣] وقد أرسلها راعيها، وخلعت مثنائها» [٦٢٤]

. ثم أضاف عليه السلام:

«حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لذي»

تتضمن هذه العبارة عدة أمور:

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٦

١- كيفية هجوم الناس عليه من أجل البيعة أو حين الاصرار على شروع موقعة صفين إنما تفيد تغير الناس آنذاك، وهنا لابد من الالتفات إلى أن معنى المفردة تداكوا هو الضرب وقد أشارت في العبارة إلى شدة عطش الابل التي تضرب بعضها بعضا لتبلغ أسرع من غيرها الماء، والهيم شدة العطش التي تجعل الإنسان أو الحيوان مضطرباً. فلو تركت هذه الابل العطاش لحالها دون الراعي فما عساها تفعل. أجل هكذا كانت حال الناس في تلك اللحظات الحساسة حتى كان يخشى عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً. نعم هذا هو حال الناس حين يعشقون شيئاً ويعبرون عنه بعواظهم، إلا أنه من المؤسف أن هؤلاء الناس سرعان ما يتخلون عن موقفهم إذا واجهتهم بعض المصاعب.

٢- يمكن أن تكون حالة إندفاعهم نابعة من عدم عمق مشاعرهم وقلة علمهم ومعرفتهم.

٣- تشتمل هذه العبارات على بعض الكنايات التي تفيد صعوبة السيطرة عليهم حين تأخذهم الحرارة والحماس، كما يصعب إثارتهم حين تلفهم البرودة والانتكاس.

ثم قال عليه السلام:

«وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني إلقاءهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة».

فتفيد هذه العبارات:

أولاً: أن الإمام عليه السلام لا يرضخ لضغوط الناس، فلا يتخذ القرار حتى يدرس جميع جوانب الموضوع، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه سياسة الزعماء الربانيين بعيدة عن العواطف والأحاسيس مستندة إلى مصالح لأمّة الواقعية.

ثانياً: عادة ما يصل الإنسان في حياته الفردية أو القادة في حياتهم الاجتماعية إلى مفترق طرق، فلا بد هنا من الشجاعة والاقدام على إنتخاب الاصلح، فان كان القتال هو الأصلح لا ينبغي للدعة والراحة أن تحول دون خوضه بحجة حفظ دماء المسلمين دون الإكتراث إلى المصالح العليا.

ثالثاً: المهم بالنسبة للإمام عليه السلام رضى الله وإداء التكليف ومن هنا أثر رضى الله سواءً تضمن رضى الناس أم لا.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٧

رابعاً: واضح أن قتال الإمام عليه السلام كان قتال الإيمان للكفر والإسلام للجاهلية. بناءً على ما تقدم فقد كان عليه السلام يرى رضى الله قبل الاستجابة لرغبات الناس، وبالطبع قد يمكن الجمع بين الاثنين إذا كانت رغبات الامية وتطلعاتها مشروعة تهدف نشر القيم والمبادئ السماوية.

## تأملان

### ١- البيعة الفريدة للإمام عليه السلام

تفيد خطب نهج البلاغة الواردة بهذا الشأن، أن البيعة كانت من الحوادث العجيبة التي شهدتها خلافة الإمام عليه السلام بحيث خرجت عن المتعارف في البيعات العادية، وقد بلغ الزحام درجة كان يخشى معها وقوع البعض وانحساره بين تلك الجماعات العظيمة. وهنا يطرح هذا السؤال: ما سبب ذلك الهجوم العظيم على الإمام عليه السلام من أجل البيعة؟ يبدو أن غضب الناس بلغ ذروته إبان من سبق الإمام عليه السلام من الخلفاء ولا سيما على عهد الخليفة الثالث الذى شهد غياب العدل وضياع القيم والمثل والتناول على بيت المال والاساءة إلى الشخصيات الإسلامية وتسليط عصابه من البطانة على رقاب الناس، بحيث لم يكن أمام الناس سوى اللجوء إلى ذلك الفرد العادل الذى من شأنه اعادة الإسلام إلى مسيرته الأصلية. نعم كانوا متعطشين للعدالة، للإسلام الأصيل والمعارف القرآنية الحقّة الخالية من الخرافات والأساطير؛ الامور التي جمعت في أمير المؤمنين على عليه السلام، فما حيلة العطشان إذا رأى الماء الزلال سوى الهجوم عليه والتزود منه، فالهجوم المذكور يفيد عظمة مقام الإمام عليه السلام من جانب ومدى إستياء الناس من الاوضاع السابقة من جانب آخر، والأمران يحتاجان إلى ابحات تاريخية مسهبة. [٦٢٥]

### ٢- الحرب والسلام، والكفر والإيمان

رأينا في آخر الخطبة أن الإمام عليه السلام وقف أمام سبيلين لا ثالث لهما؛ إما الحرب أو الكفر بما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وما ذاك إلا لأن الحرب ورغم ما يكتنفها من خراب ودمار وويلات،

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٨

غير أنها قد تكون السبيل الوحيد لمجابهة الظلم والاضطهاد وعدم العدل كما تشكل الوسيلة الناجعة لاستئصال جذور الفساد والانحراف ومن هنا كانت إحدى غايات القتال، كما صرح بذلك القرآن القضاء على الفتنة واخماد نيرانها واعادة الامور إلى مجاريها الطبيعية «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» [٦٢٦] وقال «فَقَاتِلُوا النَّبِيَّ تَبَعِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» [٦٢٧] وهنا يغلق أولياء الله أبواب الراحة والدعة ويهبوا لخوض القتال وتحمل عنائه وشدائده، ولا عجب فالتضحية بحطام الدنيا لا يؤثر على سعادة الاخرى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٨٩

## الخطبة [٦٢٨] الخامسة والخمسون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

### نظرة إلى الخطبة

يبدو من تناسب مضمون هذه الخطبة مع الخطبة السابقة أنها خطبة واحدة، أو خطبتان وردتا في زمان متقارب قال ابن أبي الحديد في ذيل هذه الخطبة: لما ملك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الماء بصفين ثم سَمَحَ لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يطفوا إليه، واستماله لقلوبهم وإظهارا للعدالة وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يُرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين، حَلَفْنَا ذراريْنَا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لننخذها وطناً، ائذن لنا في القتال، فإنّ الناس قد قالوا. قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهيةً للموت، وإنّ من الناس من يظن أنّك في شكّ من قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: ومَتَى كنتُ كارها للحرب قطّ! إنّ من العجب حُجِّي لها غلاماً وَيَفَعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذِ العمر وقرب الوقت! وأمّا شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٠

البصرة، والله لقد ضربتُ هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلّا القتال أو أن أعصى الله ورسوله، ولكني أستأني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: «لأنّ يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩١

«أمّا قولكم: أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلتُ إلى الموتِ أو خرج الموتُ إليّ. وأمّا قولكم شكاً في أهل الشام! فوالله ما دفعتُ الحزبَ يوماً إلّا وأنا أطمعُ أن تلحق بي طائفةٌ فتهتدي بي، وتغشوا إليّ ضوئي، وذلك أحبُّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها».

الشرح والتفسير

### تماسك الإمام عليه السلام حيال القتال

كما ذكرنا فإنّ الخطبة جواباً لأصحابه عليه السلام الذين استبطأوا إذنه لهم بالقتال في صفين، فقد قال عليه السلام «أمّا قولكم: أكل [٦٢٩] ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلتُ إلى الموت أو خرج الموت إليّ».

نعم إذا كان هنالك هدفاً مقدساً كرضى الله فإنّ الفرد المؤمن لا بد أن يسارع إلى الشهادة ولا ينتظرها، فما أسمى أن يهب الإنسان نفسه ويضحى بها من أجل معشوقه ومعبوده.

أضف إلى ذلك فسابقة الإمام عليه السلام في الغزوات الإسلامية لأشهر من نار على علم وليست بخافية على أحد ولا سيما صولاته في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وحنين وذوده عن رسول الله صلى الله عليه وآله واستماتته من أجل نيل الشهادة، فكيف وهذا الحال

يمكن توجيه هذه التهمة الباطلة لهذا الإنسان بتأخير القتال خوف الشهادة. وقد تحدث الإمام عليه السلام عن مثل هذا المعنى فى الخطبة الخامسة والخطبة مئة وثلاث وعشرين حيث قال:

«والله لابن أبى طالب آنس

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٢

بالموت من الطفل بثدى أمه»

وقال:

«والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على الفراش فى غير طاعة الله»

. وتشهد سيرة الإمام عليه السلام أنه مارس هذا المعنى عملياً فى حياته وما أجهل تلك الجماعة من جيش أهل العراق التى وجهت مثل تلك التهمة للإمام عليه السلام وخشيته من الشهادة فى سبيل الله.

قد يقال أن أولئك لم يكونوا أدركوا أولى الغزوات الإسلامية. فنقول فهل يسعهم نسيان موقعه الجمل؟ الموقعه التى كان ينقض فيها الإمام عليه السلام كالليث الضارى على جنود الأعداء فيمزق جموعهم وينزل حمم غضبه على رؤوسهم. بل كيف يمكن إتهامه وهو الذى يمثل الإيمان كله فى مقابل الشرك كله، وأليس هو القائل:

«لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب وإنى لعلى يقين من ربى وغير شبهة من دينى».

وقوله عليه السلام:

«فو الله ما أبالى»

إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أن الأفراد العاديين ممن لا هدف لهم، هم الذين يخشون الاتجاه نحو الموت، بل ينتظرون قدوم الموت إليهم آخر عمرهم؛ بينما ليس هنالك من فارق بين الخروج إلى الموت أو قدوم الموت حسب الأجل المقدر بالنسبة لأهل الإيمان والورع والتقوى ولعل الموت يمكن تشبيهه هنا بالأسد المفترس، فالفرد العادى لا يتجه إليه أبداً، أما الشجاع فيقدم على مواجهته دون أن يشعر بخوف أو هلع، فالمؤمن الشجاع حين يرى فى الموت الشهادة فى سبيل الله ونيل رضوانه يستقبله بكل رحابة صدر، فلو قدر لهذا الموت أن يسلبهم ما تبقى من عمرهم، فأنهم سيستبدلون بذلك الخلود والبقاء. ثم تناول الإمام عليه السلام الاحتمال الثانى الذى أوردته تلك الجماعة بشأن تأخير القتال فقال:

«وأما قولكم شكاً فى أهل الشام فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلأوأنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى، وتعشوا [٦٣٠] إلى ضوئى»

ثم برر ذلك بقوله عليه السلام

«وذلك أحب إلى من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء [٦٣١] بآثامها».

فالإمام عليه السلام يؤكد هنا على أن القتال لا يمثل هدفاً ولا السبيل الأول لحل الخصومات من وجهة نظر أولياء الله، بل هو العلاج الأخير إذا ما عجزت كل السبل والاساليب، فهم يسعون جاهدين للتريث

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٣

والإناة أملاً فى رجوع ولو فرد واحد إلى الحق فيزداد أهل الحق ويقل أهل الباطل، بينما ينظر السذج من الناس إلى هذا الأمر بنوع من الشك والريبة، فإن أولياء الله يفتحون ذراعهم باستقبال النادمين والتائبين وقد أثبت التأريخ - ولا سيما موقعه صفين - صحة حسن ظن الإمام عليه السلام، وذلك لأن فئه كبيرة قد فاءت إلى الحق بينما انسحبت طائفة من المعركة وذلك بفضل تريث الإمام عليه السلام واناته فى القتال.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٥

## إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
يصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح

## نظرة إلى الخطبة

هناك رأيان بشأن زمان الخطبة: فالبعض يعتقد أنه ورد بشأن فتنة ابن الحضرمي بعد أن استشهد محمد بن أبي بكر على يد عمرو بن العاص فقد البصرة من قبل معاوية ليخرجها من حكومة الإمام على عليه السلام حيث استولى عليها بمعاونة جماعة من المنافقين. فلما بلغ الإمام عليه السلام ذلك من قبل ابن عباس يعزيه بمحمد بن أبي بكر خطب الخطبة، ثم بعث بجارية ابن قلامه السعدى المعروف بشجاعته فحاصر ابن الحضرمي مع سبعين من صحبه وقضى عليهم جمعياً. والرأى الآخر أن الإمام عليه السلام خطبها فى صفين، حين اقترح على الإمام عليه السلام الصلح وقد ضغطوا على الإمام عليه السلام لقبوله. على كل حال فإن الإمام عليه السلام خطب الناس لا مثقال أوامره، ثم تطرق لا خلاص المسلمين فى صدر الإسلام وأن سب النصر يكمن فى الانضباط والتسليم لأوامر النبى صلى الله عليه وآله، فى إشارة إلى النصر سيكون حليفهم لو إستوتوا بهذه السنة وطاعوا الأوامر، والأ ليس إمامهم سوى الفشل والهزيمة إذا عاشوا الفرقة والتشتت وعدم طاعة الأوامر.

## ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٧

«وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضِضِ الْأَلْمِ وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَّصِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَخْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكُتْبَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَفْرَقَ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَحْتَابُنَهَا دَمًا، وَلَتُبَعْنَهَا نَدْمًا!»

الشرح والتفسير

## الوقوف المشرف إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله

أشار ابن ميثم البحراني فى شرحه إلى بعض الخطبة الذى لم يرد فى كلام السيد الرضى (ره) والذى له تأثير على فهم مضمون هذه الخطبة، فقال: روى البعض أن الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين أراد الناس الصلح مع جيش معاوية (بينما كان الإمام عليه السلام مخالف ذلك ولو لا اصرار البعضى منهم لما وافق) فقد إستهل الإمام عليه السلام كلامه قائلاً:

«إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق ولا- ليجيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناشر تتبعها العساكر، وحتى يرحموا بالكتاب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلاده الخميس يتلوه الخميس، وحتى تدعق الخيول فى نواحي أراضيتهم، وبأعناء مشاربهم ومسارحهم، حتى تشن عليهم الغارات من كل فج عميق، وحتى يلقاهم قوم صدق صبر، ولا يزيدهم هلاك من هلك من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٨

قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله إلا جدا فى طاعة الله وحرصاً على لقاء الله. ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله الفصل [٦٣٣] وعليه فإن مصالحة هؤلاء القوم الجفاة لا تنطوى سوى على الاحباط والفشل، وذلك لأنهم لا يفهون منطق الصلح ولا يمكنهم التعايش



مع الآخرين بسلام ولا يدركون سوى منطق القوة، وهذا ما كشفت عنه أحداث صفين. على كل حال واصل الإمام عليه السلام خطبته ليتحدث عن مقومات النصر وعوامل الفشل والهزيمة فقال عليه السلام:

«ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا واخونا واعمامنا»

في إشارة إلى ضرورة عدم الالتفات إلى قرابة كائن من كان إذا وقف كعقبه أمام المسيرة، الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» [٦٣٤] ثم قال عليه السلام:

«ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم» [٦٣٥] وصبرا على مضمض [٦٣٦] الالم وجدا على جهاد العدو»

فما أشار إليه الإمام عليه السلام بهذه العبارة إنما يمثل واقعة تاريخية، فقد مثل أمام المسلمين في أغلب المعارك ولا سيما معركة بدر قرباتهم وعشيرتهم، فما كان من المسلمين إلا أن قاتلوهم بكل بسالة دون أن يكثر ثوا لتلك القرابة رغم احترام العرب المنقطع النظير للروابط القبلية. ثم قال عليه السلام:

«ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان [٦٣٧] تصاول الفحلين يتخالسان [٦٣٨] أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا»

في إشارة إلى أنه ليس من الضروري أن ينتصر الحق على الباطل في كافة المعارك وطيلة المجابهة، فقد يتغلب الباطل على الحق أحيانا إلا أن الحق وعلى ضوء الوعد الإلهي منتصر في خاتمة المطاف - وعليه فلا تتوقعوا عدم بروز المشاكل خلال مجابهة أهل الشام، كما أن هذه المشاكل لا ينبغي أن تقود إلى

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٣٩٩

التمرد على أوامر الإمام عليه السلام، ما سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه إلدليل واضح على هذا الأمر، ومن هنا قال عليه السلام:

«فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت [٦٣٩] وأنزل علينا النصر، حتى إستقر الإسلام ملقيا جرانه [٦٤٠] ومتوئا أوطانه»

فالإمام عليه السلام أشار هنا إلى العامل الرئيسي لانتصار المسلمين الأوائل ويلوح إلى عناصر فشل أهل الكوفة، فقد نسب العامل الرئيسي للانتصار إلى صدق النية التي تمثل الدافع الأصلي للصمود والمقاومة أمام العدو والطاعة التامة للزعامة الربانية. ولو تلوثت هذ النية وسيطرت الأنانية على الإنسان، آنذاك ستكون إرادته وقراره مستندا لاهوائه وطيشه وغروره؛ الأمر الذي يقود إلى الهزيمة والفشل. ومن الطبيعي ألا تشمل عنايات الله وألطفه ونصره مثل هؤلاء الأفراد، ثم خلص الإمام عليه السلام لهذه النتيجة:

«ولعمري لو كنا نأتى ما أتيتم، ما قام للدين عمود ولا إخضر للايمان عود»

فهل تعلمون من قوم في أى عصر ومصر إنتصروا ويفرقتهم واختلافاتهم، فاذا رجعتم قليلا إلى الوراء لرأيتم أن النصر الخاطف الذى حققه رسول الله صلى الله عليه وآله خلال تلك المدة القصيرة حتى ترسخت دعائم الدين واتسع نطاق الإسلام ليشع بنوره على ظلمات الشرق والغرب فإن ذلك كان بفضل الإيمان والطاعة والجهاد، بينما تمارسون الآن عكس ذلك وتحلمون بالنصر. وأخيراً يحذركم عليه السلام بالقول:

«وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتبتعنها ندماً».

فقد تضمنت العبارات الاخيرة للإمام عليه السلام ثلاثة تشبيهات: الأول: تشبيه الإسلام بالخيمة واعمدته الجهاد. حيث نعلم بأن الخيمة موضع الأمن والراحة من الحرارة المحرقة والبرودة القارسة، الإسلام هو الآخر موضع أمن البشريه ووسيلة نجاتها من العواصف القاتلة. الثاني:

تشبيه الإيمان بالشجرة التى إخضرت غصونها بدماء المؤمنين فى صدر الإسلام. والثالث:

تشبيه الحكومة بالناقفة التى تحتلب الدم بدلاً من اللبن بسبب تعفن ضرعها أو العبث والإفراط فى إحتلابها، أى أنها، أعطت نتيجة

معكوسة، فاللبن من أفضل طعام الإنسان ومواده الغذائية، أما الدم فهو ليس بغذاء، بل مادة سامة مفسدة. وأخيراً فقد تحققت نبوءات الإمام عليه السلام بشأن تلك الطائفة الطاغية، حيث تسلط عليهم الظلمة الذين ساموهم سوء العذاب.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٠

## تأملان

### ١- ثاني فتن البصرة

كانت البصرة أحد المراكز الإسلامية المهمة والبوابة إلى العالم الخارجي ومن هنا كانت السيطرة عليها قضية مهمة. ولذلك كان يسعى معاوية للسيطرة عليها كما ورد في ورود الخطبة.

ويرى البعض أن الإمام عليه السلام خطبها لإخماد فتنة أخرى في البصرة. فقد طمع معاوية بالبصرة بعد قتل عامل على عليه السلام فيها محمد بن أبي بكر، فكتب كتاباً إلى أنصاره في البصرة وذكرهم الواقعة التي أهلكتهم وقد إنتخب «ابن الحضرمي» واليا على البصرة فحث الناس للقيام على خليفته عامل الإمام عليه السلام عليها «زياد بن عبيد» فاستجاب له البعض ومنهم الخوارج فسيطروا على أجزاء من البصرة وقتلوا سفير الإمام عليه السلام «أعين بن صبيح» فلما بلغ ذلك الإمام عليه السلام بعث بجاريه بن قدامه إلى البصرة ليقرأ عليهم كتاب الإمام عليه السلام.

سلام عليكم: أما بعد فإن الله حليم ذو أناء، لا يعجل بالعقوبة قبل اليقين، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة، ولكنه يقبل التوبة، ويستديم الأناة، ويرضى بالإنابة؛ ليكون أعظم للحجة، وأبلغ في المعذرة، وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فغفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، وأخذت ببعثكم، فإن تفوا ببيعتي، وتقبلوا نصيحتي، وتستقيموا على طاعتي، أعمل فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق، وأقم فيكم سبيل الهدى، فوالله ما أعلم أن والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني، ولا أعمل بقولي. أقول قولي هذا صادقاً، غير ذام لمن مضى، ولا منتقياً لأعمالهم، وإن خبطت بكم الأهواء المردية، وسفهت الرأي الجائر إلى منابذتي، تريدون خلافي! فيها أنا ذا قرئت جيادي، ورحلت ركابي، وإيم الله لئن ألجأتوني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة، لا يكون الجمل عندها إلا كلفقه لاعق، وإني لظان ألا تجعلوا- إن شاء الله- على أنفسكم سبيلاً. وقد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم، ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً، إن أنتم استغششتهم نصيحتي، وناذرتهم رسولي، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم، إن شاء الله تعالى.

والسلام.

فلما قرأها عليهم تأثروا تأثراً شديداً، بينما واصل البعض منهم عناده، فواجهوا ابن

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠١

الحضرمي وهزموه، فلاذ مع سبعين من صحبه بدار ولم يكن أمام جارية من سبيل سوى إحراق الدار فقتلوا فيها جميعاً. [٤٤١]

ج ج

قال: وروى كعب بن قعين أن علياً عليه السلام كتب مع جاريه كتاباً، وقال: اقرأه على أصحابك، قال: فمضينا معه، فلما دخلنا البصرة، بدأ بزياد، فرحب به وأجلسه إلى جانبه، وناجاه ساعة وساءلته، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك، وأتق أن تلقى مالقى صاحبك القادم قبلك.

وخرج جاريه من عنده، فقام في الأزد، فقال: جزاكم الله من حى خيراً! ما أعظم غناءكم، وأحسن بلاءكم، أطوعكم لأمركم! لقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه. ثم قرأ عليهم على من كان معه من شيعة علي عليه السلام

وغيرهم - كتاب علي عليه السلام، فإذا فيه:

من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين:  
قال: فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبرة بن شيمة، فقال: سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حزب، ولمن سالم سلم؛ إن كفت يا جارية قومك بقومك فذاك، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك.

وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ونحوه، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه، ومضى نحو بني تميم.

فقام زياد في الأزدي، فقال:

يا معشر الأزد، إن هؤلاء كانوا أمس ساءلاً، فأصبحوا اليوم حرباً، إنكم كنتم حزباً فأصبحتم سلماً، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة، ولا أقمت فيكم إلا على الأمل، فما رضيتم أن أجرتموني، حتى نصبتم لي منبراً وسريراً، وجعلتم لي شراً وأعواناً، منادياً وجمعة،

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٢

فما فقدت بحضرتكم شيئاً إلا هذا الدرهم، لا أجيبه اليوم، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله. واعلموا أن حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم في الدنيا والدين من حربكم أمس علياً، وقد قدم عليكم جارية بن قدامة، وإنما أرسله علي ليصدع أمر قومه، والله ما هو إلا أمير المطاع، ولو أدرك أمه في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أو لكان لي تبعاً، وأنتم الهامة العظمى، والجزمة الحامية، فقدّموه إلى قومه، فإضطر إلى نصركم فسيروا إليه، إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبرة شيمة فقال: يا زياد، إنني والله لو شهدت قومي يوم الجمل، رجوت ألا يقاتلوا علياً، وقد مضى الأمر بما فيه. وهو يوم بيوم، أمر بأمر، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسبي، والتوبة مع الحق، والعفو مع الندم، ولو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، واستئناف الأمور، ولكنها جماعة دماؤها حرام، وجروحها قصاص، ونحن معك نحب ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه، وقال: ما أظن في الناس مثل هذا.

ثم قام صبرة ابنه، فقال: إنا والله ما أصبنا بمصيبه في دين ولا دنيا كما أصبنا أمس يوم الجمل، وأنا لرجوا اليوم أن نخلص ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، وأمياً أنت يا زياد، فوالله ما أدركت أملك فينا، ولا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك، ونحن رادوك إليها غداً إن شاء الله تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يشبهك، وإنا والله نخاف من حرب علي في الآخرة، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا، فقدّم هواك وأخر هوانا، فنحن معك وطوعك.

ثم قام خنقر الحماني، فقال: أيها الأمير، إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا، لم نرض ذلك لأنفسنا، سربنا إلى القوم إن شئت، وإيم الله ما لقينا قوماً قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهننا؛ إلا ما كان أمس.

قال إبراهيم: فأما جارية، فإنه كلم قومه فلم يجيبوه، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتمه أسمعوه، فأرسل إلى زياد والأزد، يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه، فسارت الأزد بزياد، وخرج إليهم ابن الحضرمي، على خيله عبدالله بن خازم السلمي، فاقتلوا ساعه، أقبل شريك بن الأعور الحارثي - وكان من شيعة علي عليه السلام، وصديقا لجارية بن

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٣

قدامة - فقال: ألا أقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى؛ فما لبثت بنو تميم أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبل السعدى؛ فحصرنا ابن الحضرمي وحدوه، فأتى رجل من بني تميم، ومعه عبدالله بن خازم السلمي، فجاءت أمي وهي سوداء جشية اسمها عجلي، فنادته، فأشرف عليها، فقالت: يا بُني، انزل إلي، فأبى فكشفت رأسها وأبدت قناعها، وسألته النزول فأبى، فقالت:

والله لتنزلن أو لأتعرزين، وأهوت بيدها إلى ثيابها، فلما رأى ذلك نزل، فذهبت به، وأحاط جارية وزياد بالدار، وقال جارية: علي بالنار، فقالت الأزد: لسنا من الحريق بالنار في شيء؛ وهم قومك وأنت أعلم، فحرق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في

سبعين رجلاً؛ أحدهم عبدالرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التيمي؛ وسُمِّيَ جاريةً منذ ذلك اليم محرِّقاً؛ وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة؛ ومعه بيت المال، وقالت له: هل بقي علينا من جوارك شيء؟ قال: لا، قالوا: فبرئنا منه؟ فقال: نعم؛ فانصرفوا عنه. وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أما بعد، فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قديم من عندك، فناهض جفع ابن الحضرمي بمن نصره وأعانه من الأزد، ففضّه واضطره إلى دارٍ من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه، فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما، فقُتِلَ ابن الحضرمي وأصحابه، منهم من أحرق بالنار؛ ومنهم من ألقى عليه جدار؛ ومنهم من هُدم عليه البيت من أعلاه؛ ومنهم من قُتِلَ بالسيف، وسلم منهم نفر أنابوا وتابوا، فصّح عنهم، وبعداً لمن عصى وغوى! والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

## ٢- خصائص المسلمين الأوائل

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى خصائص مسلمي صدر الإسلام في أنهم كانوا مطيعين لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأبهوا بابائهم وإخوانهم وبنائهم في ميادين القتال، فكانوا يصابولونهم ليجرعوهم القتل من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة. كانوا يتحلون بالاخلاص وصدق النية؛ الأمر الذي جعل الله يؤيدهم بنصره ويفيض عليهم من لطفه وفضله حتى إنتشر الدين وضاء نور الحق واليقين في أنحاء العالم. والحق لو أن المسلمين الأوائل كانوا على

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٤

غرار أهل الكوفة لما تنفس الإسلام وتنهه حتى في مكة والمدينة، ولو كانت إرادتهم الفردية هي الحاكمة وتمردوا على أوامر قيادتهم الربانية لما اخضر عود شجرة الإسلام ولانهارت أعمدة خيمة الإيمان. وبالطبع فإن كثيراً من أولئك كانوا ممن أدرك عصر النبي صلى الله عليه وآله أو رأى أصحابه، إلّا أن إرادتهم ضعفت ووهنت إثر تلك الأحداث التي أعقبت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا سيما على عهد الخليفة الثالث وأقبال الناس على الدنيا والاعتزاز بزخارفها والخلود إلى الراحة والدعة بعد تنامي الأموال والثروات بفعل الفتوحات الإسلامية، إلى جانب الدعاية الواسعة التي كان يمارسها المنافقون وأعداء الدين.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٥

## الخطبة [٤٢٢] السابعة والخمسون

### إشارة

ومن كلام له عليه السلام  
في صفة رجل مذموم، ثم في فضله هو عليه السلام

### نظرة إلى الخطبة

هناك أبحاث بين شراح نهج البلاغة بشأن المقصود بكلام الإمام عليه السلام إلّا أن المشهور أن المراد به معاوية. فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه: وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عنى زياداً، وكثيراً منهم يقول إنه عنى الحجاج أو المغيرة، والأشبه عندي أنه عنى معاوية، لأنه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً، يقعد بطنه إذا جلس على فخذه. [٤٢٣] وروى أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفينانية أن أبازر قال لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا ولي الأمة الاعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرهما منه»،

كما أورد عدة روايات من المصادر المعروفة من قبيل تأريخ الطبري وتأريخ الخطيب وكتاب صفين عن أبي سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، أو فاضربوا عنقه» [٦٤٤]

فالعبارات الواردة في الرواية والتي تشبه

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٦

عبارات الخطبة تفيد أنّها بشأن معاوية. والشاهد الآخر موضوع السب الذي ورد آخر الخطبة، حيث نعلم جميعاً بان معاوية كان يحرض الناس على سب أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر، فهل من داع للتحري عن فرد آخر وردت بشأنه الخطبة سوى التعصب والعناد؟! على كل حال فإنّ الإمام عليه السلام تحدث في هذه الخطبة عن حاكم نهم أكل مندمح البطن يأمر الناس بسبه والبراءة منه. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى وظيفة الائمة حيال ذلك. وقد أثبت التأريخ صحة نبوءة الإمام عليه السلام التي تحققت في عهد معاوية. وأخيراً أشار الإمام عليه السلام إلى بعض فضائله في آخر الخطبة.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٧

«أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْذِحُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ إِلَّا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسَبُّنِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَبَرَّءُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ».

الشرح والتفسير

## إحذروا العدو

كما أوردنا سابقاً على ضوء الأحاديث والروايات أن الإمام عليه السلام تنبىء بحكومة معاوية وما تفضى إليه هذه الحكومة من مفسد فقال:

«أما إنّ سيظهر عليكم بعدى رجل رحب، البلعوم [٦٤٥]، مندحق البطن، ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد».

يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى وضعه الظاهري، حيث تفيد بعض الروايات أنّه كان بهذه الصفات، ومن هنا كان أكله، ويمكن أن تكون كناية عن حالته الروحية والنفسية في ظل الحكومة، في أنّه حريص وتوسعي ولا يشعبه شيئاً من الحكومة، ولا يبعد أن يكون المراد كلا المعنيين الروحي والجسمي أو الحقيقي والكنائي، وذلك لأنه جمع النوعين من هذه الصفات.

ثم قال عليه السلام:

«فاقتلوه ولن تقتلوه»

قطعاً أنّ مخاطب الإمام عليه السلام بهذه العبارة هم أهل العراق، وكان يعلم الإمام عليه السلام بعدم قدرتهم على ذلك بسبب ضعفهم ووهن ارادتهم في إتخاذ القرار، أو أنّهم قد يستطيعون قتله إلا أنّهم لا يمتلكون الشجاعة والإرادة التي ترفعهم إلى ذلك. أمّا لماذا

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٨

حكم الإمام عليه السلام بقتله، فأوضح بسبب هو ذلك الفساد الذي أشاعه بين المسلمين ليكون مصداقاً بارزاً للمفسد في الأرض إلى جانب سلبه لأمن البلاد الإسلامية وأخيراً إثارته المعارك التي سفكت فيها دماء المسلمين. وناهيك عما سبق فقد ابتدع تلك البدع العظيمة التي غيرت معالم الدين إضافة إلى أمره بسبب أمير المؤمنين على عليه السلام الذي قال بحقه رسول الله صلى الله عليه وآله

«من سب علياً فقد سبني» [٦٤٧]

. ثم تنبى الإمام عليه السلام بهذه المسألة فقال:

«إلّا وإنّه سيأمركم بسبى والبراءة مني»

وهذا بدوره يكشف عن مدى الحقد والضغينة التي كان يكنها معاوية لعلی عليه السلام رغم علمه بفضائله التي صرح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعتها القاصي والداني والتي تثبت بطلان حكومته، ومن هنا سعى جاهداً ليحول دون اطلاع أهل الشام على هذه الاحاديث تمهيدا إلى منعها بالمرّة وتحريفها. ثم أصدر أوامره بسب علي عليه السلام من على المنابر وفي خطب صلاة الجمعة، حتى كان ينبري أحدهم ليقول خير ما نختم به خطبتنا سب أبي تراب، وبالطبع فإنّ إشاعة السب تعنى عدم إمكانية التحدث بالفضائل، وهذه أسوأ بدعة ابتدعتها معاوية يتعذر تبريرها على أي متعصب حقود، وما أروع ما قال الشاعر بهذا الشأن:

أعلى المنابر تعلنون بسبه وبسيفه نصبت لكم أعوادها [٦٤٨]

الجدير بالذكر أنّ بعض بطانته معاوية أذعن إلى أنّ السب بدعة ظالمة لترسيخ دعائم حكومة معاوية، ومنهم مروان بن الحكم، إلّا أنّه لما سئل عن علّة السب، أجاب: «إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك» [٦٤٩]. ثم أوصى الإمام عليه السلام بكيفية التعامل مع هذه البدعة فقال «فأما السب فسبوني، فانه لى زكاه ولكم نجاه وأما البراءة فلا تتبرأ وامنى، فانى ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة». ويبدو من هذه العبارة أنّ السب أمر واجب الزامى لا إباحى لأنّه يتضمن حفظ دماء الشيعة وايصال مبادئ مدرسة أهل البيت عليهم السلام. إلّا أنّ هذا الأمر قد يكتسب صفة الاباحة كما عبر عن ذلك علماء الاصول حيث أمر الوجوب يقتصر على احتمال المنع لتوهم الخطر، ومن هنا فان بعض تلامذه الإمام عليه السلام كرشيد الهجرى وميثم

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٠٩

التمار وقنبر وسعيد بن الجبير الذين صمدوا وأبوا سبوا على حتى قتلوا فأنّهم لم يرتكبو أى خلاف، بل أتوا بعمل عظيم أهلهم للشهادة. ويتضح ممّا سبق بأنّ المؤمن إذا عرض للاساءة من قبل العدو أو دفع الناس لانتهاك حرمة فانّ ذلك ليس فقط لا يحط من قدره فحسب، بل يزيده عزة وكرامة. وهنا يبرز هذا السؤال: ما الفرق بين السب والبراءة بحيث أذن الإمام عليه السلام بالسب ولم يأذن بالبراءة لثلاث: أولاً: أنّه ولد على فطرة الإسلام والإيمان، ثانياً: أنّه كان من السابقين للإسلام والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله، والثالث: سبقه إلى الهجرة من مكة إلى المدينة؟ فقد كثر الكلام بين المفسرين بشأن الفارق بين السب والبراءة، لا يخلو بعضه من التكلف وعدم الاقتناع، ويبدو أنّ الاقرب فى الفارق بينهما أحد أمرين: الأول أنّ سب الإنسان قد يكون إشارة إلى سوءه ولا يعطى مفهوم الكفر والشرك، أمّا البراءة فتعنى التبرى من دينه ومعتقداته كما ورد ذلك فى الآية الاولى من سورة التوبة: «برآءة من الله ورَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» وعليه فمفهوم البراءة من الإمام عليه السلام هو البراءة من الدين والإسلام، ومن هنا منع الإمام عليه السلام حتى من البراءة منه باللسان، فالواقع أنّ الإمام عليه السلام أذن بالإساءة إلى شخصه لكنه لم يأذن بالاساءة إلى دينه ولو لفظياً- والآخر أنّ أغلب الناس يتصورون أنّهم إذا إجبروا على كلام لا يمكنهم الاقتناع بالألفاظ ولا بدّ من أن ترافقه التية، ومن هنا فمن اجبر على إجراء صيغة الطلاق فانه لا بدّ أن يقصد اللفظ والمعنى حين الصيغة، ان كان طلاق المكره باطلاً إلّا أنّه يتضمن قصد الانشاء ولذلك لا يستدل الفقهاء على بطلان هذا الطلاق بعدم قصد المعنى، بل يستندون فى بطلانه على الاكراه، ويصدق هذا الأمر على السب، فقصد السب سبى، الا- أنّ قصد البراءة أسوأ، لأنّ الأول يهدف نفي حرمة الإنسان، أمّا الثانى فيهدف البراءة من دينه ومعتقد؛ أى إسلامه وليس هنالك من مسلم مستعد لهذا العمل. والدليل على ذلك الامور الثلاث التي ذكرها الإمام عليه السلام فى

نهيها عن البراءة:

الأمر الأول:

«فانى ولدت على الفطرة».

أما كيف علّل نهيها لهم على البراءة منه عليه السلام، بقوله:

«فإني ولدت على الفطرة»؛

فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام، لأن كل أحد يولد على الفطرة؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «كل مولد يولد على الفطرة؛ وإنما أبواه يهودانه وينصرانه».

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٠

والجواب، أنه عليه السلام علّم نهيهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل؛ وهي كونه ولد على الفطرة، وكونه سبق إلى الإيمان والهجرة؛ ولم يعلل بأحد هذا المجموع، ومراده ها هنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية؛ لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل؛ والنبي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل؛ وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشرين عشرين يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد؛ وكان ذلك إرهاباً لرسالته عليه السلام فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولّى لتربيته مولود في أيام النبوة، وليس بمولود في جاهلية محضة، ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل. وقد روى أن السنة التي ولد فيها عليّ عليه السلام هي السنة التي بدى فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكشف عن بصره، فشهد أنواراً وأشخاصاً؛ ولم يخاطب فيها بشيء. وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبئ والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة وبولادة عليّ عليه السلام فيها، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة؛ وقال لأهله ليلة ولادته، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً:

«لقد وُلد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة»،

وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغم عن وجهه؛ وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه، وتمهدت قواعده عليه السلام.

الأمر الثاني

«وسبقت إلى الإيمان»

فقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن أول من أسلم بعد خديجة الكبرى علي بن أبي طالب عليه السلام. وتسالم الفريقان على أن علي عليه السلام أول من أسلم. وقال ابن أبي الحديد لم يتردد في ذلك أحد من علماء الإسلام. [٤٥٠]

الأمر الثالث: «والهجرة» كيف قال:

«إنه سبق إنّي الهجرة»

ومعلوم أن جماعة من

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١١

المسلمين هاجروا قبله، منهم عثمان بن مظعون وغيره؛ وقد هاجر أبو بكر قبله، لأنه هاجر في صحبة النبي صلى الله عليه وآله؛ وتخلف عليّ عليه السلام عنهما، فبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومكث أياماً يردّ الودع التي كانت عنده، ثم هاجر بعد ذلك؟

والجواب، أنه عليه السلام لم يقل:

«وسبقت كل الناس إلى الهجرة»؛

وإنما قال:

«وسبقت»

فقط؛ ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة؛ ولا شبهة أنه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة، ولم يهاجر قبله أحد إلا نافر يسيراً جداً.

وأيضاً فقد قلنا إنه علل أفضليته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور: منها ولادته على الفطرة، ومنها سبقه إلى الإيمان، ومنها سبقه إلى الهجرة؛ وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره؛ فكان بمجموعها متميزاً عن كل أحد من الناس.

## تأملات

### ١- علّة عدم ذكر الإمام عليه السلام للشخص المقصود بالخطبة

أوردنا سابقاً أنّ كافة القرائن تدل على أنّ المراد بالشخص الذي بين الإمام عليه السلام صفاته هو معاوية، وذلك لانطباق كافة الاوصاف عليه إلى جانب كونه هو الذي سنّب الإمام عليه السلام ولم يتدع هذا الأمر أحد غيره، ولعل عدم التصريح به يستند إلى رعاية متأنه البيان، أو إثارة حس الاطلاع لدى الامة لتقف بصورة أعمق على هذا المطلب ولا سيما بالاستناد إلى هذه الصفات، أضف إلى ذلك فإنّ الخطبة حيث تضمنت بعض النبوءات الصريحة فإنّ الإمام عليه السلام لم يشئ الافصاح أكثر عن هذه الموضوع.

### ٢- لماذا حكم الإمام عليه السلام بهدر دم معاوية؟

لقد صرّح الإمام عليه السلام في هذه الخطبة بقتل من إشتمل على هذه الصفات، كما قال ولن تقتلوه. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لم هدر الإمام عليه السلام دمه؟ والجواب واضح لدى العلماء والفقهاء، لأنّ من يخرج على الإمام المعصوم فهو ناصبي خارج من ربة الإسلام، وقد خرج على إمام ثبتت إمامته بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وعن طريق بيعه الامة. أضف إلى ذلك فقد رسخ نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٢

معاوية أساس الفساد في الأرض وبابشع وأوسع صورته، وقد جيش الجيوش ضد الإمام عليه السلام حتى سالت أنهاراً من الدماء في تلك المعارك. إلى جانب بعثه ببعض أشقيائه لشن الغارات تلو الغارات على مناطق العراق المعروفة وأخيراً قتله لمحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وسائر كبار صحابة الإمام عليه السلام لتجعله في مصاف المفسدين في الأرض والذي حكم القرآن بهدر دمهم. فاذا كان هناك بعض الأفراد المتعصين الذين لا يكثر ثون لكل هذه الأعمال ويبررونها باسم الاجتهاد فلنا كلام آخر. فقد ورد في الحديث الشريف أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يا علي حربك حربي وسلمك سلمى» [٦٥١]

وكلنا نعلم بأنّ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله تجب الكفر حيث يصطلح على من يحاربه بالكافر الحربي الذي يباح دمه. وورد في حديث آخر أنّ ابن عباس كان قد كف بصره فمر بجماعة يتحدثون فسأل دليلاً ماذا يقولون: أجاب: يسبون علياً عليه السلام. قال فاحملني إليهم ثم سألتهم: لم تسبون الله؟ قالوا سبحان الله من سب الله فقد كفر، قال: فمن منكم سب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا سبحان الله من سب رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كافر. قال فمن سب علياً عليه السلام؟

قالوا: نعم نحن سبناه. قال ابن عباس فأنى أشهد الله أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال

«من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عزوجل ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار. ثم التفت ابن عباس إلى دليله وقال له: كيف رأيتهم. فانشد يقول:

نظروا إليك باعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجارز

قال ابن عباس: فداك أبووك زدني. فقال:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

أحيائهم عار على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر [٦٥٢]



ومن الطبيعي أن الحكم المذكور إذا كان السب يستند إلى الإرادة والاختيار ويستثنى منه الاكراه والتهديد والاجبار. جدير بالذكر أن ابن أبي الحديد قال، لو افترضنا أن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على خلافة علي عليه السلام نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٣

أفلم يسمع معاوية قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت»

وقوله:

«حربك حربي وسلمك سلمى» [٦٥٣]

ومن الطبيعي أن من يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله يهدر دمه، وعليه فالذي يحارب الإمام عليه السلام يهدر دمه.

### ٣- تاريخ سب الإمام علي عليه السلام

قوله عليه السلام:

«يا مكرم بسبّي والبراءة مني»

، فنقول: إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي عليه السلام والبراءة منه.

وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه فأزاله. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك، وصد عن سبيلك فاعنه لعناً وبئلاً، وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر؛ إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز.

وذكر أبو عثمان أيضاً أن هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب، فقال: أكفف، فما لهذا جئنا.

وذكر المبرّد في "الكامل" أن خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته، وأبالحسن والحسين! ثم يقبل على الناس، فيقول هل كُنيت!

وروى أبو عثمان أيضاً أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً!

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٤

قال محمد بن الحنفية في علي عليه السلام: كان يد الله على أعداء الله، وصاعقاً من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم فشنّوه وأبغضوه، وأضمرُوا له الشنف والحسد، وابن عمه صلى الله عليه وسلم حتى بعد لم يمت؛ فلما نقله الله إلى جواره، وأحب له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشفّت أضغانها، فمنهم من ابتزّ حقه، ومنهم من ائتمر به ليقته، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل؛ فإن يكن لذريته وناصرى دعوته دولة تنشر عظامهم، وتحفر على أجسادهم؛ والأبدان منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الأحياء منهم، وتذل رقابهم، فيكون الله عز اسمه قد عدّبهم بأيدينا وأخزاهم؛ ونصرنا عليهم؛ وشفّا صدورنا منهم؛ إنه والله ما يشتم علياً إلّا كافر يسرّ شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن يبوخ به، فيكنى بشتم علي عليه السلام عنه. ما إنّه قد تخطت المنية منكم من امتدّ عمره، وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه:

«لا يحبّك إلا مؤمن ولا يُبغضك إلا منافق، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

## ٤- التقيه وسيله دفاعيه

تطرق بعض شراح نهج البلاغه هنا إلى موضوع التقيه وشرعيتها، ولا- بأس أن نتعرض إليها هنا بصورة مختصرة ونوكل الخوض في التفاصيل إلى محلها. فالتقيه بالمعنى اللغوي إجتنب الشئ بينما ذكروا لها عدة تعاريف إصطلاحية، أهمها إخفاء العقيدة أو الدين خوف الضرر أو لمصلحته من المصالح ومنها حفظ الوحدة وإجتنب الاختلاف أمام الأعداء. ويستند هذا المعنى إلى القرآن الذى تحدث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين كانوا قلة:

«لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ»

ثم قال:

«إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» [٦٥٤]

، فقد تحدثت الآية صراحة عن التقيه بما لا يبقى من مجال للشك فيها. أما قصة تقيه عمار ونطقه ببعض الكلمات ضد الإسلام والنبى صلى الله عليه وآله أمام المشركين

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٥

فهى مشهورة معروفة، فقد اضطرت لتلك الكلمات، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً خشية فساد دينه وإيمانه، فهدأه رسول الله صلى الله عليه وآله في أن الاكراه هو الذى دفعه إلى ذلك فلا ضرر على دينه وأن الله أنزل بحقه قرآناً: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» [٦٥٥] «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَيْدراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [٦٥٦] النموذج الآخر للتقيه ما ورد في سورة غافر بشأن مؤمن آل فرعون: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» [٦٥٧] فالقرآن يثنى على هذا المؤمن ويستحسن كلامه ويصرح برضى الله بتقيته. كما تظافت الروايات الإسلامية التى أكدت على أهمية التقيه لتصفها بأنها تقى المؤمن مخاطر الأعداء وتحفظ دمه وأن التقى من الدين، ومن لا تقيه له لا دين له، والإيمان بلا تقيه كالجسد بلا رأس، وأنها من أفضل الأعمال، ولا نرى البحث يتسع للخوض في التفاصيل، ومن أراد المزيد فليرجع إلى القاعدة السابعة من المجلد الأول لكتاب القواعد الفقهية. أضف إلى ذلك فإن فلسفة التقيه واضحة، وهى أن اظهار العقيدة الباطنية أحياناً قد يسبب بعض الأخطار على النفس والعرض والمال دون أن تترتب عليه أية فائدة، فالعقل يحكم بضرورة عدم إهدار القوى والطاقات عبثاً، ولا بد من حفظها بواسطة التقيه واستثمارها في المواقع المطلوبة. ولعل هذا هو المعنى المراد بوصفها بترس المؤمن أو جنه المؤمن. فالواقع هو أن التقيه لا- تعنى الفرار من المسؤولية، بل هى أشبه بالتكتيك الحربى عن طريق الاستتار وإعادة تنظيم القوة واللجوء إليها في الوقت المناسب.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٧

## الخطبة [٦٥٨] الثامنة والخمسون

## إشارة

ومن كلام له عليه السلام

كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا:

لا حكم إلا لله

## نظرة إلى الخطبة

تفيد عبارات هذه الخطبة أن الخوارج ذهبوا إلى أن الحكم لله بعد أن فرضوا التحكيم على الإمام عليه السلام ورجعوا عنه، وأن من ينكر ذلك الشعار قد خرج من الدين، ثم إندفعوا أبعد من ذلك ليتهموا على عليه السلام بالخروج من الإسلام لقبوله التحكيم وعليه أن يتوب. والحال أن التحكيم فرض على الإمام عليه السلام، ولو فرضنا ان الإمام عليه السلام إقترح ذلك فاصل التحكيم لا يخالف الإسلام، وانحرف في صفتين واستغل من قبل معاوية. على كل حال فإن الإمام عليه السلام يدعو عليهم ويذكرهم بسوء مقاتلهم، ثم يخبر عن المستقبل المظلم للخوارج والذل الهوان الذي ينتظرهم.

ج ج

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤١٩

«أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثَرٌ، أَبْعِدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» فَأُوبُوا شَرَّ مَا بَ وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَيَتَلَقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَسَيَفِئَا قَاطِعًا وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً».

الشرح والتفسير

## فضاعة مظلومية الإمام عليه السلام

كما ذكرنا أن الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين رأى الخوارج التحكيم في صفتين ثم رجعوا عنه ورفعوا شعار «لا حكم إلا لله» وطالبوا الإمام عليه السلام بالتوبة لقبوله التحكيم ليلتحقوا به فيقاتلوا أهل الشام، فقال عليه السلام: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثَرٌ، أَبْعِدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ».

يالها من مصيبة أن يتلى بهؤلاء الحمقى فرد مثل على عليه السلام أول من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله ووقف إلى جانبه في جميع الغزوات - إلا - في البعض التي استخلفه فيها رسول الله صلى الله عليه وآله - وثبت في المواقع التي تنكص فيها الإبطال ليسقى شجرة الإسلام والتوحيد بلسانه وسيفه، فيطالبه أولئك الحمقى بالاعتراف بالكفر والتوبة. ولعل تأريخ الإسلام لم يشهد مثل هذه الحادثة المروعة، ومن هنا نقول بأن مظلومية الإمام عليه السلام كانت وما زالت تفوق من سواه. وكما صرح عليه السلام في الخطبة السابقة:

«فَأَنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ»

؛ الأمر الذي أكده علماء الفريقين وأنه لم يشرك بالله طرفه عين أبداً أنه خاض غمار الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في كافة الغزوات سوى تبوك حين كلفه النبي صلى الله عليه وآله بحفظ المدينة، العبارة «أصابكم حاصب» وبالالتفات إلى أن المراد بالحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء بحيث قد تدفن أحياناً قافلة، تفيد الدعاء عليهم في أن يرسل الله عليهم العذاب السماوي، كما يمكن

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٠

أن تكون كناية عن المشاكل الاجتماعية التي تعصف بحياتهم والعبارة «ولا بقي منكم آثر» واستناد إلى أن المقصود بالأثر الشخص الذي يثر الحديث، أي يرويه، فكأنه قال عليه السلام لا بقي منكم مخبر وهلكتم بأجمعكم (طبعاً نقلت هذه المفردة بعدة صور ذات معان مختلفة سنعرض لها في شرح كلام السيد الرضى آخر الخطبة). ثم تساءل الإمام عليه السلام باستغراب عن ذلك الطلب المشين

وهو من روى شجرة الإسلام بجهاده العظيم ومواقفه المشهودة وشده أزر رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو أول من آمن وأسلم وهاجر، فهل لمثل هذا الفرد أن يضل وينحرف عن السبيل. ثم أشار عليه السلام إلى موضوعين، الأول دعاؤه عليهم «فأبوا» [٦٥٩] شرمآب وارجعوا على أثر الاعقاب» [٦٦٠]

فقد دعا عليهم في العبارة الأولى سائلاً الله لهم الذل والهوان في الدنيا والآخرة، وفي العبارة الثانية سأل الله أن يبتليهم بما ابتلى به مشركى الجاهلية الذى كانوا على غرار الخوارج يرون آيات الله ثم يجحدونها. وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن قوله: «ارجعوا...»

أراد به توبوا، بينما تفيد قرينه هذا القول انه استمرار للدعاء السابق. والثانى نبوءته بمستقبلهم «أما ارنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً وسيلاً قاطعاً وأثره يتخذها الظالمون فيكم سنة»

جدير بالذكر أن نبوء الإمام عليه السلام بحق الخوارج قد تحققت حيث ابعدوا في مختلف الحروب وتجرعوا الذل والهوان. وقد أفرد ابن أبى الحديد فصلاً أسماه أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحرورهم ليخوض في تفاصيل أحداث زعمائهم وسنتطرق إلى ذلك في الأبحاث القادمة.

قال السيد الرضى (ره) شارحاً بعض مفردات الخطبة: قوله عليه السلام «ولا بقى منكم آبر»

يروى على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون كما ذكرناه: آبر بالراء، من قولهم للذى يأبر النخل - أى يصلحه - ويروى «آثر» وهو الذى يآثر الحديث ويرويه أى يحكيه، وهو أصح الوجه عندى، كأنه قال: لا- بقى منكم مخبراً، ويروى آبز- بالزاي المعجمة- وهو الواثب. والهالك أيضاً يقال له «آبز».

ح ج

اثره اسم مصدر من مادة استثار بمعنى الاستبداد.

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢١

## الخطبة [٦٦١] التاسعة والخمسون

### إشارة

وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم عبروا جسر النهروان.  
«مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّطْفَةِ وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ».

الشرح والتفسير

### هل من سبيل لعلم الغيب

لاشك ولا ريب أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و آله وائمة العصمة عليه السلام قد أخبروا كراراً عن الامور الغيبية، وعبارة اخرى لهم علم بالغيب، القرآن تحدث عن المسيح عليه السلام فى أن العلم بالغيب كان يمثل إحدى معجزاته فقال «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» [٦٦٢] كما يختتم هذه الآية بان ذلك من آيات الله وصدق دعوى نبوته.

وقد حفل نهج البلاغة ومنه هذا الكلام بالأخبار عن المغيبات. أمّا أنى للإمام عليه السلام بعلم الغيب؟ ما حدود علم المعصوم بالغيب؟

وما تفسير الآيات التي حصرت على الغيب بالله؟

وكيف تفسر الروايات الواردة بشأن إثبات هذا العلم للمعصومين؟ وما إلى ذلك من أسئلة واستفسارات فقد أوكلنا الإجابة عليها في

شرح الخطبة ١٢٨.

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٣

## الخطبة [٦٦٣] الستون

### إشارة

وقال عليه السلام

لما قتل الخوارج فليل له: يا أمير المؤمنين هللك القوم بأجمعهم

«كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجِمَ مِنْهُمْ قَزْنٌ قُطِعَ حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَابِينَ.»

الشرح والتفسير

### مصير الخوارج

هذا الكلام إستمرار لما ورد في الأبحاث السابقة بشأن الخوارج. وهنا أشار الإمام عليه السلام إلى بعض النبوءات بشأن الخوارج؛ الأمر

الذي يمكن اعتباره من معاجزه عليه السلام فقد إستهل كلامه بالرد على بعض أصحابه ممن قال له: يا أمير المؤمنين هللك القوم

بأجمعهم فقال:

«كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء» [٦٦٤]

فحتى لو قتل هؤلاء، فهناك النطف التي

نقحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٤

ستلد في المستقبل وتقتفى آثار الخوارج، وهذا ما حصل بالفعل حيث ظهر مثل هؤلاء الأفراد بعد سنوات، بل قرون لينتهجوا ذات

السييل الذي سلكه أوائلهم. أضف إلى ذلك وكما أشير سابقا فقد نجى تسعة أفراد من أصحاب النهروان وفروا إلى مختلف المناطق

ليرموا هذه المدرسة الفاسدة ويعيدوا بنائها ممن جانب آخر فاننا نعلم بأن من حضر النهروان لم يكونوا جميع الخوارج، بل الخوارج.

ثم اماط اللثام عن تبوءة اخرى فقال عليه السلام:

«كلما نجم [٦٦٥] منهم قرن قطع»

فالعبارة إشارة إلى وحشية الخوارج من جهة وأنهم كالحیوان الذي له قرن لاذی الآخريين، ومن جهة اخرى يشير إلى الانتكاسات

المتتالية والهزائم المتتالية التي يمني بها الخوارج طيلة حياتهم المقيتة؛ الأمر الذي تحقق تاريخياً وسنتعرض له في البحث القادم. ثم

يختتم الإمام عليه السلام كلامه قائلاً:

«حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين»

وهذا هو الأمر الآخر الذي ثبت تحققة تاريخياً، حيث تعرض أرباب التأريخ إلى عدد من مشهورى الخوارج ممن تحولوا إلى لصوص

خطرين، وسنتعرض لهذا الأمر بالتفصيل لاحقاً.

### تأملات

## ١- الخوارج ظاهرة لافرة

يستفاد من كلام الإمام عليه السلام أنّ الخوارج لم يكونوا فرقة معينة، يقدر ما كان يراهم الإمام عليه السلام ظاهرة حية طيلة التاريخ الإسلامي، حتى أنّ القرائن تفيد أنّ هذه الظاهرة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أورد المفسر الجليل المرحوم الطبرسي عن أبي سعيد الخدري في ذيل الآية «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ...» [٦٦٦] أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين قسم غنائم قبيلة هوازن على المسلمين يوم حنين قام إليه حرقوص بن زهير وقال: اعدل يا محمد! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن ذا يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله:

«دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»  
وأضاف المرحوم الطبرسي وجاء في حديث آخر أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٥

«فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم»

فترت الآية المذكورة: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسِيخُطُونَ». فالواقع أنّ هذه الكلمات تفيد إمتداد الجذور الفكرية للخوارج إلى عصر النبي صلى الله عليه وآله وأنهم لم يكونوا يتورعون حتى عن مجابهة النبي صلى الله عليه وآله إذا تعرضت مصالحهم للخطر. ونقل ابن أبي الحديد عن مسند أحمد بن حنبل أنّ عائشة سألت مسروق: هل عندك علم من المخدج (أحد زعماء الخوارج)؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر قالت عائشة: إبعني على ذلك بيته. فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك. قال فقلت لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول:

«إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيله» [٦٦٧]

. هذا ويمكن ايجاز مميزات الخوارج فيما يلي: إنهم طائفة تعنى كثيراً بظواهر العبادات وحتى المستحبات والمكروهات البسيطة وهذا ما جعلهم يعيشون الغرور ويشعرون بالعجب، وبالمقابل كانوا أفراد جاهلين متعصبين خارجين عن حدود الادب والخلق، ولا يتورعون عن أفذر الأساليب من أجل تحقيق مآربهم، وأفضل نموذج على ذلك سوء خلق «ذو الخويصرة»

(حرقوص) وفضاضته تجاه النبي صلى الله عليه وآله. صحيح أنّ الخوارج ظهروا في صنفين بعد التحكيم إلّا أنّ هذا لا يعنى عدم وجود إمتداداتهم الفكرية لما قبل عصر الإمام عليه السلام ومازلنا إلى اليوم نلمس ثقافتهم وأفكارهم المنحطة لدى بعض طبقات وفئات مختلف المجتمعات البشرية، ولعل أغلب الوهابيين ينتمون إلى هذه الزمرة، لأنهم يتصفون بصفاتهم. كما نرى في أوساطنا بعض الأفراد الشديدي الالتزام بقشور الدين بينما يرون إنحراف كبار علماء الدين عن الصراط المستقيم ويسعون جاهدين لاثارة البلايل والفتن. ولا يبدو القتال علاجاً لمرض هذه الفئة الضاللة، بل علاجها يكمن في رفع المستوى الثقافى للامة وانفتاحها على المسائل الدينية والعقائدية؛ الأمر الذى صرح به الإمام عليه السلام فى الخطبة القادمة. وقد أشار الإمام عليه السلام فى الخطبة السادسة والثلاثين إلى مدى جهل هؤلاء الأفراد فقال

«وأنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الاحلام ولم آت - لا بألكم - بجرا ولا أردت

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٦

لكم ضراً».

وكفى هذه الفرقة ضلالة وانحرافاً وفضاضة ما فعلته بصحابى النبي صلى الله عليه وآله عبد الله بن الخطاب المعروف بورعه وتقواه وزوجته الحاملة حيث قتلها بتلك الطريقة البشعة وبقرت بطن زوجته لأنهما لم يتنكراً لعلى عليه السلام بينما كانت تستشكل قتل

اليهودى، بل كانت لا ترى جواز قتل الخنزير. بل كانوا يشكلون على أحدهم إذا تناول ثمرة مهملة تحت شجرة دون إذن صاحبها، بينما لا يتورعون عن سفك دماء كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. كان هنالك تناقضاً واضحاً بين ظاهرهم وباطنهم وأقوالهم وأفعالهم، حتى إمتد ذلك التناقض إلى عقائدهم الفقيهية والكلامية، فكانوا يرون وجوب قتل مرتكب الكبيرة، بينما يعتقدون بعدم الحاجة إلى الحاكم رغم الفوضى والهرج والمرج الذى يسود المجتمع. وتفيد القرائن أنهم كانوا مفرطين فى المسائل الجنسية وغارقين فى الشهوات، ولعل هذا ما جعلهم يجوزون العقد على تسع نساء، ولا يرون الرجم عقوبة لمن زنا وهو محصن. ومن الطبيعى أن تتفرع هذه الفرقة عدة فروع بفعل ذلك الجهل والتعصب والحمق، ومن هنا لم تمض عليها مدة حتى انقسمت فرقا لكل منها زعيم من قبيل الازارقة والنجدات والصفريه والعجاردة والثعالبة وما تشابه ذلك.

لعلنا نلمس هذه الفرقة اليوم فى الوهابية التى تعيش التمسك بظاهر العبادات وتخرج فى المكروهات والمباحات وتؤدى المستحبات، بينما تكفر أغلب المسلمين من السنة والشيعة وتبيح دمائهم، ورغم ضحائهم الفكرية وجمودهم إلا أنهم يرون أنفسهم أفضل من غيرهم، فهم كالخوارج يرون أنفسهم الحق المطلق وما سواهم باطلاً.

## ٢- الخوارج لوصفاً سلابين

يشهد التاريخ بتحقيق ما أخبر به الإمام عليه السلام عن الخوارج من أن آخرهم لوصفاً سلابين. فمن بين الأفراد الذين ذكرهم ابن أبى الحديد الذى آل أمرهم إلى السرقة والسلب: الوليد بن طريق الشيبانى على عهد هارون الرشيد. فبعث له هارون بيزيد بن مزيد هو من بنى شيان فقتله وأتاه برأسه وابن عمرو الخثعمى على عهد المتوكل العباسى الذى عرف بقطعه للطرق، فبعث له بأبى سعيد محمد بن يوسف الطائى، إلا أنه هرب بينما قتل جمع كثير من صحبه وأسر آخرون. ثم ظهرت جماعة منهم فى منطقة كرمان وعمان فكانوا مفسدين فى الأرض ومحاربين،

نفحات الولاية، ج ٢، ص: ٤٢٧

أما أسماءهم فقد أحصاها أبو اسحاق الصابى فى كتاب التاجى. [٤٦٨]

تم المجلد الثانى لشرح نهج البلاغة

لقد إنتهى المجلد الثانى من الشرح باختتام الخطبة الستين، ولا يسعنى هنا إلا أن ابتهل إلى الله بفائق الشكر لما وفقنى من القيام بهذا العمل المتواضع سائلاً إياه الاخذ بيدي إلى إتمام هذا العلم، كما أسأله أن يوفقنا لأن نعيش هذه الكلمات على مستوى القلب والعمل فتقودنا إلى سعادة الدنيا والآخرة. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السابع من صفر عام ١٤١٩

الولادة الميمونة للإمام الكاظم عليه السلام

[١] (١) نقل كتاب مصادر نهج البلاغة هذه الخطبة التى أوردها السيد الرضى رضى الله عنه فى الخصائص / ٨٧ وأضاف فى ذيل الخطبة ١٦٧- التى تعد هذه الخطبة جزءاً منها- قائلاً: (رواه الطبرى) فى تاريخه ضمن حوادث سنة ٣٥ هـ (مصادر نهج البلاغة ١ / ٣٧١ و ٢ / ٤٠٣).

ويتبين من الرجوع إلى تاريخ الطبرى أن الأئمة بايعت علماً عليه السلام يوم الجمعة لخمسة بقين من شهر ذى الحجة وأنها أول خطبة

أوردها على عليه السلام ضمن خطبته ١٦٧. تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٧.

[٢] (١) منهاج البراعة ٣/ ٣٠١.

[٣] (١) معارج نهج البلاغة، بيهقي / ١٠٩.

[٤] (١) منهاج البراعة ٣/ ٤-٣.

[٥] (١) لقد أورد هذه الخطبة وشرحها كل من المرحوم «الشيخ المفيد» في «الإرشاد» في الفصل ٢٢ من كلمات الإمام على عليه السلام، والكليني في «الكافي» ٥/ ٥٣ كتاب الجهاد إلى جانب بعض الخطب الأخرى، والمرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٢/ ١٩٣. كما ذكرها ابن أثير في عدة مواضع من كتابه النهاية بتناسب مفردات الخطبة. ويضيف مؤلف مصادر نهج البلاغة قائلاً: لقد أقتبست هذه الخطبة من سائر خطبه عليه السلام، فهو يعتقد بأنها مرتبطة بالخطبة ٢٦، كما يرى بأن هذه الخطبة ذات ارتباط بالخطبة ١٧٢- مصادر نهج البلاغة ١/ ٣٧٣.

[٦] (١) بحار الأنوار ٣٢/ ٢٦٧ ح ٢٠٦ نقلًا عن الاحتجاج للطبرسي.

[٧] (٢) شرح القطب الراوندي ١/ ١٨٨.

[٨] (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٠٥.

[٩] (١) لم تكن قضية المطالبة بدم عثمان شعار أهل الشام وذريعتهم لإشعال فتيل صفيين، بل استغلت كذلك من قبل طلحة والزبير وعائشة لتنتهي بنشوب معركة الجمل. وقد ذكر ابن أثير- المورخ المعروف- في «الكامل» أن عائشة حين قدمت إلى المدينة من مكة سمعت أثناء الطريق بقتل عثمان واجتماع الأئمة على على عليه السلام، فاغتمت وقالت: ليت السماء أطبقت على الأرض ولم يقع هذا، ثم أمرت باعادتها إلى مكة. فقالت «إن عثمان قُتل والله مظلوماً» فقام إليها من قال لها: إنك أول من تحدثت ضد عثمان واسميتها نعتاً (قيل أن نعتاً رجل يهودي كثر اللحية، وقال صاحب «لسان العرب» أن نعتاً تعني العجوز الأحمق) وأنت قلت: إقتلوا نعتاً فقد كفر (الكامل ٣/ ٢٠٦).

[١٠] (٢) ذمر من مادة «ذمر» بمعنى «التشجيع والحث» وقيل بمعنى التحريك المقرون بالذم والعتاب، ومن هنا كان الذم على وزن «الذهن» يعني الرجل الشجاع والمتحرك.

[١١] (٣) جلب تعني في الأصل السوق والانتقال ويقال الجلب بالنسبة للأفراد الذين يجمعون بسهولة. استجلب هنا بمعنى الاجتماع.

[١٢] (١) سورة المجادلة

[١٣] (٢) سورة المجادلة/ ١٩.

[١٤] (١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٣.

[١٥] (٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤١١.

[١٦] (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/ ٢١٥.

[١٧] (١) منهاج البراعة ٣/ ٣١٠.

[١٨] (٢) «الخبية» بمعنى اليأس، والمراد بالداعى هنا طلحة والزبير الذين دعوا الناس للخروج على عثمان. وقوله إلام اجيب، تحقيراً لأولئك الذين اتبعوهما دون دليل.

[١٩] (١) سورة الحجرات / ٩.

[٢٠] (٢) إحقاق الحق ٤/ ٩٩ نقلًا عن ينابيع المودة.

[٢١] (١) العبارة مثل عربي معروف وقد أشير إليه في بعض الروايات الإسلامية ومنها الخطبة ١٦٨ من خطب نهج البلاغة.

[٢٢] (٢) «طعان» بمعنى الضرب بآلة وتستعمل عادة للرمح ويقال لذرب اللسان طعن أيضاً.



- [٢٣] (٣) «جلاد» من مادة «جلد» بمعنى الضرب بالعصا أو السيف أو السوط وهو هنا كناية عن الحرب.
- [٢٤] (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٠٦.
- [٢٥] (٥) «هبلتهم» بمعنى ثكلتهم، والهبول بفتح الهاء المرأة التي لا يبقى لها ولد، وهو دعاء عليهم بالموت.
- [٢٦] (١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم لمئة كلمة مختارة من الجاحظ، الكلمة الاولى.
- [٢٧] (١) أورد المرحوم الكليني عن الإمام الحسن عليه السلام قسماً من هذه الخطبة في كتاب الكافي ٥/ ٥٦، كما أورد قسمها الآخر - حسب صاحب مصادر نهج البلاغة - نصر بن مزاحم في صفين وابن عبد ربه في العقد الفريد والزمخشري في ربيع الأبرار.
- [٢٨] (١) «غفيرة» من مادة «غفر» بمعنى الستر ومن هنا اطلقت المغفرة على ستر الذنوب كما تطلق على المال الكثير لتغطيته جزءاً واسعاً من الحياة، حتى أنه يستر العيوب أحياناً، ولذلك يقال للكثرة والزيادة غفيرة.
- [٢٩] (١) «الفالج» من مادة «فالج»، قال صاحب مقاييس اللغة لها معنيان؛ الأول النصر والغلبة، والآخر المسافة بين شيئين. وفسره صحاح اللغة بالظفر والفوز، وقد ورد هنا بهذا المعنى.
- [٣٠] (٢) «الياسر» من مادة «يسر» بمعنى السهولة، وميسر ويسار حسب قول الراغب في المفردات بمعنى الغنى والثروة. وأطلق على المقامر الذي يلعب بقداح الميسر وقد وردت في العبارة بمعنى اللاعب بالقداح المحفوظ منها.
- [٣١] (٣) «قداح» جمع «قدح» على وزن فعل بمعنى السهم. وهى فى الأصل بمعنى كسر الشيء وعييه.
- [٣٢] (١) شرح نهج البلاغة، المحقق الخوئي، ٣/ ٣١٩ (بتلخيص). وقد وردت إشارة مختصرة إلى هذا المطلب فى كتاب معارج نهج البلاغة وهو من أقدم شروح هذا الكتاب، معارج نهج البلاغة، ص ١١٠.
- [٣٣] (٢) سورة المائدة/ ٩٠.
- [٣٤] (١) بحار الأنوار ٧٥/ ١٤٧.
- [٣٥] (١) مسكن الفؤاد نقلًا عن بحار الأنوار ١٠٠/ ٢٥.
- [٣٦] (١) سورة النور/ ٦٣.
- [٣٧] (٢) سورة آل عمران/ ٢٨.
- [٣٨] (٣) «تعذير» من مادة «عذر» وهنا بمعنى عدم العذر الصحيح.
- [٣٩] (٤) سورة فاطر/ ٢٨.
- [٤٠] (١) منهاج البراعة ٣/ ٣٢٤ كما ورد هذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام فى بحار الأنوار ٦٧/ ٢٤٣.
- [٤١] (٢) سورة النساء/ ٦٩ - ٧٠.
- [٤٢] (١) وسائل الشيعة ١/ ٥٠.
- [٤٣] (١) «عتره» قال أرباب اللغة تعنى أصل الشيء وأساسه، كما قيل أن هذه المفردة أقتبست من عتر (على وزن فطر) نبات معطر كثير الغصون والأوراق وتشير إلى فروع القرابة. وقيل تطلق العتره على الأولاد فقط. وعليه فعتره النبي صلى الله عليه وآله هم ولد فاطمة عليها السلام وإلى ذلك أشار الحديث المعروف «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي (لسان العرب، الصحاح، مقاييس اللغة).
- [٤٤] (١) «حيطة» اسم مصدر من مادة «حوط» بمعنى الاحاطة، وهى هنا بمعنى الرعاية والكلاءة. وقال البعض الحيطة بفتح الحاء بمعنى المراقبة وبكسرها بمعنى الحفظ.
- [٤٥] (٢) «الم» من مادة «لمم» بمعنى الجمع والاصلاح.
- [٤٦] (٣) شعث بالتحريك بمعنى التفرق والانتشار.

- [٤٧] (٤) نهج البلاغة، آخر الرسالة رقم ٣.
- [٤٨] (١) سورة الشعراء / ٨٤.
- [٤٩] (٢) سورة مريم / ٥٠.
- [٥٠] (١) لقد ورد هذا المضمون في عدة روايات ومنها كتاب وسائل الشيعة ١١ / الباب ١٦ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- [٥١] (١) «الخصاصة» هي الفقر والحاجة الشديدة وهي مصدر خص الرجل بمعنى احتاج وافتقر، وقال صاحب مقاييس اللغة تعنى الثلثة ومن هنا أطلقت على الفقر والحاجة لأنها ثلثة في حياة الإنسان.
- [٥٢] (١) بحار الأنوار ٧٤ / ٤١٣.
- [٥٣] (١) بحار الأنوار ٧١ / ١٢٠.
- [٥٤] (٢) بحار الأنوار ٧١ / ٩٧.
- [٥٥] (٣) بحار الأنوار ٧١ / ٢١١.
- [٥٦] (٤) معاني الأخبار نقلًا عن بحار الأنوار ٧١ / ٩٥ ح ٢٦.
- [٥٧] (٥) اصول الكافي نقلًا عن بحار الأنوار ٧١ / ١٢٦.
- [٥٨] (١) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ١ / ١١٢.
- [٥٩] (١) «لعمري» و«عمر» و«عمر» و«عمر» بمعنى مدة الحياة ويقال حين القسم لعمري بفتح العين. وهي هنا مبتدأ لخبر محذوف تقديره «لعمري قسمي» وقد ورد سؤال في مجمع البحرين كيف بهذا القسم وهو لا يجوز بغير الذات الإلهية المقدسة؟ وأجيب بأن هذا القسم ليس حقيقة بل بصورة قسم، وتقديره «بواهب عمري وعمر ك».
- [٦٠] (٢) «خابط» من مادة «خبط» وخابط الغي بمعنى صارع الفساد، وأصل الخبط اليسر في الظلام، وتستعمل للناقء حين تخبط في مشيها.
- [٦١] (٣) «الادهان» من مادة «دهن» بمعنى المنافقة والمصناعة ولا تخلو من مخالفة الباطن للظاهر، كما تستعمل كناية عن المجاملة والمداهنة.
- [٦٢] (٤) «الايهان» من مادة «وهن» بمعنى الضعف سواء في الخلقة أو الأخلاق، والايهان والتوهين بمعنى الاضعاف.
- [٦٣] (٥) نهج البلاغة، الكلمات قصار، ١١٠.
- [٦٤] (٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٤.
- [٦٥] (١) سورة التوبة / ١١٨.
- [٦٦] (٢) سورة الذاريات / ١٥١.
- [٦٧] (٣) «عصب» من مادة «عصب» على وزن ضَرَبَ الذي يربط العظام والعضلات، أي كلفكم به وألزمكم أدائه.
- [٦٨] (١) سورة التوبة / ٥٢.
- [٦٩] (١) جاء في مصادر نهج البلاغة أن المسعودي أورد هذه الخطبة مع اختلاف طفيف في مروج الذهب قبل المرحوم السيد الرضي، ثم قال: وقد أشار إليها العقد الفريد وابن عساكر في تاريخ دمشق.
- [٧٠] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، آخر الخطبة.
- [٧١] (١) الضمير «هي» يعود إلى الحكومة أو البلاد فمفهوم العبارة «ما الحكومة والمملكة التي تحت سيطرتي إلّا الكوفة».
- [٧٢] (٢) «أعاصير» جمع «إعصار» وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود كما تطلق كناية على الأمور الاجتماعية وهي

تعنى الفوضى التي كانت سائدة في الكوفة طول التاريخ.

[٧٣] (١) معجم البلدان، مادة «كوفة»، التاريخ الكامل ٢ / ٥٢٧، قاموس (مادة كوفة).

[٧٤] (٢) سورة التين / ٢.

[٧٥] (٣) سفينة البحار، مادة «كوفة».

[٧٦] (١) نقل هذا الكلام ابن أبي الحديد عن الجاحظ (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٣٤٣).

[٧٧] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦.

[٧٨] (٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

[٧٩] (١) فى ظلال نهج البلاغة ١ / ١٧٧.

[٨٠] (١) الكامل لابن أثير ٣ / ٣٨٣؛ تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٦، ١٠٨.

[٨١] (٢) اطلع، تعنى فى الأصل النظر من الأعلى، واستعملت كناية عن النصر والغلبة المفاجأة، مادة «طلوع» بمعنى الظهور.

[٨٢] (٣) «يدالون» (فعل مضارع مجهول من باب الأفعال) من مدء دولة بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر. ومن هنا اطلقت الدولة

على المال والثروة التى تتداول بين الناس، والمراد بها فى هذه العبارة سيغلبونكم وتكون لهم الدولة بدلکم.

[٨٣] (١) «قعب»، قال بعض أرباب اللغة بمعنى قذح خشبي وقال البعض الآخر قذح كبير ضخم.

[٨٤] (٢) «علاقة» إذا استعملت مفتوحة العين عنت الرابطة المعنوية وإن كسرت كانت بهذا المعنى أو بمعنى الروابط المادية، وقد

وردت هنا بمعنى ما يعلق بالظرف من ليف أو نحوه.

[٨٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣-١٨؛ مروج الذهب ٣ / ١٦٣ (بحث ذكر أيام الوليد بن عبد الملك).

[٨٦] (٢) سورة الأنفال / ٦٢-٦٣.

[٨٧] (١) سورة آل عمران / ١٠٣.

[٨٨] (٢) سورة الانعام / ٦٥.

[٨٩] (١) «سئمتهم» من مادة «سأم» بمعنى الملل والتعب من الشيء.

[٩٠] (٢) «مث» من مادة «ميث» بمعنى حل الشيء فى الماء، ويطلق على المطر الذى يذيب تراب الأرض، كما يطلق على الحوادث

المريرة التى تذيب عقل الإنسان وتصدع قلبه.

[٩١] (١) سورة الأعراف / ٨٢.

[٩٢] (٢) منهاج البراعة ٣ / ٣٥٨. صرح المسعودى - من المؤرخين المشهورين - أن الحجاج ولد عام ٤١ هـ وتوفى عام ٩٥ وله من العمر

٥٤ سنة.

[٩٣] (٣) سورة نوح / ٢٦.

[٩٤] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٣٤١.

[٩٥] (٢) بلوغ الأدب ٢ / ١٢٥.

[٩٦] (٣) المصدر السابق.

[٩٧] (٤) سورة البقرة / ٢٤٩.

[٩٨] (١) مصادر نهج البلاغة ١ / ٣٩٠.

[٩٩] (١) سورة الأحزاب / ٤٥.

[١٠٠] (٢) سورة سبأ / ٢٨؛ سورة فاطر / ٢٤؛ سورة الفتح / ٨ وسورة البقرة / ١١٩.

- [١٠١] (١) «منبخون» من مادة «نوخ» بمعنى تنويم الجمل، ومن البديهي أن يكون موضع استراحة الأفراد هو ذلك الموضع الذي ينومون فيه الجمال بين حجارة خشن.
- [١٠٢] (٢) «الجشب» على وزن «خشن» بمعنى الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير آدم.
- [١٠٣] (١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم ٢٤/٢ أما كيف ضبطت مفردة (أم جين) فليل بيائين وقيل باء وياء وقيل بالجيم كما قيل بالماء (أم جين) و(أم حيين)، كما كثر الكلام بشأن هذا الحيوان فقيل هو نوع من العضايا وتنفر منه عرب البادية لأنه سام عند الأكل.
- [١٠٤] (١) للوقوف على المزيد راجع بلوغ الأدب والإسلام والجاهلية والتأريخ الكامل (ج ١) وسيد المرسلين وشرح العلامة الخوئي لنهج البلاغة.
- [١٠٥] (١) «أغضيت» من مادة «غضى» تعني السكوت على مضض، كما تعني اغماض العين - ومن هنا تطلق الليالي الغاضية على الليالي الظلماء.
- [١٠٦] (١) «قذى» على وزن قضا الصفاء والاحلاص، ومن هنا يطلق القذى على الشيء الذي يقع في الماء فيلوثه، كما يطلق على ما يقع في العين.
- [١٠٧] (٢) «شجا» من مادة «شجو» ما يعترض في الحلق من عظم أو نحوه، كما يطلق على الشدة والهم والغم.
- [١٠٨] (٣) «كظم» على وزن غضب من مادة «كظم». قال الراغب في المفردات الكظم بمعنى مخرج النفس، والكظوم بمعنى الاختناق وحبس النفس، كما تستعمل بمعنى ربط القرية بعد ملئها بالماء، ومعنى العبارة صبرت على الخناق رغم الضغط الذي مارسه العدو.
- [١٠٩] (٤) «العلقم»، قال صاحب مجمع البحرين هي شجرة شديدة المرارة، وتسمى الحنظل أيضاً، كما جاءت علقمة بمعنى المرة.
- [١١٠] (٥) رواها نصر بن مزاحم عن الإمام عليه السلام؛ شرح نهج البلاغة، ابن ميثم ٢٦/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢/٢.
- [١١١] (١) المراجعات، الرسالة ٨٤.
- [١١٢] (١) يقصد قرابة عثمان من بني هاشم.
- [١١٣] (٢) «المبتاع» بمعنى المشتري والمراد به هنا معاوية والبائع عمرو بن العاص.
- [١١٤] (٣) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة (عمرو بن العاص).
- [١١٥] (١) سورة البقرة/ ١٦.
- [١١٦] (٢) سورة البقرة/ ٨٦.
- [١١٧] (٣) سورة النساء/ ٥٨.
- [١١٨] (٤) «اهبة» على وزن لقمه بمعنى العدة والتأهب والاستعداد للقيام بعمل وإهاب على وزن كتاب بمعنى الجلد الذي لم يدبغ وقد اعد للدباغة.
- [١١٩] (٥) «شب» من مادة «شيب الشباب»، ويستعمل في شب النار.
- [١٢٠] (٦) «لظا» بمعنى شعله النار كما تطلق على نفس النار (الراغب في المفردات).
- [١٢١] (٧) «سنا»، قال صاحب المقاييس تتضمن العلو والارتفاع وقد وردت في العبارة بمعنى تصاعد ألسنة النيران.
- [١٢٢] (١) بحار الأنوار ١٦٥/٧٤.
- [١٢٣] (١) سورة التوبة/ ٣٨.
- [١٢٤] (٢) سورة المجادلة/ ٢٢.
- [١٢٥] (١) سورة الانفال/ ٦٥.
- [١٢٦] (١) الانبار محافظة من محافظات العراق التي تقع غرب بغداد.

[١٢٧] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٥ / ٢.

[١٢٨] (٣) الكافي ٤ / ٥.

[١٢٩] (١) مصادر نهج البلاغة ٣٩٧ / ١.

[١٣٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٥ - ٨٧ / ٢.

[١٣١] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨١ / ٢.

[١٣٢] (١) الكافي ٥ / ٢، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح ٢.

[١٣٣] (١) لابد من الالتفات إلى أن الاضافة (لباس التقوى) في التفسير الأول من قبيل الإضافة اللامية وفي التفسير الثاني إضافة بيانية.

[١٣٤] (١) سورة التوبة / ٩١ - ٩٢.

[١٣٥] (٢) «ديث» من مادة «ديث» بمعنى الذلة والهوان، ومن هنا يصطلح بالديوث على من لا يكثر لعنة أهله، كأنه قد ذل حتى صار كذلك.

[١٣٦] (٣) «صغار» بمعنى الذلة.

[١٣٧] (١) «القماءة» بمعنى الصغار والذل.

[١٣٨] (٢) الأسهاب ذهاب العقل أو كثرة الكلام، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة، وقدورت بهذا المعنى في الخطبة.

[١٣٩] (٣) «أديل» من مادة «دولة»، قال صاحب المقاييس لها معنيين؛ الأول التحول والانتقال، والآخر الضعف، وأريد بها هنا المعنى الأول.

[١٤٠] (٤) فسرها جمع من شراح نهج البلاغة بالذلة والهوان على أنها من قبيل تكرر وتأکید العبارات السابقة، أما ما أوردته في المتن فإنه ورغم انسجامه مع المتون اللغوية إلا أنه ينطوي على معنى جديد يأبى التكرار، وعليه يبدو هو التفسير الأنسب.

[١٤١] (١) النصف والانصاف من مادة واحدة بمعنى العدل.

[١٤٢] (١) بحار الأنوار ٩ / ٩٨.

[١٤٣] (٢) اصول الكافي ٨ / ٥.

[١٤٤] (٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٢٥٢.

[١٤٥] (١) «عقر» على وزن ظهر بمعنى أساس الشيء وأصله ومنه عقر الناقة، وذلك لزوال أساس الناقة بحيث تفقد توازنها وتقع على الأرض.

[١٤٦] (٢) «تواكلتم» من مادة «كل»، وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه، أي لم يتوله أحد منكم، بل أحاله كل على الآخر.

[١٤٧] (٣) «شنت» من مادة «شن»، وشنت الغارات مزقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة. والعبارة إشارة إلى الغارات المتوالية التي كان يشنها عليهم الشام.

[١٤٨] (١) «حجل» على وزن فعل و«حجل» على وزن فصل بمعنى الخلخال التي تزين به النساء العربيات أرجلهن.

[١٤٩] (٢) «قلب» بضمين جمع قلب بالضم فسكون بمعنى السوار المصمت وتعنى في الأصل التغيير.

[١٥٠] (٣) «قلائد» جمع «قلادة» على وزن اجارة، تطلق على كل شيء يحيط بآخر.

[١٥١] (٤) «رعث» بضم الراء والعين جمع «رعث» على وزن رأس ما تعلقه المرأة من الزينة في أذنها.

[١٥٢] (١) سورة التوبة / ٩٢.

[١٥٣] (١) بحار الأنوار ٩٧ / ٦٤ ح ٦٠.

[١٥٤] (١) «يا عجباً عجباً»، قال بعض شراح نهج البلاغة أن العبارة «يا عجباً عجباً» أصلها «عجبت عجباً...»؛ أي منصوبة على أنها مفعول

- مطلق. كما احتمال أن تكون عجباً الأولى من قبيل المفعول المطلق والثانية للتكرار والتأكيد (شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣٦ / ٢) وقال البعض تقديرها «يا عجبى احضر» (شرح نهج البلاغة للعلامة الخوئي ٣ / ٣٩٢) ويبدو هنا التفسير أنسب لأن تكون «عجباً» منادى [١٥٥] (١) «ترحاً» تعنى الحزن والغم فقد دعا عليهم الإمام عليه السلام بهذه العبارة بالحزن والهم.
- [١٥٦] (٢) «حمارة» من مادة «حمر» بمعنى اللون الأحمر، ويطلق على شدة حرارة الصيف المحرقة، وكأن شدة الحرارة كحمرة النار.
- [١٥٧] (٣) «قيظ» على وزن فيض بمعنى الحرارة الشديدة للصيف، وعليه فإضافة حمارة إلى قيظ تأكيد للحرارة.
- [١٥٨] (٤) «سيخ» من مادة «سيخ» بمعنى التخفيف والتسكين.
- [١٥٩] (٥) «صبارة» من مادة «صبر» بمعنى حبس الشيء وحفظه، وتطلق الصبارة على شدة البرودة.
- [١٦٠] (٦) «ينسلخ» من مادة «سلخ» بمعنى إزالة القشر ومن هنا يطلق السلاح على من يزيل جلد الحيوان، ثم اطلقت على كل فصل وإزالة.
- [١٦١] (١) قر له معنيان؛ الأول البرد والثاني الاستقرار فى مكان، ولا يبعد أن يعود المعنى الأول إلى الثانى، لأن البرد الشديد يصد الإنسان عن العمل.
- [١٦٢] (٢) سورة التوبة / ٨١.
- [١٦٣] (١) سورة المائدة / ٢٢ - ٢٤.
- [١٦٤] (١) «حلوم» من مادة «حلم» بمعنى ضبط النفس وقد وردت هنا بمعنى الآمال الفارغة الشبيهة بأحلام الأطفال.
- [١٦٥] (٢) «ربات» جمع «ربة» صاحب الشيء ومالكه، واستناداً إلى تاء التأنيث فأنها تستعمل فى المؤنث.
- [١٦٦] (٣) «حجال» جمع «حجلة» وصحيحه حجلة على وزن عجلة وهى القبة، موضع يزين بالسور، والمراد بربات الحجال النساء.
- [١٦٧] (١) لابد من الالتفات هنا الى ان التعبير بقتالكم الى انهم كانوا فى مقام محاربة الله و احكامه، و انهم لا- محالة ملعونين مطرودين من رحمة الله و من هنا فان اغلب المفسرين ذهبوا الى ان الاية ٣٠ من سوره التوبه (قاتلهم الله) تعنى الطرد من رحمة الله (انظر المفردات للراغب و نشر طوبى للمرحوم العلامة الشعرانى).
- [١٦٨] (٢) «نغب» جمع «نغب» على وزن لقمه بمعنى شربه الماء كجرعه و جرع و قد شبه هنا الحزن بالماء المر الذى شربه الامام جرعه جرعه.
- [١٦٩] (٣) «التهام» من مادة «همم» بمعنى الهم، و يستعمل هذا الوزن عاده بمعنى المصدر مثل تكرار و تذكار.
- [١٧٠] (٤) «لله ابوهم» تقال هذه العبارة للمدح، كما تطلق فى بعض الاحيان للتعجب، و مفهومها رحم الله والديهم.
- [١٧١] (٥) «مراساً» و «ممارسة» بمعنى واحد، أى عالجه وزاوله وعاناه.
- [١٧٢] (١) «ذرفت» من مادة «ذرف» بمعنى سيل الدمع، وقد وردت هنا بمعنى زدت على الستين.
- [١٧٣] (١) سورة ابراهيم / ٢٤ - ٢٥.
- [١٧٤] (٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار / ٢٦١.
- [١٧٥] (١) نهج البلاغة، الخطبة ١٢١.
- [١٧٦] (٢) فى ظلال نهج البلاغة / ١ / ١٩٢.
- [١٧٧] (١) بحار الأنوار / ٤١ / ٦٢.
- [١٧٨] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد / ٢ / ٨٨ - ٩٠.
- [١٧٩] (١) تعتبر هذه الخطبة من الخطب المهمة لأمر المؤمنين على عليه السلام التى رواها كبار علماء الفريقين فى كتبهم ومؤلفاتهم، ومنهم ١- الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين / ١ / ١٧١؛ ٢- الباقلانى فى كتاب إعجاز القرآن / ٢٢٢؛ ٣- الحسن بن على بن شعبة فى

تحف العقول؛ ٤- ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ٣٦٥؛ ٥- ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢- ٢٣٥؛ ٦- المسعودى في مروج الذهب ٣/ ٣٦٥؛ كما رواها المرحوم العلامة المجلسى فى البحار عن كتاب مطالب السئول لمحمد بن طلحة الشافعى وكتاب الإرشاد للمفيد مع بعض الاختلاف.

[١٨٠] (١) «آذنت» من مادة «اذن» بمعنى الاعلان، ومنه الاذان الذى يعلن وقت دخول الصلاة.

[١٨١] (١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨.

[١٨٢] (٢) «اطلاع» من مادة «طلع» بمعنى الظهور، وطلوع الشمس بمعنى ظهورها، ويرى البعض أنها تطلق على العلم المفاجئ، وأشرفت باطلاع، أقبلت بعتة.

[١٨٣] (٣) «المضمار»: الموضع والزمن الذى تضمير فيه الخيل، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علقها وماؤها حتى تسمن، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري فى الميدان حتى تهزل، ثم ترد إلى القوت، والمدة أربعون يوماً، وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثانى، واطلاقه على الأول لأنه مقدمه للثانى وإلا فحقيقة التضمير احداث الضمور وهو الهزل وخفة اللحم، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف فى الجرى يوم السباق.

[١٨٤] (٤) «السباق» من مادة «سبق» ومسايقه من باب مفاعلة ولسباق نفس المعنى. وسبقه بمعنى الهدف المطلوب الذى يتسابق من أجله أو بمعنى الجائزة.

[١٨٥] (١) سورة الحديد/ ٢١.

[١٨٦] (٢) «منية» من مادة «منى» على وزن نقى، قال صاحب مقاييس اللغة بمعنى تقدير الشىء، ثم اطلقت على الموت والأجل، لأن الموت أمر مقدر، وتطلق المنى على الأمانى التى تدور فى خلد الإنسان.

[١٨٧] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٧.

[١٨٨] (١) ورد هذا الحديث النبوى فى غوالى اللثالى ١/ ٢٦٧.

[١٨٩] (٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار/ ١٣١.

[١٩٠] (٣) بحار الأنوار ١٤/ ٣١٩ ح ٢١.

[١٩١] (٤) نهج البلاغة، الكلمات القصار/ ١٣٣.

[١٩٢] (٥) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣.

[١٩٣] (٦) بحار الأنوار ٧٥/ ٣٦٦، مواظ الإمام الهادى عليه السلام

[١٩٤] (١) سورة المؤمنون/ ١٠٠.

[١٩٥] (١) سورة العنكبوت/ ٦٥.

[١٩٦] (٢) سورة الاسراء/ ٦٧.

[١٩٧] (١) «ظعن» على وزن «ظعن» بمعنى الرحيل من مكان إلى آخر ومن هنا اطلقت الظعينة على اليهودج لأنه من وسائل السفر، وتستخدم أحياناً كنايةً عن النساء، لأنهم غالباً ما يركبن اليهودج.

[١٩٨] (١) سورة آل عمران/ ١٨٥.

[١٩٩] (٢) سورة النساء/ ٧٨.

[٢٠٠] (٣) سورة الزمر/ ٣٠.

[٢٠١] (٤) سورة القصص/ ٨٨.

[٢٠٢] (٥) على ضوء المعنى الأول فإن الأمر فى قوله «أمرتم بالظعن» هو أمر تكوينى وأجل الهى ولكن ليس فى الجملة من تقدير،

وهو أمر تشريعي على ضوء المعنى الثانى وفى العبارة تقدير هو التجهز والاستعداد، أو الظعن بالمعنى المجازى.

[٢٠٣] (٦) سورة البقرة / ١٩٧.

[٢٠٤] (٧) سورة الشعراء / ٨٨ - ٨٩.

[٢٠٥] (٨) سورة الكهف / ٤٦.

[٢٠٦] (١) بحار الأنوار ٧٠ / ٩١. فقد روى هذه الحديث جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى باب حب الدنيا.

[٢٠٧] (٢) «تحرزون» من مادة «حرز» بمعنى الحفظ، و«الحرز» على وزن الحرص بمعنى الموضع الآمن لحفظ الأشياء.

[٢٠٨] (١) سورة ص / ٢٦.

[٢٠٩] (٢) سورة الجاثية / ٢٣.

[٢١٠] (٣) سورة النازعات / ٤٠ - ٤١.

[٢١١] (١) سورة الحجر / ٣.

[٢١٢] (٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار / ٣٦.

[٢١٣] (٣) بحار الأنوار ٧٤ / ١٧٣.

[٢١٤] (١) قال صاحب مصادر نهج البلاغة هذه من الخطب المعروفة التى رواها أغلب العلماء والمحدثين الذين عاشوا قبل السيد الرضى (ره) ومنهم:

١- الجاحظ فى البيان والتبيين ١ / ١٧٠.

٢- ابن قتيبة الدينورى فى الإمامة والسياسة ١ / ١٥٠.

٣- ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٤ / ٧١.

٤- البلاذرى فى كتاب أنساب الأشراف (فى شرح سيرة على عليه السلام) / ٣٨٠.

٥- القاضى نعمان المصرى فى دعائم الإسلام ١ / ٣٩١ (مع اختلاف وما ورد فى النهج وقال الشارح الخوئى يستفاد من بحار الأنوار والاحتجاج والإرشاد أن هذه الخطبة جزء من الخطبة ٢٧ شرح نهج البلاغة، الخوئى ٤ / ٢١).

[٢١٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٣ / ١١٧.

[٢١٦] (١) «يوهى» من مادة «وهى»، عنها صاحب المقاييس بالضعف ومن هنا يصطلح على الكلام الضعيف بالواهى. فالعبارة تعنى أن كلامكم يضعف ويفتت.

[٢١٧] (٢) «الصم» جمع «أصم» وهو من الحجارة الصلب المصمت، و«الصلاب» جمع صليب، والصليب الشديد.

[٢١٨] (١) «كيت وكيت» من مادة «تكييت» بمعنى اعداد جهاز الناقه أو ملاء ظرف الماء، إلّا أن العبارة كيت وكيت تستعمل حيث يريد الفرد عمل كل شىء عن طريق الكلام، وهما كلمتان لا تستعملان إلّا مكررتين ككناية عن الحديث.

[٢١٩] (٢) «حيدى حياذ»: صيغة فعل أمر من مادة «حيود» كنزال بمعنى أنزل، وهى كلمه يقولها الهارب عند الفرار والكتمان تأكيد لاحداهما الأخرى حيث تعنى الميل والانحراف عن الشىء.

[٢٢٠] (١) سورة الاحزاب / ٢٨.

[٢٢١] (٢) «أعاليل» جمع اعلوله، ما يتعلل به و«أضاليل» جمع اضلوله بمعنى أسباب الضلالة، أى انكم تشبثون بأسباب واهية من أجل إضلال أنفسكم والآخرين.

[٢٢٢] (٣) سورة التوبة / ٣٨.



- [٢٢٣] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٦٩.
- [٢٢٤] (١) «الضيم» يعنى الظلم والاضطهاد.
- [٢٢٥] (١) ان تقديم المغمور - الخير للمبتدأ - يفيد الحصر، أى المغرور الواقعى هو هذا الفرد.
- [٢٢٦] (٢) «أخيب» من مادة «خيب» بمعنى فقدان الشىء.
- [٢٢٧] (١) بحار الأنوار ٨٣ / ٤٥.
- [٢٢٨] (١) سورة القصص / ٨٥.
- [٢٢٩] (١) بحار الأنوار ٤٥ / ٧٥.
- [٢٣٠] (٢) بحار الأنوار ٢٦٤ / ٧.
- [٢٣١] (٣) سفينة البحار، مادة وطن.
- [٢٣٢] (٤) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٤٤٢.
- [٢٣٣] (١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٣٦٦.
- [٢٣٤] (١) جاء فى مصادر نهج البلاغة أن هذه الخطبة جزء من رسالة كتبها الإمام عليه السلام حين خلافته، ثم ضمنها الحوادث التى أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أمر عليه السلام بقراءتها على الناس من أجل وحدة الرأى العام بهذا الشأن، كما احتتمل أن تكون الخطب ٢٦، ٥٤، ٧٨ هى الأخرى جزء من هذه الرسالة.
- ثم صرح بانّ هذه الخطبة وردت مع بعض التغييرات فى كتاب أنساب الاشراف (مصادر نهج البلاغة، ١ / ٤٠٨).
- [٢٣٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥٧ / ٢.
- [٢٣٦] (١) «إستأثر» من مادة «أثر»، بمعنى الاستبداد كما صرح بذلك القاموس ومنه الحكومة الاستبدادية لأنها حكومته فردية، يستعبد فيها الفرد سائر الناس.
- [٢٣٧] (١) قال صاحب مصادر نهج البلاغة نقل هذا الكلام طائفة من العلماء ممن سبقوا المرحوم السيد الرضى، منهم الزبير بن بكار) طبق نقل ابن أبى الحديد والجاحظ (... وابن قتيبة فى عيون الأخبار وابن عبد ربّه فى العقد الفريد.
- والطريف، نقله حتى ابن خلكان فى وفيات الأعيان وشهد بصحته وهو من رفع رايه مخالفة نهج البلاغة. مصادر نهج البلاغة ١ / ٤١٨.
- [٢٣٨] (١) «عاقصا» من مادة «عقص» بمعنى التوى قرناه على أذنيه
- [٢٣٩] (٢) «عريكة» من مادة «عرك» بمعنى الطبيعة، ولين العريكة بمعنى السلس، كما تأتى بمعنى إشتباك الشىء ومن هنا أطلقت المعركة على إشتباك الأفراد.
- [٢٤٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٦٧ / ٢.
- [٢٤١] (١) «عدا» به معنى الصرف والاعادة، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى ما، ويحتمل أن تكون من فى ممّا بمعنى عن، و بدأ من مادة بدو بمعنى الظهور.
- [٢٤٢] (٢) مصادر نهج البلاغة ١ / ٤١١.
- [٢٤٣] (١) سورة الاحزاب / ٥٣؛ الدر المنثور ٥ / ٢١٤.
- [٢٤٤] (٢) تفسير الفخر الرازى ٢٥ / ٢٢٥.
- [٢٤٥] (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١ / ١٨٤.
- [٢٤٦] (٤) الاحتجاج للطبرسى، نقلا عن سفينة البحار، مادة (طلع).
- [٢٤٧] (١) سورة التوبة / ١٠٠.

- [٢٤٨] (٢) ورد ذمه في تفسير الآية ٩٣ من سورة الانعام في الدر المنثور ( الدر المنثور ٣ / ٣٠) وذكر صاحب أسد الغابة أنه كان من كتاب الوحي ثم ارتد فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله (اسد الغابة، شرح أخبار عبدالله بن سعد بن أبي سرح).
- [٢٤٩] (٣) جاء في أسد الغابة في معرفة الصحابة في أخبار هذا الرجل أن النبي صلى الله عليه وآله طرده، كما طردها الخلقاء الثلاثة (ابوبكر وعمر وعثمان) ولم يقبلوا زكاته، رغم قوله أنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى توفي في خلافة عثمان.
- [٢٥٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٣١.
- [٢٥١] (١) نقل هذه الخطبة محمد بن طلحة الشافعي في كتاب مطالب السئول وأضاف أن الإمام عليه السلام خطبها في مسجد الكوفة، ويتضح من هذا أن له سند غير نهج البلاغة، لأن نهج البلاغة لم يشر إلى موضع الخطبة. كما رواها الجاحظ في البيان والتبيين، وأن أخطأ في البداية حيث نسبها إلى معاوية إلا أنه يعترف أخيراً بأنها لاتشبه كلام معاوية وهي من كلمات علي بن أبي طالب. مصادر نهج البلاغة ١ / ٤١٧.
- [٢٥٢] (١) سورة النمل / ٥٦.
- [٢٥٣] (٢) سورة هود / ٢٧.
- [٢٥٤] (١) سورة الرعد / ١١.
- [٢٥٥] (١) سورة الرعد / ١١.
- [٢٥٦] (١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٢٦.
- [٢٥٧] (١) «كلالة» على وزن ضلالة بمعنى ضعف السلاح عن القطع فيقال كل السيف إذا لم يقطع.
- [٢٥٨] (٢) «نضيض» بمعنى قليل، والنضيض وفره، بمعنى القليل ماله.
- [٢٥٩] (٣) سورة البقرة / ٢٠٤ - ٢٠٥.
- [٢٦٠] (٤) «مصلت» من مادة «صلت» بمعنى الأظهار و السيف الصلت بمعنى السيف المشهور المصقول، ويقال المصلت لمن شهر سيفه.
- [٢٦١] (٥) أشرط من مادة شرط بمعنى العلامة، و معنى العبارة أنه أعد نفسه للفساد و الاهلاك، و كانه ميز نفسه بهذا الامر.
- [٢٦٢] (٦) «اويق» من مادة «وبق» بمعنى الهلاك، أى اهلكك نفسه.
- [٢٦٣] (٧) «الحطام» على وزن الغلام بمعنى المتكسر الذى لا قيمة له، و من هنا يطلق على المال حطام الدنيا لزهادة قيمته.
- [٢٦٤] (٨) «ينتزه» من مادة «نهز» بمعنى الحركة من أجل القيام بعمل، كما وردت بمعنى الحركة من أجل نيل غنيمة، و عليه ينتهز بمعنى يغتنمه.
- [٢٦٥] (٩) «مقتب» على وزن محور تعنى طائفة من الخيل، وقد وردت فى العبارة بمعنى طائفة من الناس، ولعل العبارة إشارة لجهلهم وعدم علمهم.
- [٢٦٦] (١٠) «يفرع» من مادة «فرع» أعلى الشئ وقد وردت هنا بمعنى علا المنبر وارتقاه.
- [٢٦٧] (١) سورة البقرة / ١٦.
- [٢٦٨] (٢) سورة البقرة / ٢٠٧.
- [٢٦٩] (٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٤٥٦.
- [٢٧٠] (١) «طامن» و «اطمينان» من مادة واحدة بمعنى السكينة والهدوء، وهى تشير فى العبارة إلى الوقار والتواضع الصورى والظاهرى.
- [٢٧١] (٢) «شمر» من مادة «شمر» بمعنى الترتيب والاعداد.
- [٢٧٢] (٣) وسائل الشيعة ١ / ٥١.

- [٢٧٣] (١) «ضوولة» بمعنى الضعف و العجز.
- [٢٧٤] (٢) «مراح» من مادة «روح» مصدر ميمي من راح إذا ذهب في العشى
- [٢٧٥] (٣) «مغدى» من مادة «غدو» مصدر ميمي من غدا إذا ذهب في الصباح، وقيل مكان الحيوانات في النهار في مقابل المراح في الليل.
- [٢٧٦] (١) في ظلال نهج البلاغة، الخطبة المذكورة.
- [٢٧٧] (٢) سورة النور/ ٣٧.
- [٢٧٨] (٣) «شريد» من مادة «شرد» بمعنى هروب الناقة، ثم اطلقت على كل من يهرب من قومه.
- [٢٧٩] (٤) «ناد» من مادة «ند» بمعنى المنفرد الهارب من الجماعة إلى الوحدة.
- [٢٨٠] (٥) «مقموع» من مادة «قمع» بمعنى المقهور والمغلوب، وتعنى الاقتلاع أيضاً.
- [٢٨١] (٦) «مكعوم» من مادة «كعم»، كعم البعير بمعنى شد فاه، ثم اتسعت لتطلق على كل فم يشد.
- [٢٨٢] (٧) «ثكلان» من مادة «ثكل» بمعنى فقد الاحبة، كما وردت بالنسبة للإنسان الذى يعيش العزاء بمعنى الشخص الباكي الحزين.
- [٢٨٣] (٨) شرح نهج البلاغة محمد عبده والعلامة الخوئي وابن أبي الحديد.
- [٢٨٤] (١) «أخمل» من مادة «خمل» بمعنى أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة.
- [٢٨٥] (٢) «اجاج» من مادة «أجج» بمعنى الملوحة والمرارة.
- [٢٨٦] (٣) «ضامزة» من مادة «ضمز» بمعنى السكوت والتحفظ عن الكلام
- [٢٨٧] (٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، والعلامة الخوئي وفي ظلال نهج البلاغة لمحمد عبده.
- [٢٨٨] (١) «حتالة» بالضم: القشاوة وما لاخير فيه، واصله ما يسقط من كل ذى قشر، ومن هنا تطلق الحتالة على حشاشة الدهن المتساقطة.
- [٢٨٩] (٢) «قراضة» من مادة «قرض» بمعنى قطف الشى وتطلق على القطع الصغيرة المتناثرة من المقراض ومن هنا يطلق المقراض على المقص.
- [٢٩٠] (٣) «جلم» على وزن قلم بمعنى المقراض.
- [٢٩١] (١) سورة الدخان/ ٢٥ - ٢٩.
- [٢٩٢] (٢) «أشغف» من مادة «شغف» بمعنى اكثر تعلق بالدنيا و حبالها. وقد أخذت في الأصل من شغاف وهو الغلاف الذى يضم القلب، كما تستعمل في العشق الشديد الذى يجتاح القلب وينفذ إلى أعماقه.
- [٢٩٣] (١) بحار الانوار ٧٠ / ١٢٢.
- [٢٩٤] (١) منهاج البراعة ٤ / ٥٨؛ بحار الانوار ١٤ / ٣٢٨.
- [٢٩٥] (١) روى السيد الرضى (ره) هذه الخطبة فى موضعين من نهج البلاغة: مرة هنا و أخرى فى الخطبة ١٠٤ حيث قال هناك: وقد مر جانب من هذه الخطبة (إشارة إلى هذه الخطبة ٣٣) وقد ذكرتها ثانية بسبب اختلاف بعض العبارات. قال صاحب مصادر نهج البلاغة: ومن هنا يتضح مدى إحتياط السيد الرضى فى نقل كلمات أمير المؤمنين عليه السلام. ثم قال: يفهم من رواية الشيخ المفيد فى الإرشاد أن الإمام عليه السلام خطبها فى الربذة حيث توقف هناك جمع من حجاج بيت الله وقد تجمعوا حين سمعوا بالإمام عليه السلام ليصغوا إلى كلامه ولم يكن الإمام عليه السلام قد خرج من خيمته. قال ابن عباس دخلت الخيمة فرأيت الإمام عليه السلام يخصف نعله. فقال: يابن عباس: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. قال: قل. قلت: أقل من درهم. قال: والله، لهي أحب إلى من إمرتكم، إلا- أن أقيم حقاً أو أدفع باطلا- فقلت: لقد إجتمع حجاج بيت الله ليسمعوا ما تقول. هلا- أذنت لى أن أخطبهم؟ قال عليه

السلام: لا أنا أؤذثهم. فخرج من الخيمة فخطب بهذه الخطبة (مصادر نهج البلاغة، ١ / ٤٢١ - ٤٢٢).

قال صاحب المستدرک ومدارک نهج البلاغة رواها الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، المستدرک، ص ٢٤٢.

[٢٩٦] (٢) «يخصف» من مادة «خصف» بمعنى وصل الأشياء ورقعها.

[٢٩٧] (٣) «امرء» على وزن فطرة بمعنى الحكومة.

[٢٩٨] (١) سورة الانعام / ٩١.

[٢٩٩] (١) «بوء» بمعنى تعبيد المكان ضد النبوءة بمعنى المرتفع وغير المعبد، وقد وردت هنا بمعنى تنظيم وترتيب موقع الاستقرار.

[٣٠٠] (٢) «قنات» من مادة «قنو» بمعنى جذع الشجرة، كما تغني العود والرمح، والمراد بها هنا القوة والغلبة والدولة، وقوله إستقامت قناتهم تمثيل لاستقامة أحوالهم.

[٣٠١] (٣) «صفات»، حجر مستوى وكبير ومحكم وواسع.

[٣٠٢] (١) «ساقه» من مادة «سوق» جمع سائق، واصلها سوقه واصحب ساق بيت الاعلال.

[٣٠٣] (٢) «حذا فير» جمع حذ فور بمعنى الشريف والجمع الكثير، وقد جاءت هنا بمعنى جميع جوانب الموضوع. وهنا ينبغي الالتفات إلى أن ضمير الهاء في ساقها يعود إلى الناس في عصر الجاهلية الذين إعتنقوا الإسلام، ويمكن أن يكون الضمير في تولت وحذا فيرها عائدا إلى أعداء الإسلام الذين تقهقروا ابان نصر الإسلام، كما يمكن أن يعود إلى أهل الجاهلية الذين أقبلوا على الإسلام.

[٣٠٤] (١) «أنقبن» من مادة «نقب» بمعنى الثقب والشق ويطلق النقب على الآبار تحت الأرض وذلك لأنها تنقب الأرض - ومنه البحث والتنقيب حين تأمل المطالب وإظهار الحقائق والنقيب العالم بحال القوم.

[٣٠٥] (١) الكامل لابن أثير ١ / ٤٨٢.

[٣٠٦] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٨٧ - ١٨٨ (بتصرف).

[٣٠٧] (١) سورة المعارج / ١.

[٣٠٨] (٢) سورة الانفال / ٣.

[٣٠٩] (١) صحيح الترمذى ٥ / ٦٣٤ (طبعة دار إحياء التراث العربي) كما ورد هذا الحديث في كتاب ينابيع المودة / ٥٩. وورد في كتب أعلام الشيعة ومنها بحار الانوار، ٣٢ / ٣٠٠ وإحقاق الحق، ٦ / ٤٢٥.

[٣١٠] (١) «مفتونين» من مادة «فتنة» بمعنى الامتحان والابتلاء كما جاءت بمعنى العذاب والخداع والضلال، وقد وردت هنا بمعنى الضلال.

[٣١١] (١) رواها ابن المغازلي الشافعي في كتاب مناقب أمير المؤمنين وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والمحقق الكركي في نفحات اللاهوت لاحقاق الحق (٦ / ٤٤٠). وقد قال ابن أبي الحديد في شرحه للرسالة ٦٥ من نهج البلاغة لو فرضنا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بعلى عليه السلام - كما تقول الإمامية - ولكن ألا يعلم معاوية وغيره من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ألف مرة في على عليه السلام: «أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت» وقال «اللهم عاد من عاداه ووال من والاه» وقال «أنت مع الحق والحق معك» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ / ٢٤).

[٣١٢] (٢) وسائل الشيعة ١١ / الباب ٢٥ من أبواب جهاد العدو، ح ٧، وللوقوف بصورة أعمق راجع كتاب أنوار الفقاهة، كتاب الخمس والانفال / ٧٠.

[٣١٣] (٣) للوقوف أكثر على هذه الروايات راجع أنوار الفقاهة (كتاب الخمس والانفال) / ٧٥.

[٣١٤] (١) لم يرد في شروح نهج البلاغة شئ بشأن الأول هل يقابل الثاني، أم أنها إشارة إلى أحد الشعراء الأوائل، أم المراد به اسم

شاعر غير معروف. ويبدو الإحتمال الأول أنسب.

[٣١٥] (٢) «المحض» بمعنى اللين الخالص بلا رغوۃ الذى لم يخالطه ماء، ثم إطلق على كل شىء خال ص.

[٣١٦] (٣) «زبد» من مادة «زبد» بمعنى استخراج شىء من آخر، ومن هنا يطلق الزبد على ما يستخرج من الحليب.

[٣١٧] (٤) «مقشرة» من مادة «قشر» وتطلق على التمرة بعد نزع نواتها.

[٣١٨] (٥) «بجر» على وزن برج من مادة «بجر» بمعنى ظهور السرۃ، كما وردت بمعنى التهم فى الأكل، ويطلق الأجر على صاحب البطن والحريص.

[٣١٩] (٦) «جرد» من مادة «جرد» بمعنى الخيول الصغيرة قليلة الشعر

[٣٢٠] (٧) «سمراء» من مادة «سمر» بمعنى السهرة والسامر تقال لمن يقضى الليل صاحيا لسهرة أو حراسه أو هدف آخر.

[٣٢١] (١) سورة الانعام / ١٢٤.

[٣٢٢] (٢) سورة النساء / ٥٤.

[٣٢٣] (٣) سورة آل عمران / ٢٦.

[٣٢٤] (١) غر الحكم، الرقم ٥٢٤٢

[٣٢٥] (٢) بحار الانوار ٧٠ / ٢٥٨.

[٣٢٦] (١) رواها الطبرى فى تاريخه ٦ / ٥١ وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة ١ / ١٥٠ والبلاذرى فى أنساب الاشراف / ٣٨٠، وكذلك المرحوم الشيخ المفيد فى الامالى (المجلس ١٨) بصورة أكثر إختصارا ممّا وردت فى نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة ١ / ٤٢٥) ورواها المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الانوار عن مطالب السؤل محمد بن طلحة الشافعى (بحار الانوار ٧٤ / ٣٣٣).

[٣٢٧] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢ / ١٩٢.

[٣٢٨] (١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى ٢ / ٧٧ والعلّامة الخوئى ٤ / ٧٢.

[٣٢٩] (١) قال الراغب فى المفردت «أف» فى الأصل تعنى كل شىء قذر وهى كلمة تضجر تطلق للمهانۃ والاستحقار. فمثلاً يقال «أفت بكذا» أى تضجرت منه واستقدرته. وقال البعض «أف» تعنى مايجتمع من الأوساخ تحت الأظافر وقال البعض أن التراب والغبار إذا علق ببدن الإنسان فان نفخه يشبه القول «اوف» أو «اف» ثم استخدمت هذه المفردة بمعنى اظهار التضجر والنفرة ولا سيما من الاشياء الصغيرة. ونخلص ممّا ذكر ومن بعض القرائن إلى أن هذه المفردة كانت فى الاصل إسم صوت.

[٣٣٠] (٢) «سئمت» من مادة «سئم» بمعنى الملل، التى تتعدى أحيانا بحرف من وأحيانا اخرى بدونها، وسئمته وسئمت منه. بمعنى واحد، وعليه سئمت عتابكم بمعنى سئمت من عتابكم.

[٣٣١] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٥١.

[٣٣٢] (٢) «غمرة» الواحدة من غمر وهو الستر، وغمرة الموت الشدة التى ينتهى إليها المحتضر، وهى الحالة التى كان يعيشها جيش الكوفة.

[٣٣٣] (٣) «حوار» من مادة «حور» بمعنى الرجوع وتطلق على المحادثة بين الأفراد التى يصطلح عليها بالمحاورۃ، وقد وردت بهذا المعنى فى العبارة.

[٣٣٤] (٤) «تعمهون» من مادة «عمه» بمعنى تتحIRON وتتردون.

[٣٣٥] (٥) «المألوسة» من مادة «ألس» تعنى فقدان العقل، ومن هنا تستعمل حيث الخدعة التى تسلب عقل المقابل، وهى تعنى المخلوطة بمس الجنون.

[٣٣٦] (١) «سجيس» من مادة «سجس» بمعنى تغيير لون الماء وتكدره، ومن هنا اطلقت «سجيس الليالى» على ظلمة الليل وكأنّ اصل

الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها، وهكذا وردت في العبارة.

[٣٣٧] (٢) «زوافر» جمع زافرة من مادة «زفر» بمعنى التنهد وهو التنفس بصوت. كما يطلق الزفير على صوت النار، والزافرة بمعنى الأنصار والأقوام والعشيرة.

[٣٣٨] (١) على سبيل المثال راجع نهج البلاغة، الخطبة ١٠٧ و ١١٨

[٣٣٩] (١) لعمر الله، مفهوم هذه العلمة القسم بالعمر ومدة الحياة، ولما لم يكن للعمر من معنى بالنسبة لله فإنّ المعنى هنا «قسماً بالله» وقد تقدم شرح هذه العبارة في الخطبة الرابعة والعشرين.

[٣٤٠] (٢) «سعر» جمع ساعر من مادة «سعر» بمعنى أوقد النار وسعر بمعنى شعلة النار، والمراد ليئس موقدو الحرب أنتم.

[٣٤١] (١) سورة الحج / ٣٩.

[٣٤٢] (٢) سورة البقرة / ١٩٠.

[٣٤٣] (٣) «تمتعضون» من مادة معنى «معض» الابتئاس والغضب.

[٣٤٤] (١) أوردنا شرحاً وافياً في المجلد الأول ذيل الخطبة رقم ١٠ لعبارة «وآيم الله» التي تفيد مفهوم القسم.

[٣٤٥] (٢) «حمس» من مادة (ح م س) بمعنى إشتد وصلب، والحماسة والتحمس بمعنى التشديد والتشدد ولاسيما في الحرب ويقال الاحمس للرجل الشجاع الذي يقف بصلافة بوجه العدو.

[٣٤٦] (٣) «الوغي» بمعنى الضجيج والصوت والجلبة في ميدان القتال، كما يقال لنفس الحرب الوغي، وهكذا وردت في العبارة.

[٣٤٧] (٤) «إستحر» من مادة «حرر» بمعنى اشتداد الحر، وهو إشارة لايتار الفرار على الثبات في المعركة إذا إشتد القتال وبلغ حدته.

[٣٤٨] (٥) يبدو هذا الاحتمال مستبعداً لوجود التقدير في الجملة، لان العبارة «قد إنفرجتم عن ابن أبي طالب» تتطلب أن يكون تقدير العبارة «إنفراج الرأس» هو «إنفراج الرأس عن الجسد» أو «إنفراج الجسد عن الرأس» كما ورد مثل هذا التعبير في الخطبة ٩٧ «انفرجتم عن علي بن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها».

والعجيب ما اورده شراح نهج البلاغة من تفاسير غريبة لهذه العبارة، حتى ذكروا ثمانية وجوه أو أكثر لا ترى ضرورة للخوض فيها.

[٣٤٩] (١) «يعرق» من مادة «عرق» بمعنى فصل اللحم عن العظم، كما ورد بمعنى فصل اللحم عن العظم بالأسنان وأكله.

[٣٥٠] (٢) «يهشم» من مادة «هشم» بمعنى كسر الشئ اليابس كما ورد بمعنى كسر مطلق العظام، أو عظام الرأى و الوجه.

[٣٥١] (٣) «يفرى» من مادة «فرى» بمعنيشق الشئ و تمزيقه.

[٣٥٢] (٤) «جوانح» جمع «جانحة»، وهى الضلوع تحت الترائب، اصلها من مادة «جنح» بمعنى الميل و الانحراف، وقد اطلقت على الاضلاع لأنها ليست بشكل مستقيم.

[٣٥٣] (١) شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني ٨١ / ٢.

[٣٥٤] (٢) فى ظلال نهج البلاغة / ٢٢٨.

[٣٥٥] (٣) مفتاح السعادة ٨٢ / ٦.

[٣٥٦] (١) «قراش» جمع «قراشه» بعنى العظام الرقيقة التى تلى القحف أو عظام الجبهة والرأس، وهام جمع هامة بمعنى الرأس كما تطلق على زعيم القبيلة.

[٣٥٧] (٢) «تطيح» من مادة «طوح» بمعنى الهلاك أو الاشراف على الهلاك. ولما كان فصل اليد والرجل يشكل القضاء عليهم فقد اطلقت بهذا المعنى فى العبارة المذكورة.

[٣٥٨] (١) للوقوف على خطبة الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء وما قاله صحبه الاوفياء راجع بحار الانوار ٣٩٢ / ٤٤.

[٣٥٩] (٢) سورة المائدة / ٢٤.

- [٣٦٠] (١) سورة المائدة/ ٢٥.
- [٣٦١] (٢) سورة يونس / ٧١.
- [٣٦٢] (١) مفتاح السعادة ٦/ ٨٤-٨٥.
- [٣٦٣] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.
- [٣٦٤] (١) اصول الكافي ١/ ٤٠٥.
- [٣٦٥] (١) وردت هذه الخطبة مع اختلاف طفيف في مروج الذهب للمسعودي والكمال لابن أثير وأنساب الأشراف للبلاذري وتاريخ الطبري والإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري وصفين لنصر بن مزاحم، كما رواها البسط بن الجوزي في تذكرة الخواص وأبوالفرج الإصفهاني في الأغاني (مصادر نهج البلاغة، ١/ ٤٥٩).
- [٣٦٦] (١) «خطب» على وزن ختم العمل المهم بين الإنسان والآخرين ومن هنا يصطلح بالمخاطبة على الحوار الذي يدور بين فرد وآخر.
- [٣٦٧] (٢) «فادح» بمعنى ثقيل ومن هنا يقال أفدحه الدين لمن أثقل كاهله.
- [٣٦٨] (١) «مجرب» على وزن محقق ممن يتمتع بمعرفة عظيمة بفعل كثرة التجارب إلّا أنّ العرب تلفظه مجرب بالفتح على وزن مقرب.
- [٣٦٩] (١) «نخلت» من مادة «نخل» بمعنى تنقية الشئ، واستعمال هذه المفردة في الخطبة تشير إلى الرأي الصائب الذي طرحه الإمام عليه السلام على أصحابه بشأن التحكيم.
- [٣٧٠] (٢) «منابدين» من مادة «نبد» بمعنى الابعاد، وتستعمل هذه المفردة في نقض العهد، وذلك لان ناقض العهد إنّما يطرح العهد بعيدا عنه.
- [٣٧١] (٣) «ضن» من مادة «ضنن» بمعنى البخل والامساك.
- [٣٧٢] (٤) «زند» بمعنى الخشب الذي يشعلون به النار (حيث كانوا يولدون النار سابقا بضرب خشبتين ببعضهما، ثم اطلق على كل وسيلة لاشعال النار ومنه الزناد).
- [٣٧٣] (٥) «قدح» ومنه القداحة ما يخرج منه النار.
- [٣٧٤] (١) راجع مروج الذهب ٢/ ٢٩٠ وسترد بعض الايضاحات لهذه الخطبة لاحقا.
- [٣٧٥] (٢) الاغانى لابي الفرج الاصفهاني ١٠/ ٣، شرح نهج البلاغة للعلامة الخوئي ٤/ ٨٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٠٥.
- [٣٧٦] (١) إقتباس وتلخيص لما ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٠٦-٢٥٦.
- [٣٧٧] (٢) سورة الشورى/ ٣٨
- [٣٧٨] (٣) سورة آل عمران/ ١٥٩.
- [٣٧٩] (١) وردت هذه الخطبة أو بعضها مسنده أو مرسله من قبل المؤرخين والمحدثين.
- م- قال ابن أبي الحديد (٢/ ٢٨٣) نقلها ابن حبيب البغدادي (المتوفى عام ٢٥٤).
- ب- ابن قتيبة الدينوري في الامامة والسياسة، ١/ ١٢٧.
- ج- البلاذري في أنساب الأشراف، ٢/ ٣٧١.
- ء- الطبري في تاريخ الرسل والملوك، ٦/ ٣٣٧٧.
- [٣٨٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٨٣.
- [٣٨١] (٢) «صرعى جمع» صريع» من مادة «صرع» بمعنى طريح، و تعنى الجنازة أو المقتول الملقى على الأرض؛ كما يطلق على من

يسقط على الأرض في المصارعة، و من هنا يطلق مرض الصرع على من يغمى عليه و يقع على الأرض.

[٣٨٢] (٣) «أهضام» جمع هضم وهو المطمئن من الوادى وتعنى الكسر والضغط.

[٣٨٣] (٤) الغائط ما سفل من الأرض والمراد هنا المنخفضات.

[٣٨٤] (٥) «طوحت» من مادة «طوح» بمعنى السقوط والهلكة، وإذا ورد من باب التفعيل كما ورد فى الخطبة فأنه بمعنى القذف فى المتاهة والمضلة.

[٣٨٥] (٦) «احتبل» من مادة «حبل»، أوقعكم فى حباله، والمقدار القدر الإلهى.

[٣٨٦] (١) «الهام» جمع هامة رأس الإنسان أو سائر الكائنات الحية، واخفاء الهام تغنى ضعاف الفعل.

[٣٨٧] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢ / ٢٨١ و تأريخ الطبرى ٢ / ٦٠ - ٦١، حوادث عام ٣٧.

[٣٨٨] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢ / ٢٧١ - ٢٨٢.

[٣٨٩] (١) قال صاحب مصادر نهج البلاغة هذه من الخطب المعروفة التى رواها أغلب العلماء والمحدثين الذين عاشوا قبل السيد الرضى (ره) ومنهم:

١- الجاحظ فى البيان والتبيين ١ / ١٧٠.

٢- ابن قتيبة الدينورى فى الإمامة والسياسة ١ / ١٥٠.

٣- ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٤ / ٧١.

٤- البلاذرى فى كتاب أنساب الأشراف (فى شرح سيرة على عليه السلام) / ٣٨٠.

٥- القاضى نعمان المصرى فى دعائم الإسلام ١ / ٣٩١ (مع اختلاف وما ورد فى النهج وقال الشارح الخوئى يستفاد من بحار الأنوار والإحتجاج والإرشاد أن هذه الخطبة جزء من الخطبة ٢٧) شرح نهج البلاغة، الخوئى ٤ / ٢١).

[٣٩٠] (١) «تطلعت» من مادة «طلع» بمعنى مد العنق بحثا عن شى، وأصلها طلوع بمعنى الظهور والبروز.

[٣٩١] (٢) «تقبعوا» من مادة «قبع» بمعنى الاختباء، وأصله تقبع القنفذ إذا أدخل رأسه فى جلده.

[٣٩٢] (٣) «تعتعوا» من مادة «عتع» بمعنى تلثم اللسان، والمراد ترددوا فى كلامهم.

[٣٩٣] (٤) فوت تعنى فقدان الشى، وتطلق على التفاوت بين شيئين وابتعادهما عن بعضهما بحيث لا يدرك أحدهما الآخر، ومن هنا تطلق هذه المفردة على من يسبق الآخرين، وهذا هو الذى اريد بها فى العبارة.

[٣٩٤] (٥) «الرهان» من مادة «رهن» بمعنى جعل الشى عند الآخر، ومن هنا يطلق الرهن على وثيقة الدين، كما يطلق الرهان على جوائز المسابقات، والمراد بقوله «استبددت برهانها» إنفردت بجائزة هذه المسابقة الإلهية.

[٣٩٥] (١) لم يكن فى مهمز من الهمز يعنى لم يكن فى عيب أعاب به.

[٣٩٦] (٢) «الغمز» بمعنى الطعن والغماز من يبحث عن العيوب ويطعن بالناس، وهذا هو المراد بالعبارة.

[٣٩٧] (١) ورد هذا الحديث بعدة تعبيرات فى أغلب مصادر العامة، ومن أراد الوقوف على المزيد فليراجع الغدير ٣ / ٩٧.

[٣٩٨] (١) لقد أوردنا توضيحات مسهبة بهذا الشأن فى شرح الخطبة الششقية.

[٣٩٩] (١) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

[٤٠٠] (١) روضة الكافى / ٦٩ ح ٢٦.

[٤٠١] (٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٧.

[٤٠٢] (٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٦.

[٤٠٣] (٤) سورة النساء / ٧٥.



- [٤٠٤] (١) بحار الانوار ٤٢ / ١٣٣.
- [٤٠٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٩٦؛ محمد عبده الشارح المعروف والعلامة الخوئي إختاروا هذا المعنى أيضاً.
- [٤٠٦] (١) نقل هذه الخطبة الامدى فى غررالحكم مع إختلاف طفيف وما ورد فى نهج البلاغة، ويفهم من هذا أن الامدى قد روى هذه الخطبة من مصدر آخر غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة ١ / ٤٣٥).
- [٤٠٧] (١) سمت بمعنى الطريق أو الجادة، كما تطلق مشكل المحسنين، والتسميت هو الدعاء لمن يعطس حيث يسأل الله له السلامة، فالعطسة من علامات السلامة.
- [٤٠٨] (٢) سورة البقرة / ٢.
- [٤٠٩] (١) سورة يونس / ٦٢ - ٦٤.
- [٤١٠] (٢) سورة النور / ٤٠.
- [٤١١] (٣) صحيح البخارى ١٠ / ٦ باب كتاب النبى صلى الله عليه و آله إلى كسرى وقيصر.
- [٤١٢] (١) وردت هذه الخطبة فى ثلاثة مصادر على الأقل قبل السيد الرضى وهى: الغارات لابراهيم بن هلال الثقفى (٢٨٣) وأنساب الاشراف للبلادى الذى أورد بعضها وتاريخ الطبرى الذى روى بعض أقسامها، وكذلك مصادر نهج البلاغة ١ / ٤٣٨.
- [٤١٣] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٤٣٧.
- [٤١٤] (١) «تحمش» من مادة «حمش»، قال صاحب المقاييس لها معنيين الغضب والنحافة، وقد وردت هنا بمعنى الغضب؛ أى أليس لكم حمية تغضبكم على عدوكم.
- [٤١٥] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢١.
- [٤١٦] (٣) «مستصرخ» من مادة «صرخ»، الصراخ حين الخوف أو المصاب وطلب النصرة.
- [٤١٧] (٤) «متغوث» من مادة «غوث» بمعنى النصرة حين الشدة، وعليه يطلق المتغوث على من يطلب نصرة الآخرين عند الشدائد.
- [٤١٨] (٥) «المساءة» مصدر مادة «سوء»، بمعنى فقد ان النعم المادية أو المعنوية الدنيوية أو الاخروية، البدنية أو غير البدنية.
- [٤١٩] (١) «جرجرة» صوت يردده البعير فى حنجرتة عند عسفه، وقيل من مادة «الجرر» بمعنى الجر، واطلق الجرر لتكراره.
- [٤٢٠] (٢) «أسر» من مادة «سرر» المصاب بداء السرر، وهو مرض فى كركرة البعير أى زوره ينشأ من الدبرة والقرحة.
- [٤٢١] (٣) «النضو» المهزول من الابل، والأدبر المدبور، أى المجروح المصاب بالدبرة، وهى العقر والجرح من القتب ونحوه.
- [٤٢٢] (٤) «أدبر» من مادة «دبر» بمعنى الجرح الذى يتعرض له الحيوان إثر ضغط السراج.
- [٤٢٣] (٥) جنيد مصغر جند.
- [٤٢٤] (٦) «متذائب» بمعنى مضطرب، من قولهم تذاءبت الريح أى اضطرب هبوها ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته.
- [٤٢٥] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.
- [٤٢٦] (١) سورة الانعام / ٥٧؛ سورة يوسف / ٤٠ و ٦٧.
- [٤٢٧] (١) العلامة الخوئي ٤ / ١٨٣ من شرح نهج البلاغة قد أشار إلى هذا المعنى، ويستفاد من التأريخ الكامل لابن أثير أن ابن عباس احتج على الخوارج بهذه الآية (الكامل ٣ / ٣٢٧).
- [٤٢٨] (٢) سورة النساء / ٣٥.
- [٤٢٩] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣٠٨.
- [٤٣٠] (٢) «إمرة» على وزن عبرة مصدر أو إسم مصدر من مادة «أمر»، و«الأمرة» هنا بمعنى الحكومة.
- [٤٣١] (٣) واضح ان الضمير فى إمرته يعود إلى مطلق الامير سواء البر أو الفاجر وكذلك ضمير فيها، وليس صحيح ما اورده بعض

شراح نهج البلاغة من أن الأول يعود إلى البر والثاني إلى الفاجر، أو كلاهما للفاجر.

[٤٣٢] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣١٠.

[٤٣٣] (١) ميزان الحكمة ١ / ٩٨.

[٤٣٤] (١) رواها ابن طلحة الشافعي في مطالب السئوال، صحيح أن ابن طلحة الشافعي عاش بعد السيد الرضى إلا أن رواية ابن طلحة تفيد أنه عثر عليها في مصدر غير نهج البلاغة. ورواها الجاحظ في رسالة المعاش والمعاد وقال في مطلع الخطبة «الصدق والوفاء تؤمان» وهذا يدل على أنه رآها في المصادر التي صنفت قبل الرضى (لأن الجاحظ عاش أوائل القرن الثالث بينما يعتبر السيد الرضى من كبار علماء أواخر القرن الرابع) مصادر نهج البلاغة ١ / ٤٤٠.

[٤٣٥] (١) «توأم» من مادة «وأم» بمعنى الموافقة حسبما صرح بعض أرباب اللغة، بينما ذهب البعض كصاحب المقاييس إلى أن التاء أصلية، واتمام (مصدر باب إفعال) بمعنى ولادة أحد مع الآخر من حمل واحد.

[٤٣٦] (١) سورة الأحزاب / ٢٣.

[٤٣٧] (٢) «جنه» على وزن «غصة» بمعنى الدرع واشتقت في الأصل من مادة جن على وزن فن بمعنى الستر ومنه المجنون، كما تطلق الجنة على البستان كأنه تغطى بالأشجار، ومنه الجنين المغطى برحم الأم وإطلاق الجن على تلك الجماعة لخفائها.

[٤٣٨] (٣) نوادر الرواندي / ٥.

[٤٣٩] (٤) بحار الأنوار ٩٧ / ٤٦.

[٤٤٠] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

[٤٤١] (٢) بحار الأنوار ٧٢ / ١١٤.

[٤٤٢] (٣) غرر الحكم ح ٨٣ - ٢.

[٤٤٣] (٤) فروع الكافي ٥ / ١٢٤.

[٤٤٤] (١) - الحول القلب بضم الاول وتشديد الثاني هو البصير بتحويل الامور وتقليبها.

[٤٤٥] (٢) «ينتهز» من مادة «إنتهاز» بمعنى الإقدام على عمل، كما يعنى الاستفادة التامة من الفرصة.

[٤٤٦] (٣) «حريجه» من مادة «حرج» بمعنى التحرج والتحرز من الآثام، ويأتى الحرج أحياناً بمعنى الذنب.

[٤٤٧] (١) كنز العمال ٣ / ١٦ ح ٥٢١٧.

[٤٤٨] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

[٤٤٩] (٣) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٢٩.

[٤٥٠] (١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠، وروى عنه عليه السلام أنه قال: «لولا- التقى- أو لولا- الدين والتقى لكنت أدهى العرب».

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٨.

[٤٥١] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦.

[٤٥٢] (٣) تاريخ الطبرى ٣ / ٥٦٩.

[٤٥٣] (٤) سيد المرسلين ٢ / ٤٠٨ تقللاً عن السيرة الحلبية ٣ / ٤٠.

[٤٥٤] (٥) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٤.

[٤٥٥] (١) سند الخطبة: وردت هذه الخطبة بعدة أسناد. رواها قبل السيد الرضى (ره) نصر بن مزاحم في كتاب صفين والشيخ المفيد في المجالس والمسعودى في مروج الذهب. وقال نصر بن مزاحم دخل الإمام عليه السلام الكوفة بعد معركة الجمل فأسرع قراء الكوفة وأشرفها لإستقباله. فدخل المسجد وصلى ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم خطب الخطبة.

[٤٥٦] (١) بحار الانوار ١٨٨ / ٧٤ (مع اختلاف طفيف) وبحار الانوار ٧٠ / ٩٠ - ٩١ مع فارق ضئيل جداً.

[٤٥٧] (١) الأنوار النعمانية ٣ / ١١٤.

[٤٥٨] (١) «حذاء» كما ورد في تفسير السيد الرضى (ره) وشراح نهج البلاغة بمعنى السريع، من مادة حذ على وزن حظ بمعنى القطع، أو القطع السريع، ثم اطلقت على كل حركة سريعة، وحذا مؤنث إحدًا.

[٤٥٩] (٢) «صباغة» بالضم البقية من الماء واللبن في الإناء، والضمير في اصطباها وصابها يعود الى الصباغة، لأن الإناء مذكر والضمير المؤنث لا يعود اليه.

[٤٦٠] (١) سورة الروم / ٧.

[٤٦١] (٢) سورة الجاثية / ٢٤.

[٤٦٢] (١) سورة القارعة / ٩.

[٤٦٣] (٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨.

[٤٦٤] (٣) سورة المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠.

[٤٦٥] (٤) سورة الشعراء / ١٠٢.

[٤٦٦] (١) سورة المؤمنون / ٨٤ - ٨٥.

[٤٦٧] (٢) سورة يونس / ٩١.

[٤٦٨] (٣) «تنبيه الخواطر»، (طبق نقل ميزان الحكمة، ٣ / ٢٣ - ٢٤ مادة عمل).

[٤٦٩] (١) وردت هذه الخطبة في كتابين قبل نهج البلاغة، الأول كتاب صفين لنصرين مزاحم والآخر كتاب الإمامة والسياسة مع فارق طفيف. أما القسم الثاني فقد رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد. مصادر نهج البلاغة، ١ / ٤٤٦.

[٤٧٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٧٠ - ١١٨ بتلخيص.

[٤٧١] (١) إغلاق مصدر من باب إفعال يستعمل عادة في الأبواب.

[٤٧٢] (١) «اناء» بمعين التثبت والتأني والصبر.

[٤٧٣] (٢) «أرودوا» من مادة «رود» على وزن فوت بمعنى طلب الشيء بالرفق والمداراة، ومنه الإرادة.

[٤٧٤] (١) نهج البلاغة، الرسالة ٦.

[٤٧٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٧٠ - ٩١ بتصرف وتلخيص.

[٤٧٦] (١) الكامل لابن أثير ٣ / ١٨٠.

[٤٧٧] (٢) يتفق الفريقان على نزول الآية «وإن جئكم فاسق نبأ فتبينوا» الآية ٦ من سورة الحجرات «كان في الوليد. بل نقل العلامة المجلسي في الغدير ٨ / ٢٧٦ الإجماع على ذلك.

[٤٧٨] (١) الغدير ٨ / ٢٤١.

[٤٧٩] (٢) الغدير ٨ / ٢٤١.

[٤٨٠] (٣) نقل هذه القصة أغلب المؤرخين ومنهم البلاذري في أنساب الأشراف ٥ / ٢٩.

[٤٨١] (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٤٣ وتأريخ يعقوبى ٢ / ١٧٠.

[٤٨٢] (٥) شرح نهج البلاغة طبق نهج الحق / ٢٩٧.

[٤٨٣] (١) سند الخطبة: أوردها عدد من المؤرخين ممن عاشوا قبل السيد الرضى في كتبهم ورووا قصة بنى ناجية، ومنهم الطبرى في تأريخه المعروف في وقائع عام ٣٨ هـ وابراهيم بن هلال الثقفى في كتاب الغارات والبلاذري في أنساب الأشراف والمسعودى في

- كتاب مروج الذهب. مصادر نهج البلاغة، ١/ ٤٥١.
- [٤٨٤] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١٢٨ بتصرف.
- [٤٨٥] (١) «بكنه» من مادة «بكت» على وزن بخت بمعنى الضرب بالعصا، كما تعنى التوييح والغلبة على الآخرين عن طريق الاستدلال.
- [٤٨٦] (٢) سورة البقرة/ ٢٨٠.
- [٤٨٧] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١٢٨ - ١٥٠ بتصرف.
- [٤٨٨] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١٢٨ - ١٥٠ بتصرف.
- [٤٨٩] (١) سند الخطبة: قال أغلب شراح نهج البلاغة أن هذه الخطبة والخطبة رقم ٢٨ كلاهما فصل من خطبة طويلة روى السيد الرضى قسما منها هنا وآخر في الخطبة المذكورة (كما ترك القسم الثالث) ويفيد هذا الأمر مرة أخرى أن السيد الرضى (ره) لم يرد نقل كافة خطب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة، بل كان يلتقط كلامه عليه السلام إلتقاطاً لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير. على كل حال نقل هذه الخطبة قبل السيد الرضى (ره) المرحوم الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه، والمرحوم الشيخ الطوسي (بعد الرضى) في مصباح المتعجب. (مصادر نهج البلاغة، ٢/ ١٠ - ١١).
- [٤٩٠] (١) «مقنوط» من مادة «قنوط» على وزن قنوت بمعنى اليأس من الخير والرحمة، والقنوط على وزن بلوطصيغته مبالغة.
- [٤٩١] (٢) سورة الاعراف/ ١٥٦.
- [٤٩٢] (٣) سورة يوسف/ ٨٧.
- [٤٩٣] (٤) سورة الحجر/ ٥٦.
- [٤٩٤] (٥) سورة لقمان/ ٢٠.
- [٤٩٥] (١) سورة الزمر/ ٥٣.
- [٤٩٦] (٢) في ظلال نهج البلاغة ١/ ٢٢٦.
- [٤٩٧] (٣) مجمع البيان ذيل تفسر بسم الله الرحمن الرحيم من سورة الفاتحة.
- [٤٩٨] (٤) «إستنكاف» من مادة «نكف» على وزن نظم بمعنى الابعاد، والانتكاف بمعنى الخروج من أرض إلى أخرى، والاستنكاف بمعنى الآباء والاعراض عن الشيء.
- [٤٩٩] (٥) سورة النساء/ ١٧٣.
- [٥٠٠] (٦) سورة النحل/ ١٨.
- [٥٠١] (١) منى لها الفناء، أى قدر لها لها الفناء. وتطلق على الآمال التى يخطط لها الإنسان فالمراد أن الفناء مقدر فى طبيعة الدنيا.
- [٥٠٢] (٢) «الجلاء» بمعنى الظهور، ومنه الجلاء عن الوطن بمعنى الخروج منه، وكأن الإنسان كان مستخفياً وقد ظهر بعد أن خرج من وطنه.
- [٥٠٣] (١) - مادة «اللتباس» إن تعدت بحرف الباء عنت الاختلاط والامتزاج، وإن تعدت بحرف على عنت الاشتباه، ومن هنا يتضح أن المراد بالعبارة هنا الاشتباه.
- [٥٠٤] (٢) «البلاغ» بمعنى الوصول إلى الشيء، ومنه البلوغ الذى يصل فيه الإنسان مرحلة خاصة. والمراد بها هنا ما يتبلغ به، أى يقتات به مدة الحياة.
- [٥٠٥] (٣) سورة البقرة/ ١٩٧.
- [٥٠٦] (١) الكفاف من مادة كف بمعنى كفى اليد، ولما كان الإنسان يبعد الشيء عنه بكفه فقد وردت هذه المفردة بمعنى المنع والسلب، ومنه المكفوف لمن سلب بصره، ويقال للجماعة كافة لأنها تمنع العدو.

- [٥٠٧] (٢) سورة المائدة/ ٨٧.
- [٥٠٨] (٣) اصول الكافي ٢/ ١٤٠.
- [٥٠٩] (٤) غرر الحكم، ح ٢٣٤.
- [٥١٠] (٥) غرر الحكم، ح ٢٨٦.
- [٥١١] (٦) نهج البلاغة/ ٣٧١.
- [٥١٢] (١) سند الخطبة رواه بعض المحدثين الذين عاشوا قبل السيد الرضى (ره) ومنهم نصرين مزاحم في كتاب صفين، وذكر بعض المؤرخين أن الإمام عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند ما وضع رجله في الركاب وعزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية. وقال السيد الرضى وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه أمير المؤمنين على عليه السلام. ورواه أعمش الكوفي في كتاب الفتوح، ما اورده مع بعض الاضافات القاضى نعمان المصرى في كتاب دعائم الإسلام، وقال: إن الإمام عليه السلام كان يدعوا بهذا الدعاء عند كل سفر، مصادر نهج البلاغة، ١٢/ ٢.
- [٥١٣] (١) «وعشاء» من مادة «وعث» على وزن درس تعنى المشقة، وأصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الأرجل فيه ومن هنا يطلق الوعثة على المرأة المترهلة لأنها لا تستطيع الحركة بسهولة.
- [٥١٤] (٢) «كآبة» بمعنى الإنزعاج وسوء الحال وتصدع البال ومن هنا يقال الكتيب للفرد غير مرتاح البال.
- [٥١٥] (٣) «منقلب» من مادة «قلب» مصدر بمعنى الرجوع، كما يمكن أن تكون إسم مصدر، واسم مكان وزمان، وهى هنا إسم مصدر أنسب منها مصدر.
- [٥١٦] (١) سورة الحديد/ ٤.
- [٥١٧] (٢) سورة البقرة/ ١١٥.
- [٥١٨] (٣) بحار الانوار ٩٠/ ٣٠٢.
- [٥١٩] (٤) اصول الكافي ٢/ ٤٦٨ ح ١.
- [٥٢٠] (٥) بحار الانوار ٩٠/ ٣٤١؛ اصول الكافي ٢/ ٤٨٦.
- [٥٢١] (٦) سورة الفرقان/ ٧٧.
- [٥٢٢] (١) سورة النمل/ ٦٢.
- [٥٢٣] (١) سورة المؤمنون/ ٢٨- ٢٩.
- [٥٢٤] (٢) سورة القصص/ ٢٢.
- [٥٢٥] (٣) سورة القصص/ ٢٤.
- [٥٢٦] (٤) سورة القصص/ ٨٥.
- [٥٢٧] (٥) الوسائل الشيعة ٨/ ٢٧٥- ٢٨١.
- [٥٢٨] (٦) سورة الزخرف/ ١٣- ١٤.
- [٥٢٩] (١) سند الخطبة: من جملة من رواها قبل السيد الرضى (ره) ابن الفقيه في كتاب البلدان، إلّا أنه صرح أن أمير المؤمنين عليه السلام خاطب بهذا الكلام أهل البصرة والكوفة ولا يغير ذلك شيئاً. ونقلها بعد السيد الرضى (ره) الزمخشري في ربيع الأبرار في باب البلاد والديار. مصادر نهج البلاغة، ١٥/ ٢.
- [٥٣٠] (١) «أديم» بمعنى ظاهر الشئ وغالباً ما يطلق على الجلد، كما يسمى وجه الأرض ب(أدمه الأرض)، وقيل هذا هو السبب في تسمية آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

- [٥٣١] (٢) «عكاظ» كما ذكرنا سابقا سوق كانت تقيمها العرب فى العصر الجاهلى قرب مكة فى صحراء بيت نخلة والطائف يجتمعون إليه ليتعاطوا؛ أى يتفاخروا، وكان تفاخرهم قبلى عادة ما يقود إلى الحروب الدامية.
- [٥٣٢] (١) «تعركين» من مادة «عرك» على وزن درك، من عركت القوم الحرب إذا مارسهم حتى أتعبتهم.
- [٥٣٣] (٢) «نازل» جمع نازلة بمعنى الحوادث الشديدة.
- [٥٣٤] (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣ / ١٩٨.
- [٥٣٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣ / ١٩٨.
- [٥٣٦] (١) سند الخطبة: كما ذكر سابقاً فإن الإمام خطبها بالنخيلة حين تجهز لصفين خارجاً من الكوفة. وقد جاء فى كتاب مصادر نهج البلاغة أنه خطبها فى الخامس والعشرين من شوال سنة ٣٧ هـ وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة، وأضاف طبقاً لنقل ابن أبى الحديد أنه ذكرها جماعة من أصحاب السير وزاد فيها، ومنهم نصر بن مزاحم فى كتاب صفين (مصادر نهج البلاغة ٢ / ١٦).
- [٥٣٧] (١) «وقب» من مادة «وقب» الحفرة فى الأرض أو الجبل، ويقال للشى وقب إذا دخل الحفرة أو الظلام، ومن هنا كان المعنى دخل الليل.
- [٥٣٨] (٢) «غسق» يعنى شدة الظلمة، ولما كانت الليل يشتد ظلمة كلما اقترب من منتصفه فإن الغسق كناية عن منتصف الليل أيضاً ومن هنا قال المفسرون: «أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» إشارة إلى الصلوات الأربع الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرآن الفجر صلاة الصبح (سورة الاسراء / ٧٨).
- [٥٣٩] (٣) «لاح» من مادة «لوح» بمعنى الظهور والبزوغ. وتستخدم فى كل وجود مضيء ويطلق اللوح على الصفيحة البيضاء التى تصنع من الخشب أو الفلز.
- [٥٤٠] (٤) «خفق» من مادة «خفق» و«خفوق» بمعنى الغياب والترنزل والحركة، ومن هنا تستعمل حين يغرب القمر أو الشمس أو كوكب.
- [٥٤١] (١) سورة القصص / ٧٣.
- [٥٤٢] (٢) سورة الانعام / ٩٧.
- [٥٤٣] (٣) سورة النحل / ١٦.
- [٥٤٤] (٤) «افضال» من مادة «فضل» بمعنى الإحسان.
- [٥٤٥] (٥) المناجاة الخمسة عشر، مناجاة الشاكرين، بحار الانوار ٩١ / ١٤٦.
- [٥٤٦] (٦) بحار الانوار ١٣ / ٣٥١ ح ٤١.
- [٥٤٧] (١) «مقدمة» بكسر الدل بمعنى المتقدم وفتح الدال المبعوث مسبقا و تطلق المفردتان على طليعة الجيش يعنى الطائفة التى تتحرك أمام العسكر لتطلعه على ما يواجهه من أحداث.
- [٥٤٨] (٢) كما ذكرنا سابقا فإن ملطاط اقتبست من مادة «لط» «لطط» و ميمها زائدة، و تعنى هذه المادة الإقتراب و المرافقة، و من هنا يقال «لط» للقادة لأنها ترافق العنق دائما، كما يقال الملطاط لشاطيء النهر و البحر، بينما أعتبرها البعض الآخر من أرباب اللغة من مادة «ملط» على وزن «شرط» و ليس هناك من فارق مع سابقتها من حيث المعنى و إن تفاوت اللفظ.
- [٥٤٩] (٣) «نطفة» الماء الصافى القليل أم الكثير، ويطلق أحيانا بمعنى كل ماء جار و مائع سيال.
- [٥٥٠] (٤) «شرذمة» تعنى فى الأصل الجماعة القليلة و ما يتبقى من الشىء، و يقال الشرذمة لما يفصل عن الثمرة.
- [٥٥١] (٥) «أكناف» جمع «كنف» على وزن «هدف» بمعنى أطراف الشىء، و حيث تكون أطراف الأشياء سببا لستر الاقسام الباطنية فانه يقال «الكنيف» للجدران الأربعة التى يستتر فيها الإنسان، و كذلك يطلق على الواقى و الدرع الذى يحفظ الإنسان من ضربات

الأعداء.

- [٥٥٢] (١) سورة الدخان / ٢٥ - ٢٩.
- [٥٥٣] (١) وردت هذه القضايا التاريخية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٨.
- [٥٥٤] (١) سند الخطبة: رواها جمع ممن عاش بعد السيد الرضى (ره) ومنهم العلامة المجلسى فى روضة البحار وعلى بن محمد بن شاکر الواسطى فى كتاب عيون الحكم والمواعظ (مصادر نهج البلاغة، ٢ / ١٨).
- [٥٥٥] (١) «بطن» من مادة «بطن» على وزن متن تستعمل للأشياء الخفية، ويقال بطنت الأمر بمعنى علمت ببواطنه وأسراره. ولما كان داخل البطن خفى فقد استعملت هذه المفردة بشأن كل شىء خفى، وباطن الأشياء بمعنى داخلها، وله معنى الفعل اللازم والمتعدى.
- [٥٥٦] (١) سورة الانعام / ١٠٣.
- [٥٥٧] (٢) سورة الاعراف / ١٤٣.
- [٥٥٨] (٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٩.
- [٥٥٩] (١) الاستعلاء قد يكون بمعنى الافضلية وارىد بها هنا هذا المعنى.
- [٥٦٠] (٢) سورة النور / ٣٥.
- [٥٦١] (١) للوقوف على المزيد بهذا لاشأن راجع المجلد الأول من الشرح، الخطبة الاولى.
- [٥٦٢] (٢) «جحود» و«جحد» بمعنى الإنكار الممزوج بالعلم - وقال الراغب فى المفردات تعنى نفى ما ثبت فى القلب، أو إثبات ما نفاه القلب - وعليه ففى مفهوم الجحود نوع من التعصب والعداء الخفى ضد الحق.
- [٥٦٣] (٣) سورة العنكبوت / ٦١ - ٦٣.
- [٥٦٤] (١) وردت هذه الأشعار فى حواشى «شرح الباب الحادى عشر» فى الصفحة الأولى من قول ابن أبى الحديد.
- [٥٦٥] (١) سند الخطبة: نقل هذه الخطبة عدد ممن عاش قبل السيد الرضى (ره)، كالمرحوم الكلينى فى الكافى فى باب البدع والرأى والمقاييس (١ / ٥٤) وأحمد بن محمد بن خالد البرقى فى كتاب المحاسن (١ / ٢٠٨) واليعقوبى فى تأريخه (٢ / ١٣٦) وابوجبان التوحيدى فى البصائر والذخائر / ٣٢، وآخرون ممن عاشوا بعد الرضى ولا حاجة لذكرهم. مصادر نهج البلاغة ٢ / ١٩.
- [٥٦٦] (١) «تبتدع» من مادة «بدع» بمعنى حديثه الظهور، وتستعمل بشأن الاحكام المخالفة لكتاب الله والسنة النبوية.
- [٥٦٧] (١) راجع كتاب الغدير / ١٠.
- [٥٦٨] (٢) «يتولى» من مادة «تولى» بمعنى الاتباع. وتأتى أحيانا بمعنى الإقتراب والسيطرة على المقام والمنصب إلا أن المراد هنا المعنى الأول.
- [٥٦٩] (٣) «مرتادين» من مادة «ارتياذ»، الطالبين للحقيقة.
- [٥٧٠] (٤) «ضغت» على وزن حرص قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، كما يطلق الضغت على الاحلام المزعجة، وقد وردت فى العبارة بمعنى بعض من الشىء.
- [٥٧١] (١) العبارة إقتباس من الآية ١٠١ من سورة الأنبياء «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» التى وردت بعد الحديث عن جهنم، فى اشارة إلى أن هذه الطائفة ناجية من النار، ولما كانت فتن الدنيا هى جهنمها، فقد استثنى عليه السلام هذه الطائفة من هذه الفتن.
- [٥٧٢] (١) سورة القصص / ٣.
- [٥٧٣] (١) لقد نقل هذه الخطبة «نصر بن مزاحم» فى كتاب صفين عن جابر عن أمير المؤمنين على عليه السلام (مع بعض الفوارق الطفيفة) (مصادر نهج البلاغة ٢ / ٢٠).

[٥٧٤] (١) «محلّة» تستعمل بمعنى المكانة والمنزلة الاجتماعية.

[٥٧٥] (٢) «رووا» من مادة «التروية» بمعنى الارتواء من الماء، ولهذا يصطلح على اليوم الثامن من شهر ذى الحجة بـ «يوم التروية» حيث كان الحجيج في السابق يتزودون بالماء حين الذهاب إلى عرفة ومنى والمشعر الحرام، كما قد تستعمل هذه المفردة ويراد بها المعنى الكنائى كإرواء السيوف الذى ورد فى هذه الخطبة.

[٥٧٦] (٣) بحار الأنوار ٧/٤٥.

[٥٧٧] (١) ارشاد المفيد ٢/ ٨١. طبعه آل البيت.

[٥٧٨] (٢) سورة التوبة/ ٥٢.

[٥٧٩] (٣) «لمه» من مادة «لمى يلمو لموا» بمعنى أخذ الشىء بأكمله و (لمه) بضم اللام وفتح الميم بدون التشديد» بمعنى الجماعة القليلة، (غواة) جمع غاوى بمعنى الضال، والعمس بمعنى محو الأثر وعدم العلم بالشىء، ومن هنا أطلق العميس على الظلام الدامس، فيقال ليل عماس؛ أى مظلم.

[٥٨٠] (١) «أبأه» جمع أبى بمعنى الرفض والامتناع والضميم بمعنى الظلم، وهو ما يطلق على أولئك الذين لا يستسلمون للظلم والجور.

[٥٨١] (٢) سورة المنافقون/ ٨.

[٥٨٢] (٣) الكافي ٥/ ٦٣.

[٥٨٣] (٤) بحار الأنوار ٤٤/ ١٩٢.

[٥٨٤] (٥) بحار الأنوار ٤٥/ ٨٣.

[٥٨٥] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣/ ٢٦٣.

[٥٨٦] (٢) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٩١.

[٥٨٧] (١) سورة طه/ ٦٣.

[٥٨٨] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣/ ٣٣٠.

[٥٨٩] (١) سند الخطبة: روى أنّ الإمام عليه السلام خطبها فى عيد الأضحى وبدأيتها «الله أكبر الله أكبر لا اله إلا الله والله أكبر ولله الحمد الحمد لله على ما هدانا...» ورواها المرحوم الصدوق (ره) فى كتابه من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٢٩ والشيخ الطوسى (ره) فى كتاب المصباح/ ٢٦١ وقال: نقل أبو مخنف عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه أنّ علياً عليه السلام خطب الناس فى الأضحى وقد أورد السيد الرضى (ره) بعضها فى نهج البلاغة، كما روى الشيخ المفيد قسماً منها فى المجلس العشرين من الامالى. مصادر نهج البلاغة ٢/ ٢٢ وقد مضى شبيه هذا المضمون فى الخطبة ٢٨.

[٥٩٠] (١) «تصرمت» من مادة «صرم» بمعنى انقطعت وفنيت، ومن هنا يطلق الصارم على السيف القاطع، وتصرم الدنيا يعنى انقطاع أجلها.

[٥٩١] (٢) «آذنت» من مادة إيدان أعلمت وأخبرت.

[٥٩٢] (١) «حذاء» من مادة «حذ» على وزن حظ بمعنى السريعة الذهاب، ومن هنا يطلق الحذاء على الدابة السريعة، والمراد هنا سرعة أجل الدنيا.

[٥٩٣] (٢) «تحفز» من مادة «حفز» على وزن حبس بمعنى تعجلهم وتسوقهم، وقد ورد فى الحديث الشريف أن حفز الموت من علامات القيامة. قيل وما حفز الموت. قال صلى الله عليه وآله: موت الفجأة (لسان العرب).

[٥٩٤] (٣) «مر» على وزن «شر» بمعنى المضى والعبور ومر على وزن حر ضد الحلو، وأمر» من مادة «مُر» بمعنى مضى الزمان يجعل حلاوة الدنيا مرارة.



[٥٩٥] (٤) «سملة» من مادة «سمل» على وزن حمل بمعنى البقية من الماء تبقى في الإناء، ومن هنا كان الاسمال بمعنى الإصلاح لأنه يزيل ما بقي من الأحقاد والأضغان.

[٥٩٦] (٥) «إدواء» على وزن إدارة القرية الصغيرة من الجلد.

[٥٩٧] (٦) «تمزز» من مادة «مز» على وزن حز بمعنى التذوق والامتصاص والأكل وقال صاحب مقاييس اللغة امتصاص الماء تدريجياً وببطء.

[٥٩٨] (١) «أزمعوا» من مادة «زمع» بمعنى العزم على الشيء، ولذلك قيل ان هذه المفردة قلبت من عزم أى نقلت فيها حرفى الزاء والميم من مكان إلى آخر، وقيل كانت فى الأصل جمع ثم بدلت إلى زاء، والمفردات الثلاث (عزم وزمع وجمع) بمعنى واحد وهو التصميم والعزم على الشىء.

[٥٩٩] (٢) «أمد» على وزن صمد أجل الشىء وتأتى بمعنى الغضب، لأن صبر الإنسان ينفد حين الغضب.

[٦٠٠] (٣) سورة الحديد / ١٦.

[٦٠١] (١) بحار الانوار، ٥٠ / ٢١١.

[٦٠٢] (١) «حنين» بمعنى الشفقة والرأفة والرحمة وتقال عادة مقترنة بالأنين والألم، و«استن حنانة» تطلق على العمود الخشبي الذى ورد فى الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستند إليه ويخطب الناس، ثم استبدل بالمنبر فكان ذلك العمود يتأوه لفراق النبي صلى الله عليه وآله.

[٦٠٣] (٢) «وله» جمع «واله» و«والهة» من مادة «وله» على وزن ولع بمعنى شدة الهم الذى يذهب بالعقل ويفقد التمييز.

[٦٠٤] (٣) «عجال» جمع «عجول» من مادة «عجلة» بمعنى السرعة فى العمل، كما تطلق على المرأة التى تشكل بولدها.

[٦٠٥] (١) «هديل» يطلق على الحمام كما يطلق أحياناً على نوحه وهو من الهدل على وزن العدل بمعنى الصوت العذب.

[٦٠٦] (٢) جوار له معنى مصدرى وهو الصوت المرتفع المشوب بالتضرع والنجدة.

[٦٠٧] (٣) متبتل من مادة تبتل بمعنى الانفصال والإعتزال وتطلق على الرهبان الذين يعتزلون المجتمع وينهمكون بالعبادة. ومن ألقاب الزهراء عليها السلام التبتل لأنقطاعها إلى الله وأفضليتها على سائر النساء فى الفضل والعلم والمعرفة. وورد فى بعض الروايات أن التبتل هو رفع اليد بالدعاء.

[٦٠٨] (٤) «رهبان» جمع «راهب» من مادة «رهب» على وزن رحم بمعنى الخوف، الخوف مع ضبط النفس والرهبانية تعنى شدة العبودية وترك الدنيا، وهى بدعة ابتدعتها طائفة من النصارى حيث يقاطع الفتى أو الفتاة الزواج ويقع فى زاوية من الدير وينهمك بالعبادة، وقد ورد النهى عنها فى الاسلام، فقد قال صلى الله عليه وآله: «لا رهبانية فى الاسلام».

[٦٠٩] (٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

[٦١٠] (١) «انمياث» من مادة «موث» على وزن موت بمعنى الذوبان، وانمياث من باب الانفعال، ويعنى فى العبارة بذل قصارى الجهد فى سبيل الله.

[٦١١] (١) بيت الشعر إقتباس من حديث عن الإمام السجاد والصادق عليهما السلام، بحار الانوار، ١٣ / ٣٥١ المناجاة الخمسة عشر مناجاة الشاكرين.

[٦١٢] (٢) سورة الحجرات / ١٧.

[٦١٣] (١) سند الخطبة: ورد فى كتاب مصادر نهج البلاغة أن هذه ليست خطبة مستقلة بل هى جزء من الخطبة السابقة التى خطبها فى الأضحى) ومن هنا عدتها نسخة ابن أبى الحديد التى تعتبر أصح النسخ جزءاً من الخطبة السابقة، اما أنها وردت مستقلة فى سائر النسخ فهذا من خطأ الرواة، والشاهد على ذلك أنها وردت جزءاً من الخطبة فى كتاب من لا يحضره الفقيه (١ / ٤٦١) ومصباح

المتجهد/ ٤٢٩. جدير ذكره أن العبارة التي وردت في كتاب من لا يحضره الفقيه بعد «تجر رجلها إلى المنسك» «فلا تجزى» الذي يغير العبارة تماماً. ولا يبدو ذلك مستبعداً، وإن درجنا على السير في نهج البلاغة حسب تصنيف صبحي الصالح. مصادر نهج البلاغة، ٢/ ٢٣. [٦١٤] (٢) «الاضحية»: الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى.

[٦١٥] (٣) «إستشراف» من مادة «شرف» بمعنى علو المقام، والمراد بإستشراف الأذان تفقدها حتى لا تكون مجدوعه أو مشقوقة غير سالمة.

[٦١٦] (١) «عضباء» من مادة «عضب» على وزن عزم بمعنى القطع أو الكسر، وعضباء القرن بمعنى مكسورة القرن، كما يطلق على الناقة إذا شقوا أذنها ناقةً عضباء.

[٦١٧] (٢) وردت العبارة «فلا تجزى» في كتاب من لا يحضره الفقيه ١/ ١٦٨ باب صلاة العيدين، ح ١٤٨٧.

[٦١٨] (٣) سورة الحج / ٣٦.

[٦١٩] (١) سند الخطبة: يرى صاحب مصادر نهج البلاغة أن هذا الكلام جزء من الخطبة ٢٦ و ٣٠ و ٥٤ و ٧٨، خطبها عليه السلام في بيته بحضور الناس ليدونوها وينقلوها إلى الآخرين. وقال في ذيل الخطبة ٢٦ رواها قبل السيد الرضى (ره) الثقفى فى الغارات والطبرى فى المسترشد والمرحوم الكلينى فى الرسائل نقلها عن كشف المحجج للسيد ابن طاووس وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة (مصادر نهج البلاغة ١/ ٣٩٠).

[٦٢٠] (٢) منهاج البراعة ٤/ ٣٢٦؛ شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى ٢/ ١٤٤.

[٦٢١] (١) «تداكوا» من مادة «دك» على وزن فكك، قال الراغب فى المفردات أنها تعنى الأرض المستوية الرخوة، بينما صرحت سائر كتب اللغة بعكس ذلك وان الدك يعنى الضرب. ومعنى العبارة فى الخطبة أنهم تراحموا عليه ليباعوه رغبة فيه.

[٦٢٢] (٢) «هيم» جمع «أهيم» و«هيماء» صفة مشبهة بمعنى شدة العطش التى تجعل الحيوان أو الإنسان يروح ويجيى، ويقال الهيمان للعاشق. والهيم العطاش من الأبل.

[٦٢٣] (٣) «ورد» اسم مصدر بمعنى الورد، وقيل مصدر كأكيد بمعنى الفاعلية، وتعنى الجمع أيضاً. يوم وردها يوم سشربها للماء.

[٦٢٤] (٤) «مثنانى» جمع مثناء بالفتح ومثناه بالكسر وهو حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير. وهى فى الأصل من مادة ثنى بمعنى التكرار واعادة جزء من الشى إلى الآخر.

[٦٢٥] (١) من أراد المزيد يمكنه مراجعة الخطبة الششقية.

[٦٢٦] (١) سورة الانفال / ٣٩.

[٦٢٧] (٢) سورة الحجرات / ٩.

[٦٢٨] (١) سند الخطبة: لم يشر صاحب مصادر نهج البلاغة إلى سند خاص لهذه الخطبة، إلا أن لابن أبى الحديد فصل ذيل هذه الخطبة تحت عنوان من أخبار يوم صفين يفيد أن ما أورده هنا السيد الرضى (ره) بمعنى آخر ينسجم وما جاء فى التواريخ. شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤/ ١٣.

[٦٢٩] (١) هنالك احتمال بشأن إعراب هذه الجملة: أحدهما أن كل منصوبه على أنها مفعول لفعل تقديره «أتفعل كل ذلك»، والآخر انها مرفوعة كمبتدأ وتقدير الجملة «أكل ذلك ناشئ من كراهية الموت». على كل حال فإن الجملة «كراهية المت» مفعول لأجله.

[٦٣٠] (١) «تعشو» فى الأصل من مادة «عشو» على وزن ضرب بمعنى الظلمة وعدم وضوح الشىء ومنه صلاة العشاء لأنها أول الظلمة وعشى بمعنى آخر اليوم الذى يظلم فيه الجو تدريجياً ويقال الأعشى لضعيف البصر.

[٦٣١] (٢) «تبوء» من مادة «بوء» على وزن نوع بمعنى الرجوع والعودة وقيل أصلها يعنى الصافى والمسطح وارىد بها هنا الرجوع.

[٦٣٢] (١) سند الخطبة: نقل ابن أبى الحديد هذا الكلام عن الواقدى ابن هلال قبل المرحوم السيد الرضى (ره) ورواها الزمخشري فى

ربيع الأيثار في الجزء الرابع من باب القتل والشهادة. وأضاف صاحب مصادر نهج البلاغة بعد ما أورد هذا الكلام انه من كلامه المعروف في مصادر العلماء السابقين وبعد السيد الرضى (مصادر نهج البلاغة ٢/ ٢٩).

[٦٣٣] (١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢/ ١٤٦.

[٦٣٤] (٢) سورة التوبة/ ٢٤.

[٦٣٥] (٣) «لقم»: قال بعض أرباب اللغة وشرّاح نهج البلاغة تعنى معظم الطريق أو جادته، واصلها من اللقم على وزن العفو بمعنى السرعة فى الأكل.

[٦٣٦] (٤) «مضض» على وزن «مرض» بمعنى تجذر الهم فى القلب مع الحرقة.

[٦٣٧] (٥) التصاول من صول على وزن قول أن يحمل كل واحد من الندين على الآخر.

[٦٣٨] (٦) «تخالس» من مادة «خلس» على وزن درس كل واحد منها يطلب اختلاس روح الآخر.

[٦٣٩] (١) «كبت» على وزن ثبت بمعنى الازلال.

[٦٤٠] (٢) جران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، القاء الجران كناية عن التمكن، فالعبارة كناية عن إتساع رقعة الإسلام ونصر المسلمين واستقرار الإسلام فى مختلف بقاع العالم.

[٦٤١] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤/ ٣٤ باختصار شديد.

[٦٤٢] (١) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج البلاغة لقد روى هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام كراراً من المحدثين قبل السيد الرضى (ره). وروى إبراهيم الثقفى فى كتاب الغارات عن الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام عليه السلام صعد منبر الكوفة فقال: «سيعرض عليكم سبى ...» كما روى هذا الكلام الكلينى فى الكافى والبلاذرى فى أنساب الاشراف والحاكم فى المستدرک وشيخ الطائفة الطوسى فى الامالى (مصادر نهج البلاغة ٢/ ٣٣).

[٦٤٣] (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤/ ٥٤.

[٦٤٤] (٣) مصادر نهج البلاغة، ذيل الخطبة.

[٦٤٥] (١) «بلعوم» على وزن «حلقوم» موضع مرور الطعام، ورحب البلعوم واسعه، أو كناية لكثرة أكله.

[٦٤٦] (٢) «مندحق» من مادة «دحق» على وزن قطع بمعنى الدفع والابعاد وطرح الشى بعيداً، ولما كان كبر البطن يؤدى الى بروزها وكأنها تطرح بعضها خارجاً اطلق على الشخص البطن مندحق البطن.

[٦٤٧] (١) رواه الحاكم فى كتاب مستدرک الصحيحين ١/ ١٢١ طبعه حيدر آباد.

[٦٤٨] (٢) بحار الانوار ٤٥/ ١٣٧.

[٦٤٩] (٣) الغدير ١٠/ ٢٦٤.

[٦٥٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤/ ١١٥.

[٦٥١] (١) إحقاق الحق ٦/ ٤٤٠-٤٤١.

[٦٥٢] (٢) روى هذا لاحديث المرحوم العلامة الأمينى فى كتاب الغدير عن علماء السنة مثل محب الدين الطبرى فى الرياض والشافعى فى الكفاية والحموى فى الفرائد وابن صباغ المالكى فى الفصول المهمة (الغدير ٢/ ٣٠٠) وللوقوف أكثر راجع مصادر هذا الحديث فى المجلد السابع من احقاق الحق ٧/ ٢؛ ١٦/ ٤٢٣.

[٦٥٣] (١) نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٨/ ٢٤.

[٦٥٤] (١) سورة الاعمران/ ٢٨.

[٦٥٥] (١) - أجمع مفسرون الفريقين أن هذه الآية نزلت فى عمار، وصحيح أن عمار اجبر على الكفر إلّا أنه تظاهراً تكلم من خلال

الاعتقاد بذلك وأنه رجع عن دين محمد ليركوه ويحفظ دمه.

[٦٥٦] (٢) سورة النحل / ١٠٦.

[٦٥٧] (٣) سورة غافر / ٢٨.

[٦٥٨] (١) سند الخطبة: اورد بعض هذه الخطبة قبل السيد الرضى (ره) ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة وابن الجوزى في تذكرة الخواص والطبرى فى المسترشد، كما نقل ابن أثير فى كتاب النهاية عدة احتمالات وردت بشأن بعض مفردات الخطبة وهذا يشير أنه حصل عليها من عدة نسخ (مصادر نهج البلاغة، ٣٦/٢).

[٦٥٩] (١) «أوبوا» من مادة «أوب» على وزن قوم بمعنى الرجوع، كما تطلق هذه المفردة على السحاب والرياح بسبب الرجوع فيها.

[٦٦٠] (٢) أعقاب جمع عقب بمعنى كعب الرجل، كما تطلق على الأثر الذى يتركه على الأرض، وهى هنا كناية عن الأجيال السابقة.

[٦٦١] (١) سيأتى سند هذا الكلام ذيل الخطبة رقم ٦٠ فهى تشير إلى نفس الموضوع.

[٦٦٢] (٢) سورة آل عمران / ٤٩.

[٦٦٣] (١) سند الخطبة: قال صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة بعد أن جمع الخطبة ٥٩ و ٦٠ بشأن هذا الكلام رواه المبرد فى الكامل (المبرد من علماء القرن الثالث الهجرى) ونقل بعضه البيهقى فى المحاسن والمساوى والمسعودى فى مروج الذهب ثم مدح ابن أبى الحديد فى انه قال: هذا من الأخبار المشهورة القريبة من التواتر ومن معجزاته الغيبة عليه السلام. مصادر نهج البلاغة، ٣٧/٢.

[٦٦٤] (٢) «قرارات» من مادة «قرار»، وقرارات النساء أرحامهن حيث تعتقد النطفة لمدة فى الرحم فتقر هناك، وقال القرآن «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فى قَرَارٍ مَكِينٍ»، سورة المؤمنون / ١٣.

[٦٦٥] (١) «نجم» من مادة «نجم» على وزن حجم بمعنى الطلوع، كما يطلق على كل ظهور وطلوع مفاجىء.

[٦٦٦] (٢) سورة التوبة / ٥٨.

[٦٦٧] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢ / ٢٦٧.

[٦٦٨] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٥ / ٧٣-٧٦.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَارِ - فى تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايدة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطفىء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتداءً أنشئته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجامعات، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلَايَةِ المبتدلة أو الرَّدِيئَة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلَّاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهَات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمَكَرَانَ و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و "مفترق" وفائي / "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الإلكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزات الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعه، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم

المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكّن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

